مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية
سلسلة الأدلة والكشافات

ملف رقم (١٨١)

التكشيف الاقتصادي للتراث

المكوس
موضوع رقم (١٥٩)

إعداد
الدكتور / أحمد جابر بدران
إشراف
أ . د / علي جمعة محمد

فهرس محتويات ملف (١٨١)

المكوس موضوع (١٥٩)

١٥٩ المكوس ج١

الأصفهاني ، كتاب الأغاني

١- عامل مكوس الأبلة أيام عمر وزياد بن أبيه جـ ٢١، ١٥,٩

ابن جبير ، رحلة ابن جبير ج ٤ / ١

١- مقدار الضرائب التى يأخذها الافرنج من تجار المسلمين المغاربة فى الشام ٢٧٤ .

ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض ج ٤ / ١

١- مقدار الوارد من مكوس ميناء عدن لبيت المال ٣٢ .

الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ج ٤ / ١

١- المكس ٤٠ .

الطبرى ، اختلاف الفقهاء ، شاخت

١- عشر التجارة ٢١٨-٢٢٧ .

ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ج ٤ / ٥

١- المكوس على بضائع المسلمين وأهل الذمة وأهل الحرب أيام عمر جـ٣، ١٣٩، ١٤٠ .

المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم

١- جدة وعدن ١٠٤ .

٢- العراق ١٣٣، ١٣٤ .

٣- الشام ١٨٩ .

٤- مصر ٢١٣ .

٥- خراسان ٣٤٠ .

٦ - أصفهان ٤٠٠ .

١٥٩ المكوس ج٢

السيوطى ، حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ج٤ / ٣

١- المكس بمصر أيام عمرو بن العاص جـ ١ ، ١٥١ .

٢- صاحب المكس بمصر في بداية الفتح جـ ٢، ١٣٦ .

٣- صلاح الدين يسقط المكوس عن أهل مصر بعد القضاء على الفاطميين جـ٢ ص ١٧ .

الصنعانى ، المصنف .

١- المكوس التي تؤخذ من تجار المسلمين وأهل الذمة وأهل الحرب جـ١٠، ٥ ٣٤٥، ٣٣٥ .

ابن عبد الحكم ، سرة عمر بن عبد العزيز

١- موقف عمر بن عبد العزيز من المكوس ٨٢، ٨٣.

١٥٩ المكوس ج٣

بيكر ، برديات شوت راينهاردت

- المكس، ضريبة التجارة جـ١٠ ص ٥ .

- المكس ليس مطابقا للعشر جـ١٠ ص ٥٣ .

- المكس ضريبة على التجارة الداخلية أيضا جـ١٠ ص ٥٦ .

- رسالة من قرة بن شريك الي باسيل في تنظيم تجارة الطعام (القمح) . وأجره فيها بالايعاز لتجار كورته ببيع نصف بضاعتهم (ما لديهم من طعام) فى مدينة الفسطاط ويرغبه فى ذلك بأنه ألغى عنهم ضريبة المكس جـ١٠ ص ٦٢- ٦٧ .

بيكر ، برديات عربية من مكتشفات أفرديتو

- مكس الطعام جـ١٠ ص ٨٣ .

جروهمان ، أوراق البردى العرية بدار الكتب المصرية

١- أمر من قرة بن شريك موجه الى باسيل صاحب أشقوه سنة ٩١ هـ ، لكى يقوم بالطلب من تجار الطعام (القمح) بشحن القمح الى الفسطاط ؛ مقابل اسقاط ضريبة المسك عنهم تشجيعا لهم رقم ١٤٧ جـ ٣ ص ٧-١١ .

عبود، برديات قرة من أفروديتو فى المعهد الشرقى

– ضرائب التجارة جـ٣ ص ٩٤.

١٥٩ المكوس ج٤

ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ج٤ / ٢٣

١– سنة ٣٢٧ هـ أول سنة أخذ فيها المكس من الحجاج عن كل حمل خمسة دنانير جـ ٣ ص ٦٤.

٢– الحاكم بأمر الله يرفع امكوس عن البلاد وعما يباع فيها جـ ٤ ص ١٧٧.

٣– صلاح الدين الأيوبى يبطل المكوس التي كانت تؤخذ من الحجاج بجدة جـ ٦ ص ٧٨.

٤– الخليفة المستضيء بأمر الله يسقط المكوس والضرائب فى أيام خلافته جـ٦ ص ٨٥.

٥– الخليفة الظاهر بأمر الله يقطع الظلامات والمكوس ومقدارها ثمانية الاف دينار فى السنة جـ٦ ص ٢٦٥.

٦– مظفر الدين يونس يبطل المكوس والخمور بدمشق جـ٦ ص ٣٠٤.

٧– فى ولاية الملك الأشرف أخذ عند باب الجابية بدمشق عن كل حمل خمسة دراهم مكسا جـ ٨ ص ٢٦.

٨– اجراءات الملك الناصر في رد المظالم والمكوس جـ ٩ ص ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٦٢، ١٣١

٩ – أعيدت عدة مكوس فى سلطنة الملك الكامل جـ ١٠ ص ١٤١.

١٠– الأمير يلبغ يبطل المكوس في مكة والمدينة ويعوضها من بيت المال بمائتى ألف وستين ألفا جـ١ ص ٣٤.

١١– السلطان برقوق يبطل سائر المكوس من سائر ديار مصر وأعمالها جـ ١ ص ٢٦٩.

١٢– ما أبطله الملك الظاهر من المكوس والضرائب جـ ١ ص ٢٩، ٢٩١.

١٣– الخليفة المستعين السلطان يبطل المكوس والمظالم من سائر أعماله جـ ١٣ ص ١٩٢.

١٤ – السلطان المؤيد يبطل مكس الفاكهة البلدية والمجلوبة وهو فى كل سنة نحو ستة الاف دينار جـ ١٤ ص ٩٤.

١٥ – كانت المكوس تؤخذ على البضاعة من مكة الى مصر واذا سارت البضاعة من القاهرة الى البصرة والكوفة أخذ عنها المكس ببلاد الشام سنة ٨٣٠ هـ جـ ١٤ ص ٣١٠.

١٦– الاتفاق على أن يؤخذ من تجار الشام فى مكة عن كل حمل قل ثمنه أو كثر ثلاثة دنانير ونصف جـ ١٤ ص ٣١٤.

١٧– الوزير تاج الدين ابن كاتب المناخ يفرض لأول مرة مكس الفاكهة جـ ١٥ ص ١٢١.

الذهبى، سير أعلام النبلاء ج ٤ / ١

١– الخليفة المعتضد يسقط المكوس جـ ١٣ ص ٤٦٧.

السبكى، طبقات الشافعية الكبرى ج ٤ / ٢

١– صلاح الدين الأيوبي ينادى ساعة دخوله دمشق بازالة المكوس التي وضعها الملك نور الدين جـ ٤ ص ٣٣٨.

٢– الشيخ فخر الدين ابن عساكر (ت٦٢٠ هـ) ينكر على الملك المعظم تضمين المكوس والخمور جـ ٥ ص ٦٩.

السخاوى، الضوء اللامع ج ٤ / ٣

١– برقوق بن أنص الظاهر يبطل مكس القمح بعدة بلاد وما كان يؤخذ من أهل البرلس وما حولها وهو فى السنة ستون ألفا، وما كان يؤخذ على الفراريج بالغربية وعلى الملح بعنتاب وعلى الدقيق بالبيرة وعلى الدريس والحفا بباب النصر جـ ٣ ص ١٢.

٢– كان توران شاه (ت٨٤٤هـ) صاحب هرموز (هرمز على بر فارس) يكرم المراكب الواصلة من مكة لاعفاء من المكس جـ٣ ص ٤٥.

٣– عبد العزيز بن أحمد الحفصى (ت٨٣٧هـ) ملك المغرب وصاحب تونس يبطل المظالم والمكوس ومحلا يباع فيه الخمر للفرنج يتحصل منه شيء كثير فى السنة جـ٤ص ٢١٤.

أبو شامة، كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ج ٤ / ١٤

١– نور الدين زنكى يسقط المكوس والضرائب فى بلاد الشام والعراق ومصر جـ ١ ص ٧، ١٥، ١٦.

٢– كان المكس يؤخذ في مصر قبل نور الدين زنكى من كل مائة دينار خمسة وزربعون دينارات جـ ١ ص ٧

٣- نور الدين زكى يبطل كافة الضرائب والمكوس في جميع البلاد سنة ٥٦٩ هـ ولم يبق سوى الجزية والخراج وما يحصل من قسمة الغلات جـ ١ ص ١١ .

٤- مقدار ما أسقطه نور الدين زنكى من ضراذب ومكوس فى السنة من منطقة حلب ودمشق والمعرة، وكذلك المكوس التي فرضها الافرنج عليها وعلى المسافرين. جـ ١ ص١٦ .

٥- صلاح الدين الأيوبي يبطل المكوس والمظالم بمصر على ديوان الصناعة وقيمته مائة ألف دينار وعن الأعمال البلية والبحرية مائة ألف دينار كما أبطل مكوس الحج جـ ١ ص ١٧٤ .

٦ - نور الدين زنكى يسقط جميع المكوس والضرائب فى العراق جـ ١ ص ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠

٧- اسقاط المكوس والضرائب فى مصر زمن نور الدين زنكى سنة ٥٦٧هـ جـ ١ ص ٢٠٥ .

٨- نور الدين زنكى يسقط المكوس والضرائب في دمشق جـ ١ ص ٢١٦ .

٩- صلاح الدين الأيوبي يسقط المكوس عن الحاج فى مكة ويعوض أميرها ثمانية آلاف أردب تحمل له كل سنة ويعين ضياعا موقوفه على مكة بالديار المصرية سنة ٥٧٢هـ جـ ٢ ص ٣ .

١٠- صلاح الدين الأيوبى يسقط المكوس عن جلب سنة ٥٧٩ هـ جـ ٢ ص ٦٩ .

١١- صلاح الدين الأيوبي يسقط المكوس عن الرحبة سنة ٥٨٢هـ جـ ٢ ص ٦٩ .

ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها ج ٤ / ١

١- صاحب المكس جـ ٢ ص ١٠٩، ٢٣١

ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب

١- عضد الدولة يزيد من المكوس جـ ٣ ص ٧٨ .

٢ - السلطان مسعود يبطل الموس جـ ٤ ص ١٤٥ .

٣- الخليفة المستنجد بالله يطلق المكوس جميعها فى العراق جـ ٤ ص ٢١٨ .

٤- نور الدين محمود زنكى يسقط المكوس جميعها فى دمشق جـ ٤ ص ٢٢٨ .

٥ - الخليفة الظاهر بأمر الله يبطل المكوس فى بغداد جـ ٥ ص ١١٠ .

٦- السلطان يسقط المكوس عن تجارة المح فى بلاد الشام سنة ٧٢٤هـ، وذلك لحصول غلاء شديد في سعر القمح، وأمر أستيراده من مصر جـ ٦ ص ٦٢،٦٣ .

٧ - الملك الظاه برقوق الجركسى يلغى فى أيامه الكثير من المكوس جـ ٧ ص ٦ .

٨- السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد صاحب تونس لم يكن يأخذ في بلاده المكوس لأنه كان يبالغ فى أخذ الزكاة والعشر جـ ٧ ص ٢٢٢ .

ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة ج ٤ / ٥

١- المكوس، الموقف الفقهى منها جـ ٧ ص ١٤٩- ١٥٠ .

٢- تطور المكس، وجباية المكس فى العراق جـ ٧ ص ١٥٢ .

٣- أصل المكس في الجاهلية، عشرة بالمئة من أموال التجارة جـ ٧ ص ١٥٣، ١٥٦ .

الكتبى، فوات الوفيات ج ٤ / ٤

١- المعتضد بالله يسقط المكوس جـ ١ ص ٧٢ .

٢- من وجوه الاعفاء من المكوس أحيانا جـ ١ ص ١٣٥ .

٣- الخليفة المستضئ بالله أمر برفع المكوس في أيامه جـ ١ ص ٣٧١ .

٤- الخليفة المستنجد بالله يلغى المكوس جـ ٤ ص ٣٥٨ .

المقريزى، الخطط المقريزية

١- الغاء صلاح الدين للمكوس فى مصر والشام وهى مفصلة هنا جـ ١ ص ١٠٤ - ١٠٦، ١٠٩-١١١ جـ ٢ ص ٢٣٣ .

٢- عثمان بن صلاح الدين يعيد فرضها جـ ١ ص ١٠٥ .

٣- ابطال الناصر محمد بن قلاوون للمكوس والرسوم جـ ١ ص ٨٨-٨٩ .

٤- صاحب المكس (العشّار) كان مركزه بر الفسطاط أول الفتح جـ ٢ ص ١٢١، ١٢٣ .

٥- أصل المكس قبل الاسلام أنه ضريبة تؤخذ من البائع فى السوق جـ ٢ ص ١٢٣ .

٦- المكس فى مصر أيام المعز ايبك جـ ٢ ص ١٢٣ .

٧ - مركز المكس فى القاهرة، قناطر بنى وائل جـ ٢ ص ١٤٨ .

ابن منظور، لسان العرب ج ٤ / ٢

١- المكس فى الجباية، والمكس: دراهم كانت تؤخذ من بائع اللع فى الأسواق فى الجاهلية جـ ٦ ص ٢٢٠ (مكس).

٢- قال جابر بن حنى الثعلبى:

أفى كل أسواق العراق تاوة وفى كل ما ابع امرؤ مكس درهم الاتاوة الخراج، والمكس، يأخذه العشار

ياقوت الحموى، معجم الأدباء ج ٤ / ١

١- رجل يهودى يتولى جباية المكوس فى الأندلس جـ ١٠ ص ٢١٨.

١٥٩ المكوس ج٥

ابن خلدون، كتاب العبر ج ٤ / ١٩

١- السلطان أبو يعقوب يوسف ينب عقوب يمنع الظلم والاعتداء ويرفع المكوس والرسوم عن الناس جـ ٧ ص ٤٣٦.

٢- السلطان عثمان بن السلطان أبى يعقوب (ت ٧٣١) يتفقد الدواوين ويرفع الظلامات ويحط المغارم والمكوس عن القبائل والعرب جـ ٧ ص ٥٠٣.

٣- السلطان أبو الحسن بن عثمان (ت٧٤١هـ) يرفع الظامات ويحط ربع المغارم عن بجاية جـ ٧ ص٥٥٩.

٤- صلاح الدين الأيوبى يسقط الرسوم والمكوس التى كانت قبله فى مصر جـ ١ ص ٤٩٧.

٥- من اجراءات الدولة اذا ضاقت جبايتها فرض الرسوم والمكوس على التجارة والأسواق وزيادة المكوس القائمة ومقاسمة العمال جـ ١ ص ٤٩٧-٤٩٨.

٦- يلجأ السلطان الى فرض المكوس على أثمان البيع فى الأسواق لحاجته الى نفقات سلطانه وأرزاق جنده جـ ١ ص ٥٢٥، ٥٢٨-٥٣٠.

٧- فرض المكوس على الأسوقا فى بغداد فى خلافة المتقي جـ ٣ ص ٨٦٠.

٨ - معز الدولة بن بويه يضرب المكوس ويأخذ الأموال من غير وجهها لتغطية أرزاق الجند جـ ٣ ص٨٧٨، ٨٧٩.

٩- السلطان طغرل بك يسقط المكوس فى بغداد سنة ٤٥٥ هـ جـ ٣ ص ٩٦٩.

١٠- أبو طاهر القرمطى يأخذ المكس من الحجاجة فى خلافة الراضى بن المقتدر جـ ٤ ص ٢١٤.

١١- عجلان بن أبى نمى يسقط المكوس عن الحجاج بمكة أيام السلطان الظاهر برقوق جـ ٤ ص ٢٣٠.

١٢- معز الدولة بن بويه يفرض المكوس الجديدة فى بغداد لتغطية أرزاق الجند جـ ٤ ص ٩٢٩.

١٣- الوزير نظام الملك يسقط كثيرا من المكوس زمن السلطان ألب أرسلان والسلطان ملكشاه جـ ٥ ص ٢٥.

١٤- نور الدين زنكى يسقط المكوس عن جميع أعماله جـ ٥ ص ٥٦٣.

١٥- الملثمون من بربر لمتونة يسقطون المغارم والمكوس عن سجلماسة سنة ٤٤٧ هـ.

١٦- جباية المكوس من تجار دار الحرب زمن الموحدين جـ ٥ ص ٩٣٠.

السرخسى، كتاب المبسوط

١- المكوس التى فرضها عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وغيرهما على المسلم والذمى والحربى جـ ٢ ص ١٩٩، ٢٠٠.

عليش، فتح العلى المالك

١- لا يحسب المكس من الزكاة جـ ١ ص ١٦٤.

٢- التهرب من دفع المكوس جـ ٢ ص ٢٢٠-٢٢١.

أبو الفداء، المختصر فى أخبار البشر ج ٤ / ٦

١- نور الدين زنكى يسقط المكوس عن الموصل سنة جـ٣ص ٥٦٧هـ

٢- الوزير نظام الملك يبنى المدارس ويسقط المكوس فى سائر الأمصار سنة ٤٨٥هـ جـ ٢ ص ٢٠٢

٣- قتادة بن ادريس أمير مكة يجدد المظالم والمكوس فيها جـ ٣ ص ١٣٠.

٤- الخليفة الظاهر بأمر الله يبطل عدة مظالم وخاصة الزيادة (حبة فى كل دينار) التي كانت فى الصنجة التي يؤخذ بها المال جـ ٣ ص ١٣٦، ١٣٧.

٥- السلطان الناصر يبطل المكوس والضرائب على سائر أصناف الغلة بجميع الشام جـ ٤ ص ٩٢.

٦- الملك الناصر يبطل عدة مكوس فى جميع أنحاء البلاد جـ ٤ ص ١٣٤.

مالك بن أنس، المدونة الكبرى

١- عمر بن عبد العزيز يبعث الي عامله علي المدينة بالغاء المكوس عن التجار المسلمين جـ ١ ص ٢٧٩.

المرغينانى، الهداية

١- ما يؤخذ من المسلم في تجارته اذا مرت على صاحب المكس جـ ١ ص ١٠٦.

٢- يعامل أهل الحرب بالمكوس كما يعامل تجار المسلمين جـ ١ ص ١٠٦.

النعيمى، الدارس في تاريخ المدارس ج ٤ / ٦

١- نور الدني زنكى يسقط المكوس والمغارم بدار البطيخ ودار الغنم وضمان الشهر والكيالة بحلب ولم يبق سوى الجزية والخراج وما يحصل من الغلات جـ ١ ص ٦٠٧، ٦١١.

٢- بلغ مجموع ما أسقطه نور الدين زنكى من الضرائب والرسوم في السنة خمسمائة ألف وستة وثمانون ألفا وأربعمائة وستون دينارا جـ ١ ص ٦١٢.

٣- الملك العادل أبو بكر ابن أيوب (ت٦١٥هـ) يبطل كثيرا من المظالم والمكوس في مصر والشام والحجاز واليمن والجزيرة جـ ٢ ص ٢٦٢.

٤- بلغ مجموعُ ما يؤخذ من مكوس فى دمشق زمن الملك العادل مائة ألف دينار جـ ٢ ص ٢٦٢.

٥ - صلاح الدين الأيوبي يسقط ما وضعه نور الدين زنكى من الضرائب والمكوس فى دمشق ص١٨١.

الونشريس. المعيار المعرب ج ٤ / ٢

١- المكس، معناه، والأبواب التى يفرض فيها جـ ٢ ص ٢[illegible]

٢- الاختلاف فى جواز زخذ القاضى مرتبه من أموال المكس جـ ٦ ص ١٥٢، ١٥٣.

١٥٩ المكوس ج٦

الادريسى، نزهة المشتاق ج ٤ / ٤

١- فرض المكس على الحجاج فى مدينة عذاب من أرض النوبة، على كل رأس ثمانية دنانير من الذهب، ويأخذ الحاج براءة بذلك جـ ٢ ص ١٣٥.

٣- أخذ المكوس من الحجاج فى جدة من قبل صاحب مكة ويسجل ذلك في دواوين خاصة جـ ٢ ص ١٣٥، ١٣٩.

٣- كان الهاشمى صاحب مكة ينفق المكوس التى يزخذها من ميناء جدة على أرزاق الجند جـ ٢ ص ١٣٥.

ابن تيمية، مموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ج ٤ / ٧

١- رأى ابن تيمية فى أخذ المكوس على المواشى المذبوحة فى المدن جـ ٢٩ ص ٢٦٤-٢٧٢.

٢- رأى ابن تيمية فى المكاسين، وآكلة الربا وأشباههم، . هل يحل أخذ طعامهم بالمعاملة أم لا جـ٢٩ ص ٢٧٢-٢٧٤.

ابن الجوزى، المنتظم ج ٤ / ١٤

١- القرامطة يأخذون مكسا على الحاج لأول مرة سنة ٣٢٧هـ، خمسة دنانير عن كل جمل ومن المحمل سبعة دنانير جـ ٦ ص ٢٩٦.

٢- المقتدى ؟ برفع الضرائب والمكوس فى بغداد سنة ٤٨٠هـ جـ ٩ ص ٣٥

٣- السلطان جلال الدولة (ت٤٨٥هـ) يسقط المكوس والضرائب في بغداد جـ ٩ ص ٦٩، ٧٠.

٤- اسقاط المكوس فى بغداد فى وزارة محمد بن حسين بن عبد الله أبو شجاع (ت ٤٨٨هـ) جـ ٩ ص ٩١.

٥- أبو طالب علي بن أحمد السميرمى، وزير السلطان محمود بن ملكشاه، يعيد فرض المكوس والضرائب سنة ٥١٤هـ والتي كان السلطان محمد قد أسقطها سنة ٥٠١هـ جـ ٩ ص ٢١٨، ٢٣٩.

٦- أعيد فرض الضرائب والمكوس فى بغداد سنة ٥١٥هـ، وألزم الباعة بأن يرفعوا الى السلطان ثلثى ما يأخذونه من الدلالة في كل ما يباع جـ ٩ ص ٢٢٨.

٧- اسقاط المكوس والضرائب وما وضع على الباعة من قبل السلطان فى بغداد سنة ٥١٦هـ جـ ٩ ص ٢٣٢.

٨- السلطان مسعود بن ملكشاه يسقط الضرائب والمكوس سنة ٥٣٣هـ جـ ٩ ص ٧٩،٧٨.

٩- رجلان يطلبان من السلاطن مسعود ضمان المكوس التى أسقطها سنة ٥٣٣هـ بمائة ألف دينار جـ ٩ ص ٧٩.

١٠- اسقاط المكوس فى أسواق بغداد بعد أن انتشر جراد عظيم سنة ٥٤١هـ جـ ٩ ص ١٢٠.

١١- كان المكاس ببغداد يسمى مختص الحضرة جـ ١٠ ص ١٤٣.

١٢- نور الدين زنكى يسقط المكوس من جميع البلاد قبل موته جـ ١٠ ص ٢٤٩.

ابن أبى دينار، المؤنس ج ٤ / ٣

١- عبد الله بن ياسين اللمتونى سلطان المروابطين يسقط المكوس عن سجلماسة ودرعة جـ ١٠ ص١٠٦.

٢- لم يفرض يوسف ين تاشفين سلطان المرابطين على بلاده مكسا ولا ضريبة خارجة عن الشرع جـ ١٠ ص ١٠٧.

٣- مبلغ ما أسقطه الأمير أبو فارس عبد العزيز الحفى (ت٨٣٣هـ) من المكوس في تونس جـ ١٠ ص١٥٤، ١٥٥.

١٥٩ المكوس ج٧

ابن الأثير، جامع الأصول من أحاديث الرسول

١- النظر لصاحب المسك جـ١١ ص ٢٣٦.

ابن الأثير، الكامل في التاريخ

١- الخليفة المقتدر يخفض من المكوس في مكة وفارس جـ٨ ص ٥٢.

٢- الوزير نظام الملك يسقط عن الناس المكوس والضرائب جـ١٠ ص ٢٠٩.

٣- الأمير اسماعيل عامل البصرة سنة ٣٩٥ هـ يسقط قسما من المكوس عن التجار المارين بالأبلة جـ١٠ ص ٣٣٩.

٤- أطلق السلطان محمد في سنة ٥٠١هـ الضرائب والمكوس ودار البيع والاجتيازات في العراق وكتبت به الزلواح وجعلت في الأسواق جـ١٠ ص ٤٥٤.

٥- السلطان سنجر يطلق المكوس في غزنهة صنة ٥٠٨ هـ جـ١٠ ص ٥٤٨، ٥٤٩.

٦- كمال الدين محمد بن الحسين الخازن وزير السلطان مسعود يطلق المكوس جـ١١ ص ٦٤.

٧- السلطان مسعود قام في سنة ٥٣٣ هـ بازالة المكوس في بغداد وكتب الألواح بازالتها ووضعت على أبواب الجوامع وفي الأسواق جـ١٠ ص ٧١.

٨- نور الدين زنكي يطلق المكوس والعثور في مصر ولاشام والجزيرة والموصل جـ١٠ ص ٤٠٤.

٩- غياث الدين ملك الغور يسقط المكوس في بلاده جـ١٢ ص ١٨١، ١٨٢.

القسوى، كتاب المعرفة والتاريخ ج ٤ / ١

١- عمر بن عبد العزيز يزمر بهدم بيت المكس في رفع جـ١ ص ٦٠٧.

القلقشندي، صبح الأعشى ج ٤ / ٧

١- مقادير المكوس علي تجار أهل الحرب القادمين من مصر وتغيرها حسب مصلحة ووضع البلد والتجار جـ٣ ص ٤٥٩، ٤٦٠.

٢- المكوس التي تؤخذ من التجار القادمين لمصر برا أوبر بحرا جـ٣ ص ٤٦٤-٤٦٦.

٣- تضمين المكوس لبعض العمال وشكوى التجار من ذلك والغاء صلاح الدين له جـ٣ ص ٤٦٦، ٤٦٧.

٤- المكوس خارج الديوان السلطاني جـ٣ ص ٤٦٧.

أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء ج ٤ / ٣

١- نظرة الناس الى جامعي المكوس جـ٢ ص ٣٧٤.

٢- عمر بن عبد العزيز يلغي المكس (بيت المكس) في فلسطين جـ٥ ص ٣٠٦.

٣- نظرة الناس الي صاحب المكس جـ٥ ص ٣٤٥.

٤- صلاح الدين الأيوبي يسقط المكوس الديوانية بمصر جـ٢ ص ٤٧٣، ٤٧٤.

٥- الملك العزيز يسقط المكوس في دمشق سنة ٥٩٢ هـ جـ٣ ص ٦٧.

٦- الخليفة الناصر لدين الله يسقط المكوس في بغداد سنة ٦٠٤ هـ، ما قيمته ثلاثة آلاف دينار جـ٣ ص ١٨٩.

٧- الخليفة الظاهر بأمر الله (ت ٦٢٢ هـ) يسقط المكوس والمظالم في جميع البلاد جـ٤ ص ١٧١، ١٩٣.

٨- الملك المعظم مظفر الدين (ت ٦٣٠) يفرض مكوسا جديدة على رعيته، وكان متشددا في استخراج الأموال جـ٥ ص ٦٢.

٩- الملكة الصاحبة (ت ٦٤٠ هـ) تسقط المظالم والمكوس في جميع بلاد حلب جـ٥ ص ٣١٣.

المكوس ج ١٠

الدارمي، سنن الدارمي

١- عن النبي ﷺ أنه قال: لا يدخل الجنة صاحب مكس، يعني عشارا جـ١ ص ٣٩٣.

الكامل في التاريخ

تأليف

الشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف
بابن الأثير

دار صادر
للطباعة والنشر

دار بيروت
للطباعة والنشر

بيروت
١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

بمكّة ، فقال : والله لا جمعتهما للفاسق ، قتل ابن رسول الله وغزو الكعبة . ثمّ أرسل إليه يعتذر .

فبعث إلى مسلم بن عُقْبة المُرّيّ . وهو الذي سُمّي مُسْرفاً ، وهو شيخ كبير مريض . فأخبره الخبر ، فقال : أما يكون بنو أميّة ألف رجل ؟ فقال الرسول: بلى . قال: «فما استطاعوا[1] أن يقاتلوا ساعة من النهار ! ليس هؤلاء بأهل أن يُنْصروا فإنّهم الأذلاّء ، دَعْهم يا أمير المؤمنين حتى يَجْهدوا أنفسهم في جهاد عدوّهم ويتبيّن لك مَنْ يقاتل على طاعتك ومَن يستسلم . قال : ويحك ! إنّه لا خير في العيش بعدهم ، فاخرجْ بالناس .

وقيل : إنّ معاوية قال ليزيد : إنّ لك من أهل المدينة يوماً ، فإن فعلوا فارمِهم بمسلم بن عُقْبَة ، فإنّه رجل قد عرفت نصيحته . فلمّا خلع أهلُ المدينة أمر مسلماً بالمسير إليهم ، فنادى في الناس بالتجهّز إلى الحجاز[1] وأن يأخذوا عطاءهم ومعونة مائة دينار ، فانتدب لذلك اثنا عشر ألفاً . وخرج يزيد يعرضهم وهو متقلّد سيفاً متنكّب قوساً عربيّة ، وهو يقول :

أبلغْ أبا بكْرٍ إذا اللّيلُ سَرَى ... وهَبَطَ القومُ على وادي القُرَى
أجَمْعَ سكران منَ القوْمِ ترَى ... أم جَمْعَ يَقظان نَفَى عنه الكرَى
يا عَجَباً مِن مُلحدٍ يا عَجَباً ... مُخادعٍ بالدّينِ يَعفو[2] بالعرَى

وسار الجيش وعليهم مسلم ، فقال له يزيد : إن حدث بك حدثٌ فاستخلف الحُصَين بن نُمَير السَّكونيّ ، وقال له : ادعُ القوم ثلاثاً ، فإن أجابوك وإلاّ فقاتلْهم ، فإذا ظهرتَ عليهم فانهبْها ثلاثاً ، فكلُّ ما فيها من مال أو دابّة أو

1) C. P. الجهاد . 2) C. P. نفقوا .

١ • فاستطاعوا .

سلاح أو طعام فهو للجند ، فإذا مضت الثلاث فاكففْ عن الناس ، وانظرْ عليّ ابن الحسين فاكففْ عنه واستوصِ به خيراً ، فإنّه لم يدخل مع الناس ، وإنّه قد أتاني كتابه .

وقد كان مروان بن الحكَم كلّم ابن عمر لما أخرج أهلُ المدينة عاملَ يزيد وبني أُميّة في أن يغيّب[1] أهله عنده . فلم يفعل ، فكلّم عليَّ بن الحسين ، فقال : إنّ لي حُرَماً وحُرَمي تكون مع حُرَمك . فقال : أفعل . فبعث بامرأته ، وهي عائشة ابنة عثمان بن عفّان ، وحُرَمه إلى عليّ بن الحسين . فخرج عليّ بحُرَمه وحُرَم مروان إلى يَنْبع ، وقيل : بل أرسل حُرَم مروان وأرسل معهم ابنه عبد[2] الله بن عليّ إلى الطائف .

ولما سمع عبد الملك بن مروان أنّ يزيد قد سيّر الجنود إلى المدينة قال : ليت السماء وقعت على الأرض . إعظاماً لذلك .

ثمّ إنّه ابتُلي بعد ذلك بأن وجّه الحجّاج فحصر مكّة ورمى الكعبة بالمنجنيق وقتل ابن الزبير . وأمّا مسلم فإنّه أقبل بالجيش فبلغ أهلَ المدينة خبرُهم ، فاشتدّ حصارهم لبني أُميّة بدار مروان ، وقالوا : والله لا نكفّ عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أو تُعْطونا عهد الله وميثاقه أن لا تبغونا غائلةً ، ولا تدلّوا لنا على عورة ، ولا تظاهروا علينا عدوّاً ، فنكفّ عنكم ونُخْرجكم عنّا . فعاهدوهم على ذلك فأخرجوهم من المدينة .

وكان أهل المدينة قد جعلوا في كلّ منهل بينهم وبين الشام زِقّاً من قطران وعُوِّر ، فأرسل الله السماء عليهم فلم يستقوا بدلوٍ حتى وردوا المدينة .

فلمّا أخرج أهلُ المدينة بني أُميّة ساروا بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عُقْبة بوادي القرى فدعا بعمرو بن عثمان بن عفّان أوّل الناس فقال له : خبّرْني ما

1) C. P. يبعث . 2) C. P. عبيد .

وفيها استقضى المهديُّ عافيةَ[١] القاضي مع ابن عُلاثة بالرُّصافة .

وفيها عزل الفضلَ بن صالح عن الجزيرة . واستعمل عليها عبدَ الصمد بن عليّ . واستعمل عيسى بن لُقمان على مصر ، ويزيد بن منصور على سَواد الكوفة ، وحسّان الشَّرَويّ على الموصل ، وبِسطام بن عمرو التغلبيّ على أذرَبيجان .

وفيها توفّي نصر بن مالك من فالج أصابه . وولّى المهديُّ بعده شُرطتَه حَمزةَ بن مالك ، وصُرف أبان بن صَدَقة عن هارون الرشيد ، وجُعل مع موسى الهادي ، وجُعل مع هارون يحيَى بن خالد بن برمك .

وفيها عُزل محمد بن سليمان أبو ضَمْرة عن مصر في ذي الحجّة ، ووليها سَلَمة بن رجاء ؛ وحجّ بالنّاس موسى الهادي وهو وليّ عهد ؛ * وكان عامل مكّة والطائف واليمامة جعفر بن سليمان ؛ وعامل اليمن عليّ بن سليمان[1] ؛ وكان على سَواد الكوفة يزيد بن منصور ، وعلى أحداثها إسحاق بن منصور .

وفيها توفّي سفيان الثَّوْريّ ، وكان مولده سنة سبع وتسعين ؛ وزائدة ابن قُدامة أبو الصَّلْت الثَّقَفيّ الكوفيّ ؛ وإبراهيم بن أدهم بن منصور أبو إسحاق الزاهد ، وكان مولده ببَلْخ ، وانتقل إلى الشام فأقام به مرابطاً ، وهو من بكر بن وائل ، ذكره أبو حاتم البُستّيّ[2] .

1) C. P.　　2) A. السبتي .

١ غافية .

١٦٢

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة

ذكر قتل عبد السلام الخارجيّ

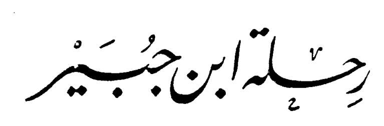
وفي هذه السنة قُتل عبد السلام بن هاشم اليَشكُريّ بقِنّسرين ، وكان قد خرج بالجزيرة ، فاشتدّت شوكته ، وكثُر أتباعه ، فلقيه عدّة من قوّاد المهديّ فيهم : عيسى بن موسى ، القائد ، فقتله في عدّة ممّن معه ، وهزم جماعة من القوّاد فيهم شَبيب بن واج المَرْوَرُوذيّ ، فندب المهديّ إلى شبيب ألف فارس ، وأعطى كلّ رجل منهم ألف درهم معونة ، فوافوا شبيباً فخرج بهم في طلب عبد السلام ، فهرب منه ، فأدركه بقِنّسرين ، فقاتله ، فقتله بها .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وضع المهديّ دواوين[١] الأزمّة ، وولّى عليها عمرو بن مُربَّع[1] مولاه ، وأجرى المهديّ على المُجذَّمين وأهل السجون [الأرزاق] في جميع الآفاق .

1) C. P. بربيع ! A. بربع .

١ ديوان .





دار صادر
للطباعة والنشر

دار بيروت
للطباعة والنشر

بيروت

١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م

فرحلنا عنها عشيّ يوم السبت المذكور إلى قرية تعرف
تَيْنفَ يجري بينهما فيها . فرحلنا عنها عشيّ يوم السبت المذكور إلى قرية تعرف بالمسية بمقربة من حصن الإفرنج المذكور فكان مبيتنا بها . ثمّ رحلنا منها يوم لأحد سحراً ، واجتزنا في طريقنا بين هُونين وتِبنْين بواد ملتفّ الشجر ، أكثر شجره الرّنْد ، بعيد العمق كأنّه الخندق السّحيق المَهْوَى ، تلتقي حافتاه ويتعلق بالسماء أعلاه ، يعرف بالاسطيل لو ولجته العساكر لغابت فيه ، لا منجى ولا مجال لسالكه عن يد الطالب فيه ؛ المَهْبَط إليه والمَطْلَع عنه عقبتان كؤودان ، فعجبنا من أمر ذلك المكان . فأجزناه ومشينا عنه يسيراً وانتهينا إلى حصن كبير من حصون الإفرنج يعرف بتِبنْين ، وهو موضع تمكيس القوافل ، وصاحبته خنزيرة تعرف بالملكة ، وهي أمّ الملك الخنزير صاحب عكّة ، دمّرها الله . فكان مبيتنا أسفل ذلك الحصن ، ومُكّس الناس تمكيساً غير مستقصى ، والضريبة فيه دينار وقيراط من الدّنانير الصّوريـة على الرأس ، ولا اعتراض على التجّار فيه لأنّهم يقصدون موضع الملك الملعون ، وهو محلّ التعشير ، والضريبة فيه قيراط من الدينار ، والدينار أربعة وعشرون قيراطاً .

وأكثر المُعتَرَضين في هذا المكس المغاربة ، ولا اعتراض على غيرهم من جميع بلاد المسلمين ، وذلك لمقدّمة منهم أحفظت الإفرنج عليهم ، سببها أنّ طائفة من أنجادهم غَزَتْ مع نور الدين ، رحمه الله ، أحدَ الحصون فكان لهم في أخذه غنًى ظهر واشتهر ، فجازاهم الإفرنج بهذه الضريبة المَكْسيّة ألزموها رؤوسهم ، فكل مغربيّ يزن على رأسه الدينار المذكور في اختلافه على بلادهم . وقال الإفرنج : إنّ هؤلاء المغاربة كانوا يختلفون على بلادنا ونسالمهم ولا نَرْزَأهم شيئاً ، فلمّا تعرّضوا لحربنا وتألّبوا مع إخوانهم المسلمين علينا وجب أن نضع هذه الضريبة عليهم . فللمغاربة في أداء هذا المكس سبب من الذكر الجميل في نكايتهم العدو يسهّله عليهم ويخفّف عنتهم عنهم .

ورحلنا من تبنين ، دمّرها الله ، سحر يوم الاثنين ، وطريقنا كلّه على ضياع متّصلة وعمائر منتظمة ، سكّانها كلّها مسلمون ، وهم مع الإفرنج على

حالة ترفيه ، نعوذ بالله من الفتنة ، وذلك أنّهم يؤدّون لهم نصف الغلّة عند أوان ضمّها وجزية على كلّ رأس دينار وخمسة قراريط ولا يعترضونهم في غير ذلك . ولهم على ثمر الشجر ضريبة خفيفة يؤدونها أيضاً . ومساكنهم بأيديهم وجميع أحوالهم متروكة لهم . وكلّ ما بأيدي الإفرنج من المدن بساحل الشام على هذه السبيل ، رَسَاتِيقُهم كلّها للمسلمين ، وهي القرى والضياع . وقد أُشْرِبت الفتنةَ قلوبُ أكثرهم لما يبصرون عليه إخوانهم من أهل رساتيق المسلمين وعُمّالهم ، لأنّهم على ضدّ أحوالهم من الترفيه والرفق . وهذه من الفجائع الطارئة على المسلمين : أن يشتكي الصنف الاسلاميّ جورَ صنفه المالك له ، ويحمد سيرة ضدّه وعدوّه المالك له من الإفرنج ، ويأنس بعدله . فإلى الله المُشْتَكى من هذه الحال ، وحسبُنا تعزية وتسليةً ما جاء في الكتاب العزيز :
« إنْ هِيَ إلاّ فِتْنَتُكَ تُضِلّ بِهَا مَنْ تَشاءُ وتَهْدي مَنْ تَشاء[1] » .

فنزلنا يوم الاثنين المذكور بضيعة من ضياع عكّة ، على مقدار فرسخ ، ورئيسها الناظر فيها من المسلمين مقدّم من جهة الإفرنْج على من فيها من عُمّارها من المسلمين . فأضاف جميع أهل القافلة ضيافةً حفيلة وأحضرهم صغيراً وكبيراً في غرفة متّسعة بمنزله وأنالهم ألواناً من الطعام قدّمها لهم ، فعمّهم بتكرمته . وكنّا فيمن حضر هذه الدعوة .

وبتنا تلك الليلة وصبحنا يوم الثلاثاء العاشر من الشهر المذكور ، وهو الثامن عشر لشتنبر ، مدينة عكة ، دمّرها الله ، وحُمِلنا إلى الديوان ، وهو خان مُعَدّ لنزول القافلة ، وأمام بابه مصاطب مفروشة فيها كُتّاب الديوان من النّصارى بمحابر الآبنوس المذهبة الحلى ، وهم يكتبون بالعربيّة ويتكلمون بها ، ورئيسهم صاحب الديوان والضامن له يعرف بالصاحب ، لقب وقع عليه لمكانه من الخُطّة ، وهم يَعْرِفون به كلّ مُحتشِم متعيّن عندهم من غير الجند . وكل ما يُجبى

1 سورة الأعراف ، الآية ١٥٥ .

كتاب
صُورَة الأرض

لابن حوقل

« أبي القاسم بن حَوقَل النّصيبيّ »

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

وعرضه من الجبل الى ساحل اليمن من عمل غلافقة ، ويكون مقداره مسيرة أربع مراحل . وأكثر أمواله المقبوضة من العشور وهي ما ينيف على خمس مائة الف دينار عثري ، ومن قبالات زبيد عن جميع ما يدخلها ويخرج عنها وتشتمل عليه وجوه الأموال مائتا الف دينار عثري . وأكثر ملوك الجبال في وقتنا هذا يخطبون له على منابرهم . ويصل اليه من جباية عدن عن المراكب العشرية مما لا يقع بمواقفة وضمان ويعمل بالأمانات ، فربما زادت المراكب ونقصت ، والمرتفع له في السنة عن هذا المكان على التقريب مائتا الف دينار عثري ، وربما زادت الزيادة العظيمة وربما نقصت اليسير . ويوجد العنبر بسواحل عدن وما يليها ، وله على ذلك ضريبة تصل اليه ، وله على صاحب جزائر دهلك موافقة من هدايا ، ترد عليه فيها العبيد والعنبر وجلود النمور المرتفعة الى غير ذلك ، وله على ملكة الحبشة هدايا ومبر فلا تنقطع هداياها ومبارها . (قال كاتب هذه الأحرف : دخلت عدن سنة أربعين وخمس مائة ، وكان العميد بها بلال بن جرير والمشرف عليه خالي أحمد بن غياث من قبل سلطانها محمد بن سبا ، وكان ضمان عشر المراكب بحسب مائة ألف وأربعة عشر ألف دينار مرابطية ، وهذا اكثر مما ذكره مصنف الكتاب بأضعاف) ويتلوه في المكنة والمقدرة ابن طرف صاحب عثر ، ويشتمل ملكه على وجوه من الأموال وضروب من الجبايات ، ويكون الواصل اليه كنصف ما يصل الى ولد أبي الجيش بن زياد من المال . ويتلوه الجرامي صاحب حلي وهو دون ابن طرف في المكنة والسلطان والجباية ، وهؤلاء الثلاثة ملوك تهامة اليمن وابن طرف والجرامي جميعاً في طاعة ابن زياد وقتنا هذا ، ويخطبون على اسمه ، وقد خطب الجميع لصاحب المغرب في هذا الوقت . وكان من أجل ملوك تهامة اليمن المعروفين بملوك الجبال : أسعد بن أبي يعفر فأنه ملكها سنين كثيرة وملك صنعاء ، وخطب لآل زياد وضرب دراهمه باسمهم بغير هدية أو مبرة تصل منه اليهم ، وكانت أمواله دون أربع مائة ألف دينار تنصرف في مروءته والى أضيافه وقاصديه ، وكان من سلالة التبابعة . وكذلك فجميع ما يجتبيه ولاة اليمن منصرف الى أضيافهم وقاصديهم . وجميع من بالجبال من ملوكها فجبايته دون هذه العدة من

المال ومرافقهم بقدر كفايتهم لمؤنهم . واما الحسني صاحب صعدة فله جباية كثيرة ومستغلات من المدابغ ، وضرائب على القوافل كثيرة تضاهي ارتفاع ابن طرفٍ ونفقاته في طرق المعروف من حيث امر الله تعالى ان تُصرف الصدقات والاعشار والخُراجات ، وربما زادت جبايته ونقصت . وصاحب السرّين فالواصل اليه كفاء ما يقوم به وبأهله ، وليست بجال تذكر . وله على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن رسم يأخذه من الرقيق والمتاع الوارد مع التجار .

٩ — وامَّا البحرين ومدنها وهي هجر والاحساء والقَطِيف والعقير وبيشَةُ والخَرج واوال وهي جزيرة كان لأبي سعيد الحسن بن بهرام ولولده سليمن بها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم ، والى وقتنا هذا هي لمخلفيهما ونسلهما . ويكون نسل ابي سعيد لظهره بين مرَةٍ ورجل نحو الاربع مائة نسَمَة . وبها أَموال وعشور ووجوه مرافق وقوانين ومراصد وضروب مرسومة من الكلف الى ما يصل اليهم من بادية البَصرة والكوفة وطريق مكة بعد إقطاع ما بالبحرين من الضياع بضروب ثمارها ومزارعها من الحنطة والشعير والنخل لأَتباعهم المعروفين كانوا بالمؤمنين ، ومبلغها نحو ثلاثين ألف دينار ، وما عدا ذلك من المال والامر والنهي والحل والعقد وما كان يصل اليهم من طريق مكة ومال عُمان ، وما وصل اليهم من الرَمْلة والشأم فمتساوٍ فيه آراء ولد أبي سعيد الباقين ، ومفاوضة أبي محمد سنبر بن الحسن بن سنبر ، وكان أكمل القوم واشدهم ثم تمكناً من نفسه . فإذا هموا بقسمة ما يصل اليهم من مال السنة كان ذلك ليوم معلوم مذ لم يزالوا ، فيعزل منه الخُمس بسهم صاحب الزمان ، والثلاثة الأخماس لولد أبي سعيد على قوانين وضعوها بينهم ، وكان الخمس الباقي للسنَابِرَة مسلماً الى أبي محمد ليفرقه في ولد ابيه وولده ويكونون نحو عشرين رجلاً . وكان ولد أبي طاهر فيهم يُعظمون ويُكرمون ، وكان أجلهم سابور فلما قتله اعمامه تشتتت كلمتهم وتغيرت احوالهم . وكان لهم من الثلاثة الأخماس مال معلوم دون الجرايات عليهم من الغنائم بحسب منازلهم ، دون ما لهم من الضياع والنعمة المختصة بهم الى سنة ثمان وخمسين ،

مفاتيح العلوم

للامام الأديب اللغوي الشيخ أبي عبد الله

محمد بن أحمد بن يوسف

الكاتب الخوارزمي

عني بتصحيحه ونشره للمرة الأولى سنة ١٣٤٢

إدارة الطباعة المنيرية

بمصر بشارع الكعكيين نمرة ١

مطبعة الشرق

لصاحبيها : عبد العزيز فايد وأخيه

بحارة المدرسة نمرة ٦ بجوار الازهر بمصر

خراج بالفارسية * مال الجوالى جمع جالية وهم الذين جلوا عن أوطانهم ويسمى فى بعض البلدان مال الجماجم وهى جمع جمجمة وهى الرأس * المكس ضريبة تؤخذ من التجار فى المراصد. الطسق الوظيفة توضع على اصناف الزروع لكل جريب وهو بالفارسية تشك وهو الاجرة. الإستان المقاسمة * الاقطاع ان يقطع السلطان رجلا أرضا فتصير له رقبتها وتسمى تلك الارضون قطائع واحدتها قطيعة. الطعمة هى أن تدفع الضيعة الى رجل ليعمرها ويؤدى عشرها وتكون له مدة حياته فاذا مات ارتجعت من ورثته والقطيعة تكون لعقبه من بعده * الايغار هو الحماية وذلك أن تحمى الضيعة أو القرية فلا يدخلها عامل ويوضع عليها شيء يؤدى فى السنة لبيت المال فى الحضرة أو فى بعض النواحى * التسويغ أن يسوغ الرجل شيئا من خراجه فى السنة وكذلك الحطيطة والتريكة * افتتاح الخراج الابتداء فى جبايته. التقرير فعل متعد من الاقرار: يقال قرر العامل القوم بالبقايا فاقروا بها ثم يسقط ذكر القوم فيقال قرر العامل بالبقايا * الحاصل ما يكون فى بيت المال أو على العامل. الباقي ما هو باق على الرعية لم يستخرج بعد * العبرة ثبت الصدقات لكورة كورة * وعبرة سائر الارتفاعات هو أن يعتبر مثلا ارتفاع السنة التى هى أقل ريعا والسنة التى هى أكثر ريعا ويجمعان ويؤخذ نصفهما فتلك العبرة بعد أن تعتبر الاسعار وسائر العوارض * الواقعة النفقات * الراتبة هى الثابتة التى لا بد منها. النفقات العارضة هى التى تحدث. الرائج من المال ما يسهل استخراجه * المنكسر مالا يطمع فى استخراجه لغيبة أهله أو موتهم أو نحو

ذلك * المتعذر والمتحير والمتعقد ما يتعذر استخراجه لبعد أربابه أو لافلاسهم. المحسوب ما يحسب للعامل * المردود ما يرد عليه ولا يحسب له. الموقوف ما يوقف ليناظر عليه أو ليستأمر السلطان فى حسبه أو رده * الحزر هو تقدير غلات الزروع * الخرص للنخل والكروم خاصة * التخمين الخرص المخذر مشتق من خمانا وهو بالفارسية لفظة شك وظن * المغارمة والمرافق والمصادرة والمصالحة متقاربة المعانى * التلجئة أن يلجئ الضعيف ضيعة الى قوى ليحامى عليها وجمعها الملاجئ والتلاجئ وقد يلجئ القوى الضيعة وقد ألجأها صاحبها اليه

الفصل الثالث

فى مواضعات كتاب ديوان الخزن

الحمول الأموال التى تحمل الى بيت المال واحدها حمل مصدر صير اسما: التوظيف أن يوظف على عامل حمل مال معلوم الى أجل مفروض فالمال هو الوظيفة * التسبيب أن يسبب رزق رجل على مال متعذر ليعين المسبب له العامل على استخراجه فيجعل وردا للعامل وإخراجا الى المرتزق بالقلم * السفتجة معروفة (١) * الطسوج ثلث ثمن مثقال * الدانق أربعة طساسيج والدينار أربعة وعشرون طسوجا والقيراط ربع خمس مثقال والدينار عشرون قيراطا فى أكثر البلدان * الحبة سدس سدس مثقال

(١) السفتجة هي كتاب صاحب المال لعامله باعطاء مال لآخر

تهذيب
تاريخ دمشق الكبير

للإمام الحافظ المؤرخ ثقة الدين أبو القاسم
علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي
المعروف بابن عساكر
المتوفى سنة ٥٧١ هـ

هذبه ورتبه
الشيخ عبد القادر بدران
المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ

دار المسيرة
بيروت

﴿ انس ﴾ بن السلم بن الحسن بن السلم ابو عقيل الخولانى الاعطرطوسى
حدث بدمشق سنة تسع وثمانين ومأتين عن جماعة وروى عنه سليمان بن احمد
الطبرانى وابو احمد بن عدى وابو بكر بن الاعرابى وجماعة وروى بسنده
الى ام خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم كان
يستعيذ من عذاب القبر وروى الطبرانى عنه بسنده الى انس بن مالك انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا

﴿ انس ﴾ بن سيرين وكنية سيرين ابو عمرة اخو محمد بن سيرين
من اهل البصرة قدم دمشق مع انس وروى عن ابن عمر وابن عباس وزيد
ابن ثابت وانس بن مالك وغيرهم من التابعين وروى عنه قتادة وشعبة وحميد
الطويل وغيرهم واسند اليه الحافظ انه قال سألت ابن عمر عن الركعتين قبل
الغداة (يعنى صلاة الليل) أأطيل فيهما القراءة فقال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلى مثنى مثنى ويوتر بركعة قال قلت ليس عن هذا اسألك
قال انك لضخم الا تدعنى استقرى لك الحديث كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلى من الليل مثنى مثنى ويوتر بركعة ويصلى ركعتين الغداة وكان
الاذان نادية قال حماد يعنى بسرعته واسند عنه ايضا انه قال سمعت انس بن
مالك قال قال رجل من الانصار وكان ضخماً للنبي صلى الله عليه وسلم انى
لا استطيع الصلاة معك فصنع الرجل له طعاماً فدعاه الى بيته ونضح له طرف
حصير لهم فصلى عليه ركعتين فقال فلان بن فلان ابن الجارود لانس أكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى قال ما رأيته صلاها غير ذلك اليوم
(اقول لا تعارض بين هذا الحديث وبين احاديث صلاة الضحى الواردة فى
الصحيحين وفى السنن لانه لا يلزم من كون انس ما رآه صلاها انه لم يصلها
بعد ذلك على ان الاحاديث فيها واردة عن جماعة من الصحابة وسندها اصح من
سند هذا الحديث فليعلم اه) واسند اليه ايضا انه صام يوم عرفة فجهده الصوم
فسأل ابن عمر وابن عباس وابا سعيد الخدرى وانس بن مالك فامروه ان يفطر
ويقضى وقال ايضا تلقينا انس بن مالك من الشام فكان يصلى على حماره انما
توجه به تطوعا حتى اتينا اطط واصبحت الارض غدائر فاستخار به واستقبل القبلة
وصلى على ظهر حماره ورواه عنه الامام احمد بلفظ تلقينا انس بن مالك حين

قدم من الشام فلقيناه بعين التمر وهو يصلى على دابته لغير القبلة فقلنا له انك
تصلى الى غير القبلة فقال لولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعل ذلك مافعلت وروى عنه ابن سعد انه قال ولد محمد بن سيرين لسنتين
بقيتا من خلافة عثمان بن عفان وولدت انا لسنة بقيت من خلافته وقال سليمان
بن زيد ولد سنة اربع وثلاثين قال المترجم لما ولدت اخذنى ابى الى انس
بن مالك فسمانى انساً وكنانى ابا حمزة وقال يحيي بن معين هو دون اخيه
محمد بن سيرين ولا بأس به وسماه فى اهل البصرة وقال ابن سعد كان ثقة
قليل الحديث وقال يحيي بن معين هو بصرى ثقة وكان له اخوة وهم محمد
ومعبد ويحيي وخالد وحفصة وهؤلاء الاخوة كلهم ثقات وحفصة من الثقات
ايضا قال الواقدي مات انس بعد اخيه محمد وقد مات محمد سنة عشر ومائة
وقال حماد بن زيد قلت لانس بن سيرين يا ابا موسى حدثنا فقال لى اتقوا
هذه الاحاديث المحدثة ومن يحدثها وفى لفظ اتقوا الله واتقوا احاديث احدثت
لا نعرفها وكان يقول اتقوا الله يا معشر الشباب وانظروا هذه الاحاديث
عمن تأخذونها فانها من دينكم وقال احمد بن صالح كان المترجم بصرياً تابعياً
ثقة وقال سالم الخياط رأيت على انس خزاً اصفر كساه اياه ابن عمر وقال
المترجم ايضا فيما رواه عنه الحافظ والباغندى ولى انس بن مالك اعمالا من
اعمال البصرة فاستعملنى على الابلة فقلت له تستعملنى على المكس من بين
اعمالك فقال اما ترضى ان تأخذ منهم ما كان عمر يأخذه وفى لفظ وما عليك
ان تأخذ بكتاب عمر فقلت له وما كتاب عمر فقال هو ما امرنى به ان
آخذ صدقات المسلمين من كل اربعين درهماً درهماً ومن اهل الذمة من
كل عشرين درهماً درهماً ومن اهل الحرب وفى لفظ وممن لا ذمة له من
كل عشرة يعنى درهماً فقلت ومن لا ذمة له قال الروم كانوا يجيئون بتجارات
لهم الى المدينة فيؤخذ منهم العشر ورواه البيهقى عن المترجم بلفظ ارسل الىّ
انس بن مالك فابطأت عليه ثم ارسل الىّ فاتيته فقال ان كنت لارى ان لو
امرتك ان تقضى على حجر كذا وكذا ابتغاء مرضاتى لفعلت اخرت لك خير
عمل فكرهته انى اكتب لك سنة عمر فقلت فاكتبها لى ان آخذ من
المسلمين من كل اربعين درهماً درهماً الحديث المتقدم (قال المهذب وليس

هذا هو الزكاة المفروضة كما يوهمه ظاهر هذه الآثار بدليل ما فى رواية قتادة قال ان انساً اخرج كتاب عمر فاذا فيه ان يأخذ من تجار المسلمين من كل اربعين درهماً درهماً ومن تجار اهل الذمة من كل عشرين درهماً درهماً ومن تجار اهل الحرب من كل عشرة دراهم درهماً وهذا هو المسمى فى اصطلاح اهل زمننا كمرك وهى كلمة اعجمية معناها المكس بالعربية فهذا كان اول ظهوره فى الاسلام من عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومنه يعلم ان الشريعة الغراء كافية بجميع المطالب وافية بها وانها جمعت جميع ما تحتاجه الامة فليعتبر من يدعى لها القصور) قال خليفة بن خياط مات انس بن سيرين سنة مائة وعشرة وقال الجوزجانى سمعت احمد بن حنبل يقول مات سنة مائة وعشرين والله اعلم

﴿ انس ﴾ بن عباس بن عامر بن حى بن رعل بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور السلمى كان ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ووفد عليه وكان من الجيش الذين امد بهم عمر بن الخطاب اهل القادسية ممن شهد اليرموك . قال جماعة من اهل العلم فيما ذكروه من وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى سهم يقال له قيس بن نسبة فسمع كلامه وسأله عن اشياء فاجابه ووعى ذلك كله ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فاسلم ورجع الى قومه بنى سليم فقال قد سمعت ترجمة الروم وهينمة فارس واشعار العرب وكهانة الكاهن وكلام مقاول حمير فما يشبه كلام محمد شيئاً من كلامهم فاطيعونى وخذوا بنصيبكم منه فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقوه بقديد وهم سبعمائة رجل ويقال كانوا الفاً وفيهم عباس بن مرداس وانس بن عباس وراشد بن عبد ربه فاسلموا وقالوا له اجعلنا فى مقدمتك واجعل لواءنا احمر وشعارنا مقدماً ففعل ذلك بهم فشهدوا معه الفتح والطائف وحنيناً واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم راشد بن عبد ربه رهاطاً وفيها عين يقال لها عين الرسول وكان راشد يسدن (اى يخدم) صنماً لبنى سليم فرأى يوماً ثعلبين يبولان عليه فقال

أرب يبول الثعلبان برأسه ✽ لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم شد عليه فكسره ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ما اسمك فقال غاوى بن عبد العزى فقال له انت راشد بن عبد ربه فاسلم وحسن اسلامه وشهد الفتح مع النبى صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قرى عربية خيبر وخير بنى سليم راشد وعقد له راية على قومه . قال الواقدى قال انس بن عباس السلمى وكان خال طعيمة بن عدى وكان طعيمة يكنى ابا الريان خرج يوم بئر معونة يحرض قومه يطلب بدم ابن اخيه حين قتل نافع بن بديل بن ورقاء فقال

تركت ابن ورقاء الخزاعى ثاوياً ✽ بمعرك سفيان عليه الاعاصر

ذكرت ابا ريان لما عرفته ✽ وايقنت انى اليوم ذلك ثائر

ولما قدم على ابى عبيدة كتاب عمر بصرف اهل العراق واصحاب خالد ولم يذكر خالدا ضنا بخالد فحبسه وسرح الجيش وهو خمسة آلاف من ربيعة ومضر والف من افناء اليمن من اهل الحجاز وامر عليهم هاشم بن عتبة بن ابى وقاص وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو فعجله امامه وجعل على مجنبته قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المرادى ولم يكن شهد الايام ايامهم باليرموك حين صرف اهل العراق او صرف معهم وعلى المجنبة الاخرى الهزهاز بن عدى العجلى وعلى الساقة انس بن عباس وانجذب القعقاع وطوى فقدم الناس صبيحة يوم ادعا

﴿ انس ﴾ بن عياض ابو ضمرة الليثى المدنى حدث عن ربيعة الرأى وابى حازم وصالح بن كيسان وموسى بن عقبة وغيرهم وروى عنه بقية ابن الوليد وابو بكر الحميدي واحمد بن حنبل وعلى بن المدينى وقتيبة بن سعيد وغيرهم وقدم دمشق وروى عنه محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم عن هشام بن عروة عن ابيه يحدث عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وضع العشاء واقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء وكان المترجم يقول ولدت سنة اربع ومائة وقال عبد الرحمن بن ابراهيم سمعت ابا ضمرة انساً يقول ولدت سنة اربع ومائة وقال لى من اين انت قلت من دمشق فقال اعرفها والله وقد دخلتها ايام هشام وقال له انسان قرأت حديث المغفر عليه كما قرأت قال ما لى ولك قرأت عليه لقد اجاز لنا ثم قال حدثنا صالح بن كيسان

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

للمقدسي المعروف بالبشاري

رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنّه وكرمه

الطبعة الثالثة

مكتبة مدبولي
القاهرة

ثم الى ديار الشقرة *a* بها خَثْعَم ثم فى ديار الحٰرث بلد يقال له تَنُوب واسم
ساحلها الشرى *b* ثم فى شُكر وعلم ثم فى بَجيلة *c* ثم فى فَهْم ثم فى بنى عاصم
ثم فى عَدْوَان ثم فى بنى سَلُول *d* ثم فى مُطار *وبه معدن البرام *e* ثم فى
بلاد *بِرْمَة منبا *f* الأَبْرَقَة *وحصن للبيا *f* ثم انت بالفَلَج ✿ وولايات *g* هذا
5 الاقليم منقطعة ام لحجاز *ابدًا فلصاحب *h* مصر لاجل الميرة *i* واليمن لآل
زياد واصلهم من هَمْدان *k* وابن طرف له عثّر *l* وعلى صنعاء امير *غير ان
ابن زياد يحمل اليه اموالًا ليخطب اليه وربّما أُخرجت عدن عن ايديهم *m*
وآل قحطان فى الجبال وهم اقدم ملوك *n* اليمن والعلويّة *على صعدة يخطبون
لآل زياد وهم اعدل الناس *o* وعمان للديلم وهجر للقرامطة وعلى الاحقاف
10 امير منهم ✿ والضرائب والمكوس *p* يؤخذ بجُدّة من كلّ حمل حنطة نصف
دينار *وكيل من فرد الزاملة وعلى سفط ثياب الشطوىّ ثلاث دنانير ومن
سفط الدّبيقىّ ديناران *q* وحمل الصوف ديناران وبعثّر على كلّ حمل دينار
وعلى سُلّة الزعفران دينار وكذلك على رءوس الرقيق هذا ممّن خرج وكذلك
بالسرّين *r* على من اجتاز وبكَمَران ايضًا وبعدن *يقوّم الامتعة *s* بالزكاويّة ثم
15 يؤخذ عشرها عثّريّة وقدّروا انه يصل الى خزانة السلطان ثُلْث اموال التجار

---

a) C السقره et om. بها خثعم. Cf. supra p. ٨٨ *a*. *b*) B الشحى et mox سكر. *c*) C نخيله. *d*) B سلوك. *e*) C om. Cf. Hamdânî ٣٣, 8. *f*) C om. *g*) C والولايات فى. *h*) C فابدا لصاحب. *i*) C الطعام. *k*) B همذان. *l*) C ولابن طرف دس وما حولها. De Ibn Taraf cf. Ibn Hauqal ٢.. Nomen eius erat Solaimân, ut docet Khazradjî, cod. 302, p. 79: الامير سليمن بن طرف صاحب عثر وبلاده مسيرة سبعة ايام فى عرض يومين وهى من الشرجة الى حلى ومبلغ ارتفاعه فى السنة خمسمائة الف دينار عَثْرِيّة (sic). *m*) C om. (B بصعدة). *n*) C سلاطين. *o*) C يحمل اليه اموال. Cf. Ibn Hauq. ٢٠, 17 seq.). يسمون امير المؤمنين ويلقبون بالداعى والناصر والهادى ويخطبون لآل زياد وربما خطب من ذكر بالبنى (ذكرنا لبنى .l) زياد وربما خرجت عن ايديهم عدن. *p*) C om. et deinde habet يوجد فى جده (B تؤخذ). *q*) B hic et mox ديناريں. *r*) B بالسرير. *s*) B يقوم الامتعات. Videtur legendum الامتعات.

وثَمّ تفتيش صعب ومكس بلدان السواحل حيّ الّا غلافقة، والمراصد
البريّة من قُلود *جُدّة بالقرين وبطن مَرّ *a* نصف دينار نصف دينار وعلى
باب زبيد من حمل المسك *b* دينار ومن حمل البزّ نصف دينار وبقيّة المراصد تعطى
درهمًا علويّة *c* وصاحب صعدة لا ياخذ ضريبة من احد وانّما ياخذ ربع
العشر من التجار *d* ✿ والجزية عُشْريّة يؤخذ بعمان من كلّ نخلة درهم ووجدتُ 5
فى كتاب ابن خرداذبه *e* خراج اليمن ستّمائة الف دينار *فلا ادرى ما اراد
بذلك *f* ولم ار ذلك فى كتاب الخراج بل المعروف ان جزيرة العرب عشريّة وكانت
ولاية *g* اليمن فى القديم مقسومة على ثلاثة اعمال والٍ على الجَنَد ومخاليفها
وآخر على صنعاء ومخاليفها والثالث على حضرموت ومخاليفها، وذكر قُدامة بن
جعفر الكاتب ان ارتفاع الحرمَيْن مائة الف دينار اليمن ستّمائة الف دينار 10
واليمامة والبحرين خمسمائة وعشرة آلاف دينار وعمان ثلاثمائة الف دينار *h* ✿
واهل هذا *i* الاقليم اصحاب قناعة ونحافة يتقوّتون باليسير من الطعام
ويتجوّزون بالخفيف من الثياب وقد اكرمهم الله تعالى بخير الثمار وسيّدة
الاشجار التمر *k* والنخل، اخبرنا ابو عبد الله محمّد بن احمد بقصبة أرّجان قال
حدّثنا القاضى الحسن بن عبد الرحمان بن خلاد قال حدّثنا موسى بن 15

---

a) B خده بالقرين وبطرمر. Ibn Djobair ٧٧ ult. et ٧٨, 6 القُرين. *b*) B السمك ut supra p. ٩٧ *g*. *c*) B تعطى درهما علويه. *d*) C sectionem sic habet: وكذلك على فرد زاملة ومن سفط السطوى (الشطوىّ .l) مضوّقين وبعثّر والسرّين على كلّ حمل دينار وعلى سلّة الزعفران دينار وكذلك بكمران ويقوّم الامتعة بعدن فيؤخذ على سبيل العشر غير انهم يقوموها (يقوّمونها .l) بالركاوية (بالزكاويّة .l) وباحدوا (وياخذوا .l) عثّريّة ويؤخذ بعمان العشر غير انه يحاف (يجاف .l) عليهم وسمعتهم يذكرون انه يصير للسلطان الثلث من اموال التجار وثم بنفتيش (تفتيش .l) صعب ويؤخذ من قلود جدهى (جُدّة من .l) كلّ حمل نصف دينار فى بطن مرّ وفى القرين وبقيّة المراصد البريّة امرها قريب غير انها كثيرة باليمن. Deinde habet والجزيرة خراج ويؤخذ. *e*) B خرداده, C جرداذه.. Vid. ١٤٤, 1 seqq. *f*) C ولا ادرى اى خراج هذا, ceteris usque ad المسافات omissis. *g*) B وايل. *h*) Haec accurate descripta sunt e libro Qodâmae, Manzil 6, Cap. 6. Vid. Bibl. Geogr. VI, ٢٥١. *i*) B هذه ut quoque alibi interdum. *k*) B والتمر.

الرشيد المعتصم قاضيه احمد a بن ابى دؤاد ومات سنة ٢٢٧، ثم بويع لابنه الواثق ابى جعفر هرون *قاضيه احمد بن ابى دؤاد توفى سنة ٢٣٢ فبويع لاخيه ابى الفضل جعفر المتوكل b قاضيه جعفر بن عبد الواحد الهاشمى *وتوفى سنة ٢٤٧ فبويع لابنه المنتصر ابى جعفر محمد قاضيه جعفر بن عبد الواحد c توفى سنة ٢٤٨، ثم بويع لابنه d ابى العباس احمد المستعين قاضيه جعفر بن محمد e ابن عمار ثم خلع نفسه بعد ثلاث سنين *وثمانية اشهر f وبويع للمعتز بن g المتوكل قاضيه الحسن بن محمد بن ابى الشوارب، ثم بويع للمعتمد ابى العباس احمد بن المتوكل سنة ٥٦ قاضيه ابن ابى الشوارب ومات سنة ٧٩ h، ثم بويع لابنه i ابى العباس احمد بن ابى احمد المعتضد قاضيه اسماعيل بن اسحاق ويوسف بن يعقوب وابن ابى الشوارب توفى سنة ٨٩ k، ثم بويع ابنه ابو محمد على المكتفى قاضيه يوسف بن يعقوب وابنه محمد توفى سنة ٩٥، ثم بويع ابنه l ابو الفضل جعفر المقتدر بالله قاضيه *محمد بن يوسف بن يعقوب ثم ابنه يوسف ثم يعقوب ابو عمرو m قتل سنة ٣٢٠، ثم جلس القاهر سنة وستة اشهر ثم الراضى *سبع سنين وعشرة ايام n ثم المتقى ثلاث سنين واحد عشر شهرا o ثم المستكفى سنة ٣٣٣ قاضيه ابو عبد الله ابن ابى موسى الضرير ثم كحل سنة ٣٣٤ واجلسوا المطيع ابا القاسم الفضل وكل p هاؤلاء ابناء المعتضد فبقى له الامر الى سنة ٣٦٣ ثم خلع نفسه واجلس ابنه عبد الكريم ابا بكر q الطائع قاضيه ابو محمد عبيد الله بن احمد *بن معروف r ۞ واول من استولى من

a) C محمد. b) C haec om. et addit deinde وكان. c) C om., B pro ٢٤٧ habet ٢٤٢ et mox B et C ٢٤٣ pro ٢٤٨. d) Gravis error in B et C. Fuit filius Mohammedis, nepos al-Motacimi. e) Tab. III, ١٥٣٤, 3 احمد, sed ١٥١٥, 1 ut rec. f) C om. g) C ابنه omisso المتوكل. h) B et C male ٧٧. Deinde C فبويع. i) Rursus gravis error. Erat nepos al-Motamidi. C om. احمد بن ابى احمد. Abu Ahmed est al-Mowaffak. k) B et C male ٨٧. l) Erat filius al-Motadhidi (C فبويع ابنه). m) In C lacuna. B om. محمد بن. De filiis cf. Masūdī, *Tanbīh*, ٣٨٩, 9 seq. n) Aliter computat Ibn al-Athīr VIII, ٢٧٤, 1. o) Aliter Ibn al-Athīr VIII, ٣١٤, 1. Mox B et C المكتفى pro المستكفى. p) C وكان. q) Ibn al-Athīr VIII, ٤٦٩, 1 ابا الفضل. r) C المعروف.

الديلم ابو الحسن a ابن بويه ثم ابنه بختيار b ثم عضد الدولة ثم ابنه بلكارزار c ثم ابنه الاكبر ابو الفوارس ۞

واما الخراج فاعلم ان جربان هذا الاقليم ستة وثلاثون الف الف جريب على جريب الحنطة d اربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمان e وعلى جريب النخل ثمانية دراهم هذا ما قدره عمر وختم على خمسمائة الف f من الجوالى فبلغ جباية السواد مائة الف الف وثمانية وعشرين g الف الف درهم ثم جبا عمر بن عبد العزيز مائة الف الف واربعة وعشرين الف الف درهم وجبا h الحجاج ثمانية عشر الف الف ليس فيها مائة الف الف، واما البصرة والكوفة فعشرية، وقرات فى كتاب بخزانة عضد الدولة i ان اثمان غوال السواد ستة وثمانون الف الف وسبعمائة الف وثمانون الف درهم ومن ابواب المال بالسواد اربعة آلاف الف وثمانية آلاف درهم وخراج دجلة k ثمانية آلاف الف وخمسمائة الف درهم ۞ والعراق يفصل بالطساسيج وهى ستون لكورة حلوان خمسة ولشاذقباذ l ثمانية ولبرملسيان m ثلاثة ولبهقباذ الاعلى ستة وللاوسط اربعة ولارتشير بابكان خمسة ولشانسابور n اربعة ولشاذبهمن اربعة ولاستان العال اربعة ولبهقباذ الاسفل خمسة ولشاذهرمز سبعة وللنهروانات خمسة ۞ واما الضرائب فثقيلة كثيرة محدثة فى النهر والبر وفى البصرة تفتش صعب وشوكات منكرة وكذلك بالبطائح تقوم الامتعة وتفتش o، واما القرامطة فلهم ديوان على باب البصرة وللديلم ديوان آخر حتى انه يوخذ على الغنمة p

a) C الحسين. b) C بخت يار. c) C باكارزار. Notus est nomine صمصام الدولة et cognomen habebat ابو كاليجار (Ibn al-Athīr IX, ١٣). Abu 'l-Fawāris i. e. شرف الدولة frater eius erat. d) Hic in B est magna lacuna (سقط من الاصل). e) C درهمين. f) C om.; cf. Belādhorī ٢٧١, 1 et Ibn Khord. ١٤, 18. g) C وعشرون. h) C ثم جبا quod est ridiculum; cf. Ibn Khord. ١٤, 21. i) Sequitur وله (repetitum ex voce praec.). k) C الدجله. l) C لشاذاقناذ. m) Sic C. Ibn Khordādbeh ٨, 1 (vid. ibi ann. a) ذبوملسفان. Vulgo appellatur الزوابى. n) C ولشاسابق et quoque in aliis nominibus in cod. levis corruptio inest. o) C يقوم — ويغش. p) C العتمه.

الواحدة اربعة دراهم ولا يفتح الّا ساعة من النهار، واذا رجع الحاجّ مكسوا احمال الادم والجمال الاعرابيّة وكذلك بالكوفة وبغداد ويؤخذ من الحاجّ للمحمل ستّون[a] ومن الكنيسة او حمل البزّ مائة ومن العمّاريّة خمسون[b] ومائة بالبصرة والكوفة ✿

ومساحة العراق طولًا من البحر الى السنّ مائة فرسخ وخمسة وعشرون وعرضه من[c] العُذَيب الى عَقَبة حُلْوَان ثمانون فاذا كسرته كان عشرة آلاف فرسخ ✿

واما المسافات فتاخذ من بغداد الى نهر الملك مرحلة ثم الى القصر مرحلة ثم الى حمّام ابن عمر مرحلة ثم الى الكوفة مرحلة ثم الى القادسيّة مرحلة، وتاخذ من بغداد الى المداين مرحلة ثم الى السيب مرحلة ثم الى دير العاقول مرحلة ثم الى جرجرايا مرحلة ثم الى النعمانيّة مرحلة ثم الى جبُل مرحلة ثم الى نهر سابس مرحلة ثم الى مَطَارة بريدين ثم الى الحارله[d] مثلها ثم الى الاسحاقيّة مرحلة ثم الى المحراقة[e] بريدين ثم الى الحدّاديّة مثلها ثم الى ترمانة مرحلة ثم الى واسط مرحلة، وان شئتَ فخذ من الحدّاديّة الى الزيبديّة مرحلة ثم الى واسط بريدين، ومن المحراقة الى الجامدة بريدين ومن الحدّاديّة الى الصِّليق بريدين[f] ✿ وتاخذ من البصرة الى الابلّة بريدين ثم الى بَيَان مرحلة ثم الى عبّادان مرحلة ✿ وتاخذ من بغداد الى السَّيْلَحِين[g] بريدين ثم الى الانبار مرحلة ثم الى الربّ[h] مرحلة ثم الى هيت مرحلتين ✿ وتاخذ من بغداد الى البَرَدان[i] بريدين ثم الى عكبرا مرحلة ثم الى باحَمْشَا[k] نصف مرحلة

a) C ستين. b) C خمسين. c) C om. d) Sic. In mappa C الحادله. Fort. الجازرة ut quoque appellatur الجازر e. g. Tab. III, ١٩٠١, 8, ١٩٣٣, 17, Ibn al-Athîr IX, ١٢٨, 5 a f. e) In mappa مخراقة. f) C hic habet: وتاخذ من واسط الى البصرة او الى بغداذ او الى الاهواز او الى الكوفة خمسين فرسخا خمسين فرسخا, quae B ad finem capitis paullo aliter offert, quaeque ideo omisi. g) C السلحين. h) C الرب. In mappa المذيب. Secutus sum Ibn Serapion apud Ibn Khord. ٧٣ h. Cf. Qodâma ٢١٧, 1 seq.

i) C البردار. k) C باجمشا; v. Ibn Khord. ٩٣, 12.

ثم الى القادسيّة مرحلة[a] ثم الى الكَرْخ مرحلة ثم الى جَبِلْتَا[b] مرحلة ثم الى السودقانية مثلها ثم الى بَارِمَّا[c] مثلها ثم الى السِّنّ مثلها ✿ وتاخذ من بغداد الى النهروان بريدين ثم الى دير بازما[d] مثلها ثم الى الدَّسْكَرة مرحلة ثم الى جَلُولا مرحلة ثم الى خانقين مرحلة[e]، وتاخذ من هيت الى النَّاؤوسَة مرحلة ثم الى عانة مرحلة * ثم الى آلوسَة مرحلة ثم الى الفُحَيمة[f] مرحلة ثم الى الحديثة مرحلة ثم الى النهية[g] مرحلة[h] ✿ وتاخذ من حلوان الى ماذرواستان[i] بريدين ثم الى المَرْج[k] مرحلة ثم الى قصر يزيد بريدين ثم الى الزُّبَيْديّة مرحلة ثم الى قصر عمرو مرحلة ثم الى قِرْمَاسِين نصف[l] مرحلة ✿ وتاخذ من حلوان الى قصر شيرين مرحلة ثم الى خانقين مرحلة ✿ وتاخذ من الابلّة الى الحوزيّة[m] مرحلة فى الماء * ومن الابلّة الى نهر دُبَّا مرحلة ثم الى فم العَضُدىّ مرحلة[n] وعسكر ابى جعفر بازاء الابلّة يُعبر اليه ✿ وسمّيت واسط لان منها الى بغداد او الى الكوفة او الى البصرة او الى حلوان او الى الاهواز خمسين خمسين[o] فرسخًا وليست وسط العراق انّما وسطه دير العاقول * والطريق من الكوفة[p] ✿

a) Hic desinit lacuna in B. b) B et C حبلتا (C حبُلتا); v. Ibn Khord. ٩٣, 14 et k, Tab. III, ١٤٣٨, 9 et l. c) B بارمّا, C بارمه. d) B بارمّا, C بارما. V. Ibn Khord. ١٨ p, sed cf. Ibn Rosteh ١٦٣, 17. e) C h. l. addit, infra om.: ثم الى قصر شيرين مرحلة ثم الى حلوان مرحلة. f) Sic C; voc. sec. Ibn Khord. ٧٣, 1. g) C النهبة; Ibn Khord. l. l. ut rec. h) Haec in B non exstant. i) B مادرواسان, C مادروسار; v. Ibn Khord. ١٩, 8 et ann. g. Apud Jâqût in v. مرحلتين male pro بريدين. k) C مرج القلعة ut Ibn Khord. l) B om. Distantia est tantum 3 Far. m) Sic C in mappa, in textu الحوزية; B حوزه. De *Hawîzah* cogitari nequit. Cf. infra in capite Khuzistân. n) C om. Sequentia sic habet: ويعبر من الابلة الى عسكر ابى جعفر نحو فرسخ et deinde addit, ceteris huius capitis omissis: ومن بغداذ الى الصيمرة او السيروان ست مراحل ولم اسلكها والله اعلم. o) B خمسون خمسون. p) Haec verba vix suo loco esse possunt.

والبلقاء ليست من الارض المقدّسة ومن زعم شيئًا من هذين فترك الكلام معه اصوب، وقد كان الفقيه ابو ذرّ لمّا ضيّقت عليه هذه المسئلة قال لي انك لم تدخل بيت المقدس ولو دخلتها لعلمت انها سهل بلا جبل حتّى قال له الرئيس ابو محمّد هو منها ۞ وسمعتُ خالي عبد الله بن البنّا يقول اراد بعض السلاطين ان يتغلّب على دير شمويل وهى قرية على فرسخ من ايليا فقال لصاحبها صِفْ لى قريتك قال هى ايّدك الله قريبة من السماء، بعيدة من الوطا، قليلة الابروط، كثيرة البلّوط، تحب الى الكدّ، ولا تزكى بالبرّ، يغالب غرّ، وفوز مرّ، ازرع قبّا وخذ قبّا، الّا ان الذى نذرت كان انبلa جبّا، فقال اذهب لا حاجة لنا فى قريتك ۞

واما الجبال الشريفة فجبل زَيْتَا يطلّ على بيت المقدس وقد ذكرناه وجبل صدّيقا بين صور وقدس وبانياس وصيدا ثمّ قبر صدّيقاb عليه مشهد له موسم يوم النصف من شعبان يجتمع اليه خلق كثير من هذه المدن ويحضره خليفة السلطان واتّفق وقت كونى بهذه الناحية يوم الجمعة فى النصف من [illegible] القاضى ابو القسم بن العبّاس [illegible] الحطيطة على عمارة ذلك المساجد ففعلوا [illegible] بعدو خلف الوحش فلما بلغ ذلك الحدّ وقف [illegible] من الحدثان، واما جبل لُبْنَان فهو متّصلٌ بهذا الجبل كثير الاشجار والثمار المباحة وفيه عيون ضعيفة يتعبّدc عندها اقوام قد بنوا لانفسهم بيوتًا من القش بالطين من تلك المباحات ويرتفقون بما يحملون منها الى المدن من القصب الفارسىّ والترسين وغير ذلك وقد قلّوا بهd وجبل الجَوْلان يقابله من نحو دمشق على ما ذكرنا وبه لقيتُ اباf اسحاق البلّوطىّ فى اربعين رجلا لباسهم الصوف ولهم مسجد يجتمعون فيه ورايتُه فقيهًا عالمًا على مذهب سفيان الثورىّ ورايتُ تقوّتهم بالبلّوط ثمرة على مقدار التمر مرّ يفلق ويُحلى ثم يطحن وثمّ شعير برّى يخلط به، واما جبل لُكَام فانه اعمر جبال الشام واكبرها واكثرها

a) B انبل s. انبل. b) Locus appellatur quoque الشَّجَرَة, vid. Jāqūt III, ٣١٠, 22. c) B ىىسم. d) B قلى. Legere voluissem قلّى, sed textus C, quem vide infra, secus suasit. e) B sine punctis. f) B ابو.

ثمارًا هو اليوم بيد الارمن وطرسوس من ورائه والنضاكية دونهa ۞ والولايات لصاحب مصر *وقد كان سيف الدولة غلبc على اعلاه ۞ والضرائب فيه ثيّنة *الّا ما يكون على الفنادق فانه منكر على ما ذكرنا من بيت المقدسd، وجباياته ثقيلة على قنّسرين والعواصم ثلاثمائة الف وستّون الف دينار وعلى الاردنّ مائة الف وسبعونe الف دينار وعلى فلسطين مائتاf الف وتسعة وخمسون الف دينار وعلى دمشق اربعمائة الف ونيّف وقرأتُ فى كتاب ابن خردادبهg خراج قنّسرين اربعمائة الفh دينار وخراج حمص ثلاثمائة الف واربعون الفًا وخراج الاردنّ ثلاثمائة الف وخمسون الفًا وخراج فلسطين خمسمائة الف دينار ۞

a) C haec sic habet: واما الجبال الشريفة فجبل لبنان وجبل الجولان فيهما عبّاد عند عيون ضعيفة قد بنوا ثم اخصاصًا من القصب والحلفاء يتقوّتون بشىء يقال له البلّوط على مقدار التمر عليه قشر وهو مرٌّ الّا انهم يلقونه فى الماء حتّى يحلو ثم اذا جفّ طحنوه وخبزوه واخلطوا عليه شىء (شيئًا l.) من شعير ينبت عندهم مباح وفى هذين الجبلين ثمار كثيرة وهو موضع طيّب ورايتُ رئيسهم ابا اسحق البلّوطىّ فرايته عقلًا فقيهًا على مذهب سفيٰن الثورىّ، واما جبل صديقا فانه متّصل بجبل لبنان فيه مشهد لهم موسم يوم النصف من شعبان واتّفق يوم الجمعة فى النصف من شعبان وانا ثمّ فبعثنى القاضى ابو القسم بن العبّاس حتّى خطبتُ بهم ورغّبتهم فى بناء ذلك المسجد فى الخطبة فجمعوا له شيئًا كثيرًا وعمروه احسن عمارة وبنوا فيه منبرًا، وجبل الشام تكون اللكام خلف انطاكية قد غلب عليه الارمن. b) C addit: وفى الساحل والطرق. c) C غير ان بنى حمدان قد غلبوا. d) C habet: Deinde hic وخراج فلسطين مائة الف دينار وخراج حمص ثلثمائة الف واربعين (sic) الف دينار وخراج دمشق اربعمائة الف دينار ونيف وخراج قنسرين اربع مائة الف الف (sic) دينار وخراج الاردن ثلثمائة الف دينار وخمسون الف، وطول الشام من مدائن (مدين l.) شعيب الى الثغور تسع وثلثون يومًا واما العرض فيختلف لان راس الشام الحجازىّ ادقّ والثغرىّ اعرض. e) B وسبعمائة. f) B مائتى et mox وخمسين. g) B خرداذه. h) B addit الف; cf. Ibn Khord. ٧٥, 6.

توبه امشير والصيفيّة برمهات برموده بشنس *a* باونه ابيب مسرى ۞ *واما
وضعه *b* فان بحر الروم على تخومه الشماليّة وبحر الصين يمدّ على ثلثيه من قبل
الشرق وهذان الثلثان صفوف خمسة صفّ بين البحر والجبل يابس والصفّ
الثانى جبل المقطّم والصفّ الثالث الصعيد يقع فيه النيل وما عليه من
5 البلدان والصفّ الرابع جبل ايضًا خلفه كورة الواحات *c* وطول مصر *من
بحر الروم الى النوبة *c* اقلّ من شهر وعرضه *من الجنوبيّ *c* ثمانى مراحل *ومن
الشماليّ اثنتا عشرة وللدخلة *d* فيه عند بحر القلزم اربع مراحل *c* ۞ *واما
الولايات فللفاطميّ وهم فى عدل وامن لانه سلطان قوىّ غنىّ والرعيّة فى راحة
وتمّ سياسة ونفاذ امر وكلّ سامع مطيع من الاركان سرًّا وعلانية لا يخطب الّا
10 لامير المؤمنين حسب ۞ واما الدخل فقرات فى كتاب الخراج لقدامة بن جعفر
فاذا هو يذكر ان دخل مصر من العين الفا *e* الف وخمسمائة الف دينار
وقرات فى كتاب ابن الفقيه لونًا آخر وقصّة طويلة يذكر دخله ايّام
فرعون ثم ايّام الحجّاج وايّام ولد العبّس ويسمّيه خراجًا *f* وسالت بعض المصريّين
بيخارا عن الخراج فقال ليس على مصر خراج ولكن يعمد الفلّاح الى الارض
15 فياخذها من السلطان ويزرعها فاذا حصد ودرس وجمع رشمت *g* بالعرام
وتركت ثم يخرج الخزن وامين السلطان فيقطعون *h* كرى الارض ويعطى ما
بقى للفلّاح قال وفيهم من ياخذ من السلطان تقوية *i* فيزاد عليه فى كرى
الارض بمقدار ما اقتطعه قلت فلا يكون لاحد ثمّ ملك وضيعة قال لا اللهمّ الّا
ان يكون رجل قد اشترى ممّن اقتطعه السلطان فى القديم ووهبها فاحتاج هو
20 او ذرّيّته الى ثمنها فباعها لعامّة الناس قلت فهذا الذى يقال ان ارض
مصر لا تملك لان اهلها بعوها من يوسف عم قال هذا كلام أتمّ تعلم ان الاسلام
يهدم ما قبله اولم تعلم ان يوسف عم ردّ على الناس املاكهم لمّا اخصبت
مصر وانّما هذا شىء صالحوا عليه المسلمين وقت فتوحها قلت فلم لم يصالحوا
كما صالح اهل الشام وكلاهما فتحا عنوةً قال الشام بلد يمطر فى كلّ سنة فلا

---

a) B بشانس. Deinde C بونه ut supra. Maqrîzî بؤونه et بؤنه. b) B وصفه.
c) C haec om. d) B اثنا عشر وللدجلة. e) B الفى. Locum Qodāmae (٢٤٨, 2) recte descripsit. f) Cf. Ibn al-Fāqih ٧٦, 13 seqq. et etiam Ibn Khord. ٨٣, 11 seqq.
g) B ورشمت. Cf. supra p. ٣٤ *k*. h) B فيقطعوا. i) B تعوينة.

يتعطّل الزرع فيه الّا انه ربّما اخصب وربّما اجدب ومصر معوله على النيل
ربّما لا جرى وربّما بلغ اربعة عشر وستّة عشر وربّما زاد على ذلك والامر فى
جريانه شديد التفاوت فلو فرض عليه الخراج لزم ان يؤدّيه من امكنه ان يزرع
ومن لا يمكنه *a* ۞ واما الضرائب فثقيلة بخاصّة تنّيس ودمياط وعلى ساحل
5 النيل واما ثياب الشطويّة فلا يمكن القبطىّ ان ينسج شيئًا منها الّا بعد
ما يختم عليها بختم السلطان ولا ان تباع الّا على يد سماسرة قد عقدت
عليهم وصاحب السلطان يثبت ما يباع فى جريدته ثم تحمل الى من يطويها
ثم الى من يشدّها بالقشّ *b* ثم الى من يشدّها فى السفط والى من يحزمها وكلّ
واحد منهم له رسم ياخذه ثم *c* على باب الفرضة يؤخذ ايضًا شىء *d* وكلّ واحد
10 يكتب على السفط علامته ثم تفتّش المراكب عند اقلاعها ويؤخذ بتنّيس
على زقّ الزيت دينار ومثل هذا واشباهه ثم على شطّ النيل بالفسطاط ضرائب
ثقال *e* رايت بساحل تنّيس ضرائبيًّا جالسًا قيل قبالة *f* هذا الموضع فى كلّ
يوم الف دينار ومثله عدّة على ساحل البحر بالصعيد وساحل الاسكندريّة
وبالاسكندريّة ايضًا على مراكب الغرب وبالفرما على مراكب الشام ويؤخذ بالقلزم
15 من كلّ حمل درهم *g* ۞

واما المسافات فتاخذ *h* من الفَرَمَا الى البَقّارَة مرحلة ثم الى الورّادَة *i* مرحلة

---

a) C pro his omnibus: واما الولايات اليوم فللمغرب وخراج الفيوم فى كلّ يوم الف دينار للسلطان ودينار وحمل وويبة شعير للعامل. In B desideratur لا ante جرى. b) B بالعشر. c) Addidi ثم. d) B توجد ـ شيئا. e) B وقال cum lineola rubra pro ثقال. f) B سس ضرائبى جالس قيل قبالة. g) C pro his: والضرائب فيه ثقيلة لا يمكن احد (l. احدا) نسج شىء من عمل شطا والملوّنة حتى لا يختم عليها بختم السلطان ولا تباع حتى لا تحضر (l. يحضر) صاحب السلطان ثم تحمل الى دار فتشدّ ثم موضع آخر فتجعل فى سفط ثم موضع آخر فتحزم ولكلّ قوم ضريبة ثم على الشطّ نصف درهم على كلّ سفط ثم فى كلّ ساحل اخرجتها ضريبة اخرى وتنّيس من كلّ زقّ زيت دينار وثم تفتيش صعب وضرائب ثقال وربما حمل ما جلّ من امتعات البحر الى السلطان فاشتراه بما يريد والّا فى هذه الاسباب صعبة. h) B om. i) C الوارده.

الـف مسيّبيّة، وعلى الصغد وكشّ ونسف واشروسنة الـف الـف وتـسـعـة
وثلاثون الف واحد وثلاثون درهمًا محمّديّة، وخراج اسبيجاب اربعة الدوانيق*a*
ومكنسة تبعث الى السلطان كلّ سنة مع الهدايا، وخراج بخارا الـف الـف
ومائـة الف وستّة وستّون الفًا وثمانمائة وسبعة وتسعون درهمًا غطريفيّة وكانوا
5 ثلاثة اخوة محمّد ومسيّب وغِطْرِيف ضربوا هذه الدراهم وهى سود على عمل
الفلوس لا تنفق الّا ببهيطل ولها فضل على البيض، وخراج الصغانيان ثمانية
واربعون الفًا وخمس مائة وتسعة وعشرون درهمًا، وعلى وخّان اربعون الفًا،
وعلى خوارزم اربعمائة الف وعشرون الفًا ومائة وعشرون بدراهمهم وهى اربعة
دوانيق ونصف، ووجدتُ فى بعض الكتب اصل خراج خراسان اربعة واربعون
10 الف الف وثمان مائة الف وتسعمائة وثلاثون درهمًا وثلاثة عشر درهمًا ومن
الدوابّ عشرون دابّة والفا شاة ومن الرقيق الف واثنا عشر راسًا ومن البرود
وصفائح الحديد الف وثلاثمائة قطعة*b* ✿ واما الضرائب فبيّنة ويصعبون بحافة
جيحون فى الرقيق ولا يعبّرون غلامًا الّا بجواز من السلطان وياخذون مع
الجواز سبعين الى مائة وكذلك على الجوارى بلا جواز اذا كانوا اتراكًا وياخذون
15 على المراة عشرين الى ثلاثين درهمًا وعلى الجمل درهمين وعلى قماش الراكب
درهمًا ويردّون*c* سبائك الفضّة الى بخارا ومن اجلها يقع التفتيش وفى المنازل
من درهم الى نصف*d* ✿

---

a) B الدويسف, C الدوانق; B et C اربع ut quoque in seqq. interdum eiusmodi vitium. *b*) Cf. Ibn Khord. ٣٩, 8, ubi pro البرود est المرور, quae lectio confirmatur loco ٣٨, 14. *c*) B ويردون. *d*) C haec habet: والخراج به رخيص الّا انه ضوعف وقت الامير الحميد للشغل الذى عرض له فستقرض خراج سنة وبقى ذلك الى اليوم، فخراج نيسابور ..١١٠٨٦ درهم وعلى ثلاث خزائنها ٢٦٢٤٨٤٧ وخراج سجستان ....٩٤٧ وذكر قدامة ان خراج سجستان ...٣٨١١ وعلى غزنة الفا راس قيمتها ....٦ وعلى كابلستان .....١٥ وخراج بلخ ..١٩٣٣٣ درهم وعلى خلم ....١٢ درهم وعلى طخارستان والباميان ١٥٩٤٣٢ درهما وعلى جوزجان ..٣٢٠٤ درهم وعلى مرو الروذ ١...٣٣٧ وخراج مرو الشاه ١١٣٣١٨٤ درهما وخراج هراة ونواحيها ١٩٣٥٤٣١ درهما وخراج قهستان ٩٨٧٨٨ درهما وخراج سرخس

واما المسافات فتاخذ من أَخْسِيكَث الى قُبَا مرحلة ثم الى أُوش مرحلة ثم
الى أُوزْكَنْد مرحلة ثم الى العَقَبَة مرحلة*a* ثم الى طبلش*b* مرحلة ثم الى
بَرْسَخَان*c* الاعلى ٦ مراحل ثم الى موضع بُغْراخاقان*d* مثلها، وتاخذ من
اخسيكث الى باب بريدين ثم الى تُرْمُغان*e* نصف مرحلة ثم الى جاجستان*f*
مرحلة ثم الى صامْغَر*g* بريدين ثم الى خُجَنْدَة مرحلة، وتاخذ من إِسْبِيجَاب 5
الى شاواب*h* بريدين ثم الى بَدُوخْكَث*i* مثلهما ثم الى تمتلج*k* مرحلة ثم الى

....٩ وخراج خوارزم .٤٢٠١٢ درهمًا خوارزميّة وعلى ترمذ وزم ٦٧٠٤٢ درهما وخراج بخارى ١١٣٦٨٧٧ درهمًا غطريفيّة وعلى الصغانيان ٥٩٥٣٩ وخراج السغد وكش ونسف والبتّم ١٠٣٩٠٣١ محمّديّة وخراج الشاش .....١٨ درهم مسيّبيّة (cod. مسبليه) وخراج فرغانة ....٣٣ محمّديّة ومقاطعة اعشار خجندة .....١ مسيّبيّة (cod. مسبليه) وخراج اسبيجاب اربعة (cod. اربع) الدوانق ومكنسة ✿ واما الضرائب به خفيفة اثقلها على جيحون ولا تفتيش به الّا ربّما منعوا من حمل النقر ولا يعبر (cod. بغمر) غلام تركىّ الّا بجواز (cod. نحولن) ويؤخذ عليه سبعين درهما، ومقاطعة معادن نيسابور من الفيروزج وغيره .٧٥٨٧٢ درهمًا. Qodāma ٢٤٣, 8 seq. dicit tributum Khorāsāni fuisse anno 221 ex pacto cum Abdallah ibn Tāhir 38,000,000 dirhemos (in tabula ٢٥٠, 5 habet 37,000,000), tributum Sidjistāni ٢٤٢, 21 seq. 1000,000 dirhemos. In margine C adnotatur: يقتضى ان الاعداد كلها دراهم. Cf. Kremer, *Culturgeschichte*, I, p. 331, 364, 376.

a) B om. *b*) B طبلس; vid. Ibn Khordādbeh ٣٠ *k*. *c*) B برسخان. Apud Ibn Khord. rec. نوشجان (Jāq. in v.). Cf. Vullers I, 221 et Marquart, *Streifzüge*, p. 77 n. 4. *d*) B نقرخاقان omisso موضع. Forte idem edere debueram apud Qod. ٢٠٩, 4, nam ad urbem regis Toghozghoz distantia est tres menses. Sec. Djordjānī urbs Boghrākhāqāni erat جيناجكث. Cf. de eo Marquart l.l. *e*) B برمغان, Ibn Khord. ٣٠, 2 ترمقان; vid. Jāqūt V, p. 16. *f*) Ibn Khord. خلجستان. *g*) B صامعر. Vid. Ibn Khord. ٣٠ *a* ubi textus صامغار. *h*) Coniect. Marq.; B ساوات, Ibn Khord. ٢٨, 1 شاراب. *i*) B بروجكث. Cf. Ibn Khord. ٢٨ *b*. C infra بدخكث. Deinde B مثلها. *k*) B نتلج (s. سلج); secutus sum Ibn Khord. ٢٨, 2.

واتجلى اكثر الناس من جورهم وهم الآن اصلح ولهم سياسة تجيبة *a* ورسوم رديّة
غير انهم لا يتعرّضون للتركات *b* واذا اجازوا بجائزة اجروها *c* الى الممات مع
صونة وهيبة وصبر فى الحروب ونصرة ومملكة واسعة ودولة قويّة قد خطب
عليهم بالصين واليمن وقاوموا ملوك الزمن وملك المشرق *d* قد عجز عنهم
5 وخلفاء بنى العبّاس فى حجرهم وسبعة اقاليم جليلة *e* فى قبضتهم ۞ والضرائب
فى هذا الاقليم غير كثيرة ولا *f* ثقيلة الّا باصبهان *واعمالها يؤخذ من كلّ
حمل دخل اليهوديّة ثلاثون درهمًا *g* ۞ وخراج الرىّ عشرة آلاف الف *h* درهم
وخراج الدينور ثلاثة آلاف الف *i* درهم وخراج قمّ الفا الف درهم *k* *وقزوين
وابهر *l* وزنجان الف الف وستّمائة الف *m* وثمانية وعشرون الفا والصّيمرة ثلاثة
10 آلاف الف ومائة الف قاشان الف الف دماوند عشرة آلاف الف ۞

واما المسافات فانك تاخذ من الرىّ الى كيلينَ *n* مرحلة ثم الى كَيْس *o* مرحلة
ثم الى الخُوار *مرحلة، وتاخذ من الرىّ الى قُسْطان *p* مرحلة ثم الى مُشْكويه *q* مرحلة
ثم الى وبروه *r* مرحلة ثم الى ساوة مرحلة ثم الى سُونَقين *s* مرحلة ثم الى المَصْدَقان *t*

---

a) B تجبيه (fort. l. تجمية). *b*) B للركاب. *c*) B اخّروها. *d*) B الشرق. Deinde C يساكحهم وامير المؤمنين تحت حجرهم. *e*) C om. *f*) C add. فى. *g*) C فانهم ياخذون عن كل حمل ثلثين درهما وبينها وبين ارجان والعسكر ضرائب صعبة. *h*) C ١١...... *i*) C ٣٨...... *k*) C addit: وخراج اصفهان اليوم ......١١, ceteris omissis. *l*) B وقم cf. Qodāma ٢٤٤, 16 seqq. et ٢٥٠, 16. *m*) Additur in B الف. *n*) C كليين. *o*) B طبس aut كبس. Non videtur differre a كَيْسَب (vid. Jāqūt. Ibn Khord. ٢٢, 12 كسب. Apud Ibn Rosteh ١٦٩, 11 l. كيسب). *p*) Vulgo قسطانة. *q*) C مكسوه. *r*) Sic. Male vero h. l. ponitur statio, quae 5 Par. ab occidente Sâwae collocatur ab Ibn Khord. ٢٢, 3, Qodāma ٢٠٠, 12; cf. Ibn Rosteh ١٦٨, 7. *s*) C سوبقين, Edrīsī II, 165 سوسنين; est pro سوسنقين, v. Ibn Khord. ٢٢ *b* et Ibn Rosteh ١٦٨ *c*. In B haec omnia desunt. *t*) Vulgo المزنقان; sed secundum Jāqūt iacet inter urbes Sāwa et Ray. Ibn Khord. et Ibn Rosteh pro eo habent داوداباذ (cf. Qod. ٢٠٠ *l*).

مرحلة ثم الى الشُّوذَة مرحلة ثم الى الدُّكَّان *a* مرحلة، وتاخذ من همذان الى
بُوزَنْجِرْد *b* مرحلة ثم الى قرية الجنّ *c* مرحلة ثم الى الدكّان مرحلة، وتاخذ
من همذان الى أُسَدَاوَاذ مرحلة ثم الى قصر اللُّصوص مرحلة *d* ثم الى قنطرة
النُّعْمان مرحلة *ثم الى جبل بِيسْتُون مرحلة ثم الى قَرْمَاسِين مرحلة *e* ثم الى
5 قصر عمرو بريدين *f* ثم الى الزُّبَيْدِيَّة مرحلة ثم الى طَزَر *g* نصف مرحلة والى
المَرْج تمامها *h* ثم الى حُلْوان *i* مرحلة ۞ وتاخذ من كرج الى سواد مقونة *k*
مرحلة ثم الى خوزن *l* مرحلة ثم الى برزانيان *m* مرحلة ثم الى آوه مرحلة ثم الى
قرية جرا *n* مرحلة ثم الى رباط جرا مرحلة ثم الى وَرَامِين مرحلة ثم الى
كسكانة *o* مرحلة ثم الى الرىّ مرحلة، وتاخذ من كرج الى وفراوندة *p* مرحلة
10 ثم الى دارقان *q* مرحلة ثم الى خروذ *r* مرحلة ثم الى سابُرْخُوَاس مرحلة ثم الى
كركويش مرحلة ثم الى الخان مرحلة ثم الى رزمذان مرحلة ثم الى اللُّور مرحلة،
وتاخذ من قصر اللصوص الى كيز حزاس *s* مرحلة ثم الى نهاوَنْد بريدين،

---

a) C h. l. السديجان. Distat 9 Paras. a Qarmāsīn, et a Qaçr al-Loçūç (Kangawer) secundum Ibn Khord. et Qodāma. In vicinia iacet locus با أُيوب appellatus, Ibn Rosteh ١٦٦, 13. *b*) B بوررىحرد, C بيوزنجرد. *c*) C دودبيوان, ut vid. pro دهديوان. *d*) Ist. ١٩٥ et Ibn H. ٢٥٦ interponunt hic ماذران. *e*) C haec om. Ist. et Ibn H. collocant با ايوب (قرية الى ايوب) inter قنطرة النعمان et Bīsutūn. *f*) C مرحلة. Ist. et Ibn H. om. hanc stationem, memorant vero Ibn Khord. et Qod. *g*) B طرز. Supra ١٣٥, 7 ut Ibn Khord. et Qod. قصر يزيد, quod igitur alterum huius loci nomen esse videtur. *h*) C ثم الى المرج مثلها. *i*) B خوان. C deinde addit: وتاخذ من اليهوديّة الى قاشان ٤٠ فرسخًا نذكر المراحل فى اقليم فارس ۞ وتاخذ من الرىّ الى دِزَه مرحلة ثم الى نَبْر الجِصّ مرحلة ثم الى كلج مرحلة ثم الى قُمّ مرحلة ثم الى قرية المجوس مرحلة ثم الى قاشان مرحلة. Sequens itinerarium habet inverso ordine. *k*) B مغعرا. *l*) B حورن. *m*) B بزراستان. *n*) B hic et deinde حرا. *o*) Male Ist. ٢١٤ *k* legi كشكانه et composui cum قسطانة = كشتانة. *p*) B وفراويده; cf. Ist. ١٩٧ *h*. Apud Ist. et Ibn H. فراونده. *q*) C رداقان. *r*) B حرود. *s*) Qodāma ١٩٨ ult. كدحراس. In C hoc itin. et seqq. desiderantur.

حسن المحاضرة

في تاريخ مصر والقاهرة

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

بتحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

من أهل مصر ؛ فبعث إليه رجلًا قديما من القِبْط ، فاستخبره عمر عن مصر وخراجها قبل الإسلام ، فقال : يأميرَ المؤمنين ، كان لا يؤخذ منها شئ إلّا بعد عمارتها ، وعاملك لا ينظر إلى العمارة ، وإنما يأخذ ماظهر له : كأنه لا يريدُها إلّا لعام واحد .

فعرف عمر ماقال : ، وقبل من عمرو ما كان يعتذر به[١] .

قال ابن عبد الحكم : حدثنا هشام بن إسحاق العامرىّ قال : كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص ، أن يسأل المقوقس عن مصر : من أين تأتى عمارتُها وخرابها ؟ فسأله عمرو ؛ فقال له المقوقس : تأتى عمارتُها وخرابها من خمسة وجوه : أن يُستخرج الخراج[٢] فى إبّان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم، ويُرْفع خراجها فى إبّان واحد عند فراغ أهلها من عَصْر كرومها ، وتُحفَر فى كلّ سنة خُلُجها ، وتُسدّ تُرعها وجسورها ، ولا يُقْبَل مَحْلُ أهلها ـ يريد البغى ـ فإذا فُعِل هذا فيها عُمِرت ، وإن عُمل فيها بخلافه خربت[٣] .

قال الليث بن سعد : [إن عمرًا جباها اثنى عشر ألف ألف . وقال غير الليث : وجباها المقوقس قبله بسنة وعشرين ألف ألف . قال الليث][٤] : وجباها عبدالله بن سعد حين استعمله عليها عثمان أربعة عشر ألف ألف ، فقال عثمان لعمرو : يأبا عبد الله ، دَرّت اللِّقْحة[٥] بأكثر من دَرّها الأول ، قال عمرو : أضررتم بولدِها[٦] .

حدثنا شعيب بن الليث وعبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبى حبيب ، قال : كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص : انظر مَنْ قَبلك ممّن بايع

---

(١) فتوح مصر ١٥٨ ـ ١٦١ والمقريزى ١ : ١٢٣ ـ ١٢٦ (٢) فتوح مصر : « خراجها »
(٣) فتوح مصر ١٦١ . (٤) من فتوح مصر .
(٥) اللقحة : الناقة الحلوب . (٦) فتوح مصر ١٦١ .

تحت الشجرة ، فأتمّ لهم العطاء مائتين ، وأتمّها لنفسك لإمرتك ، وأتمّها لخارجة بن حذافة لشجاعته ، ونعمان بن أبى العاص لضيافته[١] .

حدثنا سعيد بن عفير ، عن ابن لَهيعة ، قال : كان ديوان مصر فى زمان معاوية أربعين ألفا ، وكان منهم أربعة آلاف فى مائتين ، فأعطى مسلمة بن مخلَّد أهل الديوان أعطياتهم وأعطيات عيالهم وأرزاقهم ونوائبهم ونوائب البلاد من الجسور وأرزاق الكتبة وحملان القمح إلى الحجاز ؛ وبعث إلى معاوية بستمائة ألف دينار فضلاً .

حدثنا هانئ ، حدثنا ضمام عن أبى قَبيل ، قال : كان معاوية بن أبى سفيان قد جعل على كلّ قبيلة من قبائل العرب رجلاً يصبح كلّ يوم ، فيدور على المجالس فيقول: هل وُلد الليلة فيكم مولود ؟ وهل نزل بكم نازل؟ فيقال: ولد لفلان غلام ولفلان جارية ؛ فيقول: سمّوهم، فيكتب . ويقال : نزل بنا رجل من أهل اليمن بعياله فيسمّونه وعياله ، فإذا فرغ من القبائل كلّها أتى الديوان .

ذكر المكس على أهل الذمة

قال ابن عبد الحكم : حدثنا سعيد بن عفير ، عن بن لهيعة ، عن ابن هُبيرة ، قال : دعا عمرو بن العاص خالد بن ثابت الفهمىّ ليجعله على المَكْس[٢] ، فاستعفاه ؛ فقال عمرو : ماتكره منه ؟ فقال : إن كعبا قال : لا تقرب المكْس ؛ فإن صاحبه فى النار ؛ فكان ربيعة بن شُرحبيل بن حَسنة على المكْس[٣] .

---

(١) فتوح مصر ١٤٥ ، . (٣) فتوح مصر ٢٣١
(٢) المكس : الضريبة .

ابن قيس بن أبي العاص القضاء ، وقد كان عمر بن الخطاب قد كتب إلى عمرو بن العاص أن يفرض له في الشَّرَف [١] .

قال : ودعا عمرو خالد بن ثابت الفهمي ليجعله على المكس ، فاستعفاه منه ، فكان شُرَحبيل بن حَسَنة على المكس ، وكان مسلمة بن مخلّد على الطّواحين ؛ طواحين [٢] البَقَس .

وأقام عثمان على القضاء إلى أن صُرِف سنة اثنتين وأربعين ، ثم وَلِيَ سليم بن عِتْر التُّجِيبي على القضاء في أيام معاوية بن أبي سفيان ، وجعل إليه القصص والقضاء جميعا [٣] .

حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا حَيْوَة بن شريح ، حدثنا الحجاج بن شدّاد الصنعاني ، أن أبا صالح سعيد بن عبد الرحمن الغفاري أخبره ، أن سليم بن عِتْر كان يقصّ على الناس وهو قائم ، فقال له صلة بن الحارث الغفاري – وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله ما تركْنا عهد نبيّنا ، ولا قطعنا أرحامنا ، حتى قمت أنت وأصحابك بين أظهرنا ! وكان سليم بن عِتْر أحد العبّاد المجتهدين ، وكان يقوم في ليله فيبتدئ القرآن حتى يختمه ، ثم يأتي أهله ، ثم يقوم فيغتسل ثم يقرأ فيختم ، ثم يأتي أهله [فيقضي منهم حاجته] [٤] ، وربّما فعل ذلك في الليلة مرات ، فلما مات قالت امرأته : رحمك الله ! فوالله لقد كنت ترضي ربّك وتسُرّ أهلك [٥] .

ثم لما ولي مسلمة بن مخلّد البلد ، ولّى السائب بن هشام بن عمرو أحدَ بني مالك بن

---

(١) في ابن عبد الحكم : « كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أن افرض لكل من قبلك ممن بايع تحت الشجرة في مائتين من العطاء وأبلغ ذلك نفسك بإمرتك ، وافرض لخارجة بن حذافة في الشرف لشجاعته ، وافرض لعثمان بن قيس بن أبي العاص في الشرف لضيافته » . (٢) ابن عبد الحكم : « قال عبد الرحمن : طواحين البقس » . (٣) ابن عبد الحكم ٢٣١ ، وفيه : « وقد أدرك عمر ابن الخطاب ، وحضر خطبته بالجابية ، وجعل إليه القصص والقضاء جميعا » .
(٤) من ابن عبد الحكم . (٥) ابن عبد الحكم ٢٣٢

حِسْل شُرَطه ، وكان هشام بن عمرو أحدَ النفر الذين قاموا في نَقْض الصحيفة التي كانت في قريش كتبت . وكان عمرو بن العاص ولّى السائب بن هشام شُرَطه بعد خارجة بن حذافة ، وكان أيضا على شرطة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ثم عزل مسلمة السائب وولى عابس بن ربيعة المرادي الشرطة ، ثم جمع له القضاء مع الشُّرْطة [١] .

وسبب ذلك أنّ معاوية كتب إلى مسلمة يأمره بالبيعة ليزيد ، فأتى مسلمةَ الكتابُ وهو بالإسكندرية ، فكتب إلى السائب بذلك ، فبايع النّاس إلا عبد الله بن عمرو ابن العاص ، فأعاد عليه مسلمة الكتاب فلم يفعل ، فقال مسلمة : مَنْ لعبد الله بن عمرو ؟ فقال عابس بن سعيد : أنا ، فقدم الفسطاط ، فبعث إلى عبد الله بن عمرو فلم يأته ، فدعا بالنار والحطب ليحرق عليه قصره ، فأتى فبايع ، واستمرّ عابس على القضاء حتى دخل مَرْوان بن الحكم مصر في سنة خمس وستين ، فقال : أين قاضيكم ؟ فدُعِي له عابس – وكان أميًّا لا يكتب – فقال له مروان : أجمعت كتاب الله ؟ قال : لا ، قال : فأحكمت الفرائض ؟ قال : لا ، قال : فبم تقضي ! قال : أقضي بما علمتُ ، وأسأل عمّا جهلت ، قال : أنت القاضي . فلم يزل عابس على القضاء إلى أن تُوفّيَ سنة ثمان وثمانين .

فولِيَ عبدُ العزيز بن مروان بُشَيْر بن النّضر المُزَني القضاء [٣] .

ثم وَلِيَ عبد الرحمن بن حُجَيرة الخولاني وجُمع له القضاء والقَصص وبيت المال ، فكان يأخذ رزقه في السّنة ألف دينار على القضاء ؛ فلم يكن يحول عليه الحوْل وعنده مال تجب فيه الزكاة ، فلم يزل على القضاء حتى مات سنة ثلاث وثمانين . ويقال : بل وَلِيَ في سنة ثلاث وثمانين ، ومات في سنة خمس وثمانين .

ثم وَلِي القضاء مالك بن شَراحيل الخولانيّ ، فلم يزل على القضاء حتى مات [٤] .

---

(١) فتوح مصر ٢٣٤ ، ٢٤٥ . (٢) فتوح مصر ٢٣٤ ، قضاة مصر للكندي ٣١٢ .
(٣) قضاة مصر : « وكان أبوه النضر ممن حضر فتح مصر واختط بها » .
(٤) في كتاب قضاة مصر : « ولى القضاء مالك بن شراحيل من قبل عبد العزيز بن مروان في المحرم سنة ثلاث وثمانين » .

عقبيك إذا أصيبت البيوت فى أعقابها : وهذا الذى ينطق عليك بأنه لم يأل فى الوصايا التى أوصاها ، فإنه لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها .

ثم إنه قد ختم بدعوات دعا بها أمير المؤمنين عند ختامه ، وسأل فيها خيرة الله التى تتنزّل من كلّ أمر منزلة نظامه. ثم قال : إنى أشهدك على من قلّدته شهادة تكون عليه رقيبة وله حسيبة ، فإنى لم آمره إلا بأوامر الحقّ التى فيها موعظة وذكرى ، ولمن تبعها هدًى ورحمة وبشرى ، وإذا أخذ بها فاج بحجّته يوماً يسأل فيه عن الحجج ، ولم يختلج دون رسوله على الخوض فى جملة مَنْ يختلج ، وقيل له : لاحرج عليك ولا إثم إذ نجوت من وَرَطات الإثم والحرَج . والسلام .

قال الفقيه عُمارة اليمنى يرثِى العاضد ــ وكان من خواصّهم :

ياعاذلِى فى هوى أبناء فاطمةٍ   لك الملامةُ إن قصّرتَ فى عَذَلِى

باللهِ زُرْساحة القصريْن وابكِ مَعِى   عليهمَا لاعلى صِفّينَ والجَمَلِ

وقال بعض الشعراء يمدح بنى أيوب على مافعلوه :

ألستم مُزيلى دولة الكفر من بنى   عُبيدٍ بمصرٍ ، إنّ هذا هو الفضلُ[1]

زنادقةٌ شيعيّةٌ باطنيّةٌ   مجوسٌ ومافى الصالحين لهم أصلُ

يُسرّون كفرا ، يظهرون تشيُّعاً   ليستروا شيئاً ، وعمّهم الجهل

وقال حسان عرقلة[2] :

أصبح الملك بعد آل عُبيد[3]   مشرقًا بالملوك من آل شاذِى

وغدا الشرقُ يحسد الغرب للقو   م ومصرٌ تزهُو على بغداذِ

ماحووْها إلا بعزمٍ وحزمٍ   وصليل الفؤاد فى الفولاذِ

لا كفرعونَ والعزيز ومن كا   ن بها كالخصيب والأستاذ

---

(١) كتاب الروضتين ١ : ٢٠٢ .   (٢) كتاب الروضتين ١ : ٢٠٠ .

(٣) فى الروضتين : « آل علىّ » ، وقال : « يعنى بذلك بنى عبيد المستخلفين » .

قال أبو شامة : يعنى بالأستاذ كافور الإخشيدىّ .

قال : وقد أفردت كتابا سميته : « كشف ماكان عليه بنو عبيد ، من الكفر والكذب والمكر والكيد » . وكذا صنف العلماء فى الردّ عليهم كتبا كثيرة من أجلّها كتاب القاضى أبى بكر الباقلّانىّ الذى سماه « كشف الأسرار وهتك الأستار » .

ولمّا استقلّ السلطان صلاح الدين بأرض مصر ، أسقط عن أهلها المكوس والضرائب ، وقرأ المنشور بذلك على رءوس الأشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر سنة سبع وستمائة . واستولى على القصر وخزائنه وفيها من الأموال مالا يحصى ؛ من ذلك سبعمائة يتيمة من الجوهر ، وقضيب زمرّد طوله أكثر من شبر وسمكه نحو الإبهام ، وعِقْدٌ من ياقوت ، وإبريق عظيم من الحجر المائع إلى غير ذلك من التّحف ، ووجد خزانة كتب ليس فى الإسلام لها نظير ، تشتمل على نحو ألفىْ ألف مجلد منها بالخطوط المنسوبة مائة ألف مجلد ، فأعطاها القاضى الفاضل . وأخذ السّلطان صلاح الدين فى نصر السنة وإشاعة الحق ، وإهانة المبتدعة والانتقام من الروافض ، وكانوا بمصر كثيرين .

ثم تجرّدت همته إلى الفرنج وغزوهم ؛ فكان من أمره معهم ماضاقت به التواريخ ، واستردّ منهم ما كانوا استولوا عليه من بلاد الإسلام بالشام . من ذلك القدس الشريف فتحه ، بعد أن كان فى يد الفرنج[1] ... وأجلى مابين الشام ومصر من الفرنج . ثم افتتح الحجاز واليمن من يد متغلّبيها وتسلّم دمشق بعد موت نور الدين ، فصار سلطان مصر والشام واليمن والحجاز .

قال ابن السبكى فى الطبقات الكبرى : له من الفتوحات التى خلّصها من أيدى الفرنج قلعة أيلَة ، طبَريّة ، عكا ، القدس ، الخليل ، الكرَك ، الشّوبَك ، نابُلس ،

---

(١) بياض فى الأصل

(حسن المحاضرة ٢ / ٢)

٣٩ - من منشورات المجلس العلمي



للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني

ولد سنة ١٢٦ وتوفي سنة ٢١١
رحمه الله تعالى

من ٦٧٩٢ الى ٨٧٩٥

عني بتحقيق نصوصه - وتخريج أحاديثه والتعليق عليه
الشيخ المحدث
حبيب الرحمن الأعظمي

عن أبيه أن إبراهيم بن سعد سأل ابن عباس – وكان عاملا بعدن[١] – فقال لابن عباس : ما في أموال الذمة ؟ قال : العفو . فقال : إنهم يأمروننا بكذا وكذا . قال : فلا تعمل لهم . قلت : فما في العنبر ؟ قال : إن كان فيه شيءٌ فالخمس[٢] .

١٩٢٧٨ – أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا ابن جريج عن يحيى بن سعيد عن رزيق صاحب مكوس مصر ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه : من مرّ بك من المسلمين ومعه مال يتّجر به ، فخذ منه صدقته ، من كلِّ أربعين دينارا دينارا ، فما نقص منه إلى عشرين فبحساب ذلك . فإن نقصت ثلاثاً واحدا[٣] فلا تأخذ منه شيئاً . ومن مرّ بك من أهل الكتاب وأهل الذمة ممن يتجر ، فخذ منه من كلِّ عشرين دينارا دينارا ، فما نقص فبحساب ذلك إلى عشرة دنانير . فإن نقص ثلث دينار فلا تأْخذ منه شيئاً .

١٩٢٧٩ – أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا ابن جريج قال : أخبرني يحيى بن سعيد أيضاً أن أوّل من أخذ نصف العشور من أهل الذمة إذا اتجروا عمر بن الخطاب ، كان يأْخذ من تجار أنباط[٤] أهل الشام إذا قدموا المدينة .

١٩٢٨٠ – أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا ابن جريج عن عمرو

(١) أي كان إبراهيم عاملا بعدن .
(٢) كذا في السادس . وهنا «فلا يخمس» سهواً وخطأً .
(٣) وفي السادس «فإن نقص ثلث دينار» وهو الصواب ، راجع رقم : ١٠١١٦ .
(٤) في السادس «الأنباط» .

ابن شعيب قال : كتب أهل منبج ومن وراء بحر عدن إلى عمر بن الخطاب يعرضون عليه أن يدخلوا بتجارتهم أرض العرب . وله منها العشور . فسأل عمر أصحاب النبي ﷺ . فأجمعوا على ذلك . فهو أوّل من أخذ منهم العشور .

١٩٢٨١ – أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير قال : يؤخذ من أهل الكتاب الضعف مما يؤخذ من المسلمين من الذهب والفضة . فعل ذلك عمر بن الخطاب . وعمر بن عبد العزيز .

١٩٢٨٢ – أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه أن عمر كان يأْخذ من النبط ، من الحنطة والزيت العشر[١] ، يريد بذلك أن يكثر الحمل ، ويأْخذ من القطنية نصف العشر[٢] . يعني من الحمص والعدس وما أشبههما .

باب المسلم يشتري أرض اليهودي ثم تؤْخذ منه أو يسلم

١٩٢٨٣ – أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا سعيد بن عبد العزيز التنوخي قال : أخبرني إبراهيم بن أبي عبلة قال : كانت لي أرض تبحر منها[٣] . فكتب فيها عاملي إلى عمر بن عبد العزيز . فكتب عمر ابن عبد العزيز أن اقبض[٤] الجزية والعشور ، ثم خذ منه الفضل ،

(١) كذا في السادس . وهنا «العشور» .
(٢) كذا في السادس وهو الصواب ، وهنا «العشور» أي في الموضعين سواء .
(٣) كذا هنا . وفي السادس «بجزيتها» ولعله هو الصواب .
(٤) كذا في السادس ، وهنا «أن أبيض» .

سيرة عمر بن عبد العزيز

على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه

تأليف

أبي محمد عبدالله بن عبد الحكم المُتوفَّى سنة ٢١٤ هـ

رواية ابنه أبي عبد الله محمد المُتوفَّى سنة ٢٦٨ هـ

رحمة الله عليهم أجمعين

نسخها وصحَّحها وعلَّق عليها

أحمد عبيد

الطبعة الأولى بنفقة

المكتبة العربية لأصحابها عبيد إخوان

بشارع الاستئناف بمصر وسوق الحميدية بدمشق

المطبعة الرحمانية بمصر

لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف

١٣٤٦ — ١٩٢٧

أن ناساً يقولون : قد أحله عمر رضي الله عنه ، وشربه ناسٌ ممن مضى من خيارنا . وإن عمر أُتِيَ منه بشراب طبخ حتى خَثَر ، فقال حين أُتي به : أطلاءٌ هذا ؟ يعني به طلاء الابل فلما ذاقه قال : لا بأس [بهذا فأدخل الناس فيه بعد عمر أما من شر[١]] بهُ من صالحيكم فإنهم شربوه قبل أن يُتخذ مسكراً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حرامٌ كل مسكر على [كل[١]] مؤمن ، فلا أرى أن يتخذَ الفاجرُ المُبَارَّ دنسة ، ونرى أن يتنزه المسلمون عنه عامة ، وأن يحرّموه ، فإنه من أجمع الأبواب للخطايا وأخوفها عندي أن تصيب المسلمين منه جائحة تعمهم[٢] .

طريق البر والبحر

وأما البحر فإنا نرى سبيله سبيل البر[٣] قال : (اللهُ[٤] الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)[٥] فأذن فيه أن يتجر فيه من شاء ، وأرى أن لا نحول بين أحد من الناس وبينه ، فإن البر والبحر لله جميعاً سخرهما لعباده يبتغون فيهما من فضله، فكيف نحول بين عباد الله وبين معايشهم .

المكيال والميزان

ثم إن المكيال والميزان نرى فيهما أموراً علم من يأتيها أنها ظلم . إنه ليس في المكيال زيغ إلا من تطفيف ، ولا في الميزان

(١) زيادة في ب . (٢) في ش : «ان يصب المسلمين من جائحة معهم».
(٣) في ش : «سبيله سبيل البر» . (٤) في ب : « الله سبحانه » وعلى هذا ينبغي إعادة لفظ الجلالة الذي هو أول الآية الكريمة. (٥) سورة الجاثية الآية ١١ .

فضل[١] إلا من بخس ، فنرى أن تمام مكيال الأرض وميزانها أن يكون واحداً في جميع الأرض كلها

العشور

وأما العشور فنرى أن توضع إلا عن[٢] أهل الحرث ، فإن أهل الحرث يؤخذون بذلك ، وإنما أهل الجزية ثلاثة نفر : صاحب أرض يعطى جزيته [منها ، وصانع يخرج جزيته من كسبه ، وتاجر يتصرف بماله يعطى جزيته[٣]] من ذلك . وإنما سنتهم واحدة . فأما المسلمون فإنما عليهم صدقات أموالهم ، إذا أدّوها في بيت المال كتبت لهم بها البرآءة . فليس عليهم في عامهم ذلك في أموالهم تِباعة .

المكس

وأما [المكس فإنه[٣]] البخس الذي نهى الله عنه فقال : (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[٤] غير أنهم كنّوه باسم آخر .

تجارة الامام والعمال

ونرى أن لا يتجر إمام ، ولا يحلّ لعامل تجارةٌ في سلطانه الذي هو عليه ، فإن الأمير متى يتجر يستأثر ويصب أموراً فيها عَنَتٌ وإن حرص على أن لا يفعل .

بيع عمارة الأرض

ونرى أن لا يباع عمارة الأرض ، فانما يشتري المشتري لنفسه

(١) في ش : «فضله» . (٢) في ش : «على» . (٣) زيادة في ب .
(٤) سورة هود الآية ٨٤ والشعراء الآية ١٨٣

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

النجوم الزاهرة

في

ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ثلاث أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

ذكر ولاية الحاكم بأمر الله على مصر

هو أبو علىّ منصور الحـاكم بأمر الله بن العزيز بالله نِزَار بن المُعِزّ بالله مَعَدّ بن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بأمرالله محمد بن المهدىّ عُبَيد الله، العُبَيدىّ الفاطمىّ المغربىّ الأصل، المصرىّ المولد والدار والمنشأ، الثالث من خلفاء مصر من بنى عُبيد والسادس منهـم ممن وَلِىَ من أجداده بالمغرب، وهم : المهدىّ والقـائم والمنصور المقدّم ذكرهم .

مولدُه يوم الخميس لأربع ليالٍ بَقِين من شهر ربيـع الأوّل سنة خمس وسبعين وثلثمائة بالقاهرة؛ وقيل : فى الثالث والعشرين منه . وولّاه أبوه العزيز عَهْد الخلافة فى شعبان سنة ثلاث وثمـانين وثلثمائة، وبويع بالخلافة يوم مات أبوه يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة ستّ وثمـانين وثلثمائة ؛ فوَلِىَ الخلافةَ وله إحدى عشرة سنة ونصف، وقيل : عشر سنين ونصف وستّة أيام، وقيل غير ذلك .

قال العـلّامة أبو المظفّر بن قِزْأُوغلى فى تاريخه : « وكانت خلافته مُتَضادّة بين شجاعة وإقدام، وجُبْن وإحجام، ومحبّة للعلم وٱنتقام من العلماء، ومَيْل الى الصلاح وقتل الصلحاء. وكان الغالب عليه السخاء ؛ وربّمـا بخِل بمـا لم يَبخَل به أحدٌ قطّ. وأقام يلبَس الصوف سـبعَ سنين ، وٱمتنع من دخول الحمام ؛ وأقام سـنين يجلس فى الشمع ليلا ونهارا ، ثمّ عنّ له أن يجلس فى الظُّلمة فجلس فيهـا مدّة . وقتل من العلماء والكتّاب والأماثل ما لا يُحصَى؛ وكتب على المساجد والجوامع سبَّ أبى بكر وعمر وعثمان وعائشــة وطلحة والزُّبير ومعاوية وعمرو بن العاص رضى الله عنهـم

فى سنة خمس وتسعين وثلثمائة، ثمّ محاه فى سنة سبع وتسعين؛ وأمر بقتل الكلاب وبيع الفُقّاع[1]، ثم نهى عنه ؛ ورفَع المُكُوس عن البلاد وعمّا يُبَاع فيها ؛ ونهى عن النجوم، وكان ينظر فيها ؛ ونفى المُنجِّمين وكان يرصـدها[2] ؛ ويخدُم زُحَل وطالعه المرِّيخ، ولهذا كان يَسفِك الدِّماء . وبنى جامع القاهرة[3] ، وجامع راشِدة[4] على النيل بمصر، ومساجد كثيرة، ونقل إليها المصاحفَ المفضّضة والستورَ الحرير وقنـاديلَ الذهب والفضّة ؛ ومنع من صلاة التراويح عشر سنين، ثم أباحها ؛ وقطع الكروم ومنع من بيع العنب، ولم يُبْق فى ولايته كَرْما ؛ وأراق خمسة آلاف جَرّة من عسل فى البحر خوفا من أن تُعمَل نبيذا؛ ومنع النساء من الخروج من بيوتهن ليـلا ونهارا ؛ وجعـل لأهل الذمّة علامات يُعْرَفون بهـا ، وألبس اليهود العمائم السُّود، وأمر ألّا يركبوا مع المسلمين فى سفينة ، وألّا يَستخدموا غلاما مسلمـا ، ولا يركبوا حمار مسـلم، ولا يدخلوا مع المسلمين حمّاما ، وجعل لهم حمامات على حِدة؛ ولم يُبْقِ فى ولايتــه ديرًا ولا كنيسة إلّا هدمها ؛ ونَهَى عن تقبيل الأرض بين يديه والصلاة

---

(١) تقدّم شرحها فى الحاشية رقم ١ صفحة ٩ من هذا الجزء . (٢) كذا فى مرآة الزمان وعقد الجمان . وفى الأصل : « يرصدهم » . (٣) يريد : « جامع الحـاكم » الذى يقال له « الجامع الأنور » وهو بشارع باب الفتوح بالقاهرة . أسسه والده العزيز بالله نزار سنة ثمـانين وثلثمائة وأكمله هو سنة إحدى وأربعمائة . (راجع المقريزى ج ٢ ص ٢٧٧) . (٤) قال المقريزى : « إن هذا الجامع كان واقعا بين مدينة الفسطاط ودير الطين، وعرف بهذا الاسم لأنه بنى فى خطة راشدة ابن أدب بن جديلة من لخم، وقال : وخطتهم بمصر بالجبل المعروف بالرصد المطل على بركة الحبش » . وقد زال هـذا الجامع . ومحله اليوم مسـاكن قائمة بالجهـة الغربية من عزبة إصطبل عنـتر قبلى الطريق الموصلة بين هذه العزبة وبين جسر النيل فى الزاوية التى تتقابل فيها هذه الطريق بالجسر الفاصل بين العزبة وبين الأراضى الزراعية . وهـذا الموضع يعرف عند أهل الجهة بمقام الست راشدة . وأما عزبة إصطبل عنتر المذكورة فانهـا من توابع ناحية أثر النبى واقعة تحت سفح جبـل اصطبل عنتر (جبل الرصد) جنوبى مصر القديمة (راجع المقريزى ج ٢ ص ٢٨٢) .

*
* *

السنة السادسة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة آثنتين وسبعين وخمسمائة .

فيها تزوج السلطان صلاح الدين يوسف بالخاتون عِصْمة الدّين بنت الأمير مُعين الدين أُنُر[1] زوجة الملك العادل نور الدين محمود، وكانت بقلعة دمشق .

وفيها كانت فتنة مقدَم السُّودان من صَعيد مصر، سار من الصعيد إلى مصر فى مائة ألف أسْوَد، ليُعيد الدولة المصريّة الفاطميّة، فخرج إليه أخو صلاح الدين الملك العادل أبو بكر، وأبو الهيجاء الهَكّاريّ ، وعزّ الدين مُوسَك بمَنْ معهم من عساكر مصر، والتَقَوْا مع السُّودان، فكانت بينهم وقعة هائلة ، قُتِل كبير السودان المذكور ومَن معه . قال الشيخ شمس الدين يوسف فى مرآة الزمان : « يقال إنهم قتلوا منهم ثمانين ألفا وعادوا إلى القاهرة » .

وفيها خرج السلطان صلاح من دمشق إلى مصر ، وآستناب أخاه شمس الدولة تُوران شاه على الشام . وجاءت الفرنج إلى دارَيّا[2] ، فأحرقوا ونهبوا وعادوا .

وفيها أمر السلطان صلاح الدين قَرَاقُوش الخادم بعمارة سور القاهرة ومصر ، وضيّع فيه أموالا كثيرة ولم ينتفع به أحد .

وفيها أبطل صلاح الدين المُكوسَ التى كانت تُؤخذ من الحاج بجُدّة، ممّا يُحمل فى البحر، وعوّض صاحب مكّة عنها فى كلّ سنة ثمانية آلاف إردبّ قمحًا تُحمل إليه فى البحر، [ويُحمل مثلُها][3] فتفترق فى أهل الحرمين .

(١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٢٨٦ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) داريا : قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة ، والنسبة اليها دارانى على غير قياس (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٣) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

وفيها عمّر صلاح الدين مدرسة الشافعيّ[1] بالقرافة، وتولّى الشيخ نجم الدين الخُبُوشانيّ عمارتها . وعَمّر البِيمارِسْتان[2] فى القصر، ووقف عليه الأوقاف .

وفيها حجّ بالناس من الشام قَيْماز النَّجْميّ .

وفيها تُوفّى علىّ بن منصور أبو الحسن السَّرُوجيّ الأديب، مؤدِّب أولاد الأتَابك زَنْكى بن آق سُنْقُر ، كان يأخذ الماء بفيه ويكتب به على الحائط كتابةً حسنة كأنّها كُتِبت بقلم الطومار، وينقط ما يكتب ويشكله . ومن شعره فى فصل الربيع وفضل دِمشق، ومَدَح نور الدين قصيدة طَنّانة أولها :

فصــلُ الربيع زمانٌ نَوْرُه نُورُ * أنفاسُ[3] أشجاره مِسْــكٌ وكافورُ

وفيها تُوفّى محمد بن مسعود أبو المعالى ، خرج إلى الحجّ فى هـذه السنة فتُوُفّى بِفَنْد[4]، كان أديبا فاضلا . ومن شعره هَجْوٌ فى قاض ولِىَ القضاء :

ولمّا [أنْ][5] تولّيتَ القضايا * وفاض الجَوْرُ من كَفّيــكَ فَيضا
ذُبِحتُ بغــير سِكّينٍ وإنّى * لأرجو الذبح بالسّكّـين أيضا

وفيها توفّى محمد بن عبد الله بن القاسم أبو الفضل كمال الدين الشَّهْرَزُوريّ قاضى دمشق . مولده فى سنة آثنتين وتسعين وأربعمائة، كان إماما فاضلا فقيها مُفْتيًا ، كان إليه فى أيّام نور الدين الشهيد مع القضاء أمرُ المساجد والمدارس والأوقاف والحِسْبة، والأمور الدينيّة والشرعيّة . وكان صاحب القلم والسيف، وكانت شَحْنَجِيَة دمشق إليه ، ولّى فيها بعض غِلمانه ؛ ثم ولّاها نورُ الدين بعد ذلك

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٤ من هذا الجزء . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) رواية عقد الجمان : * ونشر أزهاره ... الخ *
(٤) فنـد : اسم جبل بعينه بين مكة والمدينة قرب البحر (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٥) فى الأصـل : «ولما توليت القضاء» . والتكلة والتصحيح عن شذرات الذهب ومرآة الزمان وعقد الجمان .

ويقرأ القرّاء آياتٍ لائقةً بذلك الحال نصف ساعة . ثم تُعرض الخيولُ كالعرائس بأيدى شدّاديها ، فيقرأ القرّاءُ عند تمام العرض ويُرْخى جنبات الستر. ويقوم الوزيرُ فيدخل ويقبّل يد الخليفة ورجله ؛ ثمّ ينصرف فيركب من مكان نزوله والأمراء فى ركابه ركبانا ومُشاةً إلى قريب من داره. فإذا صلّى الإمام الظهرَ جلس الخليفة لعرض ما يَلْبَسُه فى الغد من خزائن الكسوة الخاصّة، ويكون لباسه البياض، فيُعين منديلا خاصًّا وبدلة . ويتسلّم المنديل شادّ التاج الشريف، ويقال له شَدّ الوَقار[1]، وهو من الأستاذين المحنّكين وله مَيزة، فيشدّها شدّةً غريبةً لا يعرفها سواه، شكل الإهليلَجة. ثم يُحضِر إليه اليتيمة، وهى جوهرة عظيمة لاتُعرف لها قيمة ، فتنظم وحولها ما هو دونها من الجواهر؛ وهى موضوعة فى هلال من ياقوت أحمر ليس له مثالٌ فى الدنيا، زنته أحد عشر مثقالا ، وقيل أكثر، يقال له الحافر ، فتنظم فى خرقة حرير أحسن ما يمكن من الوضع ، ويخاط على التاج[2] بخياطة خفيفة ، فيكون ذلك بأعلى جبهة الخليفة، وبدائرها قصب الزّمرذ الذُّبابىّ[3] العظيم القدر .

ثمّ يؤمر بشدّ المَظَلّة التى تشاكل تلك البدلة، وهى آثنا عشر شوزكا[4]، عرض أسفل كلّ شوزك شبر وطوله ثلاث أذرع وثلث؛ وآخر الشوزك من فوق دقيق جدا . فيجتمع ما بين الشوازك فى رأس عمودها دائرة[5] . والعمود من الزان ملبّس بأنابيب الذهب[6] . وفى آخر أنبوبة تلى الرأس فلكة بارزة قدر عرض إبهام . فيشدّ

(١) فى المقريزى : « ويقال له شدّة الوقار » . (٢) فى المقريزى : « ويخيطها شادّ التاج بخياطة خفيفة، فتكون بأعلى ... الخ » . (٣) سمى بالذبابى لقرب لونه من لون الذباب الكبير المائل الى الخضرة . (٤) كذا فى الأصل وصبح الأعشى . وفى المقريزى : « شوركا » بالراء المهملة . (٥) فى المقريزى : « بدائرة » . (٦) فى الأصل : «ملبوس بالأنابيب الذهب فى آخر الأنبوبة فلكة » : وما أثبتناه عبارة المقريزى .

آخر الشوازك فى حلقة ذهب . وللمظلة أضلاع من خشب الخَلَنْج[1] مربّعات مكسوّة بالذهب على عدد الشوازك خفاف بطول الشوازك . وفيها خطاطيف لِطَاف ، وحِلَقٌ يُمْسِك بعضُها بعضا تنضمّ وتنفتح ، ورأسها كالرّمّانة ، ويعلوه أيضا رمّانة صغيرة كلها ذهب مرصّع بجوهر، ولها رفرف دائر عرضه أكثر من شبر ونصف ، وتحت الرمانة عُنُق مقدار ستّ[2] أصابع . فاذا أُدخلت الحلقةُ الذهب الجامعة لآخر الشوازك فى رأس العمود ركّبت عليها الرمانة ولُفّت فى عرضى دَبِيقىّ[3] مذهب، فلا يكشفها منه إلّا حاملها عند تسليمها وقت الركوب .

ثمّ يؤمر بشدّ لواءى الحمد المختصّين بالخليفة، وهما رمحان [طويلان ملبّسان بمثل[4] أنابيب عمود المِظَلّة إلى حدّ نصفهما] برأسهما لواءان حريرا أبيض مرقوما بالذهب ملفوفين على رماحهما ، ويُخْرَجان بخروج المِظَلّة، فيحملهما أميران .

ثمّ يخرج إحدى وعشرون راية لطيفة من حرير مرقوم، ملوّنة بكتابة[5] فى كلّ واحدة بما يخالف لونها [ونص كتابتها[6]] : ﴿ نَصْرٌ مِنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ . طُولُ كلّ راية ذراعان فى ذراع ونصف، فتسلّم لواحد وعشرين رجلا .

ثمّ يخرج رمحان فى رءوسهما أهِلّةٌ من ذهب فى كلّ واحد سَبُعٌ من ديباج أحمر وأصفر، وفى فمه طارةٌ[7] مستديرة، يدخل فيها الريح فينفتحان فيظهر شكلهما ، ويتسلمهما فارسان يسيران أمام الرايات .

(١) الخلنج : شجر بين صفرة وحمرة يكون بأطراف الهند والصين تتخذ منه الأوانى . فارسىّ معرب . (٢) فى المقريزى : « يكون مقداره ثلاث أصابع » . (٣) فى المقريزى : « فى عرض وبيق » . (٤) مابين القوسين هو عبارة المقريزى . وفى الأصل : « طوال ملبس عليهما مثل عمودا المظلة برأسهما ... الخ » . (٥) فى الأصل : « بكتوب » . (٦) زيادة عن المقريزى . (٧) فى الأصل : «طائرة» . والتصويب عن المقريزى وصبح الأعشى .

وله بيت بديع من جملة قصيدة : [الكامل]

وإذا جفاك الدهرُ وهو أبو الورى * طُـرًّا فـلا تَعْتُب على أولاده

وفيها توفّى محمد بن يحيى بن أحمد بن الحذّاء أبو عبد الله القرطبىّ الحافظ المحدّث العلامة، سمع الكثير وروى الحديث، وكتب وصنّف، ومات فى شهر رمضان .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وأربع أصابع .

* * *

السنة السادسة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر وهى سنة سبع عشرة وأربعمائة .

فيها عاد جلال الدولة إلى البصرة، وقبض على وزيره أبى سعيد عبد الواحد بن أحمد بن جعفر بن ماكولا وعلى أبى علىّ[1] آبن عمه . ثم جرت أسباب آستوجبت إطلاق آبن عمه، وآستوزره جلال الدولة ولقّبه يمين الدولة وزير الوزراء، وخلع عليه .

وفيها توفّى أحمد بن محمد بن عبد الله بن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب أبو الحسن القرشىّ الأموىّ قاضى القضاة، كان عفيفا جليلا . قال القاضى أبو العلاء[2] : ما رأينا مثله جلالةً وصيانةً وشرفا .

وفيها توفّى مُحَسِّن بن عبد الله بن محمد أبو القاسم التنوخىّ اللغوىّ القاضى الحنفىّ، وُلد يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وثلثمائة، وقدم دمشق مجتازا إلى الحجّ، فأدركه أجله فى الطريق فى ذى القعدة، فحُمل إلى

(١) هو الحسن بن على بن جعفر بن ماكولا يمين الدولة . (٢) كذا فى المنتظم ومرآة الزمان وتاريخ بغداد، وهو محمد بن على الواسطى أبو العلاء . وفى الأصل : «أبو يعلى»، وهو تحريف .

مدينة النبىّ صلى الله عليه وسلم ودُفن بالبقيع . وكان من أوعية العلم، وله مصنّفات كثيرة وشعر جيّد، من ذلك : [الطويل]

وكلٌّ أُداريه على حَسْب حاله * سوى حاسدى فهى التى لا أنالها

وكيف يُدارِى المرءُ حاسدَ نعمةٍ * إذا كان لا يرضيه إلا زوالُها

وفيها توفّى عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر المروزىّ القفّال شيخ الشافعيّة بخراسان، كان يعمل الأقفال وحذق فى عملها حتّى صنع قفلا بآلاته ومفتاحه وزن أربع حبّات . فلما صار آبن ثلاثين سنة آشتغل بالعلم وتفقه حتّى برع فيه وفاق أقرانه . ومات فى جمادى الآخرة وله تسعون سنة .

وفيها توفّى علىّ بن أحمد بن عمر بن حفص أبو الحسن بن الحمّامىّ، كان إماما محدّثا كبير الشأن، سمع وحدّث، ومات فى شعبان عن تسع وثمانين سنة .

وفيها توفّى، فى قول الذهبىّ، عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عَبْدويه أبو حازم الهذلىّ العَبْدَوِىّ[1] الحافظ الكبير الرحّال، سمع الحديث وحدّث، وروى عنه غير واحد، ومات بنيسابور .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وسبع أصابع .

* * *

السنة السابعة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر وهى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة .

(١) كذا فى تذكرة الحفاظ وأنساب السمعانى واللباب . وفى الأصل : «العدوى» وهو تحريف .

المـال وفرّقه فى مماليك أبيك المعظَّم والعوامُّ معك ، وتملّك البلد ويبقوا فى القلعـة محصورين فما آتفق ذلك؛ وأصبحوا يوم الجمعة فى القلعة فحضر من سمّينا [بالأمس][1]، وذكروا الناصر والجواد — قلت : والناصر داود هو آبن المعظَّم عيسى ، والجواد مظفّر الدين يُونُس هو آبن شمس الدين مودود بن العادل (أعنى هما أولاد عمّ) . إنتهى — قال : وكان أضرّ ما على الناصر عمادُ الدين آبن الشيخ، لأنّه كان يجرى فى مجالس الكامل مباحثات فيخطئه فيها ويستجهله فبقى فى قلبه، وكان أخوه فخر الدين يميل إلى الناصر، فأشار عماد الدين بالجواد، ووافقوا أمره، وأرسلوا الهَيْجاوىّ فى يوم الجمعة إلى الناصر، وهو فى دار أسامة ، فدخل عليه وقال له : إيش قعودك فى بلد القوم ؟ قم فآخرج، فقام وركب [وجميع مَن فى دِمشق من[1] دار أسامة إلى القلعة] وما شكّ أحد أنّ الناصر لمّا ركب من دار أسامة إلّا أنّه طالع إلى القلعة، فلمّا تعدّى مدرسـة العِماد الكاتب وخرج من باب الدَّرْب عَرَج إلى باب الفَرَج ، فصاحت العامّة لا لا [لا][1] ؛ وآنقلبت دمشق وخرج الناصر من باب الفرج إلى القابون[2]، فوقع بهاء الدين بن ملكيشوا[3] وغلمانه فى الناس بالدبابيس ، فأنكوا فيهم فهربوا . وأمّا الجواد فإنّه فتح الخزائن وأخرج المـال وفرّق سـتة آلاف ألف دينار، وخلَع خمسـة آلاف خِلعة، وأبطل المكوس والخمور ، ونفى الخواطئ . وأقام النـاصر بالقابون أيّاما ، فعزموا على قبضه، فرحل وبات بقصر أمّ حكيم[4] ، وخرج خلفَه أَيْبك الأشرفىّ ليمسكه ، وعرَف عِماد الدّين بن مُوسَك فبعث إليه فى السرّ، فسار فى الليل إلى عَجْلون[5]، ووصل أَيْبك إلى قصر أمّ حكيم، وعاد إلى دِمشق .

(١) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٢) القابون : موضع بينه وبين دمشق ميل واحد فى طريق القاصد الى العراق فى وسط البساتين (عن معجم البلدان لياقوت). (٣) فى الأصل : «ابن بركيسو» . وفى مرآة الزمان : «مركيشو» . وما أثبتناه عن عقد الجمان، وقد ذكر فيه غير مرة على هـذه الصورة . (٤) قصر أم حكيم : بمرج الصفر من أرض دمشق . (٥) حصن وربضة فى جبل الغور الشرقى قبالة بيسان .

وسار الناصر إلى غَزّة، فاستولى على الساحل؛ فخرج إليـه الجَوَاد فى عسكر مصر والشام، وقال للأشرفيّـة : كاتبوه وأطمِعُوه فكاتبوه وأطمَعُوه فآغترّ بهم ، وساق من غزّة فى سـبعمائة فارس إلى نابُلُس بأثقاله وخزائنه وأمواله ، وكانت على سبعمائة جمل، وترك العساكر منقطعة خلفه، وضَرَب دِهليزه على سَبَسْطِية[1]، والجواد على جيتِين[2] فساقوا عليـه وأحاطوا به، فساق فى نفر قليـل إلى نابُلُس، وأخذوا الجِمال بأحمالها والخزائن والجواهر والجنائب وآستغنَوْا غِنى الأبد، وآفتقر هو فقرًا ما آفتقره أحد ؛ ووقع عماد الدين بسَفَط صغير فيه آثنتا عشرة قطعة من الجوهر وفصوص ليس لها قيمة ؛ فدخل على الجواد فطلبه منـه فأعطاه إيّاه . وسار الناصر لا يَلْوِى على شىء إلى الكَرَك . ثم وقع له أمور نذكر بعضهـا فى حوادث العـادل والصالح وغيرهما » . إنتهى .

ولمّا تمّ أمر العادل وتسلطن بمصر وآستقرّ الجواد بدمشق على أنّه نائب العادل، وبلغ هذا الخبرُ الملكَ الصالح نجم الدين أيّوب عَظُم عليه ذلك، كونه كان هو الأكبر، فقصد الشام بعد أمور وقعت له مع الخُوَارَزْمِيّة ومع لؤلؤ صاحب المَوْصِل؛ ثم سار الملك الصالح بعساكر الشرق حتّى وافى دمشق ودخلها فى جُمَـادى الآخرة سـنة ست وثلاثين وستمائة، فخرج إليـه الملك الجواد وآلتقاه ؛ وآتّفق معه على مقايضة دِمشق بسِنجار وعانة[3]، وسببه [ضِيقُ][4] عَطَن الجواد، [وعجزُه عن القيام بمملكة الشام][4] فإنّه كان يُظهر أنّه نائب العادل بدمشق فى مدّة إقامته، ثم خاف الجَوَاد أيضا من العادل، وظَنّ أنّه يأخذ دمشق منـه، فخرج الجَوَاد إلى البَرِّيّة وكاتب الملك الصالح

(١) سبسطية : بلدة من نواحى فلسطين بينها وبين البيت المقـدس يومان وبها قبر زكرياء ويحى عليهما السلام . (٢) جيتين : قرية ببلدة غزة (عن تصحيحات ياقوت) . (٣) عانة : بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد فى أعمال الجزيرة وهى مشرفة على الفرات قرب حديثة النورة (عن معجم البـلدان لياقوت) . (٤) زيادة عن مرآة الزمان .

وقال النُّوَيْرِىّ فى تاريخه : كان ملكا مَهيباً شجاعا مِقْداما جَسُوراً جَوّادا كريماً بالمـال ، أنفق على الجيش فى هذه الثلاث سنين ثلاث نفقات : الأولى فى أوّل جلوسه فى السلطنة من مال طُرُنْطاى ، والثانية عند توجّهه الى عكّا ، والثالثة عند توجّهه الى قلعة الروم . انتهى كلام النُّوَيْرِىّ باختصار .

وقال الشيخ صلاح الدين خليل بن أَيْبَك الصَّفَدِىّ فى تاريخه : « وكان قبل ولاية الملك[1] الأشرف يُؤخذ عند باب الجابية بدمشق عن كلّ حِمْل خمسةُ دراهم مَكْسًا ، فأوّل ما تسلطن ورَدَت إلى دمشق مسامحةٌ بإسقاط هذا ، وبين سطور المرسوم بقلم العَلّامة بخطه : لتسقُطْ عن رعايانا هذه الظُّلامة ، ويُستجلَب لنا الدعاء من الخاصّة والعامّة » . انتهى كلام الصفدىّ .

وقال الحافظ أبو عبدالله الذّهبىّ فى تاريخه ، بعد أن ساق من أحواله قطعةً جيّدة ، فقال : « ولو طالت أيّامُه أو حياتُه لأخذ العراق وغيرها ، فإنّه كان بطَلا شجاعا مِقْداما مهيبا عالى الهمّة يملأ العين ويَرْجُف القلبَ ، رأيته مرّات ، وكان ضخْماً سَمينا كبير الوجه بديع الجمال مُستدير اللِّحية ، على وجهه رَوْنَقُ الحُسن وهيبةُ السلطنة ، وكان إلى جوده وبَذْله الأموالَ فى أغراضه المنتهى . وكان مَخُوف السطوة ، شديد الوطأة ، قوىّ البطش ، تخافه الملوك فى أمصارها ، والوحوش العاديةُ[2] فى آجامها . أباد جماعةً من كبار الدولة . وكان منهمكا فى اللذات[3] ، لا يعبأ بالتحرّز لنفسه لفرط شجاعته ، ولم أحسبْه بلغ ثلاثين سنة ، ولعلّ الله عزّ وجلّ قد

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٨٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) فى الأصلين : « والوحوش القارة » . والتصحيح عن تاريخ الإسلام للذهبى والمنهل الصافى .

(٣) فى الأصلين : « منهمكا على » .

عفا عنه وأوجب له الجنّة لكثرة جهاده ، وإنكائه فى الكُفّار » . انتهى كلام الذهبى باختصار .

قلت : وكان الأشرف مُفْرِط الشجاعة والإقدام ، وجمهور الناس على أنه أشجع ملوك الترك قديماً وحديثاً بلا مدافعة ، ثم من بعده الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق، وشهرتهما فى ذلك تُغْنى عن الإطناب فى ذكرها .

وكانت مدّةُ مملكة الأشرف هذا على مصر ثلاثَ سنين وشهرين وخمسة أيام، لأنّ وفاة والده كانت فى يوم السبت سادس ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة . وجلس الأشرف المذكور على تخت الملك فى صَبيحة دَفْن والده فى يوم الآثنين[1] ثامن ذى القعدة . وقتل فى يوم السبت[2] ثانى عشر المحرّم سنة ثلاث وتسعين وستمائة . انتهى .

وقال الشيخ قُطْب الدين اليُونِينىّ : ومات (يعنى الملك الأشرف) شهيدا مظلوما فإنّ جميع مَنْ وافق على قتله كان قد أحسن إليه ومنّاه وأعطاه وخوّله ، وأعطاهم ضِياعًا بالشام ، ولم تتجدد فى زمانه مَظْلَمة ، ولا آستجدّ ضمانَ مَكْس، وكان يُحِبّ الشامَ وأهله ، وكذلك أهلُ الشام كانوا يحبونه — رحمه الله تعالى وعفا عنه — .

* * *

السنة الأولى من سلطنة الملك الأشرف صلاح الدين خليل على مصر وهى سنة تسعين وستمائة . على أنه حكم من الماضية من يوم الآثنين ثامن ذى القعدة إلى آخرها . انتهى .

(١) تقدم فى أول الترجمة ص ٣ أنه جلس على تخت الملك يوم وفاة أبيه فى يوم الأحد سابع ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة . (٢) فى الأصلين هنا «فى يوم السبت تاسع عشر المحرم» وتصحيحه عما تقدم ص ١٧ ويوافقه ما فى تاريخ سلاطين المماليك وجواهر السلوك وتاريخ الاسلام .

يختص بالسلطان، فأضيف جَوَالى كل بلد إلى متحصَّل خراجها، وأبطلت جهات المُكوس التى كانت أرزاقُ الجند عليها، منها ساحل الغَلّة[1]، وكانت هذه الجهة مُقْطَعة لأربعمائة جُنْدىّ من أجناد الحَلْقه سوى الأمراء، وكان متحصّلها فى السنة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف درهم.

قلت: وهذا القَدْر يكون الآن شيئا كثيرا من الذهب من سعر يومنا هذا. وكان إقطاع الجندىّ من عشرة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف درهم، وللأمراء من أربعين ألفا

= ولمـا تكلم المقريزى فى خططه على ذكر أقسام مال مصر (ص ١٠٣ ج ١) قال: وأما الجزية فهى التى تعرف بالجوالى وأنها تجبى سلفا وتعجيلا فى أوّل كل سنة، وكان يحصل منها مال كثير فيما مضى، وبلغ ارتفاع إيراد الجوالى لسنة ٥٨٧ هـ ١٣٠٠٠٠ دينار، ثم قال: وأما فى وقتنا هذا فإن الجوالى قلت جدّا لكثرة إظهار النصارى للاســلام لسبب الحوادث التى مرت بهم حتى بلغ إيرادها فى ســنة ٨١٦ هـ ١١٤٠٠ دينار أى ٦٨٤٠ جنيها، فيتبين ممـا ذكر أن الجوالى هى بذاتها الجزية التى فرضها المسلمون على أهل الذمة من رجال النصارى واليهود، وكانت تعرف فى عهد العرب بالجزية. وفى عهد الترك الجراكسة بالجوالى. وكانت جزية أهل الذمة من النصارى واليهود تورد فى ذلك الوقت قلما واحدا مستقلا بذاته، وكانوا يؤدونها مسانهة أى فى أوّل كل سنة، وكانوا يرون وجوبها مشاهرة، وفائدة ذلك أن من مات من أهل الذمة يلزم بقدر ما مضى من السنة قبل وفاته أو إسلامه، ولذلك كانوا يوزّدونها بين الخراجى والهلالى. ولمـا آستولى العثمانيون على مصر فى سنة ٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م أطلقوا على هــذه الضريبة آسم الويركو فصارت الجوالى تعرف بالويركو الشرعى المربوط بإحدى درجاته الثلاث، وهى العالى، ومقرّرها ١٦ قرشا، والوسط ومقرّره ١٢ قرشا، والدون، ومقرّره ٨ قروش على كل مسيحى وإسرائيلى بلغ من العمر ١٥ سنة من أهل الذمة، وكان ما يحصل من الويركو سنويا مدّة الحكم العثمانى يخصص للصرف على الفقراء من أهل مكة والمدينة. وفى سنة ١٢٧١ هـ = ١٨٥٥ م بلغ المتحصل من الويركو ٢٨٦٧ كيسة أى ١٤٣٣٥ جنيها عثمانيا. وقد تجاوز عنه المرحوم محمد سعيد باشا والى مصر إحسانا من لدنه رأفة برعاياه، وأمر بأن يستمر صرف مرتبات الفقراء من أهل مكة والمدينة إلى أربابها على أن يكون الصرف لهم من إيرادات الدولة، وبذلك ألغيت هذه الضريبة ورفعت عن عاتق النصارى واليهود فى مصر.

(١) ساحل الغلة، يفهم من عبـارة المؤلف أن هذا السـاحل كان واقعا على النيـل ببولاق، وكان به خص الكيالة الآتى ذكره فى الصفحة التالية.

وبالبحث تبــين لى أن ساحل الغلة فى ذلك الوقت كان واقعا على النيل ببولاق. ومكانه اليوم شارع ساحل الغلال ببولاق وما فى آمتداده شمالا من شارع ماسبرو حتى نهايته البحرية، وقد آستمر ساحل الغلال فى مكانه المذكور إلى ســنة ١٨٩٩ م وفيها نقل إلى مكانه الحـالى على النيـل باسم ساحل روض الفرج بشارع روض الفرج بالقاهرة.

إلى عشرة آلاف درهم، فاقتنى المباشرون منها أموالاً عظيمة، فإنّها كانت أعظم الجهات الديوانيّة وأجلّ معاملات مصر. وكان الناس منها فى أنواع من الشدائد لكثرة المغارم والعَسْف والظُّلْم، فإنّ أمرها كان يدور على نواتيــة[1] المراكب والحَمّالين والمُشِدّين والكُتّاب؛ وكان المقرّر على كل إردب درهمين ويَلْحَقــه نصف درهم آخر ســوى ما كان يُنْهَب. وكان له ديوانٌ فى بولاق خارج المَقْس[2]، وقبله كان له خُصٌّ يُعْرف بخُصّ الكَيّالة[3]. وكان فى هذه الجهة نحو ستين رجلا ما بين نُظّار ومستوفين وكُتّاب وثلاثين جنــديًّا للشدّ، وكانت غِلالُ الأقاليم لا تُباع إلّا فيــه؛ فأزال الملك الناصر هذا الظلم جميعَه عن الرعيّة، ورَخُص سِعْرُ القمح من ذلك اليوم، وآنتعش الفقير وزالت هذه الظُّلَامة عن أهل مصر، بعد أن راجعتْه أقباط مصر فى ذلك غير مرّة، فلم يلتفت إلى قول قائل — رحمه الله تعالى — ما كان أعلى همّته، وأحسن تدبيره.

وأبطل الملك النـاصر أيضا نصف السَّمْسَرة الذى كان أحدثه آبن الشَّيْخىّ[4] فى وزارته — عامله الله تعالى بعدله — وهو أنه مَنْ باع شيئاً فإنّ دلالة كل مائة درهم درهمان، يؤخذ منها درهم للسلطان، فصار الدلّالُ يَحسِب حِسابه ويُخلِّص درهمه

(١) ورد فى شفاء الغليل للشهاب الخفاجى أن النوتى (بضم النون) هو الملاح والجمع نواتىّ ويخفف. وفتح نونه وجمعه على نواتية غلط؛ قاله الزبيدى. (٢) راجع الحاشية رقم ٧ ص ٥٣ من الجزء الرابع من هــذه الطبعة. (٣) خص الكيالة، ذكر المقريزى فى خططه عند الكلام على بولاق (ص ١٣٠ ج ٢) أن خص الكيالة الذى يؤخذ فيه مكس الغلة كان ببولاق إلى أن أبطله الملك الناصر محمد بن قلاوون، وذكر مؤلف هــذا الكتاب أن أحد الجوامع الثلاثة التى أنشأها ناظر الجيش فخر الدين محمد بن فضل الله المعروف بالفخر، كان خلف خص الكيالة ببولاق.

وبالبحث تبين لى أن جامع الفخر المذكور هو الذى يعرف اليوم بجامع أبى العلاء بشارع فؤاد الأوّل ببولاق مصر؛ وأن خص الكيالة كان كشكا كبيرا يقيم فيــه عمال تحصيل مكس الغلال فى ذلك الوقت. ومكانه اليوم على النيل بشارع ماسبرو ببولاق فى النقطة التى يتقابل فيها هذا الشارع بحارة الخاصكى الواقع خلفها جامع أبى العلاء المذكور.

(٤) هو ناصر الدين محمــد بن عبد الله المـاردى آبن الشيخى والى القـاهرة. وراجع الحاشـية رقم ٥ ص ٢١٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة.

قبل درهم السلطان؛ فأبطل الملك الناصر ذلك أيضا ، وكان يتحصل منه جملة كثيرة وعليها جند مُستقطَعة .

وأبطل السلطان الملك الناصر أيضا رسوم الولايات والمقدّمين والنُّوّاب والشُّرْطِية ، وهى أنها كانت تُجْبَى من عُرَفاء الأسواق وبيوت الفواحش ، وكان عليها أيضا جُنْدٌ مستَقْطَعة وأمراء ، وكان فيها من الظلم والعَسْف وهَتْك الحُرَم وهَجْم البيوت وإظهار الفواحش ما لا يُوصف ، فأبطل ذلك كلَّه — سامحه الله تعالى وعفا عنه — .

وأبطل ما كان مقترا للحوائص والبِغال ، وكان يُجْبَى من المدينة ومن الوجهين : القبلىّ والبحرىّ ، ويُحمَل فى كلّ قِسْط من أقساط السنة إلى بيت المال عن ثمن الحِياصة ثلثمائة درهم ، وعن ثمن البغل خمسمائة درهم ، وكان على هذه الجهة أيضا عِدّة مُقْطَعِين ، سوى ما كان يحمل إلى الخزانة ، فكان فيها من الظلم بلاء عظيمٌ ؛ فأبطل الملك الناصر ذلك كلَّه ، رحمه الله .

وأبطل أيضا ما كان مقترا على السجون ، وهو على كلّ من سُجِن ولو لحظةً واحدةً مائة(1) درهم سوى ما يَغْرَمُه . وكان أيضا على هذه الجهة عِدّةُ مُقْطَعِين ، ولها ضامن يَجْبِي ذلك من سائر السجون ؛ فأبطل ذلك كلَّه ، رحمه الله .

وأبطل ما كان مقرّرا من طَرْح(2) الفراريج ، وكان لها ضُمّانٌ فى سائر الأقاليم ، كانت تُطْرَح على الناس بالنواحى الفراريجُ ؛ وكان فيها أيضا من الظُّلم والعَسْف وأَخْذِ الأموال من الأرامل والفقراء والأيتام مالا يمكن شَرْحه ، وكان عليها عِدّة مُقْطَعين ومرتّبات ، ولكل إقليم ضامن مقرّر ، ولا يقدر أحد أن يشترى فَرُّوجا إلّا من الضامن ، فأبطل الناصر ذلك ، ولله الحمد .

وأبطل ما كان مقترا للفُرْسان ، وهو شىءٌ تستهديه الوُلاة والمقدمون من سائر الأقاليم ، فيُجبَى من ذلك مالٌ عظيم ، ويُؤخذ فيه الدرهم ثلاثة(1) دراهم من كثرة الظلم ، فأبطل الملك الناصر ذلك ، رحمه الله تعالى .

وأبطل ما كان مقررا على الأقصاب والمعاصر ، كان يُجْبَى من مُزارعى الأقصاب وأرباب المعاصر ورجال المعصرة ، فيحصُل من ذلك شىء كثير .

وأبطل ما كان يُؤخذ من رسوم الأفراح ، كانت تُجْبَى من سائر البلاد ، وهى جهة لا يُعرف لها أصل فبَطَل ذلك ونُسِى ، ولله الحمد .

وأبطل جِباية المراكب ، كانت تُجْبَى من سائر المراكب التى فى بحر النيل بتقرير معيّن على كلّ مَرْكَب ، يقال له مقرّر الحِماية(2) ، كان يُجْبَى ذلك من مسافرى المراكب سواء أكانوا أغنياء أم فقراء ، فبَطَل ذلك أيضا .

وأبطل ما كان يأخذه مِهْتار(3) طشتخاناه السلطان من البَغَايا والمنكَرات والفواحش ، وكانت جملةٌ مستكثرة .

---

(١) فى المقريزى والسلوك له : « ستة دراهم » .

(٢) طرح الفراريج ، ذكر المقريزى فى خططه عند الكلام على الروك الناصرى (ص٨٧ ج١) أنه من ضمن ما أبطله الملك الناصر محمد بن قلاوون من أنواع المظالم ما كان مقررا من طرح الفراريج ولها ضمان عدة من سائر نواحى أرض مصر ، يطرحون على الناس الفراريج أى يفرضون عليهم الكتاكيت ، فيلحق بضعفاء الناس من ذلك بلاء عظيم ، وتقاسى الأرامل من العسف والظلم شيئا كثيرا ، وكان على هذه الجهة أى على هذا العمل عدّة مقطعين أى ملتزمين ، ولا يكون لأحد من الناس فى جميع الأقاليم أن يشترى فروجا فما فوقه إلا من الضامن ، ومن عثر عليه أنه اشترى أو باع فروجا من غير الضامن سلط عليه العذاب .

(١) عبارة المقريزى : « فلا يؤخذ درهم مقرر حتى يغرم عليه صاحبه درهمين » .

(٢) فى الأصلين : « يقال له تقرير الحماية » . وما أثبتناه عن المقريزى والسلوك له .

(٣) المهتار : لقب واقع على كبير كل طائفة من غلمان البيوت ، كمهتار الشراب خاناه ومهتار الطشت خاناه ومهتار الركاب خاناه . ومِه بكسر الميم : معناه بالفارسية الكبير ، وتار بمعنى أفعل التفضيل ، فيكون معنى المهتار : الأكبر . (صبح الأعشى خامس ص ٤٧٠) .

وأبطل ضمان تُجيب[1] بمصر وشدّ الزعماء[2] وحقوق السـودان وكَشْف مراكب النوبة، فكان يُؤخذ عن كلّ عَبْد وجارية مبلغ مقرَّر عند نزولهم فى الخانات، وكانت جهةً قبيحة شنيعة إلى الغاية، فأراح الله المسلمين منها على يد الملك الناصر، رحمه الله .

وأبطل أيضا متوفر الجراريف[3] بالأقاليم، وكان عليها عِدّةٌ كثيرة من المُقْطَعين .

وأبطل ما كان مقررا على المشاعلية من تنظيف أَسرِبَة البيوت والحمّامات والمسامط وغيرها، فكان إذا امتلأ سَرَاب بيت أو مدرسة لايمكن شيلُه حتى يحضُر الضامن ويُقرِّر أجرته بما يختار، ومتى لم يُوافقـه صاحب البيت تَركه ومضى حتى يحتاج إليه ويبذُلَ له ما يطلُب .

وأبطل ما كان مقررا من الجُبى برسم ثمن العِبى[4] وثمن رُكوة[5] السُّوّاس .

وأبطل أيضا وظيفتى النظر والاستيفاء من سائر الأعمـال، وكان فى كل بلد ناظرٌ ومسـتوفٍ ومباشرون، فَرَسم السلطان ألّا يُسـتخدم أحدٌ فى إقليم لا يكون للسلطان فيه مال، وما كان للسلطان فيه مال يكون ناظرًا وأمين حكم لا غير، ورفع يدَ سائر المباشرين من البلاد .

---

(١) ذكر المقريزى فى خططه عند الكلام على ذكر الخطط التى كانت بمدينة الفسطاط (ص٢٩٧ ج١) فقال : إنّ تجيب هم بنو عدىّ وسعد ابنى الأشرس بن شعيب بن السكن بن الأشرس بن كندة، فمن كان من ولد عدىّ وسعد يقال لهم تجيب، وتجيب أمهم . ويغلب على الظن أن بعض أفراد هذه القبيلة كانوا ضمانا للخانات التى تنزل بها الجوارى والعبيد بمصر لعمل الفاحشة، وذلك لالتزامهم بتحصيل الرسوم التى كانت مقرّرة على من ينزل بتلك الخانات . (٢) فى الأصلين : «وشد الرعاء» . وما أثبتناه عن المقريزى والسلوك له . (٣) عبارة المقريزى (ج ١ ص ٨٩) : «متوفر الجراريف، وهو مايجبى من سائر النواحى، فيحمل ذلك مهندسو البلاد إلى بيت المال بإعانة الولاة لهم فى تحصيل ذلك» . وأما كلمة الجراريف فمفردها جاروف وهو المستعمل الآن فى كسح ورفع الأتربة والطين فى إنشاء الجسور والترع وغيرها . (٤) العبى لغة عامية، عربيتها عباء . (٥) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء، والجمع ركوات (بالتحريك) وركاء . (عن لسان العرب) .

قلت : وكلّ ما فعله الملك الناصر من إبطال هـذه المظالم والمكوس دليلٌ على حسن اعتقاده وغزير عقله وجَوْدة تدبيره وتصرُّفه، حيث أبطل هـذه الجهات القبيحة التى كانت من أقبح الأمور وأشنعها وعوّضها من جهاتٍ لا يُظْلَم فيها الرجل الواحد . ومَثَلُه فى ذلك كمثل الرجل الشجاع الذى لا يُبالى بالقوم، كثُروا أو قلّوا، فهو يكُرّ فيهم فإن أوغل فيهـم خلص، وإن كرّ راجعا لا يُبـالى بمَن هو فى أثره، لمـا يعلم مافى يده من نفسه، فأبطل لذلك ما قَبُح وأحدث ماصلُح من غير تكلُّف، وعدم تخوُّف، فلله درُّه من مَلِك عَمَّر البلاد، وغَمَر بالإحسان العباد . وهذا بخلاف مَنْ ولى بعده من السلاطين فإنهـم لقِصَر باعهم عن إدراك المصلحة، مهما رأَوْه، ولو كان فيه هلاكُ الرعية، وعذابُ البرية؛ يقولون : بهذا جرت العادة من قبلنا، فلا سبيلَ إلى تغيير ذلك ولو هَلَك العـالم، فلَعَمْرِى هل تلك العـادة حدثت من الكتاب والسُّنة، أم أحدثها مَلِك مثلُهم ! وما أرى هذا وأمثاله إلّا من جميل صنع الله تعالى، كى يتميّز العالِم من الجاهل . انتهى .

ثم رَسَم السلطان الملك النـاصر [بالمساحة][1] بالبواقى الديوانية والإقطاعية من سائر النواحى إلى آخر سنة أربعَ عشرةَ[2] وسبعمائة . وجَعَل الرُّوك الهلالى[3] لاستقبال صفر سنة ستّ عشرة وسبعمائة، والرُّوك الخَرَاجى[4] لاستقبال ثُلُث مُغَلّ سنة خمسَ عشرةَ

---

(١) زيادة عن السلوك وعقد الجمان . (٢) فى عقد الجمان : «إلى آخر سنة أربع وعشرين وسبعمائة» . (٣) الروك الهلالى (صوابه المـال الهلالى كما فى المقريزى) . لما تكلم المقريزى فى خططه على ذكر أقسام مال مصر (ص ١٠٣ ج ١)، قال : إن المـال الهلالى هو الذى يستأدى مشاهرة كأجر الأملاك المسقفة من الآدر والحوانيت والحمامات والأفران والطواحين وأحكار البيوت ومصايد الأسماك ومعاصر الشيرج والزيت وغيرها . (٤) الروك الخراجى (صوابه المـال الخراجى كما فى المقريزى) . لما تكلم المقريزى على ذكر أقسام مال مصر (ص ١٠٣ ج ١) قال : إن المـال الخراجى هو ما يؤخذ مسانهة أى سنويا من الأراضى التى تزرع حبوبا ونخلا وعنبا وفاكهة، وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج والكشك وغيره من أهل الريف .

وسبعمائة . وأفرد السلطان لخاصته الجيزية[1] وأعمالها ، وأخرجت الجوالى من الخاص وفرّقت فى البلاد ، وأفردت الجهاتُ التى بقيت من المكس كلها، وأضيفت إلى الوزير ، وأفردت للحاشية بلادٌ، ولجوامك المباشرين بلادٌ ، ولأرباب الرواتب جهاتٌ . وآرتُجعت عِدّةُ بلاد كانت آشتُريت من بيت المال وحُبست، فأُدخلت فى الإقطاعات .

قلت : وشراء الإقطاعات من بيت المال شراءٌ لا يَعبأ الله به قديمًا وحديثًا، فإنه متى آحتاج بيتُ مال المسلمين إلى بَيْع قرية من القُرَى، وإنفاق ثمنها فى مصالح المسلمين! فهذا شيء لم يقع فى عصر من الأعصار[2]، وإنما تُشترَى القرية من بيت المال ، ثم إن السلطان يَهَب للشارى ثمن تلك القرية ، فهذا البيع وإن جاز فى الظاهر لا يستحِلّه الوَرِع، ولا فعَله السَّلَف ، حتى إنّ الملك لا تجوز له النفقةُ من بيت المال إلّا بالمعروف ، فمتى جاز له أن يَهَب الألوفَ المؤلّفة من أثمان القرى لمن لا يستحق أن يكون له النَّزْر اليسير من بيت المال ، وهذا أمرٌ ظاهر معروف يطول الشرح فى ذكره . وفى قصّة سيّدنا عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، ما فَرَضه لنفسه من بيت المال كفايةٌ عن الإكثار فى هذا المعنى . انتهى .

ثم إن السلطان رَسَم بأن يُعتَدّ فى سائر البلاد بما كان يُهْديه الفلّاحين وحُسب من جملة المبلغ . فلمّا فرَغ من العمل فى ذلك نُودى فى الناس بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال بإبطال ما أُبطِل من جهات المكس وغيره، وكُتبت المراسيم بذلك إلى سائر النواحى بهذا الإحسان العظيم ، فسُرَّ الناس بذلك قاطبةً سرورًا عظيمًا، وضجّ العالَم بالدعاء للسلطان بسائر الأقطار، حتى شكَر ذلك ملوكُ الفرنج، وهابته من حسن تدبيره. ووَقع ذلك لملوك التتار وأرسلوا فى طلب الصُّلح حسب ما يأتى ذكره.

(١) عبارة المقريزى والسلوك : « وأفرد السلطان لخاصته الجيزة وأعمالها و «هو» والكوم الأحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وعدّة بلاد » . (٢) يجمع العصر على أعصر وعصور .

ثم جلس السلطان الملك الناصر بالإيوان[1] الذى أنشأه بقلعة الجبل فى يوم الخميس ثانى عشرين ذى الحِجّة سنة خمسَ عشرةَ وسبعمائة لتفرقة المِثالات[2] . وهذا الرَّوْك يُعرف بالرَّوْك الناصرى المعمول به إلى يومنا هذا، وحضروا الناس ورَسَم السلطان أن يُفرّق فى كلّ يوم على أميرين من المقـدَّمين بمُضافيهما ، فكان المقـدَّم يقف بمضافيه ، ويُستَدعَى كلُّ واحد بآسمه ، فإذا تقدّم المطلوب سأله السلطان ، من أنت ؟ ومملوك من أنت ؟ حتّى لا يَخفَى عليه شيءٌ من أمره ، ثم يُعطيه مثالا يُلائمه ؛ فاظهر السلطان فى هذا العَرْض عن معرفة تامّة بأحوال رعيّته ، وأمور جيوشه وعساكره ؛ وكان كِبارُ الأمراء تحضُر التفْرقة فكانوا إذا أخذوا فى شُكْرِ جندىّ عاكسهم السلطان، وأعطاه دون ما كان فى أملهم له ، وأراد بذلك ألّا يتكلّم أحدهم فى المجلس ، فلمّا عَلِموا بذلك أمسكوا عن الكلام والشكر، بحيث إنّه لا يتكلّم أحدٌ منهم بعد ذلك إلا ردّ جوابٍ له عما يُسْأَلُ عنه فمشى الحال بذلك على أحسن وجه من غير غَرَض ولا عصبيّة، وأُعطِى لكلّ واحد ما يستحقّه .

قلت : وأين هذه الفِعْلَة من فِعْل المَلِك الظاهر بَرْقوق، رحمه الله؛ وقد أظهر من قِلّة المعرفة، وإظهار الغَرَض التام، حيث أنعم على قريبه الأمير جَمَّاس بإمرة

(١) الإيوان ، يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على الإيوان بقلعة الجبل (ص٢٠٦ ج ٢) أن الإيوان المعروف بدار العدل أنشأه الملك المنصور قلاوون ، ثم جدّده آبنه الملك الأشرف خليل فعرف بالقاعة الأشرفية ، وآستمرّ جلوس نائب دار العدل به إلى أن هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم أعاد بناءه فى سنة ٧٣٠ ه . وزاد فيه وأنشأ به قبة جليلة وأقام عمدا عظيمة ، ونصب فى صدره سرير الملك ، وعمل أمام الإيوان رحبة فسيحة بجاء من أعظم المبانى . وكان الملوك يجلسون فيه لنظر المظالم ، ولذلك سمى دار العدل . وبالبحث تبين لى أن هذا الإيوان مكانه اليوم جامع محمد على باشا الكبير بقلعة القاهرة . وأما الرحبة التى كانت أمامه فمكانها الحوش الواقع تجاه الوجهة البحرية الشرقية للجامع المذكور.

(٢) المثالات ، راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . وقد ذكرت فى الحاشية المذكورة أن المثال عبارة عن وثيقة رسمية تصدر من ديوان الخراج وصوابه أنها تصدر من ديوان الجيش .

السلطان ولقّبه السلطان بالملك المؤيّد وسافر من يومه بعـد ما جهّزه السلطان بسائر ما يحتاج إليه . ثم أفرج السلطان عن جماعة من الأمراء المحبوسين، وعِدّتهم أزيد من عشرة نفر . ثم ندَب السـلطان الأميرَ بيبرس الأحمـدى الحاجب وطائفةً من الأجناد إلى مكة ليُقيم بها بدل الأمير آق سُنْقُر شادّ العمائر خوفًا من هجوم الشريف حُمَيضة على مكّة .

وفى هذه السنة أبطل السلطان مَكْس المِلْح بالقاهرة وأعمالها فأُبيع الإردَبّ المِلح بثلاثة دراهم بعد ما كان بعشرة دراهم . ثم أذِن السلطان للأمير أَرْغون النائب فى الحجّ فحجّ ، وعاد فى سنة إحدى وعشرين بعد أن مَشَى من مكّة إلى عَرَفات على قدميه تواضُـعًا . ثم أخرج السلطان الأميرَ شرف الدين حسين بن جَنْدَر[1] إلى الشام على إقطاع الأمير جُوبان، ونُقِل جُوبان على إمْرة بديار مصر . وسبب نفى الأمير حُسين أنّه لمّـا أنشأ جامعه المعروف بجامع أمير حسين[2] بجوار داره[3] على الخليج

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٩ من هذا الجزء . (٢) جامع أمير حسين، ذكره المقريزى فى خططـه باسم جامع الأمير حسين (ص ٣٠٦ ج ٢) فقال : إن الذى أنشأه هو الأمير حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن جندر بك الرومى على قطعة من بستان بجوار غيط العدّة . ولمـا مات سنة ٧٢٩ هـ دفن بهذا الجامع . ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشائه . وبالمعاينة تبين لى أنه أنشئ فى سنة ٧١٩ هـ كما هو مبين فى لوح من الرخام مثبت فى التجويف العـلوى لباب الجامع ، وهو عامر بإقامة الشعائر الدينية بحارة الأمير حسين من جهة ميدان باب الخلق بالقاهرة . ومئذنته الأصـلية هدمت لخلل طرأ عليها ثم جدّدت فى سنة ٨٦٦ هـ . (٣) دار الأمير حسين، يستفاد ممـا ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على خوخة الأمير حسين وعلى جامعه وقنطرته : أن السبب الذى حمل هذا الأمير على فتح خوخة فى سور القاهرة الغربى تجاه جامعه وقنطرته هو أن يخرج منها من داره التى كانت واقعة خلف الخوخة المذكورة إلى جامعه الذى أنشأه بحكر جوهر النوبى غربى الخليج المصرى .

وبمـا أن هـذه الخوخة كانت بحارة الوزيرية ومكانها الآن على رأس شارع الاستئناف فى الزاوية البحرية الغربية لمبنى محكمة الاستئناف الأهلية بميدان باب الخلق بالقاهرة فيتبين من ذلك أن دار الأمير حسين كانت بخط درب سعادة وليس لهـا أثر اليوم .

فى البَرّ الغربىّ بحكر جَوْهر النُّوبى . ثم عَمّر القنطرة[1] وأراد أن يفتح فى سور القاهرة خوخة تنتهى إلى حارة الوزيريّة[2]، فأَذِن له السلطان فى فتحها، فخَرَق بابًا كبيرا وعَمِل عليه رَنْكَه ، فسعَى به علمُ الدين سَنْجَر الخيّاط متولّى القاهرة، وعظّمُ الأمرعلى السلطان فى فتح هذا الباب المذكور، فرَسَم بنفيه فى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة المذكورة .

وفيهـا وقَع الحريق بالقـاهرة [ومصر][3] فٱبتدأ من يوم السبت خامس عشر جُمادَى الأولى وتواتَر إلى سَلْخه، وكان ممّا ٱحترق فيه الرَّبْعُ[4] الذى بالشّوّايين من أوقاف

(١) هذه القنطرة هى التى ذكرها المقريزى فى خططه باسم قنطرة الأمير حسين (ص ١٤٧ ج ٢) فقال : إنها واقعة على الخليج الكبير، عمرها الأمير حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن جندر بك الرومى ، ويتوصل منها إلى بر الخليج الغربى حيث الجامع الذى أنشأه بحكر النوبى .

وبالبحث تبين لى أن هذه القنطرة أنشئت بعد الجامع أى فى أواخر سنة ٧١٩ هـ ؛ وكانت واقعة على الخليج المصرى ، ومعروفة كما شاهدتها باسم قنطرة الأمير حسين إلى سـنة ١٨٩٧ م التى تم فيها ردم الجزء الأول من الخليج من جهة قنطرة غمره إلى ميدان باب الخلق ، وفى تلك السنة ردمت القنطرة مع الخليج . ومكانها اليوم فى الزاوية البحرية الغربية بميدان باب الخلق تجاه مدخل حارة الأمير حسين .

(٢) هذه الخوخة هى التى ذكرها المقريزى فى خططه باسم خوخة أمير حسين (ص ٤٦ ج ٢) فقال : إن هذه الخوخة من جملة الوزيرية يخرج منها إلى ٱتجاه قنطرة الأمير حسين ، فتحها الأمير شرف الدين حسين ابن أبى بكر ابن إسماعيل بن جندر بك الرومى حين أنشأ الجامع بحكر جوهر النوبى والقنطرة على الخليج الكبير .

وأقول : إن الخوخة باب صغير ضمن بوابة كبيرة من الخشب تكون لدار أو وكالة أو فندق أو غير ذلك من المبانى ، ويفتح هذا الباب الصغير للاستعمال اليومى فى حالة عدم الحاجة إلى فتح البوابة الكبيرة . وأما الخوخة هنا فتطلق على كل باب من الأبواب الصغيرة فى سور المدينة أو على رأس الدروب والأزقة داخل المدينة .

وخوخة الأمير حسين هـذه كانت من الأبواب الصغيرة فى سـور القاهرة الغربى الذى كان مشرفا على الخليج الكبير، وقـد ٱندثر السور والخوخة . وكانت واقعـة على مدخل شارع الاستئناف فى الزاوية البحرية الغربية لسراى محكمة الاستئناف الأهلية بميدان باب الخلق بالقاهرة، ويقع تجاهها مكان قنطرة الأمير حسين وحارة الأمير حسين التى بها جامعه الموجود إلى اليوم . (٣) زيادة عن السلوك .

(٤) الربع بالشوايين ، ذكره المقريزى فى خططه باسم سـوق الشوايين (ص ١٠٠ ج ٢) فقال : إن هذا السوق أوّل سوق وضع بالقاهرة ، وكان يعرف بسوق الشرايحيين الذين يبيعون الشرائح أى أحزمة الخيـول وأدوات السروج ، وهو من باب حارة الروم إلى سـوق الحلاويين ، وما زال يعـرف بسوق الشرايحيين إلى أن سكن فيه عدّة من بائعى الشواء ، وهو اللحم المشوى فى حدود سنة ٧٠٠ هـ فزالت عنـه النسبة إلى الشرايحيين وعرف بالشوايين .

فجهز النشو ذلك كله، وعقد لابنى تنكز على ابنتى السلطان فى بيت الأمير قوصون، لكون قوصون أيضا متزوجا بإحدى بنات السلطان، بحضرة القضاة والأمراء. ثم ولدت بنت الأمير تنكز من السلطان بنتا فسجد شكرا لله بحضرة السلطان، وقال: ياخوند، كنت أتمنى أن يكون المولود بنتا فإنها لو وضعت ذكرا كنت أخشى من تمام السعادة، فإن السلطان قد تصدق علىّ بما غمرنى به من السعادة فخشيت من كمالها.

ثم جهز السلطان الأمير تنكز وأنعم عليه من الخيل والتعابى القماش ما قيمته مائة وعشرون ألف دينار[1]. وأقام تنكز فى هذه المرة بالقاهرة مدة شهرين، فلما وادع[2] السلطان سأله إعفاء الأمير جكن من الخدمة وأشياء غير ذلك فأجابه إلى جميع ما سأله. وكتب له تقليدا بتفويض الحكم فى جميع الممالك الشامية بأسرها، وأن جميع نوابها تكاتبه بأحوالها، وأن تكون مكاتبته: «أعز الله أنصار المقر الشريف»، بعد ما كانت. «أعز الله أنصار الجناب» وأن يزاد فى ألقابه: «الزاهدى العابدى العالمى كافل الإسلام أتابك الجيوش». وأنعم السلطان على مغنية قدمت معه من دمشق من جملة مغانيه بعشرة آلاف درهم، ووصل لها من الدور ثلاث بذلات زركش وثلاثون تعبية قماش وأربع بذلات مقانع وخمسمائة دينار. ثم آخر ما قال السلطان لتنكز: إيش بقى لك حاجة؟ بقى فى نفسك شىء، أقضيه لك قبل سفرك؟ فقبل الأرض وقال: والله ياخوند، ما بقى فى نفسى شىء أطلبه إلا أن أموت فى أيامك، فقال السلطان: لا، إن شاء الله تعيش أنت وأكون أنا فداءك، أو أكون بعدك بقليل، فقبل الأرض وانصرف، وقد حسده سائر الأمراء، [وكثر حديثهم][3] فيما حصل له من الإكرام الزائد، فاتفق ما قال السلطان، فإنه لم يقم بعد موت تنكز إلا مدة قليلة.

(١) فى السلوك: «مائة وخمسون ألف دينار». (٢) يريد: ودعه. (٣) زيادة عن السلوك.

وأما أمر النشو فإنه لم يزل على الظلم والعسف فى الرعية والأقدار تساعده إلى أن قبض عليه السلطان الملك الناصر فى يوم الاثنين ثانى صفر سنة أربعين وسبعمائة، وعلى أخيه مجد الدين رزق الله[1]، وعلى [أخيه][2] المخلص وعلى مقدم الخاص ورفيقه. وسبب ذلك أنه زاد فى الظلم حتى قل الجالب إلى مصر وذهب أكثر أموال التجار لطرح الأصناف عليهم بأغلى الأثمان، وطلب السلطان الزيادة فخاف العجز، فرجع عن ظلم العام إلى الخاص، ورتب مع أصحابه ذلك، وكانت عادته فى كل ليلة أن يجمع إخوته وصهره ومن يثق به فى النظر فيما يحدثه من المظالم، يقترح كل منهم ما يقترحه من المظالم ثم يتفرقون، فرتبوا فى ليلة من الليالى أوراقا تشتمل على فصول يتحصل منها ألف ألف دينار عينا وقرأها على السلطان: منها التقاوى السلطانية المخلدة بالنواحى من الدولة الظاهرية بيبرس والمنصورية قلاوون فى إقطاعات الأمراء والأجناد، وجملتها مائة ألف إردب وستون ألف إردب سوى ما فى بلاد السلطان من التقاوى، ومنها الرزق الأحباسية الموقوفة على المساجد والجوامع والزوايا وغير ذلك، وهى مائة ألف فدان وثلاثون ألف فدان. وقرر مع السلطان أن يأخذ التقاوى المذكورة، وأن يلزم كل متولى إقليم باستخراجها وحملها، وأن يقيم شادا يختاره لكشف الرزق الأحباسية، فما كان منها على موضع عامر [بذكر الله][2] يعطيه نصف ما يحصل ويأخذ من مزارعيه فى النصف الآخر عن كل فدان مائة درهم.

قلت: ولم يصح ذلك للنشو وصح مع أستادار زماننا هذا زين الدين يحيى[3] الأشقر قريب ابن أبى الفرج لما كان ناظر[4] المفرد فى أستادارية قرطوغان فإنه أحدث

(١) فى الأصلين: «وعلى أخيه شرف الدين». وتصحيحه عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى.
(٢) زيادة عن السلوك. (٣) هو القاضى يحيى بن عبد الرزاق الأمير زين الدين الأستادار الشهير بالأشقر وبقريب ابن أبى الفرج. ولد فى أوائل القرن (التاسع) تخمينا بالقاهرة. وولى نظر المفرد وغيره. توفى سنة ٨٧٤هـ (عن الضوء اللامع والمنهل الصافى وتاريخ ابن إياس). (٤) فى الأصل الآخر: «ناظر الدولة».

ومن غريب الاتفاق أنه كان عَمِل طعاما لأخويه : أمير حاجّ وحسين حتى يكون غَدَاءَهما فى السجن، وعُمِل سماط السلطان على العادة فوقعت الضجة، وقد مُدّ السِّماط، فركب السلطان من غير أكل، فلمّا آنهزم وقُبِض عليه، وأقيم بدله أخوه أمير حاجّ مُدّ السِّماط [بعينه له][1] فأكل منه، وأُدْخِل بطعامه وطعام أخيـه أمير حسين إلى الملك الكامل فأكله فى السجن . وآستمـرّ الملك الكامل المذكور فى السجن إلى يوم الأربعاء ثالث جُمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة قُتِل وقت الظهر ودُفِن[2] عند أخيه يوسف ليلة الخميس ، فكانت مدّة سلطنته على مصر سنةً واحدةً وثمانية وخمسين يوما[3]، وقال الصَّفَدى : سنة وسبعة عشر يوما .

وكان من أشرّ الملوك ظلمًا وعسفًا وفسقًا . وفى أيامه — مع قِصر مدّته — خرِبت بلاد كثيرة لشَغَفه باللهو وعُكوفه على معاقرة الخمور ، وسَمْع الأغانى وبيـع الإقطاعات بالبَذْل[4] ، وكذلك الولايات ، حتى إنّ الإقطاع كان يخرج عن صاحبه وهو حىّ بمال لآخر، فإذا وقف من خَرَج إقطاعه قيل له نُعوِّض عليك قد أخرجناه لفلان الفلانى . وكان مع هـذا كله سفّاكا للدماء، ولو طالت يدُه لأتلف خلائق كثيرة، وكان سيئ التدبير، يُمَكِّن النساءَ والطواشيّة من التصرُّف فى المملكة والتهتُّك

(١) تكلة عن السلوك .
(٢) يستفاد مما ذكره آبن إياس فى تاريخ مصر (ص ١٨٦ ج ١) أن الملك الكامل شعبان دفن مع والده فى القبّة التى بشارع المعـز لدين الله (بين القصرين سابقا)، وبما أن والده الملك الناصر محمـد بن قلاوون دفن مع والده السلطان المنصور قلاوون فى القبـة المنصورية بشارع المعز لدين الله فيكون الملك الكامل معهما فى القبة المذكورة مع أخيه يوسف الذى لم يتول السلطنة .
وقد تكلمنا على هذه القبة فى الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(٣) رواية آبن إياس (ج ١ ص ١٨٦) : « فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية سـنة وشهرين ونصفا » .
(٤) فى ف : « بالبدل » بالدال المهملة .

فى التَّنَزُّه والصيد ولعب الكُرَة بالهيئات الجميـلة وركوب الخيول المسوّمة ، مع عدم الاحتشام من غير حجاب من الأمير آخورية والغِلمان، ويُعجبه ذلك من تهتُّكهنّ على الرجال ، فشُغِف لذلك جمـاعةٌ كثيرة من الجند بحُرَمه بما يفعلْنَ من ركوب الخيول وغيرها . وكان حريمُه إذا نزلْنَ إلى نزهة بلغَت الجَرّة الخمر إلى ثلاثين درهما[1]، وهذا كلُّه مع شَرَهِهِ وشَرَهِ حواشيه ونسائه إلى ما فى أيدى النـاس من البساتين والرِّزَق والدواليب ونحوها ، فأخذت أُمُّه معصرة وزير بغـداد ومنظَرَته على بركة الفيل ، وأشياء غير ذلك . وحدَث فى أيامه أخذُ خَرَاج الرِّزَق وزيادة القانون ونقص الأجاير، وأعيدت فى أيامه ضَمانُ أرباب المـلاعيب وعِدّة مُكُوس ، وكان يحب لعب الحَمام، فلما تسلطن تغالَى فى ذلك وقرّب مَنْ يكون من أرباب هذا الشأن ، ومع هذا الظلم والطمع لم يُوجد له من المـال سوى مبلغ ثمانين ألف دينار وخمسمائة ألف درهم، إلا أنه كان مُهابا شُجاعا سَيُوسًا مُتَفَقِّدًا لأحوال مملكته، لا يشغله لهوُه عن الجلوس فى المواكب والحكم بين الناس . ولما أُمسِك وقُتِل قال فيه الصفدى :

بيتُ قـلاوونَ سـعاداتُه * فى عاجل كانت وفى آجِلِ[2] [السريع]
حَلَّ على أملاكه للـرَّدَى * دَيْنٌ قـد آستوفاه بالكامِلِ

+ + +

السنة الأولى من سـلطنة الملك الكامل شعبان على مصر وهى سـنة ستّ وأربعين وسبعمائة، على أن أخاه الملك الصالح إسمـاعيل حكَم منها إلى رابـع

(١) فى ف : « الى ثلاثين ألف درهم » والسياق يأباه .
(٢) كذا فى الأصلين . ورواية المنهل الصافى والسـلوك وآبن إياس وأعيان العصر وأعوان النصر لأبى الصفا صـلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى — نسخة فى سـتة أجزاء مأخوذة بالتصوير الشمسى عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة عاشر أفندى بالآستانة وهى غير كاملة — :
* فى عاجـل كانت بلا آجـل *

طبلخاناه وعلىّ بن قَشْتَمُر المنصورى وسُودُون القُطْلُقْتَمُرى وقُطلُوبُغَا[1] الشعبانى ومحمد المهندس التُّرْكمانى[2] وعلى جماعة بعشرات ، وهم : تنبك الأزرق وأَرْغون الأحمدى وطَيْبُغَا[3] السيفى يلبغا وأرغون الأرغونى وسُودُون الشيخونى ، وهو الذى صار نائب السلطنة فى دولة الملك الظاهر بَرْقُوق كما سيأتى ذكره . وأزدمر العِزى أبو ذقن ويونُس العُمرى ودُرْت بُغا البالسى وقرابُغا الصَّرْغَتَمشى وطاز الحسينى[4] وقرقماس الصرغتمشى[5] وطيبغا العلائى وقُمارى الجمالى .

ثم فى هذه السنة أبطل يلبغا المكوس من مكة والمدينة ورتّب عوض ذلك من بيت المال مائتى ألف وستين ألفا .

ثم فى سنة ثمان وستينَ طلَب السلطان الأمير مَنْكَلى بغا الشمسى نائب الشام إلى الديار المصرية فلما حضره أكرمه وأخلع عليه بنيابة حلب عوضا عن جُرْجى الإدريسى لعجزه عن القيام بمصالح حلب مع التُّركمان ، فامتنع منكلى بغا من نيابة حلب كونه نائب دِمشق ، ثم ينتقل منها إلى نيابة حلب ، فأضيف اليه أربعة آلاف نفر[6] من عسكر دِمشق لتكون منزلته أكبر من منزلة نائب دمشق ؛ فأذعن عند ذلك ولَبِس الخِلْعة وتوجه إلى حلب وتولّى نيابة دِمشق عوضه الأميرُ آقتمر عبد الغنى حاجب الحُجّاب بالديار المصرية وتولّى عوضه حجوبيّة الحُجّاب طَيْبُغا العلائى . وأما جُرجى الإدريسى المعزول عن نيابة حلب فإنه ولى نيابة طرابُلُس بعد عزل منجك اليوسفى عنها .

(١) فى السلوك : « ج ٣ و ٤ ص ٥٠ (أ) » : قطلوبغا » . (٢) فى السلوك المصدر المتقدم « الترجمان » بالجيم . (٣) فى السلوك المصدر المتقدّم : « ككبغا السيفى » . (٤) فى م : « الحسنى » . (٥) فى السلوك المصدر المتقدم : « قرابغا الصرغتمشى » . (٦) فى السلوك المصدر المتقدّم : « أربعة آلاف فارس » .

وفى ثامن عشر شهر ربيع الأوّل من سنة ثمان وستين المذكورة استقرّ أرغون الأزرق الأستادار فى نيابة غَزّة عوضا عن أَلْطَنْبُغا البَشْتكى . وفى الشهر أيضا آستقرّ آقْبُغا الأحمدى المعروف بالجلب لَالَا السلطان الملك الأشرف عوضًا عن أرغون الأحمدى بحكم نَفْيه إلى الشام لأمر اقتضى ذلك ونُفِى معه تَمُرْبُغا العُمَرى .

ثم فى آخر الشهر المذكور أمْسَك الأتابك يَلْبُغا الأميرَ الطواشى سابقَ الدين مِثْقالا الآنوكى مقدّم المماليك[1] السلطانية وضَرَبه داخل القصر بقلعة الجبل ستمائة عصاة ونفاه إلى أسوان[2]، وسببُه ظهور كَذِبه له وولّى مكانه مختار الدَّمَنْهورى المعروف بشاذروان ، وكان مُقدّم الأوْجاقية بباب السِّلسلة[3] ، كلُّ ذلك والعمل فى المراكب مستمرّ إلى أن كَمُلَت عمارة المراكب من الغِرْبان[4] والطَّرائد لحمل الغُزَاة والخيول وكانوا نحو مائة غُراب وطَرِيدة ، عُمِّرت فى أقلّ من سنة مع عدم الأخشاب والأصناف يوم ذاك .

وبينما الناس فى ذلك قُتِل يَلْبُغا العُمَرى بيد مماليكه فى واقعة كانت بينهم؛ وخَبَرُ ذلك أنه لمّا كان فى مستهل شهر ربيع الآخر نَزَل السلطان من قلعة الجبل وعدّى إلى بَرّ الجيزة ليتوجه إلى الصَّيد بالبحيرة بعد أن أَلْزَمَ الأمراءَ أن يجعلوا — فى الشَّوانى التى نَجَزَ عملُها برسم الغُزاة — العُدَدَ والسلاحَ والرجالَ على هيئة القتال

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشيه رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٤) قال ابن مماتى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ فى كتابه قوانين الدواوين فى وصف الأسطول المصرى ما ملخصه : ومنفعة المسلمين به أشهر من أن تذكر، ومن أسماء مراكبه الطريدة والحمالة والشينى الخ الخ . وفسر الطريدة بأنها مركب برسم حمل الخيل وأكثر ما يحمل فيها أربعون فرسا ، كما فسر الشينى وسماه الغراب أيضا بأنه يجدف بمائة وأربعين مجدافا ، وفيه المقاتلة والجذافون . انظر كتاب قوانين الدواوين طبعة الجمعية الزراعية ص ٣٣٩ و ٣٤٠

ثم أخلع على الأمير مَنْجَك اليوسفى باستقراره فى نيابة طَرَسُوس بعد تلك الرُّتب العاليـة من تحكه لمـا ولى الوَزَر[١] [بالديار المصرية[٢]] ونيابة طرابُلُس والشام وقد تقـدّم ذكر ذلك كلّه فى عدة أماكن ، وإنمـا أردنا التعريف به هنا لمـا تقدّم له ولمـا هو آت . وكانت ولاية منجك اليوسفى لنيابة طَرَسُوس عوضا عن قُمارى أمير شِكار بحكم وفاته فى سلخ ذى القعدة .

ثم أنعم السلطان على جماعة بإمرة طبلخاناه وهم : قُطْلُوبُغا البَلْبانىّ وكَمُشْبُغا الحَموى[٣] أحد مماليك الأتابك يَلْبُغا العمرىّ وآقْبُغا[٤] الجوهرى أحد اليَلْبُغاوِية أيضـا وعلى جماعة بإمرة عشرات وهم : سَلْجُوق الرومى وأروس السَّيْفى بشْتاك وسُنْقر السيفى أَرُقْطاى ثم أنعم[٥] السلطان على الأمير ألْجـاى اليُوسفى فى حادى عشرين شهر رجب بإمرة جاندار .

وفى هذه السنة وهى سنة ست وستين وسبعمائة عزَل[٦] قاضى القضاة عزّ الدين[٧] عبد العزيز بن محمد بن جَماعة نفسَه من قضاء الديار المصرية فى سادس عشر جُمادَى الأولى ونزل إليه الأتابك يَلْبُغا بنفسه الى بيته وسأله بعَوْده إلى المَنصب فلم يَقبل ذلك وأشار على يَلْبُغا بتولية نائبه بهاء الدين أبى البقاء السُّبْكىّ[٨] فولى بهاء الدين قضاة الشافعية عِوَضه . ثم استقرّ قاضى القضاة جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود القُونَوِىّ الحنفى قاضى قضاة دمشق بعد موت قاضى القضاة جمال الدين يوسف ابن أحمد الكَفرىّ (بفتح الكاف) .

(١) فى (ف) : «الوزارة» . (٢) التكلة عن (م) . (٣) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٠١ هـ . (٤) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٩٢ هـ . (٥) فى « ف » : «أخلع» .
(٦) فى «ف» : « نزل » . (٧) هو قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٦٧ هـ . (٨) هو قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد ابن قاضى القضاة سديد الدين عبد البر بن صدر الدين يحيى السبكى الأنصارى الشافعى . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٧٧ هـ .

وفى هذه السنة أسلم الصاحب شمس الدين المقسى وكان نَصْرانيا يُباشر فى دواوين الأمراء ، فلما أسلم آستقرّ مستوفى المماليك السلطانية .

وفى سنة سبع وستين وسبعمائة أخذت الفرنج مدينة إسكندرية فى يوم الجمعة ثالث عشرين المحرّم[١]، وخبر ذلك أنه لمـا كان يوم الجمعة المذكور طَرَق الفرنج مدينة الإسكندرية على حين غَفْلة فى سبعين قطعة ومعهم صاحبُ قُبرس وعدّةُ الفرنج تزيد على ثلاثين ألفا وخرجوا من البحر المـالح إلى برّ الإسكندرية فخرج أهلُها إليهم فتقاتلوا فقُتِل من المسلمين نحوُ أربعة آلاف نفس وآقتحمت الفرنج الإسكندرية وأخذوها بالسيف وآستقروا بها أربعة أيام وهم يقتلون وينهبون ويأسرون وجاء الخبر بذلك إلى الأتابَك يَلْبُغا وكان السلطان بسِرْياقوس[٢] ، فقام من وقتـه ورَجَع إلى القلعـة ورَسم للعساكر بالسفر إلى الإسكندرية ، وصلّى السلطان الظُّهر وركب من يومه ومعه الأتابَك يَلْبُغا والعساكر الإسلامية فى الحال وعدّوا النيل وجَدّوا فى السَّير من غير ترتيب ولا تعبيـة حتى وصلوا إلى الطَّـرّانة[٣] والعساكر يتبع بعضُها بعضا ، فلمّا وصل السلطان إلى الطرانة أرسل جاليشا[٤] من الأمراء أمامه فى خِفْية وهم قُطْلُوبُغا المنصورى وكُونْدُك وخليل بن قَوْصون وجماعة من الطبلخانات والعشرات وغيرهم وجَدّوا فى السير ، وبينما هم فى ذلك جاء الخبرُ بأن العدوّ المخذول لمـّا سمعوا بقدوم

(١) عبارة السلوك (ج ٣ ص ٥٤ (ب) : «ورد الخبر فى يوم السبت رابع عشرين المحرم بمنازلة الفرنج مدينة الإسكندرية وأنهم قدموا يوم الأربعاء حادى عشرينه» وهى تختلف عما ورد فى الأصلين .
(٢) تقدم الكلام عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٣) هى بلدة مصرية قديمة ، وهى الآن إحدى قرى مركز كوم حمادة بمديرية البحيرة . وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة وأضيف إلى ما سبق ذكره أنها بلدة زراعية تبلغ مساحة أراضيها ١٨٥٠ فدانا وعدد سكانها حوالى ٥٠٠٠ نفس بما فيه سكان العزب التابعة لها . (٤) الجاليش : مقدمة الجيش والراية العظيمة فى رأسها خصلة من الشعر وانظر حاشية رقم ٣ ص ١٠١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

الجـالى- الهذبانى- وفوزى الشعبانى- وتغرى بردى البَشْبُغاوى- والد كاتبه وبكلاط السعدى- [١] وأرنبغـا [٢] العثمانى- وشكرباى العثمانى- وأَسَنْبغا السيفى- بإمرة عشرة، وكلّ هؤلاء ممـاليك الملك الظاهر برقوق وخاصّكيّته أمّرهم فى هـذه الحركة وكانوا قبل ذلك من جملة الخاصكيّة، ومنهم من هو إلى الآن لم يحضر من التجريدة .

ثم قَدِم البريد على السلطان من قطيا بأنّ الأمير إينـال اليوسفى- أتابك دِمَشق المنعَم عليه بنيابة حلب بعد عصيان الناصرى- والأمير إينال أمير آخور والأمير إياس أمير آخور دخلوا إلى غزّة فى عسكر كثيف من عساكر الناصرى- وقـد صاروا قبل تاريخه من حزب الناصرى- واستولَوْا على مدينـة غزة والرّملة وتمزّقت عساكرها، فعظُم لهذا الخبر جزع الملك الظاهر وتحيّر فى أمره .

ثم فى يومه [٣] آستدعى السلطان القضاة والأمراء والأعيان وبعث الأمير سودون الطُّرنطائى والأمير قَرْقماس الطشتَمُرى- إلى الخليفة المتوكّل على الله بمسكنه فى قلعة الجبل فأحضراه، فلمّـا رآه الملك الظاهر قام له وتلقّاه وأجلسه، وأشار إلى القضاة فحلّفوا كلّا منهما للآخر على الموالاة والمناصحـة، وخلع السلطان على الخليفة المتوكل على الله المذكور خلعة الرضا، وقيد إليـه حِجْرة شهباء من خواصّ خيـل السلطان بسَرْج ذهب وكُنْبوش مُزَرْكش وسلسلة ذهب وأُذن له فى النزول إلى داره، فركب ونزل من القلعة إلى داره فى مَوْكب جليـل، وأُعيدت إقطاعاته ورواتبه وأُخلى له بيت بقلعة الجبل ليسكن فيه .

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥١٠) : « السونجى » .
(٢) رواية السلوك المصدر المتقدم : « وأزدبغا » .
(٣) يريد يوم الأربعاء أوّل جمادى الأولى سنة ٧٩١ هـ .

ثم طلّع الخليفة من يومه ونقل حرمه إلى البيت المذكور بالقلعة، وصار يركب فى بعض الأحيان وينزل إلى داره بالمدينـة ثم يطلع من يومه إلى مسكنه بالقلعـة ويَبيت فيه مع أهله وحرمه، وآستمرّ على ذلك إلى ما سيأتى ذكره .

ثم فى يوم الجمعة ثالث جُمادَى الأولى المذكورة قَدِم الأمير شهاب الدين أحمد ابن بَقَر أمير عرب الشرقيّة، ومعـه هَجّان الأمير جاركس الخليلى-، فحدّث السلطان بتفصيل واقعـة العسكر المصرى مع النـاصرى، وأنه قُتِل الأمير يُونُس الدوادار فى خمسة نفر طالبين الديار المصرية، فعرض لهم الأمير عَنْقاء بن شَطّى أمير آل فضل بالقرب من خَربة اللصوص من طريق دِمَشق، وقبَض على الأمير يُونس الدّوادار ووبّخه لمـا كان فى نفسه منه، ثم قتله وحزّ رأسه وبعث به إلى الناصرى-، فعندما بلغ السلطانَ قتلُ يُونس الدوادار وتحقّقه كادت نفسه تَزْهَق وكان بلغه هذا الخبرُ، غير أنه لم يتحقّقه إلا فى هذا اليوم وبقتل يُونُس الدوادار آستشعر كلّ أحد بذهاب مُلك الملك الظاهر .

ثم أصبح السلطان أمر بالمناداة بمصر والقاهرة بإبطال سائر المكوس من سائر ديار مصر وأعمالها، فقام جميع كُتّاب المكوس من مجالسهم .

ثم فى سادس الشهر [١] ركب الخليفة المتوكّل على الله من القلعة بأمر السلطان الملك الظاهر ونزل إلى القاهرة، ومعه الأمير سُودون الفخرى- الشيخونى- نائب السلطنة وقضـاة القضاة وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلْقينى- وسـائر الحجّاب وداروا فى شوارع القاهرة ورجلٌ أمامهم على فرس يقـرأ ورقة فيها : إنّ السلطان قد أزال المكوس والمظالم وهو يأمر الناس بتقوى الله وطاعته وإنّا قد سألنا العدوّ

(١) يريد شهر جمادى الأولى سنة ٧٩١ هـ .

وسارَ أميرُ المؤمنين بعساكره إلى قَرِيب المصلّى[1] ، ثمّ عاد ونزَل بمكانه .

ثمّ أمَرَ فنودِيَ بذلك أيضاً فى الناحية الشَّرْقية منْ دِمَشْق ، وعند سَماع هذه المُناداة انحَلّت أهلُ دِمَشْق عنِ الملكِ الناصر ، وخافوا عاقبة مُخالفةِ أمير المؤمنين فى الدنيا والآخرة .

ثمّ كَتَبَ أميرُ المؤمنين إلى أُمراء مِصر باجتماع الكلِمة على طاعته ، وأنّه خَلَع الملكَ الناصر منَ المُلك وتَسَلْطَن عِوَضه ، وأنّه أبطل المُكُوسَ والمظالم منْ سائر أعمالِه ، وبعث بذلك على يَدِ الأمير كُزُل العجمى .

ثمّ مات الأميرُ سُكب الدّوادار الثانى من سَهْمٍ أصابه ، وكان مِمَّن خامر على للملكِ الناصر وأتَى الأمراء فى واقعة اللجّون .

ثمّ خَلَع أميرُ المؤمنين عَلَى القاضى شهاب الدين أحمد الباعونىّ ، واستَقَرَّ به قاضىَ قُضاة الشّافعية بالدّيار المصرية عِوَضاً عنْ قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البُلْقِينىّ ؛ بحكم تَخَلُّفِهِ بمدينة دِمَشْق عند الملكِ الناصر فرج ، هذا كُلُّه والقِتالُ عَمّالٌ فى كل يوم ، والجراحات فاشيةٌ فى عَسْكر الأمراء منْ عِظَمِ الرّمى عليهم من أسْوَارِ المدينة منَ الناصريّة .

وماتَ الأميرُ يَشْبُك [بن عبد الله] العثمانىّ [الظاهرى][2] أيضاً خارج دِمَشْق منْ سَهْمٍ أصابه فى يوم الجمعة أوّل صفر ، وصَلَّى عليه الأميرُ شيخٌ المحمودىّ .

وأمّا الملكُ الناصر، فهو مع هذا كلّه يفرّق الأموال، ويَسْتَدْعى المُقاتِلة ويستحِثّهم على نُصْرَته .

وخلَع على فخرِ الدين ماجد بن المزوّق ناظرِ الإسطبل باستِقْراره فى كتابة سِرّ مِصر عِوَضاً عنْ فَتْح الله .

(١) المصلى : أى جامع المصلى ، ويقع قبلى دمشق من خارج محلة ميدان الحصا ، أنشأه العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب فى شهور سنة ٦٠٦ هـ . (ابن شداد — الأعلاق الخطيرة ٨٦ ، ٨٧ ط المعهد الفرنسى للدراسات العربية بدمشق) .

(٢) له ترجمة فى المنهل الصافى للمؤلف (م ٣ : ٤٢٣) والإضافة عنه .

ثم ولّى الوزيرَ سعدَ الدين إبراهيم بن البَشِيرىّ نَظر الخاصّ عِوَضاً عن بدر الدين حسن بن نصرالله الفُوِّىّ ، وبينما هو فى ذلك وصلت إلى الملكِ الناصر أُمراء التُّرْكُمان : قَرَايُلُك وغيره من نُوّاب القِلاَع بسبب النَّجْدَة ، فنُودِيَ بعسكر أمير المؤمنين باستعداد العَوَام لقِتال المذكورين ، فإنّهم مُقَدِّمَةُ تَمُرْ لَنْك وجالِيشُه .

واجتمع الأُمراء والمماليك ، وحَلَفوا بأجمعِهم يميناً مُغَلَّظاً لأمير المؤمنين بأنّهم يَلْزَمون طاعتَه ، ويأتمرون بأمرِه ، وأنّهم رضوا بأنّه الحاكم عليهم ، وأنّه يَسْتَبِدُّ بالأمور منْ غير مراجعةِ أحد ، وأنهم لا يُسَلْطِنُون أحداً غيره طول حياته .

ثمّ قَبَّل الجميعُ الأرضَ بين يديه ، وصار الجميع طَوْعاً لأميرِ المؤمنين المستعين بالله ، فمشى بذلك حالُهم على قتال الملكِ الناصر ، ولولا الخليفة ما انْتَظَم لهم أمرٌ ؛ لعظم مَيْلِ التُّرْكُمان والعامّة للمَلكِ الناصر .

ثمّ توجّه فتحُ الله للأمير نَوْرُوز بدار الطُّعْم — حَيْث هو نازلٌ — فحلّفَهُ على ذلك ، وقبّل الأرض لأميرِ المؤمنين ، وأظْهر من الفَرَحِ والسرور مالاَ مَزِيدَ عليه باستِبدَادِ الخليفة بالأمْر ، وقال : حينئذ استقامَ الأمرُ ، وسأل نَوْرُوز فتحَ الله المذكور أنْ يُقبِّل الأرض بين يدَى أميرِ المؤمنين نيابةً عنه ، وسأله فى أنْ ينفرِد بالتّدْبير ولا يُشاركُهُ فيه الأميرُ شَيْخ ، ولا هو ولا غيرُه ، يريدُ بذلك كَفَّ الأميرِ شَيْخ عنِ التَّحَكُّم .

هذا والقِتالُ عَمّال فى كلّ يوم ، وقراءةُ المَحْضَر الذى أثبتوه على الملكِ النّاصر على الشّامِيِّين، وفيه قَوَادِحُ فى الدين تُوجبُ إراقةَ دمِه ، وشَهِد فى المَحْضَر نحو خمسمائة نَفْس، وثبَت ذلك على قاضى القضاة ناصر الدين بنِ العَدِيم الحنفىّ ، وحَكَمَ بإراقة دمِه .

ثمّ بلَغ شيْخاً أنَّ الملكَ الناصرَ عزَم على إحْراق ناحِية قصر حجّاج[1] حتى يصيرَ

(١) قصر حجاج . ويقع بظاهر دمشق عند باب الجابية ، وهو محلة كبيرة ينسب إلى حجاج بن عبد الملك ابن مروان (ياقوت — معجم البلدان ٤ : ١١٠) .

القلوب لا يستطيع أخِصّاؤه النظر إلى وجهه إلا بعد أن يتلطّف بهم ويباسِطهم حتى يَسكُن رَوْعهم منه .

ثم فى أوّل شهر ربيع الآخر وقعَ الشروع فى بناء مَنْظَرَةِ الخمس وجوه[1] بجوار التاج[2] الخَراب خارج القاهرة بالقرب من كوم الرِّيش[3] ليُنشئ السلطانُ حَوْله بُستاناً جليلًا ودُوراً ، ويجعل ذلك عوضاً عن قُصُور سِرْياقُوس ، ويسرح إليها كما كانت الملوك تسرح إلى سرياقوس منذ أنشأها الملك الناصر محمد بن قَلَاوُون .

ثم فى ثالث عشر شهر ربيع الآخر المذكور ابتدأ بالسّلطان ألمٌ تجدّد عليه من حَبْسَة الإراقة[4] ، مع ما يعتريه من ألم رجله ، واشتدّ به وتَزَايَدَ ألمُ رجله .

فلما كان يوم الأربعاء رابع عشرين الشّهر المذكور نادى السلطانُ بإبطال مَكْس الفاكهة البلدية والجلوبة ، وهو فى كل سنةٍ نحو ستة آلاف دينار سوَى ما يأخذه الكتبة والأعوان ، فبطل ونُقِشَ ذلك على باب الجامع المؤيدى .

ثم فى يوم الخميس ثانى جادى الأولى ابتدأ بالمقام الصارمى إبراهيم ابن السلطان الملك المؤيد مرضُ موته ، ولَزِم الفراش بالقلعة إلى يوم الثلاثاء رابع عشره ركبَ من القلعة فى مَحَفّةٍ لعجزه عن ركوب الفَرَس ونزل إلى بيت القاضى زين الدين عبد الباسط ابن خليل ناظر الخزانة ببولاق ، وأقام به ، ثم ركب من الغد فى النِّيل وعدّى إلى الخَرُّوبيّة بِبَرِّ الجيزة ، وأقام بها وقد تزايد مرضُه .

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «بناء منظرة الخمس وجوه» وهذه المنظرة أنشأها الأفضل بن أمير الجيوش ، وكان لها فرش معد ، وينزل إليها الخلفاء للتنزه ، وكان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التى تنقل الماء لسقى البستان العظيم ، والعامة تقول التاج والسبع وجوه ، ومكانها حاليا أرض مهمشة ، وانظر (الحاشية ٣ ص ١١٤ ج ١٠ من هذا الكتاب) .

(٢) التاج : منظرة التاج كانت قصرا من قصور الخلفاء ، وكان بحرى القاهرة وبحرى الخليج ، بناه الأفضل بن أمير الجيوش ، ومحله بعض نواحى منية السيرج ، وانظر (على مبارك — الخطط ٢ : ٤) .

(٣) كوم الريش : بلدة فيما بين أرض البعل ومنية السيرج ، كانت على النيل يمر بها من غربيها بعد مروره بغربى أرض البعل ، وكان من أجل متنزهات القاهرة ، وفى سنة ٨٠٦ هـ دثرت عمارته وصارت بلاقع (على مبارك — الخطط ١٥ : ١٣) .

(٤) حبس الإراقة : يراد بالإراقة البول ، وحبسه أصابته باحتباس البول .

وأما السلطان فإنه ركِب من القلعة فى يوم ثانى عشر جمادى الأولى المذكور وتوجّه إلى منظرة الخمس وجوه وشاهدَ ماعُمِل هناك ، ورتب ما اقتضاهُ نظرُهُ من ترتيب البناء ، وعاد إلى بيت صلاح الدين خليل بن الكُوَيْز ناظرِ الدِّيوان المُفْرَد المُطِلّ على بِرْكة الرَّطْلى ، فأقام فيه نهاره وعادَ من آخره إلى القلعة .

ثم فى يوم السبت خامس عشرينه خَلَعَ السلطانُ على الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان البُساطىّ المالكى شيخ الخانقاه الناصرية فرج باستقرارِهِ قاضى قُضاة المالكية بعد وفاة القاضى جمال الدين عبد الله بن مِقْداد الأقْفَهْسى .

ثم فى يوم الأربعاء تاسع عشرينه نزَلَ السلطانُ من القلعة وتوجّه إلى الميدان الكبير الناصرى بمُرْدَة الجِبْس ، وكان قد خَرِبَ وأُهمِل أمرُه منذ أبطل الملكُ الظاهرُ بَرْقُوق الرُّكُوبَ إليه ، ولَعِبِ الكُرَة فيه ، وتشعثت قصورُه وجُدْرانه ، وصار مَنْزِلا لرَكْب الحاج من المغاربة ، فرسم السلطانُ فى أوّل هذا الشهر للصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله بعمارته ، فلما انتهى نزلَ السلطانُ إليه فى هذا اليوم وشاهدَ ماعمّر به فأعجبه ، ومضى منه إلى بيت ابن البَارِزِىّ ببُولاق وقد تحوّل المقامُ الصارمى إبراهيم من الخَرُّوبية[1] إلى قاعة الحِجَازية[2] فزارَه السلطانُ غيرَ مرّة بالحِجَازية ، وأنزل بالحريم السلطانىّ إلى بيت ابن البارزىّ فأقاموا عنده .

فلما كان يوم الجمعة أوّل جمادى الآخرة صَلّى السلطانُ صلاة الجمعة بالجامع الذى جَدّده ابنُ البارزِى تجاه بيته ، وكان هذا الجامع يعرف قديماً بجامع

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «تحول المقام الصارمى من الخروبية» .

(٢) الحجازية : كانت قاعة تقابلها قاعة أخرى تسمى البراجية وهما على الشاطىء الشرق للنيل تجاه بولاق .

مصر عوضاً عن أَزْدَمُر شَايَا المقدّم ذكرُه لعجزه عن القِيَام بقتال التُرْكمَان ، وأُعيد أَزْدَمُر شايا إلى إقطاعه بحَلَب كما كان أوّلا .

ثم فى يوم الاثنين سلخ ذى القعدة خلعَ السلطانُ علَى بهاء الدين محمد ابن القاضى نجم الدين عمر بن حجى باستقراره قاضى قضاة دمشق عوضاً عن والده بحكم وفاته ، وولى بهاء الدين هذا القضاء قبل أن يستكمل عذاره .

ثم فى سابع عشرين ذى الحجة قَدِمَ مُبَشِّرُ الحاج وأخبرَ بسلامة الحَاجّ ورخاء الأسْعَار بمكة ، وأنه قُرِئ مَرْسوم السلطان بمكة المشرّفة فى الملأ بمنع الباعة من بَسْطِ البَضائع أيام المَوْسِم فى المسجد الحَرَام ، ومن ضَرْب الناس الخيامَ بالمسجد المذكور ، ومن تَحْوِيل المِنْبَر فى يوم الجمعة والعيدين من مكانه إلى جانب الكعبة حتى يُسْنَد إليها ، فأمر أنْ يُتْرَك مكانه مسامتا لمقام إبراهيم الخليل عليه السلام ، ويَخطب الخطيب عليه هُنَاك ، وأن تُسَدَّ أبوابُ المسجد بعد انقضاء المَوْسم إلا أربعة أبواب من كل جهة باب واحد ، وأن تُسَدَّ الأبوابُ الشارعة من البيوت إلى سَطْح المَسْجد ، فامْتُثِلَ جميعُ ذلك .

قال المقريزى : وأشبه هذا قولُ عبد الله بن عمر رضى الله عنه وقد سأله رجلٌ عن دَمِ البراغيث فقال : عجباً لكُم يا أهل العراق تقتلون الحسين بن على وتسألون عن دَمِ البرَاغيث ! ! وذلك أن مكة استقرّت دار مَكْس حتى إنه يوم عرفة قامَ المشاعِلِىُّ — والناس بذلك الموقف العظيم يسألون الله مغفرةَ ذنوبهم — فنادى معاشر الناس كافة ، من اشترى بضاعةً وسافر بها إلى غير القاهرة حَلّ دَمُه ومالُه للسلطان ، فأَخذ التجار القادمون من الأقطار حتى صاروا مع الركب المصرى على ما جرَت به هذه العادَة المستجدة منذ سنين لتؤخذ منهم مُكُوس بضَائِعِهم ، ثم إذا سارُوا من القاهرة إلى بلادهم من البَصْرَة والكُوفَةِ والعِرَاق أخذ منهم المَكْس ببلاد الشّام وغيرها ، فهذا لا ينكر وتلك الأمُور بعثنا بإنكارها — انتهى كلام المقريزى .

قلت : أنا لا أتابعه على ما أعاب ، وأبْلَقُ خيرٌ مِن أسود ، وكونه رسم بردّ التجار

إلى الدِّيار المصرية لتؤخذ منهم المُكُوس لا يلزم أنه لا يفعل معروفاً آخر ، وأما جميع ما أبطله ورَسم بمنعه ففيه غاية الصلاح والتعظيم للبيت العتيق ، أما منع الباعة بالحرم فكان من أكبر [المصالح و][1] المعروف ، فإنه كان يقوم الشخص فى طوافه وعبادته وأُذُنُه مَلْأَى من صياح الباعة والغوغاء من كثرة ازْدِحام الشُّرَاة ، وأما نصب الخيام فكان من أكبر القبائح ، ولعل الله تعالى يغفر للملك الأشرف جميع ذنوبه بإبطال ذلك من الحرم الشريف ، فإنه قيل إن بعض الناس كان إذا نصب خيامه بالمسجد الحرام نصب به أيضاً بيت الراحة وحفر له حفرة بالحَرَم ، وفى هذا كفاية ، وأما تحويل المنبر فإنه قيل للسلطان إن المنبر فى غاية ما يكون من الثقل ، وأنه كلما أُلْصِق بالبيت الشريف انزعج منه وتصدّع ، فمنع بسبب ذلك ، وقد صار الآن يحول إلى القُرْب من البيت ، غير أنه لا يُلْصَق به ، فحصلت المصلحةُ من الجهتين ، وأما غَلْقُ أبواب المسجد فى غير أيّام المَوْسم إلا أربعة فيعرِفُ فائدةَ ذلك من جاوره بمكة ، ويطول الشرحُ فى ذكر ما يتأتى من ذلك من المفاسد ، وإن كان فيه بعضُ مصلحة لسكان مكة — انتهى .

ثم فى رابع عشرين ذى الحجة قُبِضَ بالمدينة على أميرها الشريف خَشْرَم بن دوغان ابن جعفر بن هبة الله بن جَمَّاز بن منصور بن جَمّاز ، فإنه لم يَقُم بالمبلغ الذى وَعَدَ به ، واستقرّ عوضه فى إمرة المدينة الشريفة مانع بن على بن عطية بن منصور بن جَمّاز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنّا بن داود بن قاسم بن عبد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن على بن أبى طالب [كرم الله وجهه][2] .

ثم فى يوم الجمعة ثالث المحرم سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة قَدِمَ المحمل من جزيرة قُبْرُس ومبلغه خمسون ألف دينار مُشَخَّصة ، فرسَمَ السلطانُ بضَرْبها دنانير أشرفيّة ، فضُرِبَت بقلعة الجَبَل والسلطان ينظر إليها إلى أن تَمّت .

ثم فى يوم السبت حادىَ عشر المُحَرّم المذكور ركب السلطانُ من قلعة الجبل بغير

(١ ، ٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٢٥) .

التى يشترونها من بندر جدّة إلى القاهرة ، فوقع الاتفاق على أن يؤخذ منهم بمكّة عن كل حمل — قلّ ثمنه أو كثر — ثلاثة دنانير ونصف ، وأن يعفَوا عن حمل ما يقبضونه من جدّة إلى مصر ، فإذا حملوا ذلك إلى دمشق أخذ منهم مكسها هناك على ما جرت به العادة ، وتم ذلك .

قال المقريزى : وفى هذا الشهر — يعنى عن جمادى الأولى من سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة — كانت الفتنة الكبيرة بمدينة تعز[1] من اليمن ؛ وذلك أن الملك الأشرف إسماعيل ابن الملك الأفضل عباس ابن المجاهد على ابن المؤيد داود ابن المظفر يوسف ابن المنصور عمر بن على بن رسول [صاحب اليمن][2] لما مات قام من بعده ابنه [[3] الملك الناصر أحمد ابن الأشرف إسماعيل ، وقام بعد الناصر أحمد ابنه[3]] الملك المنصور عبد الله فى جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة ، ومات فى جمادى الآخرة سنة ثلاثين وثمانمائة ، فأقيم بعده أخوه الملك الأشرف إسماعيل بن أحمد الناصر فتغيرت عليه نيّات الجند كافة من أجل وزيره شرف الدين إسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر العلوى ، فإنه أخّر صرف جوامكهم ومرتّباتهم ، فتغيرت منه القلوب ، وكثرت حسّاده لاستبداده على السلطان وانفراده بالتصرّف دونهم ، وكان يليه فى الرتبة الأمير شمس الدين على بن الحسام ثم القاضى نور الدين على المحالبى مشدّ الاستيفاء[4] ، فلما اشتدّ الأمر على العسكر وكثرت إهانة الوزير لهم وإطراحه جانبهم ضاقت عليهم الأحوال حتى كادوا أن يموتوا جزعاً ، فاتفق تجهيز خزانة من عدن وبرز الأمر بتوجّه طائفة من العبيد والأتراك إليها لتلقّيها ، فسألوا أن ينفق فيهم أربعة دراهم

---

(١) تعز : القاعدة الثانية لبلاد اليمن وانظر (الحاشية ١ ص٢٦ ج ١٣ من هذا الكتاب) و(القلقشندى صبح الأعشى ٥ : ٨) .

(٣،٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٢٨) .

(٤) مشد الاستيفاء : المشد بمعنى المفتش ، والمستوفى من أعمال كتاب الأموال بالدواوين ، وعليه ضبط الديوان التابع له « الدكتور زيادة - السلوك للمقريزى ج ١ ص ١٠٥ حاشية ٢ ، ج ٢ ص١٩٢ حاشية ٢) .

لكل [واحد][1] منهم يرتفق بها ، فامتنع الوزير ابن العلوى من ذلك ، وقال : ليمضوا غصباً إن كان لهم غرض فى الخدمة ، وحين وصول الخزانة يكون خيرا وإلا فسح الله لهم فما للدهر بهم حاجة ، والسلطان غنىّ عنهم ، فهيّج هذا القول خفاء بواطنهم ، وتحالف العبيد والترك على الفتك بالوزير ، وإثارة فتنة ، فبلغ الخبر السلطان فأعلم به الوزير ، فقال : ما يسوَوا شيئاً ، بل نشنق كلّ عشرة فى موضع ، وهم أعجز من ذلك .

فلما كان يوم الخميس تاسع جمادى الأولى هذه قبيل المغرب هجم جماعة من العبيد والترك دار العدل بتعز ، وافترقوا أربع فرق : فرقة دخلت من باب الدار ، وفرقة دخلت من باب السر ، وفرقة وقفت تحت الدار ، وفرقة أخذت بجانب آخر ، فخرج إليهم الأمير سنقر أمير جاندار فهبروه بالسيوف حتى هلك وقتلوا معه عليا المحالبى مشدّ الدواوين وعدّة رجال ، ثم طلعوا إلى الأشرف وقد اختفى بين نسائه وتزيّا بزيّهن فأخذوه ، ومضوا إلى الوزير العلوى فقال لهم : مالكم فى قتلى فائدة ، أنا أنفق على العسكر نفقة شهرين ، فمضوا إلى الأمير شمس الدين على بن الحسام فقبضوا عليه وقد اختفى ، وسجنوا الأشرف فى طبقة المماليك ووكلوا به ، وسجنوا ابن العلوى الوزير وابن الحسام قريبا من الأشرف ووكلوا بهما ، وقد قيدوا الجميع ، وصار كبير هذه الفتنة برقوق من جماعة الأتراك ، فصعد هو وجماعة ليخرج الملك الظاهر يحيى ابن الأشرف إسماعيل بن عباس من تعبات[2] ، فامتنع أمير البلد من الفتح ليلاً ، وبعث الظاهر إلى برقوق أن يمهل إلى الصبح ، فنزل برقوق ونادى فى البلد بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء ، وأن السلطان هو الملك الظاهر يحيى بن الأشرف ، هذا وقد نهب العسكر عند دخولهم دار العدل جميع ما فى دار السلطنة ، وأفحشوا فى نهبهم ؛ فسلبوا الحريم ما عليهن ، وانتهكوا منهن ما حرّم الله ، ولم يدع فى الدار ما قيمته الدرهم الفرد[3] .

---

(١) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٢٩) .

(٢) تعبات : موضع بالقرب من تعز (يحيى بن الحسين – غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ١ : ٣٠١ هامش الدكتور محمد سعيد عاشور) .

(٣) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٣٠ « الواحد » .

السنة الثالثة من سلطنة الملك الأشرف

برسباى [على مصر] (١)

وهى سنة سبع وعشرين وثمانمائة :

[فيها](٢) خرج الأمير تَنْبَك البَجَاسى عن الطاعة وهو على نيابة دمشق ، وقاتله سودون من عبد الرحمن وظفر به وقطع رأسه وبعث به إلى الديار المصرية ، وقد تقدم ذكر ذلك كله فى أصل ترجمة [الملك](٣) الأشرف ، ويأتى ذكر تَنْبَك البَجَاسى فى وفيات هذه السنة .

وفيها قبض الملك الأشرف على الأتابك بَيْبُغَا المظفرى وحبسه بالإسكندرية ، وقد تقدم أيضاً .

وفيها مات قتيلا الأمير تنبك بن عبد الله البَجَاسى نائب الشام ، بعد خروجه عن الطاعة فى أول شهر ربيع الأول ؛ وهو أحد من ترقى فى الدولة الناصرية [فرج](٤) ثم ولاه [الملك](٥) المؤيد شيخ نيابة حماه ، فخرج عن طاعته مع الأمير قانى باى العلائى نائب الشام والأمير إينال الصصلانى نائب حلب وغيرهما من النواب ، ودام معهما إلى أن انكسرا وقبض عليهما ففر تنبك هذا مع من فر من الأمراء إلى قرا يوسف ببلاد الشرق ، فقام عنده هو والأمير سُودون من عبد الرحمن والأمير طَرَباى إلى أن قدموا على الأمير طَطَر بالبلاد الشامية فى دولة [الملك](٦) المظفر أحمد ، ثم لما تسلطن طَطَر ولاه نيابة حماه ثانياً ، ثم نقله [الملك](٧) الأشرف إلى نيابة حلب بعد تغرى بَرْدى أخى قَصْرُوه ، وتولى بعده نيابة حماه [أغاته جَارْقُطْلُو . والعجيب أن جَارْقُطْلُو المذكور كان أغاةَ تَنْبَك البَجَاسى ، وولى بعده نيابة حماه](٨) مرتين :

من (١) إلى (٨) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

الأولى فى الدولة المؤيدية والثانية فى دولة طَطَر ، ثم نقل تَنْبَك البَجَاسى إلى نيابة الشام بعد موت الأمير تنبك مِيق فلم تطل مدته بها وخرج عن الطاعة ؛ وتولى سُودون مِن عبد الرحمن نيابة الشام عِوضَه وقاتله حسبما تقدم ذكره حتى ظفر به وقتله ، وكان تَنْبَك شاباً جميلا شجاعاً مقداماً ، وهو أستاذ [جميع](١) البَجَاسِيَّة أمراء زماننا هذا بمصر والشام .

وتوفى الإمام العلامة شرف الدين يعقوب بن جلال الدين رسولا بن أحمد ابن يوسف التُّبَّانى(٢) الحنفى شيخ شيوخ خانقاه شيخون ، فى يوم الأربعاء سادس عشر صفر ؛ وكان فقيهاً بارعا فى العربية والأصول وعلمى المعانى والبيان والعقليات ، واختص [بالملك](٣) المؤيد شيخ اختصاصاً كبيراً ، وتولى نظر الكسوة ووكالة بيت المال ومشيخة خانقاه شيخون ، وأفتى ودرّس واشتغل وصنّف عدة سنين ، وكان معدوداً من علماء الحنفية .

وتوفى الوزيرُ تاج الدين عبد الرزاق بن شمس الدين بن عبدالله المعروف بابن كاتب المناخ فى يوم الجمعة حادى عشرين جمادى الأولى وهو غير وزير ، وابنه الصاحب كريم الدين [عبد الكريم](٤) قد ولى الوَزَر فى حياته ؛ وكان جد أبيه باشرَ دين النصرانية ثم حسن إسلام آبائه ، وكان مشكور السيرة فى ولايته للوزارة لكنه استجد فى أيام ولايته مكس الفاكهة(٥) ، ثم عزل بعد مدة يسيرة وصار ذلك

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) التبانى نسبة إلى بلدة تُبَّان ، ويقال لها تُوبَن كذلك ، وهى من قرى ماوراء النهر من نواحى نَسَف (ياقوت : معجم البلدان حـ٢ ص ٣٥٨) .
(٣) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) مكس الفاكهة : ضريبة تؤخذ من تجار الفاكهة . والمكوس فى مصطلح مؤرخى مصر الإسلامية : كل ما تحصل من الأموال لديوان السلطان أو لأصحاب الإقطاعات أولموظفى الدولة خارجا عن الخراج الشرعى ، وتسمى هذه المكوس كذلك : المال الهلالى ، تمييزا لها عن المال الخراجى الذى يجبى مسانهة ، أما المال الهلالى فهو طارئ ويتأدى مشاهرة كأجر الأملاك المسقفة . يقول المقريزى : « وأول من أحدث بمصر مالا سوى مال الخراج هو أحمد بن محمد بن مدبر ، لما ولى خراج مصر بعد سنة خمسين ومائتين ؛ فإنه كان من دهاة الناس وشياطين الكتاب ، فابتدع فى مصر بدعا صارت مستمرة من بعده لاتنقض ، فأحاط بالنطرون وحجّر عليه ، بعد ما كان مباحا لجميع الناس ، وقرر على الكلأ الذى ترعاه

سِيَرُ أعْلامِ النُّبَلاءِ

تصنيف

الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

المتوفى
٧٤٨هـ - ١٣٧٤م

حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه

شعيب الأرنؤوط و حسين الأسد

مؤسسة الرسالة

البَلد ، فجاءت امرأةٌ ، فقالت : هو زَوْجي ولي منه طِفْل ، فَسلم الذَّهب إليها ، وقَتَله .

قال التَّنوخي : وبَلغني أنَّه قام ليلةً ، فرأى المماليك المُرْد ، واحدٌ منهم فوق آخر ، ثم دبَّ على ثلاثةٍ ، واندَسَّ بين الغِلْمان ، فجاءَ ، فَوَضع يدَه على صَدْره ، فإذا بفؤاده يخفِق ، فَرَفَسه برِجْله ، فَجَلس ، فَذَبَحه .

وأنَّ خادِماً أتاه ، فأخبَرَه أنَّ صَيَّاداً أخرج شبكتَه ، فَثقُلت ، فَجذَبها ، فإذا فيها جِراب ، فَظَنَّه مالاً ، فإذا فيه آجُرٌّ بينه كَفٌّ مَخْضُوبة ، فَهالَ ذاك المعْتَضِدَ ، وأمرَ الصَّيَّاد ، فعاود طَرْح الشَّبكة ، فَخَرَجَ جِرابٌ آخرُ فيه رِجْل ، فقال : معي في بلدي من يَفْعل هذا ؟ ما هذا بمُلك ! . فلم يفطِرْ يومَه ، ثم أَحْضَرَ ثِقَةً له ، وأعطاهُ الجِراب ، وقال : طُفْ بِهِ على من يعمل الجُرُب : لِمَنْ باعَه ؟ فَغاب الرَّجُل ، وجاءَ وَقَد عَرَف بائِعَه ، وأنَّه اشترى منه عَطَّارٌ جِرَاباً ، فذَهَبَ إليه ، فقال : نعم ، اشترى مني فلانٌ الهَاشِمِي عشرة جُرب ، وهو ظالم .... إلى أنْ قَال : يكفيكَ أنَّه كان يَعْشَق مُغَنِّيَةً ، فاكتَرَاها من مَوْلاها ، وادَّعى أنَّها هَرَبت ! فلما سَمِع المعْتَضِد ذلك سَجَدَ ، وأحْضَرَ الهاشميَّ ، فأخْرَجَ له اليَد والرِّجْلَ ، فاصفَرَّ واعترفَ ، فَدَفَعَ إلى صاحِبِ الجارِيَة ثمنها ، وَسَجَنَ الهاشمي ، فيقالُ : قَتَلَه .

ورَوى التَّنُوخي ، عن أبيه ، قال : رأيتُ المعْتَضِد ، وكانَ صَبِيّاً ، عليه قُباء أصْفَرُ ، وقد خَرَجَ إلى قِتالِ وَصِيْف بِطَرَسُوس .

وعن خفيف السَّمَرْقَنْدي ، قال : خرجتُ مع المعْتَضِد للصَّيْد ، وانقطَعَ عنه العَسْكر فَخَرَجَ علينا الأسَد ، فقال : يا خَفيف ! أمسِك فرسي . ونَزَلَ ، فَتَحزَّم ، وسَلَّ سَيْفَه ، وقَصَدَ الأسَدَ ، فَقَصَده الأسدُ ، فتَلَقاه ، المعتضدُ ، فَقَطَعَ يَدَه ، فتشاغَل بها الأسد ، فضربه فَلَقَ هامَتَه ، ومَسَحَ سيفَه في

صُوْفه ، وركِبَ ، وصحِبْتُه إلى أن ماتَ ، فما سمعتُه يَذكُرُ الأسد ، لقلَّة احتفاله به(١) .

قلت : وكان في المعْتَضِد حِرْصٌ ، وجَمْعٌ للمال . حارَبَ الزَّنْج ، وله مواقفُ مشهودة ، وفي دولته سكَنَتِ الفِتَن ، وكان فَتَاه بدر على شَرطته ، وعُبَيْد الله بن سُليمان على وِزارَته ، ومحمد بن شَاه على حَرَسه ، وأسقط المَكْس(٢) ، ونَشَرَ العَدْلَ ، وقَلَّلَ من الظُّلم ، وكان يُسَمَّى السَّفَّاح الثَّاني ، أحْيَا رَمِيْمَ الخِلافة التي ضَعُفَتْ مِن مَقْتَلِ المتوكِّل ، وأنشأ قَصْراً غرِمَ عليه أربع مئة ألف دِينار ، وكان مِزَاجه قد تَغَيَّر من فَرْط الجِمَاع وعَدَم الحمية ، حتى إنَّه أَكَلَ في مَرَضِه زَيْتوناً وسَمَكاً .

ونقل المسعودي(٣) أنَّهم شَكُّوا في مَوْته ، فَتَقَدَّمَ الطَّبيب ، فَجَسَّ نَبْضه ، فَفَتَحَ عَيْنَيْه ، فَرَفَس الطَّبيب دحرجَه أذرعاً ، فماتَ الطَّبيب ، ثم ماتَ المعْتَضِد من ساعتِه . كذا قالَ .

وقال الخُطَبي في « تاريخه » : حَبَس الموفَّق ابنَه أبا العبَّاس ، فلما اشتَدَّت عِلَّةُ الموفَّق ، عَمَد غِلْمان أبي العبَّاس ، فأخرجوه ، وأدخلوه إلى أبيه ، فلمَّا رآه ، أيْقَن بالموت ، فقيل : إنَّه قال : لهذا اليوم خَبَّأتُك . ثم فَوَّض إليه ، وضمَّ الجيشَ إليه ، وخَلَعَ عليه قبل موته بثلاث .

قال : وكانَ أبو العبَّاس شهْماً ، جلداً ، رجلاً بازلاً ، موصوفاً بالرُّجْلَة والجَزَالة ، قَدْ لَقِي الحروب ، وعُرِف فَضْله ، فقام بالأمرِ أحسنَ قِيام ، وهابَه

(١) انظر : المنتظم : ٥/١٢٩ .
(٢) المكس : الجباية .
(٣) ٢/٤٩٠ .

طبقات الشافعية الكبرى

لشيخ الاسلام علم الاعلام حجة الحفاظ والمفسرين
سيف النظار والمتكلمين ناصر السنة مؤيد الملة
تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب
ابن تقى الدين السبكى
رضى الله عنه
ونفعنا به

الطبعة الثانية

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف ٢٣٦٧٦٩ — ٢٤٦١٦١
ص.ب ٥٧٦٩
بيروت — لبنان

قد ساءت والمكوس التي رفعها نور الدين قد اعتدت فاعاد صلاح الدين الحق الى
نصابه وصارت دمشق مثل مصر وكلاهما في مملكته ثم خرج الى حمص فنازلها
ونصب المجانيق على قلعتها ولم يملكها ورحل عنها الى حماة فملكها في جمادى الآخرة
ثم سار الى حلب وحاصرها الى آخر الشهر وبها الصالح اسماعيل ولد نور الدين
واشتد بها الحصار وهذه هي الفعلة التي نقمت على صلاح الدين فالله أعلم بنيته وانه
أساء العشرة في حق الصالح ابن نور الدين بحيث استعان الصالح عليه بالباطنية ووعدهم
بالاموال فقتلوا من أمراء صلاح الدين الامير حماد مكين وخلقا وجرحوا صلاح
الدين ثم أمسكهم وقتلهم عن آخرهم ورجع الى حمص فحاصرها بقية رجب وتسلمها
بالامان في شعبان ثم عطف الى بعلبك فاستلمها ثم رد الى حمص وقد اجتمع عسكر حلب
وكتبوا الى صاحب الموصل يستعينون به على صلاح الدين فجهز اليهم جيشه وأمدهم
باخيه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي فاقبل الكل الى حماة وقد استقرت
لصلاح الدين فحاصروها فسار اليهم صلاح الدين فالتقى بهم على قرون حماه فكسرهم
أقبح كسرة ثم سار الى حلب فوقع الصلح بينه وبين ابن زنكي على ان يكون له الى
آخر بلد حماة والمعرة وان يكون لولد نور الدين حلب وجميع اعمالها وتحالفوا ورجع الى حماه
وجاءته رسل الخليفة المستضيء بالخلع والهدايا والتهنئة بالملك ثم سار الى حمص فحاصرها ثم تسلمها
(ثم دخلت سنة احدى وسبعين وخمسمائة) وفيها كان وقعة تل السلطان بنواحي حلب
وذلك ان عسكر الموصل نكثوا ايمانهم ووافوا تل السلطان في جموع كثيرة وعليهم
السلطان سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي فالتقاهم السلطان صلاح الدين في
جمع قليل فهزمهم وأسر كثيرا منهم وحقن الدماء ثم أحضر الامراء الذين أسرهم فمن عليهم
وأطلقهم ثم سار صلاح الدين الى منبج وأخذها في شوال من نيال بن حسان المنبجي
وكان نور الدين قد أعطاها لنيال عند مانزعها من أخيه غازي بن حسان وصعد الحصن
وجلس يستعرض أموال ابن حسان صاحبها وذخائره فكانت ثلثمائة ألف دينار ومن
أواني الذهب والفضة والذخائر والاسلحة ماناهز ألفي ألف دينار ورأى على بعض
الاكياس والآنية مكتوب يوسف فسأل عن هذا الاسم فقيل ولده ولد يحبه اسمه
يوسف وكان يدخر له هذه الاموال فقال السلطان أنا يوسف وهذا أخلى ثم سار
الى عزاز فنازل قلعتها ثمانية وثلاثين يوما وقفز عليه وهو محاصرها قوم من الفداوية
وجرح في فخذه واقتتلوا ثم افتتح عزاز وفي كتاب منه الى أخيه العادل ولم ينلني من
الحبشي المامون الاخدش قطرت منه قطرات دم خفيفة انقطعت لوقتها واندملت لساعتها

ثم سار من عزاز فنازل مدينة حلب كرة أخرى في نصف ذى الحجة وقامت القلعة
في حفظها بكل ممكن وصابرها صلاح الدين شهرا (ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين
وخمسمائة) وفيها ترددت الرسل في الصلح بين السلطان صلاح الدين والملك الصالح
اسماعيل بن نور الدين فرحل صلاح الدين عن حلب وأبقاها لابن نور الدين
ورد عليه عزاز وتوجه الى مصياف بلد الباطنية فنصب عليها المجانيق وأباح قتلهم وتخريب
بلادهم فتشفعوا بصاحب حماة شهاب الدين خال السلطان فسأل السلطان عنهم فرحل
عنهم وتوجه عائدا الى مصر فوصلها وأمر ببناء السور الاعظم المحيط بمصر والقاهرة
وجعل على بنايته الامير قراقوش ولم يزل العمل فيه الى ان مات صلاح الدين وصرفت
عليه أموال جزيلة وفيها أمر بانشاء قلعة الجبل المقطم التي هي الآن دار سلاطين مصر
وجعل على بنائها أيضا قراقوش ولم يكن السلاطين قبلها يسكنون الا دار الوزارة
بالقاهرة ثم سافر الى الاسكندرية وتردد الى السلفي فسمع منه الحديث ثم عاد الى مصر
وبنى تربة الشافعي رضي الله عنه (ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة) وفيها كانت
وقعة الرملة سار السلطان من القاهرة الى عسقلان فسبى من الفرنج كثيرا وغنم وسار الى
الرملة وقد تجمعت عليه الفرنج وحملوا على المسلمين فانهزموا وثبت السلطان وابن
أخيه تقي الدين عمر ودخل الليل واحتوى الفرنج على أثقال المسلمين واستشهد من
المسلمين جماعة منهم أحمد ولد تقي الدين عمر ولم يبق للمسلمين قدرة على ماء ولازاد
وتعسفوا الرمال راجعين الى مصر وفي هذه الواقعة أسر الفقيه عيسى الهكاري أكبر
الامراء فافتداه السلطان بستين ألف دينار ودخل السلطان القاهرة بعد ثلاثة عشر
يوما وتواصلت خلفه العساكر ثم عاد السلطان الى الشام (ودخلت سنة أربع وسبعين)
وخمسمائة وفيها اجتمعت الفرنج عند حصن الاكراد فسار اليهم السلطان ولم يقع قتال ثم
أغاروا على أعمال دمشق وجهز لحربهم فرخشاه ابن أخي السلطان فالتقاهم وكسرهم
وقتل من مقدمتهم جماعة منهم هنفرى قال ابن الاثير وما أدراك ماهنفرى به كان يضرب
المثل في الشجاعة (ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة) وفيها ضربت الطبول ببغداد
وزفت البشائر بانتصار السلطان صلاح الدين على الفرنج وأسره لصاحب الرملة وصاحب
طبرية الكافرين وهي وقعة مرج العيون ومن حديثها أن صلاح الدين كان نازلا تل بانياس
بيت بسراياه فلما استهل المحرم ركب فرأى راعيا فسأله عن الفرنج فاخبره بقربهم فعاد الى
مخيمه وأمر الجيش بالركوب فركبوا وسار بهم حتى أشرف على الفرنج وهم في
ألف قطارية وعشرة آلاف مقاتل فارس وراجل فحملوا على المسلمين فثبتوا لهم وحملت

كانت له يد بيضاء في الاسلام من علم وغيره قد أثر في الدين آثارا حسنة وترك ولدا صالحا أن يباشر وظيفة من يصلح لها وتكون الوظيفة باسم الولد ويقول التولية توليتان تولية اختصاص وتولية مباشرة فالصبي يتولى تولية الاختصاص بمعنى أن تكون له خصوصية بها ويصرف له بعض المعلوم والصالح يتولى تولية مباشرة يعني أنه يأتي بالمعنى المقصود من الوظيفة فيحصل غرض الواقف ومراعاة جانب الصغير لحق أبيه ويقول أنا في الحقيقة انما أولي المباشر وهو ذو الولاية الحقيقية فقلت له فلم لا تصرح له بالولاية فقال أخشى على الطفل منه فانه متى استقرت له لم يعط الصغير شيئا فقلت له اجعل المباشر هو المتولي واشترط عليه بعض المعلوم للطفل قال يتأهل الطفل فلا يسلمه الوظيفة وانا مرادي أن الطفل اذا تأهل سلم الوظيفة له فقلت له فما الذي يثبت للطفل الآن قال ولاية الاختصاص بمعنى أن يصير آخذا بهذه الوظيفة استقلالا من غير احتياج الى تجديد ولاية متى تأهل وآكلا لبعض المعلوم ما دام عاجزا فقلت له افعل ذلك فيمن لا يمكنه التاهل كزوجة وبنت وابن أيس من أهليته فقال لا بل الذين تركهم الميت أقسام منهم من يمكن أن يتاهل فهذا توليه ولاية الاختصاص ثم أنا في النائب الذي أنيم له على قدر ما يظهر لي من أمانته ان عرفت من ثقته ودينه انه متى تأهل الصبي يسلمه وظيفته فقد أصرح له بالولاية المترتبة فاقول وليتك مستقلا مدة عدم صلاحية هذا الطفل للمباشرة على أن تصرف عليه بعض المعلوم ووليت هذا الطفل ولاية معلقة بالصلاحية قال وأنا أرى تعليق الولايات وقد لا أصرح له خشية أن يموت والوظيفة باسمه فيأخذها من لا يعطي ذلك الطفل شيئا وهذه أمور تخرج عن الضبط يراعى فيها الحاكم اجتهاده الحاضر ودينه ونظره في كل جزئية ومنهم من لا يمكن أن يتاهل كبنت أو زوجة في امامة مسجد أو ابن أيست أهليته فهؤلاء لا أوليهم مطلقا لا معلقا ولا ولاية اختصاص وانما أقول لمن توليه التزم بالنذر الشرعي أن تدفع اليهم كيت وكيت ما دام كذا من معلوم هذه الوظيفة فيصير له استحقاق يعطى المعلوم عليه بهذه الطريق فقلت له فهذا كله فيمن سبقت لابيه سابقة فما قولك فيمن لا سابقة لابيه قال فان كان فقيرا أفهم من نص الشارع طلب اعانة مثله فعلت معه ذلك أيضا ولا أتركه يبيت جائعا قد عدم أباه والرزق الذي كان يدخل عليه مع أبيه الى غير ذلك من تفاصيل كان يذكرها تقصر عنها الاوراق الله أعلم بنيته فيها وقد كان الرجل متضلعا بالعلم والدين وغرضنا مماسقناه أنه لا يطلق القول اطلاقا ولا يفتح للجهال باب التطرق الى

وظائف أهل العلم حاشاه ثم حاشاه لقد كان يتألم من ولاية الجهال تألما لم أجد من غيره المشار منه ويذكر من مفاسد ولاية الجاهل ومن لا يباشر ما يطول شرحه وله فيه كلام مستقل هذا ما أعرفه منه وليس هو من الواقعة التي ذكرناها وقد كنت أعرفه ينكرها بعينها غاية الانكار فان الجامع بين التدريسين المذكورين جمع بينهما في حياة الشيخ الامام وأنكر الشيخ الامام ذلك ولم تكن له قدرة على دفعه لانه ذو جاه خطير

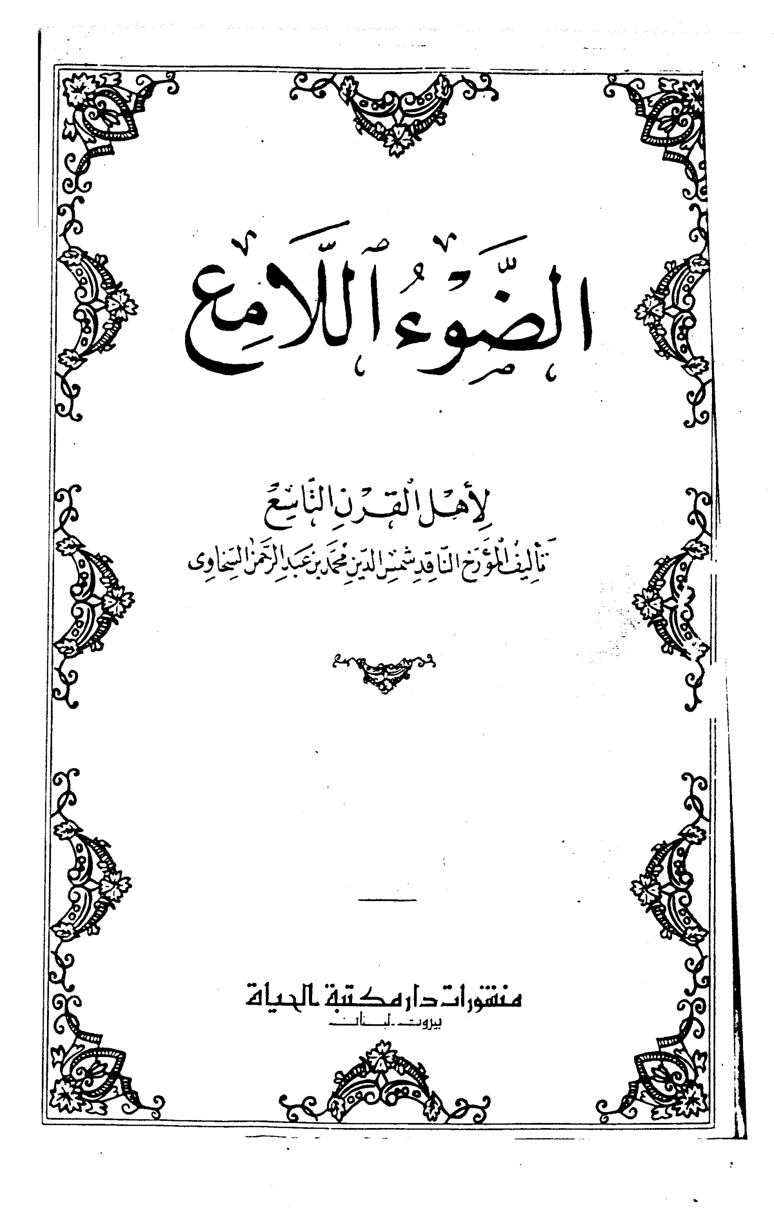
ومن شعر الشيخ ابن عساكر

خف اذا ما بت ترجو وارج ان أصبحت خائف

كم أتى الدهر بعسر فيه لله لطائف

(خبر وفاته رحمه الله) وقد كانت مصيبة عامة بالشام سائرة في بلاد الاسلام توفي في العاشر من رجب سنة عشرين وستمائة وكانت جنازته مشهودة قل ان وجد مثلها قال ابو شامة أخبرني من حضر وفاته انه صلى الظهر ثم جعل يسأل عن العصر فقيل له لم يقرب وقتها فتوضأ ثم تشهد وهو جالس ثم قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا لقنني الله حجتي وأقالني عثرتي ورحم غربتي ثم قال وعليكم السلام معلما انه حضرته الملائكة فانقلب على قفاه ميتا

(ذكر بقايا من ترجمته) كان الشيخ فخر الدين ابن عساكر قد وقع بينه وبين الملك المعظم لانه أنكر عليه تضمين المكوس والخمور فانتزع منه التقوية والصلاحية وكان بينه وبين الحنابلة ما يكون غالبا بين رعاع الحنابلة والاشاعرة فنذكر انه كان لا يمر بالمكان الذي يكون فيه الحنابلة خشية أن يأتوا بالوقيعة فيه وانه ربما مر بالشيخ الموفق ابن قدامة فسلم فلم يرد الموفق السلام فقيل له فقال انه يقول بالكلام النفسي وأنا أرد عليه في نفسي فان صحت هذه الحكاية فهي مع ما ثبت عندنا من ورع الشيخ موفق الدين ودينه وعلمه غريبة فان ذلك لا يكفيه جواب سلام وان كان ذلك منه لانه يرى أن الشيخ فخر الدين لا يستحق جواب السلام فلا كيد لمن يرى هذا الرأي ولا كرامة ولا نظن ذلك بالشيخ الموفق ولعل هذه الحكاية من تخليقات متأخري الحشوية * وجدت بخط الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي رحمه الله رأيت بخط الشيخ شمس الدين الذهبي رحمه الله أنه شاهد بخط سيف الدين احمد بن المجد المقدسي لما دخلت بيت المقدس والفرنج اذ ذاك فيه وجدت مدرسة قريبة من الحرم (قال) أظنها الصلاحية والفرنج بها يؤذون المسلمين ويفعلون العظائم فقلت سبحان الله



الضوء اللامع

لأهل القرن التاسع

تأليف المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

جركس الخواجا عثمان ابتاعه منه يلبغا الكبير فى سنة أربع وستين وسبعمائة واسمه حينئذ الطنبغا فسماه لنتوء فى عينيه برقوقاً وكان من جملة مماليكه الكتابية ثم كان بعد قتله فيمن نفى إلى الكرك ثم اتصل بمنجك نائب الشام وحضر معه إلى مصر فاتصل بالأشرف شعبان فلما قتل ترقى إلى إمرة أربعين وكان فى جماعة من إخوته فى خدمة أيبك البدرى ثم لما قام طلقتمر على مخدومهم وقبض عليه ركب برقوق وبركة ومن تابعهما عليه وأقاما طشتمر العلائى بتدبير المملكة أتابكا واستمروا فى خدمته إلى أن قام عليه مماليكه فى أواخر سنة تسع وسبعين فآل الأمر إلى استقرار برقوق وبركة فى تدبير المملكة بعد القبض عليه فلم يلبث أن اختلفا وتباينت أغراضهما وكان برقوق قد سكن الاسطبل السلطانى فأول شىء صنعه أن قبض على ثلاثة من أكابر الأمراء ممن كان فى أتباع بركة فبلغه ذلك فركب على برقوق ودام الحرب بينهما أياماً إلى أن قبض على بركة وسجن باسكندرية وانفرد برقوق بالتدبير مع تدبيره سراً الأمر لنفسه استقلالا إلى أن دخل رمضان سنة أربع وثمانين فجلس حينئذ وذلك فى ثامن عشره على تخت الملك ولقب بالظاهر وبايعه الخليفة والقضاة والأمراء فمن دونهم ، وخلعوا الصالح حاجى بن الأشرف وأدخل به الى دور أهله بالقلعة فلما كان بعد ذلك بمدة خرج يلبغا الناصرى واجتمع إليه نواب البلاد كلها وانضم إليه منطاش وكان أمير ملطية ومعه جمع كثير من التركمان فجهز لهم الظاهر عسكراً بعد آخر فانكسروا فلما قرب الناصرى من القاهرة تسلل الأمراء إليه الى أن لم يبق عند الظاهر الا القليل فتغيب حينئذ واختفى فى دار بقرب المدرسة الشيخونية ظاهر القاهرة فاستولى الناصرى ومن معه على المملكة وأعيد حاجى ولقب المنصور واستقر الناصرى أتابكا عنده ؛ وأراد منطاش قتل برقوق فلم يوافقه الناصرى بل شيعه إلى الكرك فسجنه بها ثم لم يلبث أن ثار منطاش على الناصرى فحاربه إلى أن قبض عليه وسجنه باسكندرية واستقل منطاش بالتدبير وكان أهوج فلم ينتظم له أمر وانقضت عليه الاطراف فجمع العساكر وخرج إلى جهة الشام فاتفق خروج الظاهر من الكرك وانضم اليه جمع قليل فالتقوا فى شقحب بمنطاش فقدر أنه انكسر وانهزم إلى جهة الشام واستولى الظاهر على جميع الاثقال وفيهم الخليفة والقضاة وأتباعهم فساقهم إلى القاهرة وصادف خروج المستخفين من مماليكه بقلعة الجبل وقوتهم على نائب الغيبة فدخل الظاهر فاستقرت قدمه بالقلعة وأعاد ابن الاشرف إلى مكانه من دور أهله بكل ذلك فى أوائل سنة اثنتين وتسعين ثم جمع العساكر

وتوجه إلى الشام فحصرها فى شعبان من التى تليها وهرع اليه الامراء وتعصب الشاميون لمنطاش فما أفاد بل انهزم منطاش بعد أن دامت الحرب بينهما مدة ووصل فى تلك السنة إلى حلب وقرر أمر البلاد ونوابها وعاد إلى القاهرة فى المحرم سنة أربع وتسعين، واستقر قدمه فى المملكة حتى مات على فراشه فى ليلة نصف شوال سنة احدى بعد أن عهد بالسلطنة لولده فرج وله يومئذ تسع سنين لأنه ولد عند خروجه من الكرك ولذا سماه فرجاً واستخلف القاضى الشافعى الخليفة وجميع الامراء وخلع عليه ويقال انه بلغ ستين سنة وكانت مدة استقلاله بأمور المملكة من غير مشارك تسع عشرة سنة وأشهراً، ومدة سلطنته فى المرتين ست عشرة سنة ونحو نصف سنة، ومن آثاره المدرسة الفائقة بين القصرين لم يتقدم بناء مثلها فى القاهرة وسلك فى ترتيب من قرره فيها مسلك شيخون فى مدرسته قرر فيها أربعة من المذاهب وشيخ تفسير وشيخ اقراء وشيخ حديث وشيخ ميعاد بعد صلاة الجمعة وغير ذلك وحبب الشريعة وانتفع به المسافرون كثيراً وأماكن بالمسجد الحرام وبعض المواليد وقبة عرفة وغير ذلك به وبالمدينة النبوية وأبطل ضمان المغانى بعدة بلاد منها منية بنى خصيب والكرك والشوبك وكان الاشرف أبطله من الديار المصرية ومكس القمح بعدة بلاد أيضاً وكذا أبطل ما كان يؤخذ من أهل البرلس وماحولها وهو فى السنة ستون ألفاً وعلى القمح بدمياط وعلى الفراريج بالغربية وعلى الملح بعنتاب وعلى الدقيق بالبيرة وعلى الدريس والحلفا بباب النصر ، وكان شهماً شجاعاً ذكياً خبيراً بالامور إلا أنه كان طماعاً جداً لايقدم على جمع المال شيئاً ولقد أفسد أمور المملكة بأخذ البذل على الولايات حتى وظيفة القضاء والامور الدينية؛ وكان جهورى الصوت كبير اللحية واسع العينين عارفاً بالفروسية خصوصاً اللعب بالرمح يحب الفقراء ويتواضع لهم ويتصدق كثيراً ولاسيما إذا مرض. وقد ترجمه الفاسى فى مكة قال وله سيرة طويلة جمعها بعض أهل العصر فى مجلد. قلت قد جمعها ابن دقماق ثم العينى؛ وذكره المقريزى فى عقوده وبيض له وأنه أول ملوك الجراكسة .

٤٩ (برقوق) الظاهرى جقمق. كان من خواص السقاة ثم تأمر فى الايام الاينالية ورقاه الظاهر خشقدم وصار أحد المقدمين وجدد تربة بباب القرافة وعمل فيها صوفية شيخهم ابن السيوطى بسفارة الموقع أبى الطيب السيوطى ولم يلبث أن ولى نيابة الشام بعد برسباى البجاسى . ومات وهو مع العسكر بحلب فى شوال سنة سبع وسبعين واستقر بعده فى النيابة جانبك قلقسين وأنجب ولداً ذكياً اسمه عليباى .

القطيفة على بريد من دمشق وتربة بدمشق . ذكره ابن خطيب الناصرية وقال غيره قتل خنقا فى أول رمضان ودفن بتربته بالقبيبات .

١٨٤ (تنم) الابو بكرى المؤيدى ويقال له الفقيه ويلقب صلاح الدين. كان أحد رءوس النوب وأمير عشرة، مات شهيداً بالاسهال وهو راجع من الحج ببير القروى ودفن باكرى فى المحرم سنة اثنتين وثمانين وقد قارب الثمانين ؛ وكان خيراً صاهر المحب الاقصرائى على ابنته وماتت تحته ، وسافر فى الغزوات والتجاريد غير مرة وهو صاحب البيت المجاور لمسجد الأمينى الاقصرائى بالقرب من الايتمشية الذى صار لشقيقه تانى بك الاياسى الماضى .

١٨٥ (تنم) الاشرفى قايتباى . أرسله أستاذه لنيابة جدة مرة بعد أخرى ثم أخره السنة الثالثة بعد أن ألبسه الخلعة لها وانتزعها وألبسها لبرد بك الماضى .

(تنم) الحسنى الظاهرى. مضى فى تنم سيف الدين قريبا.

١٨٦ (تنم) الحسنى الأشرفى برسباى. كان من خواص أستاذه وسقاته وامتحن بعده بالحبس ثم أطلق وآل أمره الى أن تأمر عشرة فى أيام اينال وصار من رؤوس النوب ثم فى أول أيام خشقدم عمل رأس نوبة ثانى ثم نائب حماة ثم بطل ثم قدم بحلب . ومات بها فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وهو فى عشر السبعين.

١٨٧ (تنم) الفقيه الحنفى أخذ عن ابن قديد النحو والصرف وغيرهما وكذا عن ملاشيخ وتصدر للاقراء فانتفع به جماعة من الترك وأبنائهم وغيرهم. وممن أخذ عنه خضر بن شماف ومنه استفدته .

١٨٨ (تنم) المحمدى والد زوجة أبى بكر بن صلغاى وأحد تجار الباسطية. تردد الىّ غير مرة وسمع منى المسلسل وبعض البخارى فى سنة اثنتين وتسعين.

١٨٩ (تنم) المؤيدى دوادار السلطان بدمشق . مات فى شعبان سنة تسع وثلاثين، أرخه ابن اللبودى .

١٩٠ (تنم) وسمى تنبك نائب دمشق . مات سنة اثنتين وثمانمائة، وأظنه الماضى قريباً .

١٩١ (توران) شاه بن تهمتن شاه بن توران شاه صاحب هرموز. كان فى سنة أربع وأربعين وثمانمائة وهو مذكور فى الحوادث وبلغنى أنه حج فى صغره مع ابيه وعمر حتى مات قبيل سنة سبعين، وكان خيراً يرسل بالقاتل والسارق الى قضاة الشرع ويكرم المراكب الواصلة من مكة بالاعفاء من المكس ويأكل من صيد يده، وسم غير مرة واستقر بعده ابنه مقصود فدام قليلا ثم كحل ثم ابنه الملا شهاب الدين وشنق بعد سنين فى الحماية ثم ابنه الثالث مرغل وهو بها الى تاريخه سنة سبع وتسعين.

١٩٢ (تيمور) وهو تمرلنك بن طرغاى الجغطاى الأعرج وهو اللنك بلغتهم فعرف بتمر اللنك ثم خفف فقيل تمرلنك. تغلب على سلطانهم المتصل نسبه بعظيم القان الى جغطاى واسمه محمود وكان ابتداء ملكه انه لما انقرضت دولة بنى جنكز خان وتلاشت فى جميع النواحى ظهر فى أعقاب بنى جغطاى بين كش وسمرقند تيمور هذا وتغلب على ملكهم محمود بعد أن كان أتابكه وتزوج أمه بعد مهلك أبيه واستبد عليه وكان فى عصره أمير لبخارى يعرف بحسن من أكابر المغل وآخر بخوارزم من قبل ملوك سراى أهل التخت يعرف بالحاج حسن الصوفى وهو من كبار التتر فنبذ اليهم تيمور العهد وزحف الى بخارى فملكها من يد حسن ثم زحف الى خوارزم وتحرش بها وهلك حسن فى خلال ذلك وولى أخوه يوسف فملكها تيمور من يده وخربها فى حصار طويل ثم كاف بعمارتها وتشييد ماخرب منها وانتظم له ملك ماوراء النهر ونزل بخارى ثم انتقل الى سمرقند ثم زحف الى خراسان وطال تحرشه بها وحروبه مع صاحبها شاه ولى الى أن ملكها عليه سنة أربع وثمانين وسبعمائة ونجا شاه ولى فى قلة الى تبريز وبها أحمد بن أويس بن حسن صاحب العراق وأذربيجان الى أن زحف عليهم تيمور سنة ثمان وثمانين فهلك شاه ولى فى حروبه عليها وملكها تيمور ثم زحف الى اصبهان فأتوه طاعة ممرضه وحالفه فى قومه كبير من أهل نسبه يعرف بقمر الدين وأمده طقتمش صاحب التخت لصراى فكر راجعاً اليه وشغل بحروبه الى أن محى أثره واشتغل بسلطان المغل وزاحم طقتمش مراراً حتى أوهن أمره ثم رجع الى أصفهان سنة أربع وتسعين فملكها ثم سار الى فارس وبها أعقاب بنى المظفر اليزدى المتغلبين عليها بعد هلاك بنى هولاكو فملكها من أيديهم آخر سنة أربع وتسعين ثم زحف الى بغداد سنة خمس فاجفل عليها أحمد بن أويس المتغلب عليها بعد بنى هولاكو وألحقه بالشام واستولى تيمور على بغداد والجزيرة وديار بكر الى الفرات، واتصلت أخباره بالظاهر برقوق ملك مصر فاستعد للقائه وجمع ونزل عسكر حلب بالقرب من الفرات ونزل تيمور بالرها وأخذها ونهبها وبلغه زحف طقتمش فى جموع المغل ووصوله الى الابواب فأحجم وتأخر الى قلاع الاكراد وأطراف بلاد الروم وأناخ على قرا باغ باش أذربيجان والابواب ورجع طقتمش صاحب اليخت الى صراى ثم سار اليه تيمور أول سنة سبع وتسعين وغلبه على ملكه وأخرجه من سائر أعماله فلحق ببلغادر ورجع سائر المغل الذين كانوا معه الى تيمور فأصبحت أمم المغل والتتر كلها فى حملته وصاروا تحت لوائه والملك لله فلما بلغه موت الظاهر برقوق فرج وأعطى من بشره بذلك

واعتمده ابنا علبية والرئيس يحيى وغيرهم فى الغيبة والحضور ؛ وملك دوراً بمكة وغيرها بل وجدد بالسروجيين من القاهرة مكتباً للايتام وسبيلا ، وعرف بالحزم والضبط لشأنه وعدم التبسط فى معيشته مع المحافظة على التلاوة والجماعات والطواف ومشاهد الخير وبذل الزكاة للمستحقين ونحوهم والميل للصالحين كالكمال إمام الكاملية والاكثار من ذكر كراماتهم وأحوالهم والتودد لهم ، ولم يزل على طريقته حتى مات بعد زوجته بيسير فى جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين بمكة ودفن بالمعلاة وكان قد كتب بحمله مع نائب جدة إلى القاهرة بسبب تركه زوجته فيما قيل وغيرها فما أمكن لكونه كان فى ضعف موته ، وتمرقت تركته لاختلاف بنيه وغيره رحمه الله وعفا عنه .

٥٤٧ (عبدالعزيز) بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن يحيى بن ابرهيم بن يحيى بن عبدالواحد بن عمر بن يحيى ابوفارس بن أبى العباس الهنتاتى الحفصى ملك المغرب وصاحب تونس؛ وهو بكنيته اشهر . قال شيخنا فى انبائه قرأت بخط صاحبنا أبى عبدالله محمد بن عبدالحق التونسى فيما كتب من سيرته انه بلغه انه كان لا ينام من الليل إلا قليلا بل حزر بقدر أربع ساعات لا تزيد قط وربما نقصت وانه ليس له شغل سوى النظر فى مصالح ملكه وانه كان يؤذن بنفسه ويؤم بالناس فى الجماعة ويكثر من الذكر ويقرب أهل الخير وانه أبطل كثيراً من التركات والمفاسد بتونس كالعيالة وهو مكان يباع فيه الخمر للفرنج يتحصل منه شيء كثير فى السنة ولأكثر الجيش عليه رواتب وعوضهم عنه وكذا المكوس بحيث لم يكن ببلاده كلها شيء منها وانه شكى اليه قلة القمح بالسوق فدعا تجاره فعرض عليهم قمحاً من عنده وقال أريد بيعه بدينار ونصف فاسترخصوه فأمر ببيعه بذلك السعر وأن لا يشترى من غيره بأزيد فاحتاجوا لبيع ماعندهم كذلك فترك هو حينئذ البيع فبلغه انهم زادوا قليلا فأمر ببيع ماعنده بدينار فقط وتقدم الى خازنه انه ان وجد القمح فى السوق لا يبيع شيئاً وإلا باع بدينار فاضطربوا إلى أن مشى الحال فكانت من أحسن الحيل فى تمشية حال الناس ، وانه كان محافظا على عمارة الطرقات بحيث أمنت القوافل فى أيامه بجميع بلاده وانه حضر محاكمة مع منازع له فى بستان الى القاضى فحكم عليه فقبل الحكم وأنصف الغريم وانه كان يبالغ فى أخذ الزكاة والعشر واذا مر فى السوق يسلم ولا يلبس الحرير ولا يجلس عليه ولا يتختم بالذهب إلى غير ذلك من المحاسن ، وكانت صدقاته إلى الحرمين بل وإلى جماعة من العلماء والصلحاء بالقاهرة وغيرها مستمرة فأرسل يستدعى نسخة من فتح البارى

لشيخنا بتحريك الزين عبد الرحمن البرعكى فجهز له ما كمل وهو قدر الثلثين منه وبهذه الواسطة كان تجهز لكتبه الشرح بل وللجماعة مجلس الاملاء ذهباً يفرق عليهم على قدر مراتبهم والكثير منه معين من هناك ، وما سافر قط مع كثرة أسفاره إلا قدم بين يديه صدقات وقرب للزوايا وغيرها امتثالا لقوله (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) وكذلك إذا عاد ولهذه الاوصاف الشريفة كتب اليه ابن عرفة مرة والله ما أعلم يوماً يمر على ولا ليلة الا وأنا داع لكم بخيرى الدنيا والآخرة فانكم عماد الدين ونصرة المسكين انتهى . وقد استجاز له ولأولاده شيخنا الزين رضوان وغيره جمعاً من الاعيان وخرج له أربعين حديثاً عنهم بالاجازة مكافأة له على افضاله وترغيباً له فى مزيد اقباله . مات فى رابع عشرى ذى الحجة سنة سبع وثلاثين عن ست وسبعين سنة بعد أن خطب له بفاس وتلمسان وما والاهما من المدن والقرى احدى وأربعين سنة وثلث سنة فأزيد ؛ قال المقريزى وكان خير ملوك زمانه صيانة وديانة وجوداً وافضالا وعزماً وحزماً وحسن سياسة وجميل طريقة ، وأطال ترجمته جداً فى عقوده وختمها بقوله ومناقبه كثيرة وفضائله شهيرة ولقد فجع الاسلام وأهله بموته والله يرحمه ويتجاوز عنه ؛ وقام من بعده حفيده المنتصر أبو عبد الله محمد بن الأمين أبى عبد الله محمد ابن أبى فارس فدام أيضاً دهراً كما سيأتى .

٥٤٨ (عبد العزيز) بن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب بن أسد العز بن العماد الفيومى ثم القاهرى الشافعى أبو عمر الوكيل ومحمد النائب وأخو الشرف محمد الآتى ذكرهم ويعرف بالفيومى . كان ابوه بزازاً بالفيوم مذكوراً بالخير واللين والصدق فولد له بها العز فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة تقريباً ونشأ بها فحفظ القرآن وكتباً منها المنهاج وكان ابتداء عرضه له فى سنة أربع وعشرين فيما قال ؛ وأنه تحول من الفيوم بعد موت والده الى القاهرة فأقام فى خلوة بالمؤيدية وانتفع بالزين السنديسى فى محافيظه وكان الزين يكثر الشكوى منه ويصفه بالشيطنة ، وأخذ عن الشرف السبكى والقاياتى وغيرهما ولازم السماع عند شيخنا وغيره ؛ وكتب الخط المنسوب ونسخ به أشياء ؛ وانتمى لكل من الجوهرين الخازندار واللالا ثم اختص بالزين عبدالرحمن بن الكويز وأقرأ أولاده وصارت له المرتبات والجهات ونفائس الكتب بل وأنشأ داراً حسنة بالقرب من بيت مخدومه فيها صهريج وسبيل وكذا مال مع المحب بن الشحنة وانتفع كل منهما بالآخر وخطب عنهم بجامع الحاكم بل وأم فيه ثم صرف عن الخطابة ومع خطيب مكة وغيرهما ممن يرى رجحان

الرَّوْضَتَيْن

في أخبار الدَّولتَين

تأليف الشيخ الامام العَالم الفاضِل الصدر الكامل
الأوحَد فريد عَصره وحيد دَهره مجموع الفضائل

شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسمعيل
ابن ابراهيم المقدسي الشافعي

رواية الشيخ الامام مجد الدين ابي المظفر يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعي عفا الله عنه

دار الجيل
بيروت

يتصرف فيما يخصه الا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين احضر
الفقهاء واستفتاهم فى أخذ ما يحل اه من ذلك فاخذ ما أفتوه بحله ولم يتعده الى غيره البتة ولم يلبس قط ما حرمه الشرع
من حرير اوذهب اوفضة ومنع من شرب الخمر و بيعها فى جميع بلاده ومن ادخالها الى بلد ما وكان يحد شاربها الحد
الشرعى كل الناس عنده فيه سوا قال كان نور الدين اذا
حدثنى صديق لنا بدمشق كان رضيع الخاتون ابنة معين الدين زوجة نور الدين و وزيرها قال كان نور الدين اذا
جاء اليها يجلس فى المكان المختص به وتقوم فى خدمته لا تتقدم اليه الا ان يأذن فى أخذ ثيابه عنه ثم تعتزل عنه الى
المكان الذى يختص بها او ينفرد هو تارة يطالع رقاع أصحاب الاشغال أو فى مطالعة كتاب أتاه و يجيب عنهما وكان
يصلى فيطيل الصلاة وله أوراد فى النهار فاذا جاء الليل وصلى العشاء ونام يستيقظ نصف الليل و يقوم الى الوضوء
والصلاة الى بكرة فيظهر الركوب و يشتغل بمهام الدولة قال وانها قلت عليها النفقة ولم يكفها ما كان قرره لها فارسلتنى
اليه اطلب منه زيادة فى وظيفتها فلما قلت له ذلك تنكر واحمر وجهه ثم قال من أين أعطيها اما يكفيها ما لها والله
لا أخوض نار جهنم فى هواها ان كانت تظن ان الذى بيدى من الاموال لى فبئس الظن انما هى أموال المسلمين
مرصدة لمصالحهم ومعدة لفتق ان كان من عدو الاسلام وأنا خازنهم عليها فلا أخونهم فيها ثم قال لى بمدينة حمص ثلاثة
دكاكين ملكا وقد وهبتها اياها فلتأخذها قال وكان يحصل منها قدر قليل قال ابن الاثير وكان رحمه الله لا يفعل فعلا
الا بنية حسنه كان بالجزيرة رجل من الصالحين كثير العبادة والورع شديد الانقطاع عن الناس وكان نور الدين
يكاتبه و يراسله و يرجع الى قوله و يعتقد فيه اعتقادا حسنا فبلغه ان نور الدين يدمن اللعب بالكرة فكتب اليه
يقول ما كنت اظنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل لغير فائدة دينية فكتب اليه نور الدين بخط يده يقول والله ما يحملنى
على اللعب بالكرة اللهو والبطر وانما نحن فى ثغر العدو قريب منا وبينما نحن جلوس اذ يقع صوت فنركب فى الطلب
ولا يمكننا أيضا ملازمة الجهاد ليلا ونهارا شتاء وصيفا اذ لا بد من الراحة للجند ومتى تركنا الخيل على مرابطها صارت
جماما لا قدرة لها على ادمان السير فى الطلب ولا معرفة لها أيضا بسرعة الانعطاف والطاعة لراكبها فى الحرب
فهذا والله الذى بعثنى على اللعب بالكرة قال ابن الاثير فانظر الى هذا الملك المعدوم النظير الذى يقل فى أصحاب
الزوايا المنقطعين الى العبادة مثله فان من يجئ الى اللعب يفعله بنية صالحة حتى يصير من أعظم العبادات وأكبر
القربات يقل فى العالم مثله وفيه دليل على انه كان لا يفعل شيئا الا بنية صالحة وهذه أفعال العلماء الصالحين العاملين
وحكى عنه انه حمل اليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة فلم يحضرها عنده فوصفت له فلم يلتفت اليها
وبيناهم معه فى حديثها واذا قد جاءه رجل صوفى فامر بها له فقيل له انها لا تصلح لهذا الرجل ولو أعطى غيرها كان
أنفع له فقال اعطوها له فانى أرجو ان اعوض عنها فى الآخرة فسلمت اليه فسار بها الى بغداد فباعها بستمائة دينار اميرى
أوسبعمائة دينار قلت قرأت فى حاشية هذا المكان من كتاب ابن الاثير بخط ابن المعطى اياها قال أعطاها الشيخ
الصوفية عماد الدين أبى الفتح بن حمويه بغير طلب ولا رغبة فبعثها الى همدان فبيعت بألف دينار قال ابن الاثير وحكى
لنا الامير بهاء الدين على بن السكرى وكان خصيصا بخدمة نور الدين قد صحبه من الصبا وأنس به وله معه انبساط
قال كنت معه يوما فى الميدان بالرها والشمس فى ظهورنا فكلما سرنا تقدمنا الظل فلما عدنا صار ظلنا وراء ظهورنا
فاجرى فرسه وهو يلتفت وراءه وقال لى اتدرى لاى شئ أجرى فرسى وألتفت ورائى قلت لا قال قد شبهت ما نحن فيه
بالدنيا تهرب ممن يطلبها وتطلب من يهرب منها قلت رضى الله عن ملك يفكر فى مثل هذا وقد أنشدت بيتين فى هذا
المعنى

مثل الرزق الذى تطلبه ✽ مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا ✽ فاذا وليت عنه تبعك

قال ابن الاثير وكان يعنى نور الدين رحمه الله يصلى كثيرا من الليل ويدعو و يستغفر ويقرأ ولا يزال كذلك الى
ان يركب

جمع الشجاعة والخشوع لربه ✽ ما أحسن المحراب فى المحراب

قال وكان عارفا بالفقه على مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ليس عنده تعصب بل الانصاف سجيته فى كل
شئ وسمع الحديث وأسمعه طلبا للاجر وعلى الحقيقة فهو الذى جدد للملوك اتباع سنة العدل والانصاف وترك

المحرمات من المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك فانهم كانوا قبل ذلك كالجاهلية همة أحدهم بطنه وفرجه لا يعرف
معروفا ولا ينكر منكرا حتى جاء الله بدولته فوقف مع أوامر الشرع ونواهيه والزم بذلك اتباعه وذويه فاقتدى به غيره
منهم واستحيوا ان يظهر عنهم ما كانوا يفعلونه ومن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامه قال
فان قال قائل كيف يوصف بالزهد من له الممالك الفسيحة وتجبى اليه الاموال الكثيرة فليذكر نبى الله سليمان
ابن داود عليهما السلام مع ملكه وهو سيد الزاهدين فى زمانه ونبينا صلى الله عليه وسلم قد حكم على حضرموت واليمن
والحجاز وجميع جزيرة العرب من حدود الشام الى العراق وهو على الحقيقة سيد الزاهدين قال وانما الزهد خلو القلب
من محبة الدنيا لا خلو اليد عنها قال وأما عدله فانه كان أحسن الملوك سيرة وأعدلهم حكما فمن عدله انه لم يترك
فى بلد من بلاده ضريبة ولا مكسا ولا عشرا بل اطلقها رحمه الله جميعها فى بلاد الشام والجزيرة جميعها والموصل
واعمالها وديار مصر وغيرها مما حكم عليه وكان المكس فى مصر يؤخذ من كل مائة دينار خمسة وأربعون دينارا
وهذا لم تتسع له نفس غيره وكان يتحرى العدل وينصف المظلوم من الظالم كائنا من كان القوى والضعيف عنده
فى الحق سواء وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك الى حاجب ولا أمير فلا جرم سار
ذكره فى شرق الارض وغربها قال ومن عدله انه كان يعظم الشريعة المطهرة ويقف عند أحكامها ويقول نحن شحر
لها نمضى أوامرها فمن اتباعه أحكامها انه كان يلعب بدمشق بالكرة فرأى انسانا يحدث آخر ويومى بيده اليه
فأرسل اليه يسأله عن حاله فقال لى مع الملك العادل حكومة وهذا غلام القاضى ليحضره الى مجلس الحكم يحاكمنى
على الملك الفلانى فعاد اليه ولم يتجاسر ان يعرفه ما قال ذلك الرجل وعاد يكتمه فلم يقبل منه غير الحق فذكر له قوله فالقى
الجوكان من يده وخرج من الميدان وسار الى القاضى وهو حينئذ كمال الدين ابن الشهرزورى وأرسل الى القاضى
يقول له انى قد جئت محاكما فاسلك معى مثل ما تسلكه مع غيرى فلما حضر ساوى خصمه وحاكمه فلم يثبت عليه
حق وثبت الملك لنور الدين فقال نور الدين حينئذ للقاضى ولمن حضر هل ثبت له عندى حق قالوا لا فقال اشهدوا انى
قد وهبت له هذا الملك الذى قد حاكمنى عليه وهو له دونى وقد كنت أعلم انه لا حق له عندى وانما حضرت معه لئلا يظن
انى ظلمته فحيث ظهر ان الحق لى وهبته له قال ابن الاثير وهذا غاية العدل والانصاف بل غاية الاحسان وهى درجة
وراء العدل فرحم الله هذه النفس الزكية الطاهرة المنقادة للحق الموافقة معه قلت وهذا مستكثر من ملك متأخر بعد
فساد الازمنة وتفرق الكلمة والا فقد انقاد الى المضى الى مجلس الحكم جماعة من المتقدمين مثل عمر وعلى رضى الله
عنهما ثم حكى نحو ذلك عن أبى جعفر المنصور وقد نقلنا ذلك كله فى التاريخ الكبير وفيه عن عبد الله بن طاهر قريب
من هذا لكنه أحضر الحاكم عنده ولم يمض اليه وقد بلغنى ان نور الدين رحمه الله تعالى استدعى مرة أخرى بحلب الى
مجلس الحكم بنفسه أو نائبه فدخل حاجبه عليه متعجبا واعلمه ان رسول الحاكم بالباب فانكر عليه تعجبه وقام رحمه الله
مسرعا ووجد فى أثناء طريقه ما منعه من العبور من حفر جب بعض الحشوس واستخراج ما فيه فوكل من ثم وكيلا
وأشهد عليه شاهدين بالتوكيل ورجع قال ابن الاثير ومن عدله انه لم يكن يعاقب العقوبة التى يعاقب بها الملوك
فى هذا الاعصار على الظنة والتهمة بل يطلب الشهود على المتهم فان قامت البينة الشرعية عاقبه العقوبة الشرعية
من غير تعد فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما يوجد فى غير ولايته مع شدة السياسة والمبالغة فى العقوبة
والاخذ بالظنة وأمنت بلاده مع سعتها وقل المفسدون ببركة العدل واتباع الشرع المطهر قال وحكى لى من أثق به انه
دخل يوما الى خزانة المال فرأى فيها مالا أنكره فسأل عنه فقيل ان القاضى كمال الدين أرسله وهو من جهة كذا فقال
ان هذا المال ليس لنا ولا لبيت المال فى هذه الجهة شئ وأمر برده واعادته الى كمال الدين ليرده على صاحبه فأرسله
متولى الخزانة الى كمال الدين فرده الى الخزانة وقال اذا سأل الملك العادل عنه فقولوا له عنى انه له فدخل نور الدين
الخزانة مرة أخرى فرآه فأنكر على النواب وقال ألم أقل لكم يعاد هذا المال على أصحابه فذكروا له قول كمال الدين
فرده اليه وقال للرسول قل لكمال الدين أنت تقدر على حمل هذا المال وأما أنا فرقبتى دقيقة لا أطيق حمله والمخاصمة
عليه بين يدى الله تعالى يعاد قولا واحدا قال ومن عدله أيضا بعد موته وهو من أعجب ما يحكى ان انسانا كان بدمشق
غريبا استوطنها وأقام بها لما رأى من عدل نور الدين رحمه الله فلما توفى تعدى بعض الاجناد على هذا الرجل فشكاه

ويأمر بحضور العلماء والفقهاء ويأمر بازالة الحاجب والبواب حتى يصل اليه الضعيف والقوى والفقير والغنى ويكلمهم باحسن الكلام ويستفهم منهم بأبلغ انتظام حتى لا يطمع الغنى فى دفع الفقير بالمال ولا القوى فى دفع الضعيف بالقتال ويحضر فى مجلسه العجوز الضعيفة التى لا تقدر على الوصول الى خصمها ولا المكالمة معه فيأمر بمساواته لها فتغلب خصمها طمعا فى عدله ويعجز الخصم عن دفعها خوفا من عدله فيظهر الحق عنده فيجرى الله تعالى على لسانه ما هو موافق الشريعة ويسأل العلماء والفقهاء عما يشكل عليه من الامور الغامضة فلا يجرى فى مجلسه الا محض الشريعة قال وأما زمانه فهو مصروف الى مصالح الناس والنظر فى أمور الرعية والشفقة عليهم وأما فكره ففى اظهار شعار الاسلام وتأسيس قاعدة الدين من بناء المدارس والربط والمساجد حتى ان بلاد الشام كانت خالية من العلم وأهله وفى زمانه صارت مقر العلماء والفقهاء والصوفية لصرف همته الى بناء المدارس والربط وترتيب أمورهم والناس آمنون على أموالهم وأنفسهم ولو لم يكن من هذه الخصال الا ما علم منه وشاع انه اذا وعد وفى واذا أوعد عفا واذا تحدث بشئ وقف عليه ولا يخالف قوله ولا يرجع عن لفظه ومنطقه لكفى ولا يجرى فى مجلسه الفسق والفجور والشتم والغيبة والقدح فى الناس والكلام فى اعراضهم كما يجرى فى مجالس سائر الملوك ولا يطمع فى أخذ أموال الناس ولا يرضى بأن يأخذ أحد من أموال الشريعة شيئا بغير حق قال وبلغنا بأخبار التواتر عن جماعة يعتمد على قولهم انه أكثر الليالى يصلى ويناجى ربه مقبلا بوجهه عليه ويؤدى الصلوات الخمس فى أوقاتها بتمام شرائطها وأركانها وركوعها وسجودها قال وبلغنا عن جماعة من الصوفية الذين يعتمد على أقوالهم ممن دخلوا ديار القدس للزيارة حكاية عن الكفار انهم يقولون ابن القسيم له مع الله سر فانه ما يظفر علينا بكثرة جنده وعسكره وانما يظفر علينا بالدعاء وصلاة الليل فانه يصلى بالليل ويرفع يده الى الله ويدعو فالله سبحانه وتعالى يستجيب له دعاءه ويعطيه سؤله وما يرد يده خائبة فيظفر علينا قال فهذا كلام الكفار فى حقه قال وحدثنا الشيخ داود المقدسى خادم قبر شعيب على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام قال حضرت فى دار العدل فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين فقام رجل وادعى على الملك العادل ان أباه أخذ من ماله شيئا بغير حق قال وأنا مطالب لك بذلك فقال نور الدين أنا ما أعلم ذلك فان كان لك بينة تشهد بذلك فهاتها وأنا أرد اليك ما يخصنى فانى ما ورثت جميع ماله كان هناك وارث غيرى فمضى الرجل ليحضر البينة فقلت فى نفسى هذا هو العدل قال وحضر رجل زاهد فيه سمة الخير معروف بالصلاح والسداد فسألت عنه فقالوا أخو الشيخ أبى البيان وكان قد اودع عند أخيه أبى البيان وديعة وقد توفى فادعى المودع على هذا الشيخ انه يعلم بالوديعة وطالبه بالرد عليه فأنكر هذا الرجل علمه بالوديعة فأوجب عليه القاضى كمال الدين حكم الشرع ان يحلف انه لا علم له بهذه الوديعة فحلف على ذلك فجعل المودع يشنع عليه ويقول انه حلف كاذبا ويتكلم فى عرضه ويقول فى حقه من التمس وغيره فحضر عند الملك العادل شاكيا منه وذاكرا سيرته وطريقته ومن الذى يقدر ان يقول فى حق هذا ويتعرض بالتماسه من الملك العادل والتقدم باحضاره والانكار عليه فيما يقول فى حقه فلما فرغ من الكلام ورمى ما كان فى جعبته من دعوى الحقيقة والطريقة وكان حاصله التماس الانكار عليه فقال الملك العادل أليس ان الله تعالى يقول فى كتابه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فاذا كان هو يجهل عليك ويقول فى حقك بالجهل ما لا يجوز فيجب عليك ان لا تعمل معه مثل معاملته فتكون مثله فكانك قابلت الاساءة بالاساءة ومن حقك ان تقابل الاساءة بالاحسان فقلت فى نفسى الحق ما قال الملك العادل أما قرأ هذا فى كتب التفاسير فثبت فى قلبه أو أجراه الله على لسانه وأنطقه به قال وحضر جماعة من التجار وشكوا ان القراطيس كان يتزن منها بدينار وتزيد وتنقص فيخسرون فسأل الملك العادل عن كيفية الحال فذكروا ان عقد المعاملة على اسم الدينار ولا يرى الدينار فى الوسط وانما يعدون القراطيس بالسعر تارة ستين بدينار وتارة سبعة وستين بدينار وأشار كل واحد من الحاضرين على نور الدين ان يضرب الدينار باسمه وتكون المعاملة بالدنانير الملكية وتبطل القراطيس بالكلية فسكت ساعة وقال اذا ضربت الدينار وأبطلت المعاملة بالقراطيس فكانى خربت بيوت الرعية فان كل واحد من السوقة عنده عشرة الاف وعشرون ألف قرطاس أى شئ يعمل به فيكون سببا لخراب بيته قال فأى شفقة تكون أعظم وأكثر من هذا على الرعية قال وحضر صبى وبكا عند الملك العادل وذكر ان أباه محبوس على أجرة حجرة من حجر الوقف فسأل عن حاله

فقالوا هذا الصبى ابن الشيخ أبى سعد الصوفى وهو رجل زاهد قاعد فى حجرة للوقف وليس له قدرة على الاجرة وقد حبسه وكيل الوقف لانه اجتمع عليه أجرة سنة فسأل الملك العادل كم أجرة السنة فقالوا مائة وخمسون قرطاسا وذكروا سيرته وطريقته وفقره فرق له وأنعم عليه وقال نحن نعطيه كل سنة هذا القدر ليصرفه الى الاجرة ويقعد فيها وتقدم بذلك وباخراجه من الحبس فوصل الى قلب كل واحد من الحاضرين الفرح حتى كأن الانعام كان فى حقه أخبرنا افتخار الدين عبد المطلب الهاشمى قال كان عند القاضى تاج الدين عبد الغفور بن لقمان الكردى قاضى حلب غلام قد جعله بمجلس الحكم يدعى سويدا يحضر الخصوم الى مجلس الحكم فحضر بعض التجار وادعى ان له على نور الدين دعوى فقال الكردى لسويد المذكور امض الى نور الدين وادعه الى مجلس الحكم وعرفه انه حضر شخص يطلب حضوره وكان نور الدين فى الميدان فجاء سويد الى باب الميدان فخرج اسماعيل الخزندار فوجده مقدم سويد اليه وقال سيرنى تاج الدين يعنى القاضى وذكر انه حضر تاجر وذكر ان له دعوى على المولى نور الدين وقد أنفذنى تاج الدين وقال لى كذا وكذا فضحك اسماعيل الخزندار ودخل على نور الدين ضاحكا وقال له مستهزئا يقوم المولى فقال الى أين فقال حضر سويد غلام تاج الدين الكردى وقال ان تاج الدين أرسله يطلب المولى الى مجلس الحكم فأنكر نور الدين على اسماعيل استهزاءه وقال تستهزئ بطلبى الى مجلس الحكم وقال نور الدين يحضر فرسى حتى نركب اليه السمع والطاعة قال الله تعالى انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا ثم نهض وركب حتى دخل باب المدينة فاستدعى سويدا وقال له امض الى القاضى تاج الدين وسلم عليه وقل له انى جئت الى هاهنا امتثالا لامر الشرع واحتاج فى الحضور الى مجلسه الى سلوك هذه الازقة وفيها الاطيان وهذا وكيلى يسمع الدعوى وان توجهت على يمين أحضر ان شاء الله تعالى قال فحضر الوكيل وسمع الدعوى وتوجهت اليمين فقال الكردى قد توجهت اليمين فليحضر فلما بلغ نور الدين ذلك وعلم انه لا مندوحة عن حضور مجلسه لليمين استدعى ذلك التاجر وأصلح الامر فيما بينه وبينه وأرضاه وسمعت قاضى القضاة بهاء الدين يقول حكى لى السلطان الملك الناصر صلاح الدين قال أرسلنى الملك العادل نور الدين الى عمى أسد الدين شيركوه وكان لا يفعل شيئا الا بمشورته فقال امض وقل لاسد الدين قد خطر فى بالى ان أبطل هذه الضمانات بأسرها والمؤن والمكوس واخذ رأيه فى ذلك قال فجئت اليه وأنهيت ما قال لى فقال امض وقل له يا مولانا اذا فعلت ذلك فالاجناد الذين أرزاقهم على هذه الجهات من أين تعطيهم وتحتاج اليهم للغزاة وخروج العساكر قال السلطان صلاح الدين فقلت لعمى هذا أمر قد ألهمه الله اياه فساعده عليه فصاح فى وقال امض اليه وقل له ما أقول لك قال فعدت الى نور الدين فأنهيت اليه ما قال عمى فقال امض اليه وقل له اذا كنا نغزو من هذه الجهات تركنا ونقعد ولا نخرج قال فعدت الى عمى وقلت ما قال فقال قل له ان تركوك تقعد فجيد هو فراجعته فى ان لا يثبطه عن ذلك فصاح فى وقال امض اليه وقل له ما اقول لك فجئت اليه وقلت له ذلك فترك ذلك مدة ثم أمضى ما كان عزم عليه قال لى صقر بن يحيى بلغنى ان موفق الدين خالد رأى فى النوم كأن نور الدين دفع اليه ثيابه ليغسلها فقص منامه على نور الدين فتغير وجه نور الدين فخجل موفق الدين وبقى أياما على غاية من الخجل فاستدعاه يوما نور الدين وقال تعال قد آن لك ان تغسل ثيابى اقعد واكتب باطلاق المؤن والمكوس والاعشار واكتب للمسلمين انى قد رفعت عنكم ما رفعه الله تعالى عنكم واثبت عليكم ما أثبته الله عليكم قال فكتب موفق الدين توقيعا سمعت خليفة ابن سليمان بن خليفة الفقيه يقول سمعت أبى يقول لما كسر نور الدين يعنى كسرة البقيعة تكلم البرهان البلخى فقال أتريدون ان تنصروا وفى عسكركم الخمور والطبول والزمور كلا وكلا ما مع هذا فلما سمعه نور الدين قام ونزع عنه ثيابه تلك وعاهد الله تعالى على التوبة وشرع فى ابطال المكوس الى ان خرج فى نوبة حارم وكسر الافرنج سمعت صديقنا شمس الدين اسماعيل بن سردكين بن عبد الله النورى وكان ابوه أحد مماليك نور الدين فاعتقه يقول سمعت والدى يقول كان نور الدين محمود رحمه الله يلبس فى الليل مسحا ويقوم يصلى فيه قطعة من الليل قال وكان يرفع يديه الى السماء ويبكى ويتضرع ويقول ارحم العشار المكاس قال لى قاضى القضاة بهاء الدين سير نور الدين الى بغداد كتابا يعلم الخليفة بما أطلق وبمقدار ما أطلق ويسأله ان يتقدم الى الوعاظ بأن يستحلوا من التجار ومن جميع المسلمين له فى حل مما كان قد وصل اليه يعنى من أموالهم فتقدم بذلك وجعل الوعاظ على المنابر ينادون بذلك حدثنى رضى الدين

أبو سالم عبد المنعم بن المنذر ان نور الدين حين خرج لاخذ شيزر خرج أبو غانم بن المنذر صحبته فأمره نور الدين بكتابة منشور باطلاق المظالم بحلب ودمشق وحمص وحران وسنجار والرحبة وعزاز وتل باشر وعداد العرب فكتب عنه
توقيع انسخته

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقرب به الى الله سبحانه وتعالى صالحا وأطلقه مسامحا لمن علم ضعفه من الرعايا رعاهم الله لضعفهم عن عمارة ما أخربته أيدى الكفار أبادهم الله عند استيلائهم على البلاد وظهور كلمتهم فى العباد رأفة بالمسلمين المثاغرين ولطفا بالضعفاء المرابطين الذين خصهم الله سبحانه بفضيلة الجهاد وامتحنهم بمجاورة أهل العناد اختبارا لصبرهم واعظاما لأجرهم فصبروا احتسابا وأجزل الله لهم أجرا وثوابا انما يوفى الصابرون أجورهم بغير حساب وأعاد عليهم ما اغتصبوا عليه من املاكهم التى أفاء الله عليهم بها من الفتوح العمريه وقهرها فى الدولة الاسلاميه بعد ما ضرأ عليها من الغفلة المتقدمين واسترجعه بسيفه من الكفرة الملاعين فطمس عنهم بذلك معالم الجور وهدم أركان التعدى وأقر الحق مقره لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء ثم لما أعانه الله بعونه وأيده بنصره وقمع به عادية الكفر وأظهر بهمته شعائر الاسلام وأظفره بالفئة الطاغيه وأمكنه من ملوكها الباغيه فجعلهم بين قتيل غير مقاد وهارب ممنوع الرقاد وآخرين مقرنين فى الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب علم ان الدنيا فانيه فاستخدمها للآخرة الباقيه واستبقى ملكه الزائل بأن قدمه أمامه وجعله ذخرا لمعاده فالتقوى مادة داره اذا انقطعت المواد وجاده واضحه حين يلتبس الجواد يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله فصفح لكافة المسافرين وجميع المسلمين بالضرائب والمكوس وأسقطها من دواوينه وحرمها على كل متطاول اليها ومتهافت عليها تجنبا للآثام واكتسابا للثواب بها فكان مبلغ ما سامح به واطلقه وأنفذ الامر فيه اتباعا لكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى كل سنة من العين مائة ألف وستة وخمسون ألف دينار جملة ذلك حلب خمسون ألف دينار عزاز عن مكس جددته الفرنج خذلهم الله على المسافرين عشرة آلاف دينار تل باشر أحد وعشرين ألف دينار المعرة ثلاثة آلاف دينار دمشق المحروسة لما استنجد به أهلها واستصرخ من فيها خوفا على نفسهم وأموالهم من استيلاء العدو وضعفهم عن مقاومة ما كان يؤخذ منهم فى كل سنة وشهور يسمونه القسم عشرون ألف دينار حمص ستة وعشرين ألف دينار حران خمسة آلاف دينار سنجار ألف الرحبة عشرة آلاف دينار عداد العرب عشرة آلاف دينار وما وقفه وتصدق به وأجراه فى سبل الخيرات ووجوه البر والصدقات تقدير ثمنه مائتا ألف دينار وتقدير الحاصل من ارتفاعه فى كل سنة ثلاثون ألف دينار من ذلك ما وقفه على المدارس الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية وأئمتها ومدرسيها وفقهائها وما وقفه على دور الصوفية والربط والجسور والبيمارستانات والجوامع والمساجد والاسوار وما وقفه على السبيل فى طريق الحجاز وما وقفه على فكاك الاسرى وتعليم الايتام ومقترى الغربا وفقراء المسلمين وما وقفه على الاشراف العلويين والعباسيين وما ملكه لجماعة من الاولياء والغزاة والمجاهدين هذا جميعه سوى ما أنعم به على أهل الثغور حرسهم الله تعالى من [illegible] كهم التى تقدم ذكرها فانه يضاهى هذا المبلغ وزيادة عليه جعل ذلك ذريعة عند الله وتقربا اليه مضافا الى ما أنفقه فى الغزاة والجهاد واستئصال شأفة أهل الكفر والعناد من خزائنه المعموره وأمواله الموروثة المذخوره طلبا لما عند الله والله عنده حسن الثواب فالواجب على كل امام عدل وسلطان قادر ان يمده ويوده ويشد عضده ويقوى عزمه وينفذ حكمه وعلى كل مسلم ان يواصله بالدعاء آناء الليل وأطراف النهار كتبه خادم دولته وغذى نعمته عبد الرحمن بن عبد المنعم بن رضوان بن عبد الواحد بن محمد بن المنذر الحلبى غفر الله له ورحمه ورضى عنه الى كل من يصل اليه من أئمة الدين وفقهاء المسلمين وأصحاب الزوايا المتعبدين وكافة التجار والمسافرين أحسن الله توفيقهم وسدد الى اغراض الخير تفريقهم ليشهروا بذلك من حضرهم من التجار والمترددين اليهم من السفار ليعرفوا قدر ما أنعم الله به عليه وعليهم ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ويمدوه بأدعيتهم ويبرؤا ذمته مما سبق من أخذ مؤنتهم فانه لم يصرف ذلك الا فى خدمة وجه بر وتجهيز جيش ومعونة مجاهد وردع كافر ومعاند فهم شركاؤه فى الثواب

قال لى رضى الدين أبو سالم بن المنذر فلما وقف نور الدين على قراءة ويبرئ ذمته مما سبق استحسن ذلك كثيرا ووعده باقطاع حسن واتفق موته بعد ذلك قلت ونقلت من خط الشيخ الامين أبى القاسم عبد الرحمن بن الحسين ابن الخضر ابن الحسين بن عبدان الازدى الدمشقى وقف الملك نور الدين بستان الميدان سوى الغيضة التى من قبليه بعد عمارته واصلاح ما يحتاج اليه على تطييب المساجد التى يأتى ذكرها وهى جامع دمشق المحروسة جامع قلعة دمشق مدرسة الحنفية التى جددها نور الدين مسجد ابن عطية داخل باب الجابية مسجد ابن لبيد بالفسقار مسجد سوق الرماحين المسجد المعلق بسوق نفاغه مسجد دار البطيخ المعلق مسجد العباسى بسوق الاحد مسجد نور الدين بجوار بيعة اليهود جامع الصالحين بجبل قاسيون يبتاع بذلك عود وطيب ويفرق على هذه الاماكن النصف للجامع بدمشق والنصف الثانى ينقسم على احد عشر جزءا جزآن للمدرسة وتسعة أجزاء لتسعة المساجد الباقية لكل مسجد جزءا واحدا تطيب هذه الاماكن فى الاوقات الشريفة ومراسم الاجتماعات وليالى شهر رمضان والاعياد وأيام الجمع وقت عقد الجمعة فى الجوامع وليالى الجمعة والخميس والاثنين ونقلت من خطه أيضا ان نور الدين رحمه الله حضر عنده بقلعة دمشق يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة أربع وخمسين وخمسمائة القاضى زكى الدين أبو الحسن على بن محمد بن يحيى القرشى والفقهاء الشيخ شرف الدين بن أبى عصرون والخطيب عز الدين أبو البركات بن عبد والامام عز الدين أبو القاسم على بن الماسح الشافعيون وشرف الدين أبو القاسم عبد الوهاب بن عيسى المالكى وشرف الاسلام نجم الدين عبد الوهاب الحنبلى ورضى الدين أبو غالب عبد المنعم بن محمد بن أسد التميمى رئيس دمشق ونظام الدين أبو الكرام المحسن بن أبى المضا متولى الوزارة بدمشق والاعيان من شهود العدالة بدمشق وهم عبد الصمد بن تميم وعبد الواحد بن هلال والصائغ أبو الحسين وغيرهم فسألهم نور الدين عن المضاف الى أوقاف المسجد الجامع بدمشق من المصالح التى ليست وقفا عليه وان يظهر كل واحد منهم ما يعلمه من ذلك ليعمل به ويقع الاعتماد عليه وقال لهم ليس يجوز لاحد منكم ان يعلم من ذلك شيئا الا ويذكره ولا ينكر شيئا مما يقوله غيره الا وينكره والساكت منكم مصدق للناطق ومصوب لقوله وليس العمل الا على ما تتفقون عليه وتشهدون به وعلى هذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يجتمعون ويتشاورون فى مصالح المسلمين فكل من الحاضرين شكره على ما قصده وأثنى عليه ودعا له بالبقاء ثم أمر نور الدين متولى أوقاف الجامع والمساجد والبيمارستان ووادى السبيل وما يجرى مع ذلك ان يقرأ عليه بحضرة من المذكورين ضريبة الاوقاف موضعا موضعا فيفرد ما يعلمون انه للمصالح دون الوقف فافتتح بالسوق المستجد تحت المأذنة الغربية بجوار البيمارستان فقال الصائغ وابن تميم وابن هلال هذا السوق بكماله لمصالح المسلمين وليس من وقف الجامع لانه أحدث فى طريق المسلمين وقد صرف فى الجامع من أجوره أوفى مما غرم على عمارته من وقفه فصدقهم الحاضرون على ما شهدوا به ومبلغ ذلك خمس وعشرون عضادة ثم عين للمصالح أيضا ما فى زيادة الجامع القبلية وزيادة باب البريد فى الصف القبلى والشامى من العضائد والحوانيت والحجر التى طباقها وطباق الطريق بحضرتها وجميع بيوت الخضراء من قبلة الجامع والفرن المستجد بها ودار الخيل والمساكن والحوانيت المجاورة لدار الخيل وحانوت الخواصين فى الصف الغربى واثنا عشر حانوتا متلاصقات فى الصف الشرقى تعرف بالمعتصميات ونصف حانوت والفرجة المستجدة بحضرة دار الوكالة الى سوق على وعدتها ثلاثة عشر حانوتا ومصطبة وثلاث حوانيت فى الصف الشامى من سوق على ملصق الفرجة من شرقها وحانوت بالفسقار فى الصف القبلى يعرف بسكنى ثعلب الفقاعى وحوانيت اللبادين والتى بحضرة الفوارة وتحت اللبادين وقيسارية العقيقى بسوق الاحد وتعرف بدار الشجرة وحانوتان فى الصف الشرقى بحضرة فندق الزيت من غرب درب الخمارين وحانوت بقنطرة الشماعين فى الصف الشامى بحضرة البياطرة وقطعة بجوار المأمونية من غربها والعضائد التى فى الصف الشامى من سوق الاحد وهى خمس عشرة عضادة وستة أسهم من طاحونة السقيفة وذلك كله بعضه ميراث عن بنى أمية كالخضراء ودار الخيل وبعضه اشترى بمال الوقف والمصالح وبعضه أخذ من يد أهله المرقوف عليهم ولم يكن له مال وبعضه أحدث فى الطريق فلما شهدوا بصحة جميع ما ذكروا ان منافع ذلك وأجوره جارية فى المصالح قال نور الدين ان أهم المصالح سد ثغور المسلمين وبناء السور المحيط بدمشق والخندق لصيانة المسلمين وحريمهم وأموالهم فصوبوا ما أشار اليه وشكروه ثم

يتصرف فيما يخصه الا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين احضر الفقهاء واستفتاهم فى أخذ ما يحل له من ذلك فاخذ ما أفتوه بحله ولم يتعده الى غيره البتة ولم يلبس قط ما حرمه الشرع من حرير اوذهب اوفضة ومنع من شرب الخمر و بيعها فى جميع بلاده ومن ادخالها الى بلد ما وكان يحد شاربها الحد الشرعى كل الناس عنده فيه سوا

حدثنى صديق لنا بدمشق كان رضيع الخاتون ابنة معين الدين زوجة نور الدين و وزيرها قال كان نور الدين اذا جاء اليها يجلس فى المكان المختص به وتقوم فى خدمته لا تتقدم اليه الا ان يأذن فى أخذ ثيابه عنه ثم تعتزل عنه الى المكان الذى يختص بها و ينفرد هو تارة يطالع رقاع أصحاب الاشغال أو فى مطالعة كتاب أتاه و يجيب عنهما وكان يصلى فيطيل الصلاة وله أوراد فى النهار فاذا جاء الليل وصلى العشاء ونام يستيقظ نصف الليل و يقوم الى الوضوء والصلاة الى بكرة فيظهر للركوب و يشتغل بمهام الدولة قال وانها قلت عليها النفقة ولم يكفها ما كان قرره لها فارسلتنى اليه اطلب منه زيادة فى وظيفتها فلما قلت له ذلك تنكر واحمر وجهه ثم قال من أين أعطيها اما يكفيها ما لها والله لا أخوض نار جهنم فى هواها ان كانت تظن ان الذى بيدى من الاموال لى فبئس الظن انما هى أموال المسلمين مرصدة لمصالحهم ومعدة لفتق ان كان من عدو الاسلام وأنا خازنهم عليها فلا أخونهم فيها ثم قال لى بمدينة حمص ثلاثة دكاكين ملكا وقد وهبتها اياها فلتأخذها قال وكان يحصل منها قدر قليل قال ابن الاثير وكان رحمه الله لا يفعل فعلا الا بنية حسنة كان بالجزيرة رجل من الصالحين كثير العبادة والورع شديد الانقطاع عن الناس وكان نور الدين يكاتبه و يراسله و يرجع الى قوله و يعتقد فيه اعتقادا حسنا فبلغه ان نور الدين يدمن اللعب بالكرة فكتب اليه يقول ما كنت اظنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل لغير فائدة دينية فكتب اليه نور الدين بخط يده يقول وانه ما يحملنى على اللعب بالكرة اللهو والبطر وانما نحن فى ثغر العدو قريب منا وبينما نحن جلوس اذ يقع صوت فنركب فى الطلب ولا يمكننا أيضا ملازمة الجهاد ليلا ونهارا شتاء وصيفا اذ لا بد من الراحة للجند ومتى تركنا الخيل على مرابطها صارت جماما لا قدرة لها على ادمان السير فى الطلب ولا معرفة لها أيضا بسرعة الانعطاف والطاعة لراكبها فى الحرب فهذا والله الذى بعثنى على اللعب بالكرة قال ابن الاثير فانظر الى هذا الملك المعدوم النظير الذى يقل فى أصحاب الزوايا المنقطعين الى العبادة مثله فان من يجئ الى اللعب يفعله بنية صالحة حتى يصير من أعظم العبادات وأكبر القربات يقل فى العالم مثله وفيه دليل على انه كان لا يفعل شيئا الا بنية صالحة وهذه أفعال العلماء الصالحين العاملين وحكى عنه انه حمل اليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة فلم يحضرها عنده فوصفت له فلم يلتفت اليها وبيناهم معه فى حديثها واذ قد جاءه رجل صوفى فامر بها له فقيل له انها لا تصلح لهذا الرجل ولو أعطى غيرها كان أنفع له فقال اعطوها له فانى أرجو ان اعوض عنها فى الآخرة فسلمت اليه فسار بها الى بغداد فباعها بستمائة دينار اميرى أو سبعمائة دينار قلت قرأت فى حاشية هذا المكان من كتاب ابن الاثير بخط ابن المعطى اياها قال أعطاها الشيخ الصوفية عماد الدين أبى الفتح بن حمويه من غير طلب ولا رغبة فبعثها الى همدان فبيعت بألف دينار قال ابن الاثير وحكى لنا الامير بهاء الدين على بن السكرى وكان خصيصا بخدمة نور الدين قد صحبه من الصبا وأنس به وله معه انبساط قال كنت معه يوما فى الميدان بالرها والشمس فى ظهورنا فكلما سرنا تقدمنا الظل فلما عدنا صار ظلنا وراء ظهورنا فاجرى فرسه وهو يلتفت وراءه وقال لى اتدرى لاى شئ أجرى فرسى وألتفت ورائى قلت لا قال قد شبهت ما نحن فيه بالدنيا تهرب ممن يطلبها وتطلب من يهرب منها قلت رضى الله عن ملك يفكر فى مثل هذا وقد أنشدت بيتين فى هذا المعنى

مثل الرزق الذى تطلبه * مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا * فاذا وليت عنه تبعك

قال ابن الاثير وكان يعنى نور الدين رحمه الله يصلى كثيرا من الليل ويدعو ويستغفر ويقرأ ولا يزال كذلك الى ان يركب

جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما أحسن المحراب فى المحراب

قال وكان عارفا بالفقه على مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ليس عنده تعصب بل الانصاف سجيته فى كل شئ وسمع الحديث وأسمعه طلبا للاجر وعلى الحقيقة فهو الذى جدد للملوك اتباع سنة العدل والانصاف وترك

المحرمات من المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك فانهم كانوا قبل ذلك كالجاهلية همة أحدهم بطنه وفرجه لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا حتى جاء الله بدولته فوقف مع أوامر الشرع ونواهيه والزم بذلك اتباعه وذويه فاقتدى به غيره منهم واستحيوا ان يظهر عنهم ما كانوا يفعلونه ومن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة قال فان قال قائل كيف يوصف بالزهد من له الممالك الفسيحة وتجبى اليه الاموال الكثيرة فليذكر نبى الله سليمان ابن داود عليهما السلام مع ملكه وهو سيد الزاهدين فى زمانه ونبينا صلى الله عليه وسلم قد حكم على حضرموت واليمن والحجاز وجميع جزيرة العرب من حدود الشام الى العراق وهو على الحقيقة سيد الزاهدين قال وانما الزهد خلو القلب من محبة الدنيا لا خلو اليد عنها قال وأما عدله فانه كان أحسن الملوك سيرة وأعدلهم حكما فمن عدله انه لم يترك فى بلد من بلاده ضريبة ولا مكسا ولا عشرا بل اطلقها رحمه الله جميعها فى بلاد الشام والجزيرة جميعها والموصل واعمالها وديار مصر وغيرها مما حكم عليه وكان المكس فى مصر يؤخذ من كل مائة دينار خمسة وأربعون دينارا وهذا لم تتسع له نفس غيره وكان يتحرى العدل وينصف المظلوم من الظالم كائنا من كان القوى والضعيف عنده فى الحق سواء وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك الى حاجب ولا أمير فلا جرم سار ذكره فى شرق الارض وغربها قال ومن عدله انه كان يعظم الشريعة المطهرة ويقف عند أحكامها ويقول نحن شحنة لها نمضى أوامرها فمن اتباعه أحكامها انه كان يلعب بدمشق بالكرة فرأى انسانا يحدث آخر ويومى بيده اليه فأرسل اليه يسأله عن حاله فقال لى مع الملك العادل حكومة وهذا غلام القاضى ليحضره الى مجلس الحكم يحاكمنى على الملك الفلانى فعاد اليه ولم يتجاسر ان يعرفه ما قال ذلك الرجل وعاد يكتمه فلم يقبل منه غير الحق فذكر له قوله فالقى الجوكان من يده وخرج من الميدان وسار الى القاضى وهو حينئذ كمال الدين ابن الشهرزورى وأرسل الى القاضى يقول له انى قد جئت محاكما فاسلك معى مثل ما تسلكه مع غيرى فلما حضر ساوى خصمه وحاكمه فلم يثبت عليه حق وثبت الملك لنور الدين فقال نور الدين حينئذ للقاضى ولمن حضر هل ثبت له عندى حق قالوا لا فقال اشهدوا انى قد وهبت له هذا الملك الذى قد حاكمنى عليه وهو له دونى وقد كنت أعلم انه لا حق له عندى وانما حضرت معه لئلا يظن انى ظلمته فحيث ظهر ان الحق لى وهبته له قال ابن الاثير وهذا غاية العدل والانصاف بل غاية الاحسان وهى درجة وراء العدل فرحم الله هذه النفس الزكية الطاهرة المنقادة للحق الموافقة معه قلت وهذا مستكثر من ملك متأخر بعد فساد الازمنة وتفرق الكلمة والا فقد انقاد الى المضى الى مجلس الحكم جماعة من المتقدمين مثل عمر وعلى رضى الله عنهما ثم حكى نحو ذلك عن أبى جعفر المنصور وقد نقلنا ذلك كله فى التاريخ الكبير وفيه عن عبد الله بن طاهر قريب من هذا لكنه أحضر الحاكم عنده ولم يمض اليه وقد بلغنى ان نور الدين رحمه الله تعالى استدعى مرة أخرى بحلب الى مجلس الحكم بنفسه أو نائبه فدخل حاجبه عليه متعجبا واعلمه ان رسول الحاكم بالباب فانكر عليه تعجبه وقام رحمه الله مسرعا ووجد فى أثناء طريقه ما منعه من العبور من حفر جب بعض الحشوش واستخراج ما فيه فوكل من ثم وكيلا وأشهد عليه شاهدين بالتوكيل ورجع قال ابن الاثير ومن عدله انه لم يكن يعاقب العقوبة التى يعاقب بها الملوك فى هذه الاعصار على الظنة والتهمة بل يطلب الشهود على المتهم فان قامت البينة الشرعية عاقبه العقوبة الشرعية من غير تعد فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما يوجد فى غير ولايته مع شدة السياسة والمبالغة فى العقوبة والاخذ بالظنة وأمنت بلاده مع سعتها وقل المفسدون ببركة العدل واتباع الشرع المطهر قال وحكى لى من أثق به انه دخل يوما الى خزانة المال فرأى فيها مالا أنكره فسأل عنه فقيل ان القاضى كمال الدين أرسله وهو من جهة كذا فقال ان هذا المال ليس لنا ولا لبيت المال فى هذه الجهة شئ وأمر برده وأعادته الى كمال الدين ليرده على صاحبه فأرسله متولى الخزانة الى كمال الدين فرده الى الخزانة وقال اذا سأل الملك العادل عنه فقولوا له عنى انه له فدخل نور الدين الخزانة مرة أخرى فرآه فأنكر على النواب وقال ألم أقل لكم يعاد هذا المال على أصحابه فذكروا له قول كمال الدين فرده اليه وقال للرسول قل لكمال الدين أنت تقدر على حمل هذا المال وأما أنا فرقبتى دقيقة لا أطيق حمله والمخاصمة عليه بين يدى الله تعالى يعاد قولا واحدا قال ومن عدله أيضا بعد موته وهو من أعجب ما يحكى ان انسانا كان بدمشق غريبا استوطنها وأقام بها لما رأى من عدل نور الدين رحمه الله فلما توفى تعدى بعض الاجناد على هذا الرجل فشكاه

الذى ينبغى ان يكتب على العيون بماء الذهب وبنى بدمشق أيضا دارا للحديث ووقف عليها وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث وقوفا كثيرة وهو أول من بنى دارا للحديث فيما علمناه وبنى أيضا فى كثير من بلاده مكاتب للايتام وأجرى عليهم وعلى معلميهم الجرايات الوافرة وبنى أيضا مساجد كثيرة ووقف عليها وعلى من يقرأ بها القرآن قال وهذا فعل لم يسبق اليه بلغنى من عارف بأعمال الشام ان وقوف نور الدين فى وقتنا هذا وهو سنة ثمان وستمائة كل شهر تسعة آلاف دينار صورية ليس فيها غير ملك صحيح شرعى ظاهر او باطن فانه وقف ما انتقل اليه وورثه أو ما غلب عليه من بلاد الفرنج وصار سهمه قال وأما هيبته ووقاره فانه اليه النهاية فيهما ولقد كان كما قيل شديدا فى غير عنف رقيقا فى غير ضعف واجتمع له ما لم يجتمع لغيره فانه ضبط ناموس الملك مع أجناده وأصحابه الى غاية لا مزيد عليها وكان يلزمهم بوظائف الخدمة الصغير منهم والكبير ولم يجلس عنده أمير من غير ان يأمره بالجلوس الا نجم الدين أيوب والد صلاح الدين يوسف وأما من عداه كأسد الدين شيركوه ومجد الدين بن الداية وغيرهما فانهم كانوا اذا حضروا عنده يقفون قياما الى ان يأمرهم بالقعود وكان مع هذه العظمة وحفظ الناموس القائم اذا دخل عليه الفقيه أو الصوفى أو الفقير يقوم له ويمشى بين يديه ويجلسه الى جانبه كأنه أقرب الناس اليه وكان اذا أعطى أحدهم شيئا يقول ان هؤلاء لهم فى بيت المال حق فاذا قنعوا منا ببعضه فلهم المنة علينا وكان مجلسه كما روى فى صفة مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حكم وحياء لا تؤبن فيه الحرم وهكذا كان مجلسه لا يذكر فيه الا العلم والدين وأحوال الصالحين والمشاورة فى أمر الجهاد وقصد بلاد العدو ولا يتعدى هذا بلغنى ان الحافظ ابن عساكر الدمشقى رضى الله عنه حضر مجلس صلاح الدين يوسف لما ملك دمشق فرأى فيه من اللغط وسوء الادب من الجلوس فيه ما لا حد عليه فشرع يحدث صلاح الدين كما كان يحدث نور الدين فلم يتمكن من القول لكثرة الاختلاف من المحدثين وقلة استماعهم فقام وبقى مدة لا يحضر المجلس الصلاحى وتكرر رسول صلاح الدين الطلب له فحضر فعاتبه صلاح الدين يوسف على انقطاعه فقال نزهت نفسى عن مجلسك فانى رأيته كبعض مجالس السوقة لا يستمع فيه الى قائل ولا يرد جواب متكلم وقد كنا بالامس نحضر مجلس نور الدين فكنا كما قيل كأنما على رؤسنا الطير تعلونا الهيبة والوقار فاذا تكلم أنصتنا واذا تكلمنا استمع لنا فتقدم صلاح الدين الى أصحابه انه لا يكون منهم ما جرت به عادتهم اذا حضر الحافظ قال ابن الاثير فهكذا كانت أحوال مجالسه رحمه الله مضبوطة محفوظة وأما حفظه أصول الديانات فانه كان مراعيا لها لا يهملها ولا يمكن أحدا من الناس من اظهار ما يخالف الحق ومتى أقدم متقدم على ذلك أدبه بما يناسب بدعته وكان يبالغ فى ذلك ويقول نحن نحفظ الطرق من لص وقاطع طريق والاذى الحاصل منهما قريب أفلا نحفظ الدين ونمنع عنه ما يناقضه وهو الاصل قال وحكى ان انسانا بدمشق يعرف بيوسف بن آدم كان يظهر الزهد والنسك وقد كثر أتباعه أظهر شيئا من التشبيه فبلغ خبره نور الدين فأحضره وأركبه حمارا وأمر بصفعه فطيف به فى البلد جميعه ونودى عليه هذا جزاء من أظهر فى الدين البدع ثم نفاه من دمشق فقصد حران وأقام بها الى ان مات قال ويسوق الله القصار الاعمار الى البلاد الوخمة قلت وذكر العماد الكاتب فى أول كتابه البرق الشامى انه قدم دمشق فى شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائة فى دولة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى وأخذ فى وصفه بكلامه المسجوع فقال كان ملك بلاد الشام ومالكها والذى بيده ممالكها الملك العادل نور الدين أعف الملوك وأتقاهم وأتقنهم رأيا وأنقاهم وأعدلهم وأعبدهم وأزهدهم وأجهدهم وأظهرهم وأطهرهم وأقواهم وأقدرهم وأصلحهم عملا وأنجحهم أملا وأرجحهم رأيا وأوضحهم آيا وأصدقهم قولا وأسدهم طولا وكان عصره فاضلا ونصره واصلا وحكمه عادلا وفضله شاملا وزمانه طيبا واحسانه صيبا والقلوب بهيبته ومحبته ممتليه والنفوس بعاطفته وعارفته مقليه وأوامره ممتثله وحده منزه عن المزل وتوابه فى أمن من العزل ودولته مأمولة مأمونه وروضته ممطوره مصونه والرياسة كامله والسياسة شامله والزيادة زائده والسعادة مساعده والعيشة ناضره والشيعة ناصره والانصاف صاف والاسعاف عاف وأزر الدين قوى وظمأ الاسلام روى وزند النجح ورى والشرع مشروع والحكم مسموع والعدل مولى والظلم معزول والتوحيد منصور والشرك مخذول وللتقى شروق وما للفسوق سوق وهو الذى أعاد رونق الاسلام الى بلاد الشام وقد غلب الكفر وبلغ الضر فاستفتح معاقلها واستخلص عقائلها

وأشاع بها شعار الشرع فى جميع الحل والعقد والابرام والنقض والبسط والقبض والوضع والرفع وكانت للفرنج فى أيام غيره على بلاد الاسلام بالشام قطائع فقطعها وعفى رسومها ومنعها ونصره الله عليهم مرارا حتى أسر ملوكهم وبدد سلوكهم وصان الثغور منهم وحماها عنهم وأحيا معالم الدين الدارس وبنى الائمة المدارس وأنشأ الخانقاهات للصوفية وكثرها فى كل بلد وكثر وقوفها وقرر معروفها وأدنى للوافدين من جنى جنانه قطوفها وأجد الاسوار والخنادق وأعلى المرافق وحمى الحقائق وأمر فى الطرقات ببناء الربط والخانات فضافت ضيوف الفضائل وفاضت فيوض الافاضل وهو الذى فتح مصر وأعمالها وأنشأ دولتها ورجالها ثم ذكر العماد فى أثناء حوادث سنة تسع وستين وهى السنة التى توفى فيها نور الدين قال

وفى هذه السنة أكثر نور الدين من الاوقاف والصدقات وعمارة المساجد المهجورة وتعفية آثار الآثام واسقاط كل ما يدخل فى شبهة الحرام فما أبقى سوى الجزية والخراج وما يحصل من قسمة الغلات على قويم المنهاج قال وأمرنى بكتب مناشير لجميع أهل البلاد فكتبت أكثر من ألف منشور وحسبنا ما تصدق به على الفقراء فى تلك الاشهر فزاد على ثلاثين ألف دينار وكانت عادته فى الصدقة انه يحضر جماعة من أماثل البلد من كل محلة ويسألهم عمن يعرفون فى جوارهم من أهل الحاجة ثم يصرف اليهم صدقاتهم وكان له برسم نفقة الخاص فى كل شهر من جزية أهل الذمة مبلغ ألفى قرطيس يصرفها فى كسوته ونفقته وحوائجه المهمة حتى أجرة خياطه وجامكية طباخه ويستفضل منه ما يتصدق به فى آخر الشهر وأما ما كان يهدى اليه من هدايا الملوك وغيرهم فانه كان لا يتصرف فى شئ منه لا قليل ولا كثير بل اذا اجتمع يخرجه الى مجلس القاضى ويحصل ثمنه ويصرف فى عمارة المساجد المهجورة وتقدم باحصاء ما فى محال دمشق فأناف على مائة مسجد فأمر بعمارة ذلك كله وعين له وقوفا قال ولو اشتغلت بذكر وقوفه وصدقاته فى كل بلد لطال الكتاب ولم أبلغ الى أمد ومشاهد أبنيته الدالة على خلوص نيته يغنى عن خبرها بالعيان ويكفى أسرار البلدان عن الربط والمدارس على اختلاف المذاهب واختلاف المراتب وفى شرح طوله طول وعمله لله مبرور مقبول وواظب على عقد مجالس الوعاظ ونصب الكراسى لهم فى القلعة للانذار والاتعاظ وأكبرهم الفقيه قطب الدين النيسابورى وهو مشغوف ببركة أنفاسه واغتنام كلامه واقتباسه ووفد من بغداد ابن الشيخ أبى النجيب الاكبر فبسط له فى كل أسبوع المنبر وشاقه وعظه وراقه معتاده ولفظه وكذلك وفد اليه من اصبهان الفقيه شرف الدين عبد المؤمن بن شوروة وما أيمن تلك الايام وأبرك تلك الشتوة قال ولما أسقط نور الدين الجهات المحظورة والشبه المحذورة عزل الشحن وصرف عن الرعية بصرفهم المحن وقال للقاضى كمال الدين ابن الشهرزورى انظر أنت ذلك واجعل أمور الناس فيها على الشريعة قال ولم يكن لمال المواريث الحشرية حاصل ولا لديوانه طائل فجعل نور الدين ثلث ما يحصل فيه لكمال الدين الحاكم فوفر دخله وكثره وما كان نور الدين يحاسب القاضى على شئ من الوقوف ويقول أنا قد قلدته على أن يصرف بالمعروف وما فضل من مصارفها وشروط واقفيها يأمره بصرفه فى بناء الاسوار وحفظ الثغور وكانت دولته نافذة الاوامر منتظمة الامور قلت وحكى الشيخ أبو البركات الحسن بن محمد بن هبة الله انه حضر مع عمه الحافظ أبى القاسم رحمه الله مجلس نور الدين لسماع شئ من الحديث فمر فى أثناء الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج متقلدا سيفا فاستفاد نور الدين أمرا لم يكن يعرفه وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقلد السيف يشير الى التعجب من عادة الجند اذ هم على خلاف ذلك لانهم يربطونه بأوساطهم قال فلما كان من الغد مررنا تحت القلعة والناس يجتمعون ينتظرون ركوب السلطان فوقفنا ننظر اليه معهم فخرج نور الدين رحمه الله من القلعة وهو متقلد للسيف وجميع عسكره كذلك فرحمة الله على هذا الملك الذى لم يفرط فى الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم بمثل هذه الحالة لما بلغته رجع بنفسه ورد جنده عن عوايدهم اتباعا لما بلغه عن نبيه صلى الله عليه وسلم فما الظن بغير ذلك من السنن ولقد بلغنى انه أمر باسقاط القابه فى الدعاء له على المنابر ورأى له وزيره موفق الدين خالد بن القيسرانى الشاعر فى منامه انه يغسل ثيابه وقص ذلك عليه ففكر ساعة ثم أمر بكتابة اسقاط المكوس وقال هذا تفسير منامك وكان فى تهجده يقول ارحم العشار المكاس وبعد ان أبطل ذلك استحل من الناس فى حل وقال والله ما أخرجناها الا فى جهاد عدو الاسلام يعتذر بذلك اليهم عن أخذها منهم وعلى الجملة كان نور الدين رحمه الله فردا فى زمانه من بين

أبوسالم عبد المنعم بن المنذران نورالدين حين خرج لاخذ شيزر خرج أبوغانم بن المنذر صحبته فأمره نورالدين بكتابة منشور باطلاق المظالم بحلب ودمشق وحمص وحرّان وسنجار والرحبة وعزاز وتل باشر وعداد العرب فكتب عنه توقيعا نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقرب به الى الله سبحانه وتعالى صافحا وأطلقه مسامحا لمن علم ضعفه من الرعايا رعاهم الله لضعفهم عن عمارة ما أخربته أيدى الكفار أبادهم الله عند استيلائهم على البلاد وظهور كثرتهم فى العباد رأفة بالمسلمين المتاغرين ولطفا بالضعفاء المرابطين الذين خصهم الله سبحانه بفضيلة الجهاد واستعملهم بمجاورة أهل العناد اختبارا لصبرهم واعظاما لاجرهم فصبروا احتسابا وأجزل الله لهم أجرا وثوابا انما يوفى الصابرون أجورهم بغير حساب وأعاد عليهم ما اغتصبوا عليه من املاكهم التى أفاءالله عليهم بيمن الفتوح العمريه وأقرها فى الدولة الاسلاميه بعد ما ظن أهلها من الفئة المتقدمين واسترجعه بسيفه من الكفرة الملاعين فطمس عنهم بذلك معالم الجور وهدم أركان التعدى وأقر الحق مقرة لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء ثم الله الله بعونه وأيده بنصره وقمع به عادية الكفر وأظهر بهمته شعار الاسلام وأظفره بالفئة الطاغيه وأمكنه من ملوكها الباغيه فجعلهم بين قتيل غير مقاد وهارب ممنوع الرقاد وآخرين مقرنين فى الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب علم ان الدنيا فانيه فاستخدمها للآخرة الباقيه واستبق ملكه الزائل بأن قدمه أمامه وجعله ذخرا لمعاده فالتقوى مادة دار اذا انقطعت المواد وجادة واضحة حين يلتبس الجواد يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله فصفح لكافة المسافرين وجميع المسلمين بالضرائب والمكوس وأسقطها من دواوينه وحرمها [illegible] كل متطاول اليها ومتهافت عليها تجنبا لاثمها واكتسابا لثوابها فكان مبلغ ما سامح به وأطلقه وأنفذ الامر فيه اتباعا لكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى كل سنة من العين مائة ألف وستة وخمسون ألف دينار جهة ذلك حلب خمسون ألف دينار عزاز عن مكس جددته الفرنج خذلهم الله على المسافرين عشرة آلاف دينار تل باشر أحد وعشرين ألف دينار المعرة ثلاثة آلاف دينار دمشق المحروسة لما استنجد به أهلها واستصرخ من فيها خوفا على نفسهم وأموالهم من استيلاء العدو وضعفهم عن مقاومته ما كان يؤخذ منهم فى كل سنة وهو رسم يسمونه الغنمه عشرون ألف دينار حمص ستة وعشرين ألف دينار حرّان خمسة آلاف دينار سنجار ألف الرحبة عشرة آلاف دينار عداد العرب عشرة آلاف دينار وما وقفه وتصدق به وأجراه فى سبيل الخيرات ووجوه البر والصدقات تقدير ثمنه مائتا ألف دينار وتقدير الحاصل من ارتفاعه فى كل سنة ثلاثون ألف دينار من ذلك ما وقفه على المدارس الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية وأئمتها ومدرسيها وفقهائها وما وقفه على دور الصوفية والربط والجسور والبيمارستانات والجوامع والمساجد والاسوار وما وقفه على السبيل فى طريق الحجاز وما وقفه على فكاك الاسرى وتعليم الايتام ومقرئ القرآن وفقراء المسلمين وما وقفه على الاشراف العلويين والعباسيين وما ملكه لجماعة من الاولياء والغزاة والمجاهدين هذا جميعه سوى ما أنعم به على أهل الله [illegible] حرسه الله تعالى من أملاكهم التى تقدم ذكرها فانه يضاهى هذا المبلغ وزيادة عليه جعل ذلك ذريعة عند الله وتقربا اليه مضافا الى ما أنفقه فى الغزاة والجهاد واستئصال شأفة أهل الكفر والعناد من خزائنه المعموره وأمواله الموروثة المذخوره طلبا لما عند الله والله عنده حسن الثواب فالواجب على كل امام عدل وسلطان قادر ان يمده ويوده ويشد عضده ويقوى عزمه وينفذ حكمه وعلى كل مسلم ان يواصله بالدعاء آناء الليل وأطراف النهار كتبه خادم دولته وغذى نعمته عبد الرحمن بن عبد المنعم بن رضوان بن عبد الواحد بن محمد بن المنذر الحلبى غفر الله له ورحمه ورضى عنه الى كل من يصل اليه من أئمة الدين وفقهاء المسلمين وأصحاب الزوايا المتعبدين وكافة التجار والمسافرين أحسن الله توفيقهم وسدّد الى اغراض الخير تفويقهم ليشعروا بذلك من حضرهم من التجار والمترددين اليهم من السفار ليعرفوا قدر ما أنعم الله به عليه وعليهم ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ويمدوه بأدعيتهم ويبرؤا ذمته مما سبق من أخذ مؤنتهم فانه لم يصرف ذلك الا فى خدمة وجه بر وتجهيز جيش ومعونة مجاهد وردع كافر ومعاند فهم شركاؤه فى الثواب

قال لى رضى الدين أبو سالم بن المنذر فلما وقف نورالدين على قوله ويبرئ ذمته مما سبق استحسن ذلك كثيرا ووعده باقطاع حسن واتفق موته بعد ذلك قلت ونقلت من خط الشيخ الامين أبى القاسم عبد الرحمن بن الحسين ابن الحضر ابن الحسين بن عبدان الازدى الدمشقى وقف المولى نورالدين بستان الميدان سوى الغيضة التى من قبليه بعد عمارته واصلاح ما يحتاج اليه على تطييب المساجد التى يأتى ذكرها وهى جامع دمشق المحروسة جامع قلعة دمشق مدرسة الحنفية التى جددها نورالدين مسجد ابن عطية داخل باب الجابية مسجد بن لبيد بالفسقار مسجد سوق الرماحين المسجد المعلق بسوق الصاغة مسجد دار البطيخ المعلق مسجد العباسى بسوق الاحد مسجد نورالدين بجوار بيعة اليهود جامع الصالحيين بجبل قاسيون يبتاع بذلك عود وطيب ويفرق على هذه الاماكن النصف للجامع بدمشق والنصف الثانى يقسم على احد عشر جزأ جزآن للمدرسة وتسعة أجزاء لتسعة المساجد الباقية لكل مسجد جزءا واحدا تطيب هذه الاماكن فى الاوقات الشريفة ومواسم الاجتماعات وليالى شهر رمضان والاعياد وأيام الجمع وقت عقد الجمعة فى الجوامع وليالى الجمعة والخميس والاثنين ونقلت من خطه أيضا ان نورالدين رحمه الله حضر عنده بقلعة دمشق يوم الجمعة تاسع عشر صفر سنة أربع وخمسين وخمسمائة القاضى زكى الدين أبو الحسن على بن محمد بن يحيى القرشى والفقهاء الشيخ شرف الدين بن أبى عصرون والخطيب عزالدين أبو البركات بن عبد والامام عزالدين أبو القاسم على بن الماسح الشافعيون وشرف الدين أبو القاسم عبد الوهاب بن عيسى المالكى وشرف الاسلام نجم الدين عبد الوهاب الحنبلى ووضى الدين أبو غالب عبد المنعم بن محمد بن أسد التميمى رئيس دمشق ونظام الدين أبو الكرام المحسن بن أبى المضا متولى الوزارة بدمشق والاعيان من شهود العدالة بدمشق وهم عبد الصمد بن تميم وعبد الواحد بن هلال والصائغ أبو الحسين وغيرهم فسألهم نورالدين عن المضاف الى أوقاف المسجد الجامع بدمشق من المصالح التى ليست وقفا عليه وان يذكر كل واحد منهم ما يعلمه من ذلك ليعمل به ويقع الاعتماد عليه وقال لهم ليس يجوز لاحد منكم ان يعلم من ذلك شيئا الا ويذكره ولا ينكر شيئا مما يقوله غيره الا وينكره والساكت منكم مصدق للناطق ومصوب لقوله وليس العمل الا على ما تتفقون عليه وتشهدون به وعلى هذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يجتمعون ويتشاورون فى مصالح المسلمين فكل من الحاضرين شكره على ما قصده وأثنى عليه ودعا له بالبقاء ثم أمر نورالدين متولى أوقاف الجامع والمساجد والبيمارستان وقنى السبيل وما يجرى مع ذلك ان يقرأ عليه بحضر من المذكورين ضريبة الاوقاف مرضعا موضعا ليفرد ما يعلمون انه للمصالح دون الوقف فافتتح بالسوق المستجد تحت المأذنة الغربية بجوار البيمارستان فقال الصائغ وابن تميم وابن هلال هذا السوق بكماله لمصالح المسلمين [illegible] من وقف الجامع لانه أحدث فى طريق المسلمين وقد صرف فى الجامع من أجوره أوفى مما غرم على عمارته من وقفه فصدقهم الحاضرون على ما شهدوا به ومبلغ ذلك خمس وعشرون عضادة ثم عين للمصالح أيضا ما فى زيادة الجامع القبلية وزيادة باب البريد فى الصف القبلى والشامى من العضائد والحوانيت والحجر التى طباقها وطباق الطريق بحضرتها وجميع بيوت الخضراء من قبلة الجامع والقرن المستجد بها ودار الخيل والمساكن والحوانيت المجاورة لدار الخيل وحانوت الخواصين فى الصف الغربى واثنا عشر حانوتا متلاصقات فى الصف الشرقى تعرف بالمعتصميات ونصف حانوت والفرجة المستجدة بحضرة دار الوكالة الى سوق على وعدتها ثلاثة عشر حانوتا ومصطبة وثلاث حوانيت فى الصف الشامى من سوق على ملاصق الفرجة من شرقها وحانوت بالفسقار فى الصف القبلى يعرف بسكنى ثعلب الفقاعى وحوانيت اللبادين والتى بحضرة الفوارة وتحت اللبادين وقيسارية الفقيق بسوق الاحد وتعرف بدار الشجرة وحانوتان فى الصف الشرقى بحضرة فندق الزيت من غرب درب التمارين وحانوت بقنطرة الشماعين فى الصف الشامى بحضرة البياطرة وقطعة بجوار [illegible] من غربها والعضائد التى فى الصف الشامى من سوق الاحد وهى خمس عشرة عضادة وستة أسهم من طاحونة السقيفة وذلك كله بعضه ميراث عن بنى أمية كالخضراء ودار الخيل وبعضه اشترى بمال الوقف والمصالح وبعضه أخذ من بادأهل المرقوف عليهم ولم يكن لهم مال وبعضه أحدث فى الطريق فلما شهدوا بصحة جميع ما ذكروا ان منافع ذلك وأجوره جارية فى المصالح قال نورالدين ان أهم المصالح سد ثغور المسلمين وبناء السور المحيط بدمشق والخندق لصيانة المسلمين وحريمهم وأموالهم فصوبوا ما أشار اليه وشكروه ثم

واستبداده بذلك من غير مشاورته هذا مع ان ابن أبي طي متهم فيما ينسبه الى نور الدين مما لا يليق به فان نور الدين رحمه الله كان قد أذل الشيعة بحلب وأبطل مشاعرهم وقوى أهل السنة وكان والد ابن ابى طي من رؤس الشيعة فنفاه من حلب وقد ذكر ذلك كله ابن أبي طي في كتابه مفرقا في مواضع فلهذا اشرفى الكتاب الذى له كبير الحمل على نور الدين رحمه الله فلا يقبل منه ما ينسبه اليه مما لا يليق به والله أعلم قال ولما ملك الملك الناصر مصر انتزع نور الدين حمص والرحبة من ناصر الدين ابن أسد الدين وفرق عماله واعطاه تل باشر ثم أخذها منه ولقد كان يتألم لملك الملك الناصر ويقال انه لما مرض قال ما أخطأت الا في انفاذى أسد الدين الى مصر بعد علي برغبته فيها وما يحزنني شئ كعلى بما ينال أهلي من يوسف بن أيوب ثم التفت الى أصحابه فقال اذا انا مت فسيروا بابني اسماعيل الى حلب فانه لا يبقى عليه غيرها قال ابن أبي طي ولقد كان يبلغ الملك الناصر من أقوال نور الدين واقوال أصحابه أشياء تؤلمه وتغضه فغير انه يلقاها بصدر رحب وخلق عذب حدثني أبي عن ابن قاضي الدهليز وكان من خواص الملك الناصر قال جرى يوما بين يدى السلطان ذكر نور الدين فأكثر الترحم عليه ثم قال والله لقد صبرت منه على مثل خز المدى ووخز الابر وما قدر أحد من أصحابه ان يجد على ما يعتمد ذنبا ولقد اجتهد هو بنفسه أيضا ان يجد لى هفوة يعتدها على فلم يقدر ولقد كان يعتمد في مخاطباتي ومراسلاتي على الاشياء التى لا يصبر على مثلها الا على اتضرر أو أتغير فيكون ذلك وسيلة له الى منابذتي فما أبلغته اربه يوما قط قلت قد وقفت على كتاب بخط نور الدين رحمه الله يشكر فيه من صلاح الدين رحمه الله وذلك ضد ما قاله ابن أبي طي كتب نور الدين ذلك الكتاب الى الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون رحمه الله وهو بحلب ليوليه قضاء مصر صورته (حسبي الله وكفى وفق الله الشيخ الامام شرف الدين لطاعته وختم له بخير غير خاف على الشيخ ما أنا عليه وفيه وكل غرضي ومقصودي في مصالح المسلمين وما يقربني الى الله والله ولى التوفيق والمطلع على نيتي وانت تعلم نيتي كما قال عز من قائل (ومن عنده علم الكتاب) أنت تعلم ان مصر اليوم قد لزمنا النظر فيها فهي من الفتوحات الكبار التى جعلها الله تعالى دار اسلام بعدما كانت دار كفر ونفاق فلله المنة والحمد الا ان المقيم على كل شئ أمور الدين التى هي الاصل وبها النجاة وأنت تعلم ان مصر والمسلمين ماهي قليلة وهي خالية من أمور الشرع وما تدخر الدموع الا للشدائد وأنا ما كنت أسخى ولا أشتهى مفارقتك والآن فقد تعين عليك وعلى أيضا ان ننظر الى مصالحها وما لنا أحد اليوم لها الا أنت ولا أقدر أولى أمورها ولا أقلدها الا لك حتى تبرأ ذمتى عند الله فيجب عليك وفقك الله ان تشمر عن ساق الاجتهاد وتتولى قضاءها وتعمل ما تعلم انه يقربك الى الله وقد برئت ذمتى وأنت تجاوب الله فاذا كنت أنت هناك وولدك أبو المعالي وفقه الله فيطيب قلبي وتبرأ ذمتى وقد كتبت هذا لخطى حتى لا يبقى على حجة تصل أنت وولدك عندى حتى أسيركم الى مصر والسلام بموافقة صاحبي واتفاق منه صلاح الدين وفقه الله فانا منه شاكر كثير كثير جزاه الله خيرا وأبقاه ففي بقاء الصالحين والاخيار صلاح عظيم ومنفعة لاهل الاسلام الله تعالى يكثر من الاخيار وأعوان الخير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما) قال ابن أبي طي وأبطل صلاح الدين من المكوس والمظالم ما يستخرج بديوان صناعة مصر مائة ألف دينار وما يستخرج بالاعمال القبلية والبحرية مائة ألف دينار فسامح بجميع ذلك وأمر بكتابة سجل به من ديوان الانشاء وأنفذ الى سائر أعمال مصر يقرأ على المنابر وعرض عليه سياقة جرائد الدواوين في جهات المستخدمين والعاملين لعدة سنين متقدمة آخرها سنة أربع وستين وخمسمائة فكان مبلغه ينيف عن ألف ألف دينار وألفى ألف أردب غلة فسامح في جميع ذلك وأبطله من الدواوين واسقطه عن المعاملين وانهى اليه ما يستأدى من الحجاج بالحجاز المحروس من المكوس فانكر ذلك وأكبره وعوض عنه بعدة ضياع فأغاث أهل الحجاز بما أوسعهم من العين والغلة أشياء يطول شرحها قلت وسيأتي كل ذلك في موضعه ونسخة منشور اسقاط المكوس في أخبار سنة سبع وستين وذلك باشارة نور الدين رحمه الله وفي أيامه

(فصل) ذكر العماد في ديوانه قصيدة يمدح بها نور الدين ويهنيه بملك مصر ولم يذكرها في كتاب البرق منها

بملك مصر اهنى مالك الامم * فاسعد وابشر بنصر الله عن امم
اضحى بعدلك شمل الملك ملتئما * وهل بعدلك شئ غير ملتئم
يا فاعل الخير عن طبع بلا كلف * ومولى العرف عن خلق بلا سأم

ووامق اثم ثغر الكفر قبلة * لا لثم ثغر شنيب واضح شبم
لله درك نور الدين من ملك * بالعزم مفتتح بالنصر مختتم
آثار عزمك في الاسلام واضحة * وسر ذلك بباد غير مكتتم
بما من العدل والاحسان تنشره * تخاف ربك خوف المذنب الاثم
أوردت مصر خيول النصر عادمة * ثنى الاعنة اقداما على اللجم
فأقبلت في سحاب من ذوابلها * وقضبها ببماء الهام منسجم
تمكن الرعب في قلب العدو بها * تمكن النار بالاحراق في الفحم
سرت لتقطع ما للكفر من سبب * واه وتوصل ما للدين من رحم
مستسهلات وعور الطرق في طلب العلياء مقتحمات اصعب القحم
وعاجلات من الافرنج غلهم * والقيد في موضع الاطواق والحزم
لقد شفت غلة الاسلام وانتقمت * من العدو بحد الصارم الحذم
أعانها الله في اطفاء جمر اذى * من شر شاور في الاسلام مضطرم
وأصبحت بك مصر بعد خيفتها * للامن والعز والاقبال كالحرم
والسنة اتسقت والبدعة انمحقت * وعاودت دولة الاحسان والكرم
ملوكها الكلاب صاروا اعبدا وغدا * بها عبيدك املاكا كذوى حرم
انبت عنك بها ترما ينوب بها * في البأس عن عنتر في الجود عن هرم
لله درك نور الدين من ملك * عدل لحفظ أمور الدين ملتزم
كانت ولاية مصر قبل عزتها * بكشف دولتها الحاء على وضم
فالنيل ملتطم جار على خجل * جارا لبحر نوال منك ملتطم
أغز الفرنج فهذا وقت غزوهم * واحطم جموعهم بالذابل الحطم
وطهر القدس من رجس الصليب وثب * على البغات وثوب الاجدل القطم
فلك مصر وملك الشام قد نظما * في عقد عز من الاسلام منتظم
محمود الملك الغازي يموسهما * بالفضل والعدل والافضال والنعم
بالشكر كل لسان ناطق أبدا * محمود الملك محمود بكل فم
فاشلك مصر واظهر عز سنتها * كم تعتفي والى كم تشتكي وكم

ولعلم الدين الشاتاني في نور الدين رحمه الله

ما نال شأوك في الملك المنجر * كلا ولا كسرى ولا اسكندر
يا خير من ركب الجياد وخاض في * لجج المنايا والاسنة تقطر
هل حاز غيرك ملك مصر وصار من * اتباعه من جده المستنصر
والمستضي بالله معتمد به * وبجده وبجده مستظهر
أوسد بالشام الثغور محاميا * للدين حتى عاد عنها قيصر
يبكي فيروى الارض بحر دموعه * والجو من انفاسه يتسعر
أوما أبوك بسيفه فتح الرها * والاسد تقتنص الكماة وتزأر
هابت ملوك الارض بأس كماتها * فتقاعدوا عن قصدها وتأخروا
ماضره طي المنية ذاته * وصفاته بين البرية تنشر
فلكم على كل الملوك مزية * لوقائع مشهورة لا تنكر
واذا عددنا للانام مناقبا * فلك الاول الكل يثنى الخنصر

وقد ترك أكثر عسكره بالشام لحفظ ثغوره وأطرافه من الفرنج وغيرهم فلما اجتمعت العساكر سار الى سنجار فحصرها وأقام عليها ونصب المجانيق وكان بها عسكر كبير من الموصل فكاتبه عامة الامراء الذين بالموصل يحثونه على السرعة اليهم ليسلموا البلد اليه وأشاروا بترك سنجار فلم يقبل منهم وتام حتى ملك سنجار وسلمها الى ابن أخيه الاكبر عماد الدين زنكى ثم سار الى الموصل فأتى مدينة بلد وعبر دجلة فى مخاضة عندها الى الجانب الشرقى وسار فنزل شرقى الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل قال ومن العجب انه يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة وكان عبد المسيح قد سير عز الدين مسعود بن قطب الدين الى أتابك ايلدكز صاحب بلاد الجبل واذربيجان واران وغيرها يستنجده فأرسل ايلدكز رسولا الى نور الدين ينهاه عن قصد الموصل ويقول له ان هذه البلاد للسلطان ولا سبيل لك اليها فلم يلتفت نور الدين الى رسالته وكان بسنجار فسار الى الموصل وقال للرسول قل لصاحبك أنا أرفق ببنى أخى منك فلا تدخل نفسك بيننا وعند الفراغ من اصلاحهم يكون الحديث معك على باب همذان فانك قد ملكت النصف من بلاد الاسلام وأهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها وقد بليت أنا وحدى بأشجع الناس الفرنج فأخذت بلادهم وأسرت ملوكهم فلا يجوز لى أن أتركك على ما أنت عليه فانه يجب علينا القيام بحفظ ما أهملت من بلاد الاسلام وازالة الظلم عن المسلمين فعاد الرسول بهذا الجواب وحصر نور الدين الموصل فلم يكن بينهم قتال وكان هوى كل من بالموصل من جندى وعامى معه لحسن سيرته وعدله وكاتبه الامراء يعلمونه على الوثوب على عبد المسيح وتسليم البلد اليه فلما علم عبد المسيح ذلك راسله فى تسليم البلد اليه وتقريره على سيف الدين ويطلب الامان واقطاعا يكون له فأجابه الى ذلك وقال لا سبيل الى ابقائه بالموصل بل يكون عندى بالشام فانى لم آت لاخذ البلاد من أولادى انما جئت لاخلص الناس منك وأتولى أنا تربية أولادى فاستقرت القاعدة على ذلك وسلمت الموصل اليه فدخلها ثالث عشر جمادى الاولى وسكن القلعة وأقر سيف الدين غازى على الموصل وولى بقلعتها خادما يقال له سعد الدين كمشتكين وجعله دزدارا فيها وقسم جميع ما خلفه أخوه قطب الدين بين أولاده بمقتضى الفريضة ولما كان يحاصر الموصل جاءته خلعة من الخليفة فلبسها فلما دخل الموصل خلعها على سيف الدين وأطلق المكوس جميعها من الموصل وسائر ما فتحه من البلاد وأمر ببناء الجامع النورى بالموصل فبنى وأقيمت الصلاة فيه سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وأقام بالموصل نحو عشرين يوما وسار الى الشام فقيل له انك تحب الموصل والمقام بها وتراك أسرعت العود فقال قد تغير قلبى فيها فان لم أفارقها ظلمت ويمنعنى أيضا انى ههنا لا أكون مرابطا للعدو وملازما للجهاد ثم اقطع نصيبين والخابور العساكر وأقطع جزيرة ابن عمر سيف الدين غازى ابن أخيه مع الموصل وعاد الى الشام ومعه عبد المسيح فغير اسمه وسماه عبد الله وأقطعه اقطاعا كثيرا وقال العماد استدعانى نور الدين ونحن بظاهر الرقة وقال لى قد أنست بك وأمنت اليك وأنا غير مختار للفرقة لكن المهم الذى عرض لا يبلغ فيه غيرك الغرض فتمضى الى الديوان العزيز جريدة وتؤدى عنى رسالة سديدة سعيدة وتنهى اذ قصدت بيتى وبيت والدى ومغنى طريفى وتالدى وأنا كبيره ووارثه والذى له حديثه وحادثه فامض وخذ لى اذنا فانى أعد كل جارحة لما أخاطب به اذنا وامثل ما يصلنى من المنال لدفع كل مكروه ركنا وأمر ناصر الدين محمد بن شيركوه أن يسيرنى الى الرحبة فى رجال مأمونى الصحبة وسرت منها على البرية غربى الفرات بخفير من بنى خفاجه فذكر انه وصل وقضى الحاجة ثم رجع من عند الخليفة المستنجد الى نور الدين وهو يحاصر سنجار فأخذها وسلمها الى ختنه ابن أخيه عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى قال ثم رحل على عزم الموصل وقصد بلد واستوضح فيها الجدد ودل هناك فى دجلة على مخاضه وكان ذا أخلاق وهم مرتاضه فاستسهل من خوضها والعبور فيها ما كان مستصعبا وسهل الله لنا ذلك ورأيناه أمرا عجبا وجاء دليل تركمانى قدامنا وهو يقطع دجلة تارة طولا وتارة عرضا أمامنا ونحن وراءه كخيط واحد لا نميل يمينا ولا يسارا ولا نجد لنا فى سوى ذلك المجاز اختيارا حتى عبرنا من الجانب الغربى الى الجانب الشرقى برحالنا وأثقالنا وخيلنا وبغالنا وجمالنا وأقمنا بقية ذلك اليوم حتى تم عبور القوم ثم رحلنا ونزلنا على الموصل من شرقيها وخيمنا على تل توبه فاستعظم أهلها تلك النوبه وما خطر ببالهم أنا نعبر بغير مراكب وأنا نأخذ عليهم ذلك الجانب فعرفوا انهم محصورون مقهورون محسورون وانقطعت عنهم السبل من الشرق وتعذر عليهم الرفع لاتساع الخرق وبسط الغطا

وكشف الغطا وتكلم فى المصلحة والمصالحة الوسطا ومد الجسر وقضى الامر وأنعم نور الدين على أولاد أخيه ومثلوا بناديه وأقر سيف الدين غازيا على قاعدة أبيه وألبسه التشريف الذى وصله من أمير المؤمنين المستضئ ثم دخل قلعة الموصل وأقام بها سبعة عشر يوما وجدد مناشير أهل المناصب وتوقيعات ذوى المراتب من القضاء والنقابة وغيرهما وأمر باسقاط جميع المكوس والضرائب وأنشأ بذلك منشورا يقرأ على الناس فيه (قد قنعنا من كنز الاموال باليسير من الحلال فسحقا للسحت ومحقا للحرام الحقيق بالمقت وبعدا لما يبعد من رضى الرب ويقصى عن محل القرب وقد استخرنا الله وتقربنا اليه وتوكلنا فى جميع الاحوال عليه وتقدمنا باسقاط كل مكس وضريبه فى كل ولاية لنا بعيدة أو قريبة وازالة كل جهة مشتبهة مشوبه ومحو كل سنة سيئة شنيعه ونفى كل مظلمة فظيعه واحياء كل سنة حسنه وانتهاز كل فرصة فى الخير ممكنه واطلاق كل ما جرت العادة بأخذه من الادب المحظوره خوفا من عواقبها الرديئة المحذورة فلا يبقى فى جميع ولايتنا جور جائر جاريا ولا عمل لا يكون به الله راضيا ايثارا للثواب الآجل على الحطام العاجل وهذا حق لله قضيناه وواجب علينا أديناه بل هى سنة حسنة سنناها ومحجة واضحة بيناها وقاعدة محكمة مهدناها وفائدة مغتنمة أفدناها)

(فصل) قال العماد وكان بالموصل رجل صالح يعرف بعمر الملا سمى بذلك لانه كان يملا تنانير الجص بأجرة يتقوت بها وكل ما عليه من قميص ورداء وكسوة وكساء قد ملكه سواه واستعاره فلا يملك ثوبه ولا أزاره وكان له شئ فوهبه لاحد مريديه وهو يستأجر لنفسه فيه فاذا جاءه ضيف قراه ذلك المريد وكان ذا معرفة بأحكام القرآن والاحاديث النبويه وكان العلماء والفقهاء والملوك والامراء يزورونه فى زاويته ويتبركون بهمته ويتيمنون ببركته وله كل سنة دعوة يحتفل بها فى أيام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضره فيها صاحب الموصل ويحضر الشعراء وينشدون مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك المحفل وكان نور الدين من أخص محبيه يستشيره فى حضوره ويكاتبه فى مصالح أموره وكانت بالموصل خربة واسعة فى وسط البلد أشيع عنها انه ما شرع فى عمارتها الا من ذهب عمره ولم يتم على مراده فأشار الشيخ عمر على نور الدين بابتياعها ورفع بنائها جامعا تقام فيه الجمع والجماعات ففعل وانفق فيه أموالا كثيرة ووقف عليه ضيعة من ضياع الموصل ورتب فيه خطيبا ومدرسا وكان قد وصل فى تلك السنة وافدا الفقيه عماد الدين أبو بكر النوقانى الشافعى من أصحاب الامام محمد بن يحيى فسأله ان يكون مدرسا فى ذلك الجامع وكتب له به منشورا قال وحضر مجاهد الدين قايماز صاحب اربل الى الخدمة النوريه بالموصل وكان دخولهم اياها فى بحبوحة الشتاء وكتب العماد الى بعض كبراء الموصل قصيدة منها

ما يمنع الخادم من قصده الـ ... خدمة غير الطرق والوحل

كأنما موصلكم مقطع * ما يهتدى فيه الى وصل

وكل معروف بها منكر * كأنما ضيق السبل

وكل من حل بها يرى * فى زمن الخصب سوى المحل

وقد دخلناها حصلنا بها * كرها على خرج بلا دخل

أصعب ما نلقاه من أهلها * قول بلا اهل ولا سهل

وكنت أهواها ولكننى * لقيت منها كل ما يسلى

وأنت ممن أصبح احسانه * حلية هذا الزمن العطل

قال وعاد نور الدين الى سنجار فأعاد عمارة اسوارها ثم أتى حران وقد اقتطع بها عن صاحب الموصل هى ونصيبين والخابور والمجدل ووصل حلب فى خامس رجب قال ابن شداد دخل حلب فى شعبان وزوج صاحب الموصل ابنته قال العماد وفوض القضاء والحكم بنصيبين وسنجار والخابور الى الشيخ شرف الدين بن أبى عصرون فولى بها نوابه وحكم فيها أصحابه وقال القاضى ابن شداد لما صارت الموصل الى سيف الدين بن أخى نور الدين كان قد استولى عليه وتولى أمر البلد رجل يقال له عبد المسيح كان نصرانيا فاسلم وقيل انه كان باقيا على نصرانيته وله بيعة فى داره وتتبع أرباب العلم والدين فشتتهم وأبعدهم وأذى المسلمين فبلغ نور الدين ذلك وكتب له قصص فى ذلك فسار ونزل

على الموصل من جانب الشط والشط بينه وبينها وقال لا أقاتل هذه البلدة وأهتك حرمتها وهي لولدي وراسل سيف الدين وقال له أنا ليس مقصودي البلد وانما مقصودي حفظ البلد لك فانه قد كتب الىّ في عبد المسيح كذا كذا ألف قصة بما يفعل مع المسلمين وأنا مقصودي أزيل هذا النصراني عن ولاية المسلمين قال وعبد المسيح يدبر البلد ويدور فيه والامر اليه وبذل الصلح لنور الدين فقال نور الدين أنا قد جئت ولا بد لي من دخول البلد فقال نعم لا يدخل الا من باب السر فقال نور الدين ما أدخل الا من باب السر فجرت بين نور الدين وبين ابن أخيه مراسلات الى ان علم ان نيته صالحة فصالحه في السر وركب عبد المسيح وخرج يدور بين السورين فجاءه بعض أصحابه وقال له أنت نائم ودمك قد راح وأنت غافل فقال ما الخبر فقال سيف الدين قد صالح عمه وأنت في مقابلة نور الدين فجاء ودخل على سيف الدين والقى شربوشه بين يديه وقال له أنت قد صالحت عمك وقد علمت ما عملت في حفظ بلدك ومالي طاقة بمقابلة نور الدين فالله الله في دمي فقال له مالي طاقة بدفعه عنك ولكن عليك بالشيخ عمر الملا فقال والله لو مضيت اليه لم يقع لي لعلمه بما جرى منه في حق المسلمين ولكن تسير أنت اليه فانفذ سيف الدين اليه واستحضره وكان معتكفا فقال له ما الخبر فقال سيف الدين لعبد المسيح منك اليه فوقف بين يديه يبكي فالتفت اليه الشيخ عمر وقال من يعادي الرجال يبكي مثل النساء فقال له قد تمسكت بك واطلب منك حقن دمي فقال أنت أمن على دمك فقال وعلى مالي فقال وعلى مالك فقال وعلى اهلي فقال وعلى أهلك وكان شرف الدين بن أبي عصرون مع نور الدين حينئذ فقال سيف الدين لعمر الملا ولما تحلف نور الدين فاحضر الفقهاء وعملوا نسخة يمين لنور الدين ونسخة يمين لعبد المسيح فأخذهما عمر وخرج الى نور الدين فقام نور الدين وخرج من خيمته والتقاه وأكرمه فقال له عمر الناس يعلمون حسن عقيدتك فيّ وقد وجبت في كذا وكذا وناوله النسخة التي تتعلق بسيف الدين فقرأها وناولها الى ابن أبي عصرون فقال نسخة جيدة فقال له الشيخ عمر الملا أي شئ تقول في هذه النسخة فقال جيده فقال اذا حلف بها على هذا الوجه أليس انها تقع لازمه فقال بلى فقال للحاضرين اشهدوا على الشيخ بذلك يشير الى ان نور الدين كان يجري منه ايمان في وقائع وكان ابن أبي عصرون يفتيه بالخروج منها فقيد عليه القول فأجاب نور الدين الى ذلك فقال له قد علم الناس حسن عقيدتك فيّ وان قولي مسموع عندك وقد خرجت اليك ولا بد لي من ضيافة فقال كيف لي بذلك وأنت لا تأكل طعامي ولا تقبل مني شيئا فقال تحلف لي بهذه النسخة فوقف عليها وتغير وجهه وقال أنا ما جئت الا في هذا لا اخلص المسلمين منه فقال الشيخ عمر فانا اطلب منك ان توليه على المسلمين فقال قد أمنته على نفسه فقال وعلى اهله فقال ومن أهله فقال نصارى فقال امنتهم فقال وعلى ماله فقال ومن أين لهذا الكلب مال هذا املاك لنا فقال قد أعتق وماله له وهو اليوم كان صاحب الموصل فقال قد أمنته على ماله فحلف له على ذلك جميعه واستقر الصلح وخرج سيف الدين الى خدمة نور الدين فوقف بين يديه فأكرمه نور الدين وكان وصله خلعة أمير المؤمنين فخلعها عليه فدخل الى الموصل بها وانتقل الى جانب الشط الآخر ولم يدخل الى الموصل الى ان جاء مطر شديد جدا فدخل من باب السر اليها وأقام بها مدة ورتب أمورها وولي فيها كمشتكين فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وهو يقول له جئت الى بلدك وطاب لك المقام به وتركت الجهاد وقتال أعداء الدين فاستيقظ من منامه وسار من سحر ذلك اليوم ولم يلبث ولم يعلم به أكثر الناس حتى خرج ولحقوه رحمه الله

(فصل) وصل الخبر بموت الامام المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتفي بالله ونور الدين مخيم بشرقي الموصل بتل توبه وكانت وفاته يوم السبت تاسع ربيع الآخر وبويع ابنه المستضيء بأمر الله أبو محمد الحسن وكان مولد المستنجد بالله مستهل ربيع الآخر سنة عشر وخمسمائة وكانت خلافته احدى عشرة سنة وستة أيام وهو الثاني والثلاثون من خلفاء بني العباس وهذا العدد له بحساب الجمل اللام والبا وفيه يقول بعض الادبا

أصبحت لب بني العباس كلهم * ان عددت بحساب الجمل الخلفا

وكان اسمر تام القامة طويل اللحية وكان من احسن الخلفاء سيرة مع الرعية كان عادلا فيهم كثير الرفق بهم وأطلق من المكوس كثيرا ولم يترك بالعراق مكسا وكان شديدا على أهل العيث والفساد والسعاية بالناس قال ابن الاثير بلغني انه قبض على انسان كان يسعى بالناس ويكتب فيهم السعايات فأطال حبسه فحضر بعض أصحابه يشفع فيه وبذل

عنه عشرة ألف دينار فقال له انا أعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر لي انسانا آخر مثله احبسه لأكف شره عن الناس وفي أيامه توفي شيخ الشيوخ اسماعيل ابن أبي سعد وصار بعده ابنه صدر الدين عبد الرحيم شيخ الشيوخ وذلك سنة احدى وأربعين وفي سنة ثمان وأربعين توفي محمد بن نصر القيسراني وأحمد بن منير الشاعران وقد تقدم ذلك وفي سنة تسع وأربعين توفي الحكيم أبو الحكم الشاعر الاندلسي وفي سنة احدى وخمسين توفي الزار الشاعر الحلبي وفي سنة ثلاث وستين توفي الشيخ أبو النجيب الصوفي الفقيه الواعظ قال العماد وجاءت رسل دار الخلافة مبشرين بخلافة المستضيء واتفق ذلك يوم عبور دجلة وركب يوم النزول على تل توبة في الاهبة السوداء والبيض البيضاء وذلك بمرأى ومنظر من أهل الموصل الحدباء ثم أرسل الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون الى بغداد نائبا عنه في خدمة الامام ومما نظمه العماد فيه

قد أضاء الزمان بالمستضيء * وارث البرد وابن عم النبي
جاء بالحق والشريعة والعد * ل فيا مرحبا بهذا المجي
فهنيئا لاهل بغداد فازوا * بعد بؤس بكل عيش هني
ومضى ان كان في الزمن المظـ * ـلم فالعود في الزمان المضي

وله من قصيدة أخرى

لهفي على زمن الشباب فانني * بسوى التأسف عنه لم اتعوض
نقضت عهود الغانيات وانها * لولا نقاء شيبتي لم تنقض
يا حسن أيام الصبا وكأنها * أيام مولانا الامام المستضي
ذو البهجة الزهراء يشرق نورها * والطلعة الغراء والوجه الوضي
قسم السعادة والشقاوة ربنا * في الخلق بين محبه والمبغض
فضل الخلائف والخلائق بالتقى * والفضل والافضال والخلق الرضي
فانعم أمير المؤمنين بدولة * ما تنتهي وسعادة ما تنقضي

قال ووصل نور الدين رحمه الله تعالى الى دمشق وأدى فرض الصيام وخرج بعد العيد الى الخيام وأخرج سرادقه الى جسر الخشب وسرنا الى عشترا ثم ذكر العماد هنا سرية صاحب البيرة الارتقي باللبوة وقد مضت في أخبار سنة خمس وستين فتم ذكرها ابن الاثير

(فصل) فيما جرى بمصر في هذه السنة قال العماد كان بمصر حبس للشحنة يعرف بدار المعونة فأعادها صلاح الدين مدرسة للشافعية في أول سنة ست وستين وعمر في النصف من المحرم دار الغزل مدرسة للمالكية وولى صدر الدين عبد الملك بن درباس القضاء والحكم بديار مصر وأعمالها وذلك في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ثم خرج الى الغزاة وأغار على الرملة وعسقلان وهجم ربض غزة ثم رجع الى القاهرة ثم وصله الخبر بخروج قافلة من دمشق فيها أهله فاشفق عليها وأحب ان يجتمع بها شمله فخرج في النصف من ربيع الأول وكانت بأيلة قلعة في البحر قد حصنها أهل الكفر فعمرها مراكب وحملها الى ساحلها على الجمال وركبها الصناع هناك وشحنها بالرجال وفتح القلعة في العشر الاول من ربيع الآخر واستباح لها واستباح بالقتل والاسر أهلها وملأها بالعدد والعدد وحصنها بأهل الجلاد والجلد واجتمع بأهله عليها وسار بهم على سمت القاهرة ودخلوا في السادس والعشرين من جمادى الاولى اليها وسار الى الاسكندرية في الثالث والعشرين من شعبان ليشاهدها ويرتب قواعدها وهي أول دفعة سار اليها في أيام سلطانه وعم أهلها باحسانه وأمر بعمارة أسوارها وابراجها وابدانها وفي النصف من شعبان اشترى تقي الدين عمر بن شاهنشاه وهو ابن أخي صلاح الدين منازل العز بمصر وجعلها مدرسة للشافعية واشترى الروضة وحمام الذهب وغيرهما من الاملاك ووقفها عليها وفي النصف من جمادى الآخرة أغار شمس الدولة أخو السلطان بالصعيد على العربان ثم دخل القاهرة في عاشر شهر رمضان وفي الثالث والعشرين من جمادى الآخرة توفي القاضي الموفق أبو الحجاج يوسف بن الخلال وكان من الاماثل الافاضل ولم يزل صاحب ديوان الانشاء الى ان كبر وكان الاجل الفاضل يوصل اليه كل ما كان له وقام به مدة حياته يكرم عهده ويكفله وقال في الخريدة هو ناظر ديوان

والاستيلاء على بلادهم فبرز صلاح الدين من القاهرة فى العشرين من المحرم وكتب الى نور الدين يعرفه ان رحيله لا يتأخر وكان نور الدين قد جمع عساكره وتجهز وأقام ينتظر ورود الخبر من صلاح الدين برحيله ليرحل هو فلما أتاه الخبر بذلك رحل من دمشق عازما على قصد الكرك فوصل اليه وأقام ينتظر وصول صلاح الدين اليه فأتاه كتابه يعتذر فيه عن الوصول باختلال البلاد وانه يخاف عليها مع البعد عنها فعاد اليها فلم يقبل نور الدين عذره وكان سبب تقاعده ان أصحابه وخواصه خوفوه من الاجتماع بنور الدين فحيث لم يمتثل أمر نور الدين شق ذلك عليه وعظم عنده وعزم على الدخول الى مصر واخراج صلاح الدين عنها فبلغ الخبر الى صلاح الدين فجمع أهله وفيهم والده نجم الدين وخاله شهاب الدين الحارمى ومعهم سائر الامراء وأعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين على قصده وأخذ مصر منه واستشارهم فلم يجبه أحد منهم بشئ فقام ابن أخيه تقى الدين عمر وقال اذا جاءنا قاتلناه وصددناه عن البلاد ووافقه غيره من أهله فشتمهم نجم الدين أيوب وأنكر ذلك واستعظمه وكان ذا رأى ومكر وكيد وعقل وقال لتقى الدين اقعد وسبه وقال لصلاح الدين أنا أبوك وهذا شهاب الدين خالك أتظن فى هؤلاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا فقال لا فقال نجم الدين والله لو رأيت أنا وهذا خالك نور الدين لا يمكننا الا ان نترجل اليه ونقبل الارض بين يديه ولو أمرنا بضرب عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا كيف يكون غيرنا وكل من تراه من الامراء والعساكر لو رأى نور الدين وحده لم يتجاسر على الثبات على سرجه ولا وسعه الا النزول وتقبيل الارض بين يديه وهذه البلاد له وقد أقامك فيها فان أراد عزلك فأى حاجة به الى المجئ يأمرك بكتاب مع نجاب حتى تقصد خدمته ويولى بلاده من يريد وقال للجماعة كلهم قوموا عنا فنحن مماليك نور الدين وعبيده ويفعل بنا ما يريد فتفرقوا على هذا وكتب أكثرهم الى نور الدين بالخبر وخلا نجم الدين أيوب بابنه صلاح الدين فقال له أنت جاهل قليل المعرفة تجمع هذا الجمع العظيم وتطلعهم على ما فى نفسك فاذا سمع نور الدين انك عازم على منعه من البلاد جعلك أهم الامور اليه وأولاها بالقصد ولو قصدك لم تر معك من هذا العسكر أحدا وكانوا أسلموك اليه وأما الآن بعد هذا المجلس فسيكتبون اليه ويعرفونه قولى وتكتب أنت اليه وترسل فى هذا المعنى وتقول أى حاجة الى قصدى يجئ نجاب يأخذنى بحبل يضعه فى عنقى فهو اذا سمع هذا عدل عن قصدك واشتغل بما هو أهم عنده والايام تندرج والله كل وقت فى شأن ففعل صلاح الدين ما أشار به والده فلما رأى نور الدين رحمه الله الامر هكذا عدل عن قصده وكان الامر كما قال نجم الدين توفى نور الدين ولم يقصده ولا أزاله وكان هذا من أحسن الآراء وأجودها

(فصل) فى الحمام قال ابن الاثير وفى سنة سبع وستين أمر الملك العادل نور الدين باتخاذ الحمام الهوادى وهى المناسيب التى تطير من البلاد البعيدة الى أوكارها فاتخذت فى سائر بلاده وكان سبب ذلك انه اتسعت بلاده وطالت مملكته فكانت من حد النوبة الى باب همذان لا يتخللها سوى بلاد الفرنج وكان الفرنج لعنهم الله ربما نازلوا بعض الثغور فالى ان يصل له الخبر ويسير اليهم يكونون قد بلغوا بعض الغرض فحينئذ أمر بذلك وكتب به الى سائر بلاده وأجرى الجرايات لها ولمربيها فوجد بها راحة كبيرة كانت الاخبار تأتيه لوقتها لانه كان له فى كل ثغر رجال مرتبون ومعهم من حمام المدينة التى تجاورهم فاذا رأوا أو سمعوا أمرا كتبوه لوقته وعلقوه على الطائر وسرحوه الى المدينة التى هو منها فى ساعته فتنقل الرقعة من طائر الى طائر آخر من البلد الذى يجاورهم فى الجهة التى فيها نور الدين وهكذا الى ان تصل الاخبار اليه فانحفظت الثغور بذلك حتى ان طائفة من الفرنج نازلوا ثغرا له فأتاه الخبر ليومه فكتب الى العساكر المجاورة لذلك الثغر بالاجتماع والمسير بسرعة وكبس العدو ففعلوا ذلك فظفروا والفرنج قد آمنوا لبعد نور الدين عنهم فرحم الله نور الدين ورضى عنه فما كان أحسن نظره للرعايا وللبلاد وقال العماد وكان نور الدين لا يقيم فى المدينة أيام الربيع والصيف محافظة على الثغور وصونا من الحيف لحمى البلاد من العدو بالسيف وهو متشوف الى أخبار مصر وأحوالها وتحقيق اعتدالها بتحقيق اعتلالها فرأى اتخاذ الحمام المناسيب وتدريجها على الطيران لتحمل اليه الكتب بأخبار البلدان وتقدم الى بكتب منشور لاربابها واعزاز أصحابها وهو حينئذ بظاهر دمشق مخيم بوادى اللوان ونحن مستظهرون فى ذلك الاوان عادون على أهل العدوان وذلك فى سابع عشر ذى القعدة من السنة ثم ذكر نسخة المنشور ووصف فيه الحمام فقال (هى رائد الانباء المخصوصات بفضيلة الالهام والايحاء وهى فيوج الرسائل

المأمونة الابطاء والسابقات الموج فى الاهتداء والحاملات لملطفات الاسرار فى أقرب مدة الى أبعد غاية والموصلات مهمات الاخبار فى وقتها من أقاصى الامصار بأكمل هداية والقاطعات فى ساعتها الى البلاد أجواز القفار والموامى والنافذات بنجح المرام بعود السهام الى المرامى وهى تطوى الفراسخ البعيدة والاشواط فى ساعة وتنتهى الى أقصى عنايات الطاعة بأتم استطاعة وقد عم بها انفع المرابطين والغزاة والمجاهدين فى سبيل الله فى اهداء أخبار الكفرة اليهم من أماكنها دالة على مكايدها ومكامنها طائرة بكتبهم الى من وراءهم من الطلائع والسرايا مظهرة لهم من أحوالها خبايا الامور الخفايا وانها الميمونة المطار المأمونة العثار سالمة على الاخطار مهدية فى الاسفار أمينة على الاسرار سابقة الى الاوكار صادرة بالاوطار من الاقطار سائرة الى المؤمنين بنبأ الكفار قلت وكل هذه اوصاف حسنة وعبارات مستحسنة وقد بلغنى عن القاضى الفاضل رحمه الله تعالى انه وصفها بالطف من هذه الاوصاف واخصر فقال (الطيور ملائكة الملوك) يشير الى ان نزولها على الملوك من جو الهواء نزول الملائكة على الانبياء عليهم السلام من السماء مع فرط ما فيها من الامانة لا يتوهم من جهتها خيانة فلقد أحسن فيما وصف وأبدع فيما استنبط وأنصف وهو بذلك أولى وأعرف رحم الله الجميع

(فصل) فى باقى حوادث هذه السنة قرأت نسخة سجل باسقاط المكوس بمصر قرئ على المنبر بالقاهرة يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر سنة سبع وستين وخمسمائة عن السلطان الملك الناصر فى أيام نور الدين رحمه الله فهو كان الآمر وذاك المباشر يقول فيه (أما بعد فانا نحمد الله سبحانه على ما مكن لنا فى الارض وحسنه عندنا من أداء كل نافلة وفرض ونسبناله من ازالة النصب عن عباده واختلرناله من الجهاد فى الله حق جهاده وزهدنا فيه من متاع الدنيا القليل والممتلون محاسبة أنفسنا على النقير والفتيل وأولانا من شجاعة السماحة فيوما نهب ما اشتملت عليه الدواوين ويوما نقطع ما ساقه النيل فالبشائر فى أيامنا ترى شفعا ووترا والمسار كنظام الجوهر تتبع الواحدة منها الاخرى والمسامحات قد ملأت المسامع والمطامع وأسخطت الخيمة والصنايع وأرضت المنبر والجامع ولما تقلدنا أمور الرعية رأينا المكوس الديوانية بمصر والقاهرة أولى ما نقلناها من ان تكون لنا فى الدنيا الى ان تكون لنا فى الآخرة وان نتجرد منها التلبس أثواب الاجر الفاخرة ونطهر منها مكاسبنا ونصون عنها مطالبنا ونكف فى الرعية ضرهم الذى يتوجه اليهم ونضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ونعيدها اليوم كأمس الذاهب ونضعها فلا ترفعها من بعد يد حاسب ولا قلم كاتب فاستخرنا الله وجهنا اليه ليرضى ورأينا فرصة أجر لا تغض عليها بصائر الابصار ولا يغضى وخرج أمرنا بكتب هذا المنشور بمسامحة أهل القاهرة ومصر وجميع التجار المترددين اليهما والى ساحل المقسم والمنية بأبواب المكوس صادرها وواردها فيرد التاجر ويسافر ويغيب عن ماله ويحضر ويقارض ويتجر برا وبحرا مركبا وظهرا سرا وجهرا لا يحل ما شده ولا يحاول ما عنده ولا يكشف ما ستره ولا يسأل عما أورده وأصدره ولا يستوقف فى طريقه ولا يشرق بريقه ولا يؤخذ منه طعمه ولا يستباح له حرمه والذى اشتملت عليه المسامحة فى السنة من العين مائة ألف دينار مسامحة لا يشوبها تأويل ولا يتخونها تحويل ولا يعتريها زوال ولا يعتورها انتقال دائمة بدوام الكلمة قائمة ما قام دين القيمة من عارضها ارددت أحكامه ومن ناقضها انتقض تمامه ومن ازالها زلت قدمه ومن أحالها حل دمه ومن تعقبها خلدت اللعنة فيه وفى عقبه ومن احتاط لدنياه فيها أحاط به الجحيم الذى هو من حطبه فمن قرأه أو قرئ عليه من كافة ولاة الامر من صاحب سيف وقلم ومشارف أو ناظر فليمتثل ما مثل من الامر وليمضه على ممر الدهر مرضيا لربه ممضيا لما أمر به وفيها توفى الشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبى المقرى النحوى وهو نزيل الموصل رحمه الله تعالى وفيها ولد العزيز والظاهر ابنا صلاح الدين والمنصور محمد بن تقى الدين وفيها فى ثالث شوال توفى أبو الفتوح نصر بن عبد الله الاسكندرى المعروف بابن قلاقس الشاعر بعيذاب ومولده بالاسكندرية رابع ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة فيكون عمره نحوا من خمس وثلاثين سنة

(ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة) ففيها توفى ملك النحاة الحسن بن صافى وفيها ترتب العماد الكاتب مشرفا بديوان نور الدين مضافا الى كتابة الانشاء قال وكان نور الدين ذكيا ألمعيا فطنا لوذعيا لا يشتبه عليه

فى كل ماطلب وأراد ان يسرع الى دمشق فالتأث سريرته لالتثات سريته وحظى بمرض القلب لمرض جسم محظيته وبحوث شكايته شكاية جاريته فتصدق عنها بألوف والتزم لله فى شفائها بنذور ووقوف ثم سيرها فى محفة تحمل على أيدى الرجال فى خفة وسارت على الطريق المهيع مع العسكر يحملها من الخدم والخراس المعشر بعد المعشر فما نقرب اليه بمثل حملها والمشى معها وتقدم بحق لازم من خدمته شيعها وتأخر نور الدين جريدة مع عدة من مماليكه وأمرائه المماحصين فى ولايته وتقدم الى ان أسائرد فى طريقه وأحاوره وأحاضره فى منازله واسامره وسرنا على طريق قبة ملاعب والمشهد وسلميه فجاءه الخبر ان الفرنج قد أغارت على حوران فثنى الى الجهاد العنان وسمع الفرنج به فتفرقوا وتلقوا بعدما كانوا أقلقوا ودخلنا دمشق قلت وفى جمادى الاولى أبطل نور الدين رحمه الله فريضة الاتبان ورأيت منشوره بذلك وعلامته عليه بخطه (الحمد لله) يقول فيه (وبعد فان من سنتنا العادلة وسير أيامنا الزاهره وعوائد دولتنا القاهره أشاعة المعروف وأغاثة الملهوف وانصاف المظلوم واعفاء رسم ماسنه الظالمون من جائرات الرسوم ومازلنا نجدد للرعية رسما من الاحسان يرتعون فى رياضه ويرتوون من حياضه ونستقرئ أعمال بلادنا المحروسة ونصفيها من الشبه والشوائب ونلحق مايعثر عليه من بواقى رسومها الضائرة بما أسقطناه من المكوس والضرائب تقربا الى الله تعالى الكافل لنا بسبوغ المواهب وبلوغ المطالب وقد أطلقنا جميع ماجرت العادة بأخذه من فريضة الاتبان المقسطة على أعمال دمشق المحروسة وضياع الغوطة والمرج وجبل سنين وقصر حجاج والشاغور والعقيبة ومزارعها الجارية فى الاملاك وجميع مايقسط بعد انقضاعه من الاتبان على الضياع الخواص والمقطعة بسائر الاعمال المذكورة ووفرناه على أربابه طلبا لمرضاة الله وعظيم أجره وثوابه وهربا من انتقامه وأليم عقابه وسبيل النواب اطلاق ذلك على الدوام وتعفية آثاره والاستعفاء من أوزاره والاحتراز من الدنس بأوضاره وأبطال رسمه من الدواوين لاستقبال سنة تسع وستين ومابعدها على تعاقب الايام والسنين)

(فصل) فى فتح اليمن قال العماد وفى رجب توجه تورانشاه أكبر اخوة صلاح الدين الى اليمن فملكها وكان يحثه على المسير اليها عمارة اليمنى شاعر القصر وكان كثير المدح لتورانشاه فتجهز وسار الى مكة ثم الى زبيد فملكها وقبض على الخارجى بها وأهلكه نائبه سيف الدين مبارك بن منقذ ومضى الى عدن فأخذها واستناب فيها عز الدين عثمان الزنجيلى وفتح حصن تعز وغيره من القلاع ففتح اقليما ومنح ملكا عظيما وافترع بكرا وشيع ذكرا وقال ابن شداد ولما كان سنة تسع وستين رأى صلاح الدين قوة عسكره وكثرة عدد اخوته وقوة بأسهم وكان بلغه ان باليمن انسانا استولى عليها وملك حصونها وهو يخطب لنفسه يسمى عبد النبى بن مهدى ويزعم انه ينتشر ملكه الى الارض كلها واستتب أمره فرأى ان يسير اليها أخاه الاكبر الملك المعظم تورانشاه وكان كريما أريحيا حسن الاخلاق سمعت منه يعنى من صلاح الدين رحمه الله الثناء على كرمه ومحاسن أخلاقه وترجيحه اياه على نفسه فمضى اليها وفتح الله على يديه وقتل الخارجى الذى كان بها قلت وكان أخو هذا الخارجى قد خرج باليمن قبله ذكر عمارة اليمنى فى أول كتابه فى وزراء مصر فى أثناء كلام له قال وكان جماعة من أماثل الناس مثل بركات المقرئ وعلى بن محمد النيلى والفقيه أبى الحسن على بن مهدى القائم الذى قام باليمن وأزال دولة أهل زبيد وغيرهم قد سبقونى الى صاحب عدن فذكر كلاما يعتنى به وقال العماد فى الخريدة على بن مهدى ملك اليمن فى زماننا هذا وسفك الدماء وسبى المسلمين وأقبل على شرب الخمر وادعى الملك والامامة ودعا الى نفسه وكان يحدث نفسه بالمسير الى مكة فمات سنة ستين وتولى بعده أخوه وله شعر حسن يدل على علو همته قال ابن أبى طى كان سبب خروج شمس الدولة الى اليمن انه كان كريما جوادا وكان اقطاعه بمصر لا يقوم بنفقته ولا ينهض بمروته وكان قد انتظم فى سلكه عمارة الشاعر وكان من أهل اليمن وكان ورد الى مصر ومدح أصحابه ونفق عليهم فلما زالت دولتهم انضوى الى شمس الدولة ومدحه وكان اذا خلا به يصف له بلاد اليمن وكثرة أموالها وخيرها وضعف من فيها وانها قريبة لمن طلبها قلت فمن جملة شعره فى ذلك قوله من قصيدة أولها

العلم مذ كان محتاج الى العلم * وشفرة السيف تستغنى عن القلم

كم تترك البيض فى الاجفان ظامية * الى الموارد فى الاعناق والقمم

امامك

أمامك الفتح من شام ومن يمن * فلا ترد رؤس الخيل باللجم

فعمك الملك المنصور سومها * من الفرات الى مصر بلا سأم

فاخلق لنفسك ملكا لاتضاف به * الى سواك وأور النار فى العلم

هذا ابن تومرت قد كانت بدايته * كما يقول الورى لحما على وضم

وقد ترقى الى ان امسكت يده * من الكواكب بالانفاس والكظم

حاسب ضميرك عن رأى أتاك وقل * نصيحة وردت من غير متهم

وله من أخرى

أفاتح أرض النيل وهى عظيمة * على كل راج فتحها ومؤمل

متى توقد النار التى أنت قادح * بغمدان مشبوبا سناها بمندل

وتفتح مابين الحصين وانتن * وصنعاء من حصن حصين ومعقل

وتملك من مخلاف طرف وجعفر * نقيضين من حزن خصيب ومسهل

وتخلق ملكا لايحيل بفخره * على أحد الاعلى عزمك العلى

وله من أخرى

قالوا الى اليمن الميمون رحلته * فقلت مادونه شئ سوى السفر

سير يسر بنى الدنيا وطيب * وطول عمر كذا يحكى عن الخضر

لاتوقدن لها النار التى خمدت * خفض عليك تنل ماشئت بالشرر

المال مال عبيد والقوم ملك يد * ولا أطيل وهذا جملة الخبر

قال ابن أبى طى ووافق ذلك انه كاتبه رجل من أهل اليمن شريف يقال له هاشم بن غانم واطمعه فى المعاونة لان صاحب اليمن عبد النبى كان قد تعدى على هذا الشريف هاشم فاعلم شمس الدولة أصحابه بعزمه على اليمن فاجابوه فتجهز ثم دخل على أخيه السلطان واستأذنه فى دخول اليمن فأذن له وأطلق له مغل قرص سنة وزوده فوق ماكان فى نفسه وأصحبه جماعة من الامراء ومقدار ألف فارس خارجا عن سيره من حلقته وسار فى البر والبحر فى البر العساكر وفى البحر الاسطول يحمل الازواد والعدد والآلات فوصل الى مكة شرفها الله تعالى فدخلها زائرا ثم خرج متوجها منها الى اليمن فوصل زبيد فى أوائل شوال فنزل عليها ولقيه الشريف هاشم بن غانم الحسنى وجميع الاشراف بنو سليمان فى جمع جم وعدد كبير فهجم زبيد وتسلمها واحتوى على مافيها وقبض على صاحب اليمن عبد النبى أخى على بن مهدى ثم رحل الى عدن وفى صحبته ابن مهدى فتسلمها عنوة وولاها عز الدين الزنجيلى ثم سار الى المخلاف وتسلم الحصون التى كانت فى يد ابن مهدى كتعز وغيرها وسار الى صنعاء بعد فتح مدينة الجند وغيرها فاحرقت صنعاء فدخلها شمس الدولة فلم يجد بها الا شيخا وامرأة عجوزا فاقام بها ثمانية أيام ثم لم يستطع المقام لقلة الميرة فرجع الى زبيد فوجد ابن منقذ قد قتل عبد النبى بن مهدى وكان شمس الدولة قد استناب بزبيد الامير سيف الدولة المبارك ابن منقذ وأمره بحمله فلما بعد شمس الدولة خاف ابن منقذ من فساد أمره فرأى المصلحة فى قتله فقتله ابن منقذ بزبيد فلما بلغ شمس الدولة قتله استصوبه ولما حصل شمس الدولة فى زبيد انفذ اليه صاحب ظفار وصالحه هو وباقى الملوك على اداء المال ثم تتبع تلك الحصون والقلاع فاحتوى عليها جميعها وكتب بذلك الى أخيه الملك الناصر فارسل الى نور الدين يخبره بما أفاض الله عليه من الاحسان وخوله من ملك الديار والبلدان فارسل نور الدين مهذب الدين أبا الحسن على بن عيسى النقاش بالبشارة بذلك الى بغداد

(فصل) ذكر العماد ههنا الامير مجد الدين سيف الدولة المبارك بن كامل بن منقذ المستناب بزبيد ووصفه بانه من الكفاة الكرماء والدهاة ذوى الاراء وهو فاضل من أهل بيت فضل كتب العماد من شعره

لما زلت الدير قلت لصاحبى * قم فاخطب الصهباء من شماسه

فاتى وفى يمناه كأس خلتها * مقبوسة فى الليل من نبراسه



(كتاب الروضتين في أخبار الدولتين)
(النوريه والصلاحيه)

بسم الله الرحمن الرحيم

(ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة) قال العماد وكان شمس الدين ابن المقدم من أكابر الامرا وهو السابق الى مكاتبة السلطان في تصويب رأيه في الوصول الى الشام وتدارك امر الاسلام وكان السلطان عند تسلم بعلبك انعم بها عليه وردّ أمورها اليه فاقام بها مستقرا ولاخلافه مستدرا ولما وصل السلطان في هذه النوبة الى الشام لم يحضر كما جرت العادة للخدمة والسلام فانه كان نمى اليه ان الملك المعظم مجد الدين شمس الدولة تورانشاه ابن أيوب طلبها من أخيه وانه لا يمكنه الرد فتأخر من الحضور ان تتم الامور وروجع في ذلك مرارا سرا وجهارا والتزم له ان يعوّض عنها ما هو اوفى منها فابى الا الابا وشارق السلطان منه ومن اخيه البليا وشمس الدولة لا يقبل عذرا ولا يرى عما طلبه صبرا ثم استأذن في التوجه اليها فأذن له وتوجه عز الدين فرخشاه الى حوران لحفظ الثغور وسار السلطان الى حمص ونزل على العاصي عازما على الجهاد ووردت من الفاضل كتب من بعض فصولها (وأما سور القاهرة فعلى ما أمر به المولى شرع فيه وظهر العمل وطلع البنا وسلكت به الطريق المؤدية الى الساحل بالمقسم والله يعمر المولى الى ان يراه نطاقا مستديرا على البلدين وسورا بل سوارا يكون به الاسلام محلى اليدين محلا الضدين والامير بهاء الدين قراقوش ملازم الاستحثاث بنفسه ورجاله لازم لما يعنيه بخلاف أمثاله قليل التثقيل مع حمله لاعباء التدبير واثقاله) ومنها في حق نقل القضاء من شرف الدين بن أبي عصرون لما ذهب بصره الى ولده (لئن خلا الامر من قسمين والله يختار للمولى خيرة الاقسام ولا ينسى له هذا المخرج الذي لا يبلغه ملك من ملوك الاسلام اما ابقاء الامر باسم الوالد بحيث يبقى رأيه ومشاورته وفتياه وبركته ويتولى ولده النيابة ويشترط عليهما المجازاة لاول زله وترك الاقالة لاول عثره فطالما بعث حب المنافسة الراجحة على اكتساب الاخلاق الصالحه واما ان يفوض الامر الى الامام قطب الدين فهو بقية المشايخ وصدر الاصحاب ولا يجوز ان يتقدم عليه في بلد الامن هو أرفع طبقة في العلم منه) ومنها في اقامة عذر التأخر عن الجهاد (وأما تأسف المولى على أوقات ينقضي عاطلها من الفريضة التي خرج من بيته لاجلها ويجدد العوائق التي لا يوصل الى آخر حبلها فللمولى نية رشده وأليس الله العالم بعبده وهو سبحانه لا يسأل الفاعل عن تمام فعله لانه غير مقدور له ولكن عن النية لانها محل التكليف

الطاعه وعن مقدور صاحبها من الفعل بحسب الاستطاعه واذا كان المولى آخذا في أسباب الجهاد وتنظيف الطرق الى المراد فهو في طاعة قد امتن الله عليه بطول امدها ودوامه على أمل في نجح موعدها والثواب على قدر مشقته وانما عظم الحج لاجل جهده وبعد شقته ولو ان المولى فتح الفتوح العظام في أول الايام وفصل القضية بين أهل الاسلام واعداء الاسلام لكانت تكاليف الجهاد قد قضيت وصحائف البر المكتسبة بالمرابطة والانتظار طويت) ومنها في ذكر أولاد السلطان (وقبل الاجابة عن الفصول فنبشر بما جرت العادة به لا قطع الله تلك العادة من سلامة وصحة وعافية شملت موالينا وأولاده السادة أطاب الله الخبر اليهم عن المولى والى المولى عنهم وعجل لقاءه لهم ولقاءهم له فانهم من يلقى منهم بل كل منهم ملك دسته برجه وفارس مهده سرجه فهم بحمد الله بهجة الدنيا وزينتها وريحانة الحياة وزهرتها وان فؤادا اوسع فراقهم لواسع وان قلبا قنع باخبارهم لقانع وان طرفا نام على البعد عنهم لهاجع وان ملكا ملك تصبره عنهم لحازم وان نعمة الله فيهم لنعمة بها العيش ناعم اما يشتاق جيد المولى ان يتطوّق بدررهم أما تظمى عينه الى أن تتروى بنظرهم أما يحن قلبه على قلبه أما يلتقط هذا الطائر بتقبيلهم ما خرج من حبه وللمولى أبقاه الله تعالى ان يقول

وما مثل هذا الشوق تحمل مضغة ❋ ولكن قلبي في الهوى متقلب

وفي أخرى (والملوك الاولاد في كفالة العافية لا رفعت عنهم كفالتها وعليهم جلالة السلطنة لا فارقتهم جلالتها وكل من الموالي السادة الامراء الاولاد والقادة كلهم جوهر وكلهم المقدم وليس فيهم بحمد الله من يتوخر على ما عوّد الله من صحة وسلامه وكفاية ووقايه ولزوم المستقل منهم لمشهد الكتّاب ولموقف الآماج ومخائل الخفر فيهم من تحت ليل الصبا انور دلالة من ضوء السراج والله تعالى يمد في عمر المولى الى أن يرى من ظهورهم ما رأى جدهم رحمه الله في أهل بيته من البطن الرابع فوارس الحرب الرائعة وملائك الاسلام التي منهم للاسلام اكاسرة وتبابعه وكافيهم عند العلا صغير وصغير ابنا الكبار كبير نجوم الارض وذرية بعضها من بعض والخلف الصالح المحض وهم في الدنيا والآخرة فرسان القوة والتقى في يوم الحرب ويوم العرض) ومنها في ذم ماء دمشق ووخمها (عرف المملوك من الكتب الواصلة التياث جسم المولى الامير عثمان والحقير مما ينال ذلك الجسم الكريم يوقد في قلوب الاولياء الاثر العظيم وقليل قذاة العين غير قليل وماذا يقول في بلد لو صحت الحية من مائه لكانت من أكبر أسباب صحة المحتمى وشفائه فانه ماء يوكل وبقية المياه تشرب ويجد وخامته من ينصف ولا يتعصب) ومنها (وأما المأمور به في معنى المنكرات الظاهرة وازالة أسبابها واغلاق أبوابها وتحصين كل مبتوتة من عصمه وتطهير كل موسومة بوصمه فالله يثيب المولى ثواب من غضب لرضيه بغضبه وحمل الخلق على منهاج شرعه وادبه) ثم أورد العماد فصولا كثيره وقال انما أوردت الفصول الفاضلية لان في كل فصل منها ذكر سيره وفوائد كثيره

(فصل) قال العماد ومن جملة ما أغفلته ذكر ما أسقطه السلطان من مكس مكة شرفها الله تعالى عن الحاج وتعويض أميرها بجلاب غلة تحمل اليه في كل سنة وتعيين ضياع موقوفة عليها بالاعمال المصرية كان الرسم بمكة ان يؤخذ من حاج المغرب على عدد الرؤس ما ينسب الى الضرائب والمكوس فاذا دخل حاج حبس حتى يؤدى مكسه ويفك بما يطالبونه منه نفسه واذا كان فقيرا لا يملك فهو يحبس ولا يترك ويفوته الوقفة بعرفة ولا يدرك فقال السلطان نريد ان نعوّض أمير مكة عن هذا المكس بمال ونغنيه عنه بنوال وان أعطيناه ضياعا استوعبها ارتفاعا وانتفاعا فلا يكون لاهل مكة فيها نصيب فقرر معه ان يحمل اليه في كل سنة مبلغ ثمانية آلاف أردب قمح الى ساحل جده فان الامير بها يحتاج الى بيعها للانتفاع باثمانها ويثق أهل الحرمين من الدولة بدوام احسانها وقرر أيضا حمل الغلات الى المجاورين بالحرمين والفقرا ومن هنالك من الشرفا ووقف لها وقوفا وخلد بها الى قيام الساعة معروفا فسقطت المكوس وانبسطت النفوس وزاد النعيم وزال العبوس واستمرت النعمى وزال البوس وذلك في سنة اثنتين وسبعين ومن كلام الفاضل في ذلك في بعض كتبه (من البشائر التي لا عهد لحاج ديار مصر بمثلها ولا عهد لملك من ملوك الديار المصريه بالحصول على فخرها واجرها انقطاع المكاسين عن جدة وعن بقية السواحل ويكفي ان تمام هذه المثوبة موجب الاستطاعة مقيم بحجة الله في الحج فقد كانت الفتيا على سقوطه مع وجود الحامل وما

ابن زكى الدين واثقا بعقل ابن جهبل وانه لا يقدم على هذا القول حتى يحققه ويثق به فعمل قصيدة مدح السلطان بها حين فتح حلب فى صفر وقال فيها

وفتحكم حلبا بالسيف فى صفر * مبشر لكم بافتتاح القدس فى رجب

ولما سمع السلطان ذلك تعجب من مقالته ثم حين فتح البيت المقدس خرج اليه المجد بن جهبل مهنئا له بفتحه وحدثه حديث الورقة فتعجب السلطان من قوله وقال قد سبقى الى ذلك محيى الدين بن زكى الدين غير انى أجعل لك حظا لا يزاحمك فيه أحد ثم جمع له من فى العسكر من الفقهاء وأهل الدين ثم أدخله الى القدس بعد ما خرج الفرنج منه وأمره ان يذكر درسا من الفقه على الصخرة فدخل وذكر درسا هنالك وحظى بما لم يحظ به غيره قلت وسيأتى فى فتح بيت المقدس فى فصل المنبر ذكر ما قاله أبو الحكم فى تفسيره وغيره مما يناسبه وبالله التوفيق وقال العماد ثم فتح حلب فى صفر من هذه السنة ومدح القاضى محيى الدين بن الزكى السلطان بأبيات منها

وفتحكم حلبا بالسيف فى صفر * مبشر بفتوح القدس فى رجب

فوافق فتح القدس كما ذكره فكأنه من الغيب ابتكره قال ويشبه هذا انى فى سنة اثنتين وسبعين طلبت من السلطان جارية من سبى الاسطول المنصور فى ابيات وهى

يوصل المملوك مملوكة * تبدل الوحشة بالانس
تخرجه من ليل وسواسه * بطلعة تشرق كالشمس
فوحدة العزبة قد حركت * سواكن البلبال واللمس
فلا تدع يهدم شيطانه * ما أحكم التقوى من الاس
فوقع اليوم بمطلوبه * جاءنى الاسطول بالامس
لازلت وهابا لما حازه * سيفك من حور ومن لعس
وانى امل من بعدها * كرائم السبى من القدس

قال فجاء الامر على وفق الامل فوهب لى ما أملت عام القدس

(فصل) فيما جرى بعد فتح حلب قال ابن أبى طى كاتب الوالى بحارم الفرنج واستدعاهم اليه مطمعا لهم فى الاستيلاء على حارم بشرط ان يعصموه من الملك الناصر وعلم الاجناد بقلعة حارم بما عزم عليه فتؤامروا بينهم فى القبض عليه وكان هذا الوالى ينزل من القلعة ويصعد اليها فى أموره ولذاته فاتفق انه نزل منها لبعض شأنه فوثب أهل القلعة لما خرج وأغلقوا بابها ونادوا بشعار السلطان وكان السلطان راسل والى حارم وبذل له فى تسليم حارم اليه فى أشياء كثيرة منها ولاية بصرى وضيعة فى دمشق يملكه اياها ودار العقيقى التى كان نجم الدين أيوب والد السلطان يسكنها وحمام العقيقى بدمشق وثلاثون ألف دينار عينا ولاخيه عشرة آلاف دينار فاشتط فى السوم وتغالى فى العوض فأنفذ اليه السلطان وتوعده وتهدده فكاتب الفرنج يطلب نجدتهم وقيل ان نقيب القلعة أراد ان تنفق سوقه عند السلطان ويحصل منه شيأ فكاتب السلطان بالعمل على الوالى فكتب اليه السلطان بتتميم ذلك ووعده بأشياء سكن اليها وجرى الامر على ما ذكرناه من اغلاق الباب فى وجه الوالى وقيل ان النقيب وأهل القلعة لما أغلقوا الباب فى وجهه شنعوا عليه بمكاتبة الفرنج ولم يكن فعل ذلك اقامة لعذرهم وتذكروا بالعبارة ونادوا بشعار السلطان ولما اتصل بالسلطان هذه الاحوال أنفذ تقى الدين الى حارم ليتسلمها فامتنع النقيب وأهل القلعة من تسليمها اليه فرحل السلطان اليها بنفسه جريدة فلما أشرف عليها نزل اليه النقيب ووجوه القلعيين وسلموها اليه فى تاسع عشر صفر ولما حضروا عند السلطان حدثوه بكيفية الحال وكان بدر الدين حسن ابن الداية حاضرا فقال للسلطان يامولانا لا تلتفت الى هؤلاء فانهم آذوا هذا الوالى وكذبوا عليه حتى فوتوه ما كان السلطان وعده به وماقلت هذا الا عن تجربة فانى لما كنت متوليا لهذه القلعة جرى على من كذبهم فى حقى وتحريضهم على أمور كدت بها أهلك مع نور الدين وهم كانوا سبب خروجى من هذه القلعة وأنا أرى ان السلطان يقرهم فى القلعة على هذه التجربة فضحك السلطان وأمر لهم بما كان وعدهم به وأفضل عليهم وولى فى القلعة غيرهم وقال لابن الداية

ان بين أيدينا أمكنة نريد أخذها ومتى لم نف بما نعد ونجزل العطاء لم يثق بنا أحد وبات السلطان بقلعة حارم ليلتين وعاد الى حلب فى ثالث ربيع الاول فرتبها وقرر ولده الظاهر سلطانا بها وقرر له فى كل شهر أربعة آلاف درهم وعشرين كيلا وما يحتاج اليه من الطعام وغيره وجعل معه واليا سيف الدين أزكش الاسدى وولى حسام الدين بيرك الحليقى شحنة حلب وولى الديوان ناصح الدين اسماعيل بن العميد الدمشقى ودار الضرب فضرب الدرهم الناصرى الذى سكته خاتم سليمان ونقل الخطابة من بنى العديم الى أبى البركات بن الخطيب هاشم بسفارة القاضى الفاضل وولى القضاء لمحيى الدين ابن زكى الدين الدمشقى فاستناب فيه ابن عمته أبا البيان نبأ بن البانياسى وولى الجامع والوقوف لابى على بن العجمى وقال العماد كان فى قلعة حارم مملوك من مماليك نور الدين فعصى وتأبى عن تسليمها فأخرجه منها أهلها لما أتهموه بمكاتبة الفرنج وأرسلوا الى السلطان فتسلمها ودبر أمرها وأحكمها وقال ابن شداد انفذ الى حارم من يتسلمها ودافعهم الوالى فأنفذ الاجناد الذين بها يستحلفونه فوصل خبرهم اليه يوم الثلاثاء ثامن عشرى صفر فحلف لهم وسار من وقته الى حارم فوصلها تاسع عشرى صفر فتسلمها وبات بها ليلتين وقرر قواعدها وولى فيها ابراهيم بن شروه وعاد الى حلب فدخلها ثالث ربيع الاول ثم أعطى العساكر دستورا فسار كل منهم الى بلده وأقام يقرر قواعد حلب ويدبر أمورها قال العماد ورجفت انطاكية بعد ذلك رعبا فأرسل صاحبها جماعة من أسارى المسلمين وانقاد وسارع الى أمان السلطان وولى السلطان القضاء بحلب محيى الدين بن الزكى فاستناب فيها زين الدين نبأ بن الفضل بن سليمان المعروف بابن البانياسى وكشف السلطان عن حلب المظالم وأزال المكوس وولى قلعتها سيف الدين يازكوج وولى الديوان ناصح الدين اسماعيل بن العميد وجعل حلب باسم ولده الملك الظاهر غازى وكان استصحبه من مصر عند وصوله الى الشام وأقر عين تاب على صاحبها وأعطى تل خالد وتل باشر بدر الدين دلدرم بن بهاء الدولة بن باروق وأعطى قلعة عزاز علم الدين سليمان بن جندر قلت وفى توقيع اسقاط المكوس بحلب من كلام الفاضل عن السلطان (وانتهى الينا ان بمدينة حلب رسوما استمرت الايدى على تناولها والالسنة على تداولها وفيها بالرعاة ارفاق وبالرعايا اضرار ولها مقدار الا عند من كل شئ عنده بمقدار منها ما هو على الاثواب المجلوبه ومنها ما هو على الدواب المركوبه ومنها ما هو فى المعايش المطلوبه وقد رأينا بنعمة الله ان نبطلها ونضعها ونعطلها وندعها ونضرب عنها فى أيامنا ونضرب عليها بأقلامنا ونسلك ما هو أهدى سبيلا ونقول ما هو أقوم قيلا ونكره ما كره الله ونحظر ما حظره الله ونتاجره سبحانه فانه من ترك شيأ لله عوضه الله أمثاله وأربح متجره فى الرعية اليوم بما يوضع عنهم من أصرها ولنا غدا بمشيئة الله ما يرفع من أجرها فعلى كافة أوليائنا وولاة أمرائنا والمتصرفين من قبلنا ان لا يحوموا اليها يدا ولا يردوا ولو بلغ الظمأ منهم موردا ولا يثقلوا بها ميزان المال فتخف ميزان الاعمال ولا يرغبوا فى كثير الحرام فان الله يغنى عنه بقليل الحلال وليعلم ان ذلك من الامر المحكم والقضاء المبرم والعزم المتمم) وفى منشور أهل الرقة بمثل ذلك (ان أشقى الامراء من سمن كيسه وأهزل الخلق وأبعدهم من الحق من أخذ الباطل من الناس وسماه الحق ومن ترك لله شيئا عوضه ومن أقرض الله قرضا حسنا وفاه ما أقرضه ولما انتهى أمرنا الى فتح الرقة أشرفنا منها على سحت يؤكل وظلم مما أمر الله به ان يقطع وأمر الظالمون ان يوصل فأوجبنا على أنفسنا وعلى كافة الولاة من قبلنا ان يضعوا هذه الرسوم بأسرها ويلقوا الرعايا من بشائر أيام ملكنا بأسرها ونعتق بلد الرقة من رقها ونثبت أحكام المعدلة فيها بمحو هذه الرسوم ومحقها وقد أمرنا بأن تسد هذه الابواب وتعطل وتنسخ هذه الاسباب وتبطل وتمطر سحائب الخصب بالعدل وتستنزل ويعفى خبر هذه الضرائب من الدواوين ويسامح بها جميعها جميع الاغنياء والمساكين مسامحة ماضية الاحكام مستمرة الايام دائمة الخلود خالدة الدوام تامة البلاغ بالغة التمام موصولة على الاحقاب مسنونة فى الاعقاب ملعونا من يطمح اليها ناظره ويتناولها يده او يمسك عنها اليوم على طمع لا يوصله اليه غده) قال العماد وورد على السلطان وهو نازل على حلب بشارتان احداهما ان الاسطول المصرى غزا فى خامس عشر المحرم ورجع بعد تسعة أيام وقد ظفر ببطسة مقلعة من الشام فيها ثلثمائة وخمسة وسبعون علجا من خيالة وتجار والثانية ان فرنج الداروم نهضوا فنذر بهم والى الشرقية فخرج اليهم فالتقوا على ماء يعرف بالعسيلة فاستولى عليهم المسلمون بعد ان كادوا يهلكون عطشا الا ان الفرنج كانوا قد ملكوا الماء ففار واهم الله بماء

البلاد بما صمم عليه عزمه وأجرى به حكمه وأمر بالاستعداد لترقب الاستدعاء ووصاهم فى سائر المقاصد والانحاء
وكتب (الى ناصر الدين قد عرفنا المصاب بوالده رحمه الله وعظم أجرنا وأجره فيه وان مضى لسبيله فولدنا أسد الدين
أحياه الله نعم الخلف الصالح وان انتقل والده الى دار البقاء فهو فى مكانه المستقر من المجد والعلاء والولايات والبلاد
والمعاقل باقية عليه مسلمة اليه مقررة فى يديه وما مضى من والده رحمه الله الا عينه وولدنا قرة العيون وبه استقرار
السكون والحمد لله الذى جبر به كسر المصاب وألبسنا أبراد أثواب الثواب فليشرح ولدنا صدره ولا يشغل سره ويعرف
خواصه وأصحابه وولاته ونوابه بحمص والرحبة وغيرهما انهم باقون على عاداتهم) وكان المندوب اليه القاضى نجم الدين
أبو البركات بن الشيخ شرف الدين ابن أبى عصرون ولم يفارق الخدمة السلطانية فى هذه السنة قال وفى هذه السنة لما كنا
على ميافارقين وقد فتحناها ورد للسلطان مثال شريف امامى ناصرى بتفويض ولاية ماردين والحصن وهو حصن
كيفا والعلامة الشريفة الناصرية فى ثانى سطره بالقلم الشريف (الناصر لدين الله) قلت وفيها فى جمادى الاولى توفى
الحافظ أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد المدينى الاصبهانى محدث مشهور له تصانيف كثيرة وفى هذه السنة توفى بمصر
فى شعبان الشيخ جمال الدين أبو الفتح أبو الثناء أبو محمد محمود بن أحمد بن على بن أحمد بن على بن أحمد بن المحمودى
المعروف بابن الصابونى ودفن بسارية من القرافة ومولده ببغداد سنة خمسمائة وجد أبيه لامه شيخ الاسلام أبو عثمان
اسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى فبه عرف بابن الصابونى وكان جده صحب السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ونسبته
بالمحمودى اليه ودخل ابن الصابونى هذا دمشق زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله واجتمع به ونزل الى
زيارته وسأله الاقامة بدمشق فذكر له ان قصده زيارة الامام الشافعى رضى الله عنه بمصر فجهزه وسيره وصحبه الامير
نجم الدين أيوب والد صلاح الدين سنة سار الى ولده بمصر وصار بينه وبينه صحبة أكيدة ومحبة عظيمة بحيث انه ما كان
يصبر عنه ساعة واحدة وأقبل عليه الملك ولده الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله بمصر لم يمكنه من العود الى الشام
ووقف عليه وقفا بالديار المصرية على عقبه وهو باق بأيديهم الى الآن وقرأت بخط صلاح الدين رحمه الله ما كتبه فى
حقه الى الملك العادل لما كان نائبه بمصر (الاخ الاجل الملك العادل أدام الله دولته غير خاف عنه قضية الوقف الذى
أوقفه الوالد نجم الدين تغمده الله برحمته ورضوانه على الشيخ الفقيه ابن الصابونى والذى جرى له من المخاصمة مع الشيخ
الفقيه نجم الدين (يعنى الخبوشانى) ما جرى اقتضت المصلحة لتسكين الفتنة وقطع الكلام انتقاله الى موضع غيره
لتنقطع الفتنة والخصومة بينهم بأمرنا اليه مع بقاء الوقف فى تصرفه وتصرف من عنده من الفقهاء والاخ الاجل
الملك العادل يتقدم براعاته وحفظ جانبه وتمكينه من التصرف فى الوقف المشار اليه ومنع من يعترضه فيه بوجه من
وجوه التأويلات وحسم مادة الشكوى منه ممن يتعدى عليه ان شاء الله تعالى) وقرأت بخط الشيخ عمر الملا الموصلى رحمه
الله كتابا كتبه الى ابن الصابونى هذا بشيراز يطلب منه فيه الدعاء ويصف حاله أوله أخوه عمر بن محمد الملا يقول فيه
(وبعد فالذى يتطلع اليه من معرفة أحوالى فجملتها خير وسلامة غارق فى بحار النعماء ومغمور فى هواطل الآلاء
غير ان أيدى البلوى بالنقم ترفعنى تارة الى مقام الصديقين وتضعنى تارة أخرى الى مقامات المخلفين ومع ذلك
فطلب النجاة لا يفتر والحركة فى طلب الفوز لا تسكن والعمر ينقضى بالعناء والمنى وما أشبه حالى بحال القائل

آمل فى يومى ادراك المنى * حتى اذا ولى تمنيت غدا
لا وطرا أقضى من الدنيا ولا * أفعل للاخرى فعال السعدا
والعمر يمضى بين هاتين فلا * ضلالة خالصة ولا هدى

يا أخى ما أخبرتك بأحوالى هذه الا رجاء ان تهزك همتك لى بالشفقة والرأفة فتدعو الله لى بقلب حاضر منور بنور الشفقة
والرحمة ويؤمن على دعائك من حضر من السادة الاخوان وتقول اللهم عبدك الضعيف عمر بن محمد الملا يدعوك
ويقول

لا تهنى بعد اكرامك لى * فشديد عادة منتزعه

وقد توسل بنا اليك نسألك ان تبلغه آماله وان تحييه حياة السعدا وان تميته موت الشهدا وتحشره فى زمرة السعدا
وان تجعل خير عمره آخره وخير أعماله خواتيمها وخير أيامه يوما يلقاك فيه)

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين) قال العماد فرحل السلطان الى الشام وودع مظفر الدين صاحب حران من الفرات ورحل
صوب حلب والعادل صاحبها على المقدمة وقد هيأ أسباب التكرمة فوصل حلب فى العشر الاوسط من المحرم ثم رتب
العادل فى حلب نوابه وصحب السلطان فوصلا حماة وفيها نائب تقى الدين ناصر الدين منكورس بن ناصح الدين خمارتكين
وهو صاحب بوقبيس وقد جمع النهضة والامانة ثم وصل السلطان الى حمص وقرر أمر المجاهد أسد الدين أبا الحارث
شيركوه بن ناصر الدين وكان عمره اذ ذاك ثلاث عشرة سنة سماه أبوه باسم جده ولقبه بلقبه وكتب له منشورا بما قرر عليه
من البلاد وذلك بحمص وسلمية وتدمر ووادى بنى حصين والرحبة وزلبيا وكتب منشورا آخر باسقاط المكوس بالرحبة
وفيه (وهذا دأب السلطان فى جميع البلاد اقتصر منها على الرسوم التى يبيحها الشرع وهى الخراج والاجور والزرع)
واعتمد على الامير الحاجب بدر الدين ابراهيم بن شروه الهكارى فى ولاية قلعة حمص ثم نقله الى قلعة حلب والى بها ست
سنين ورتبه العزيز فى آخر عهد السلطان بعوض قال ورتب السلطان مع أسد الدين بحمص أميرا من الاسدية يعرف
بارسلان بوغا فقدم على أصحابه يتولى مصالح بابه حتى تفرد الاسد بالامر لسداده وبلغ مدى رشاده ونعت بالملك
المجاهد ونهض بعامل المجاهد قال وأقمنا بحمص أياما حتى استعرضنا خزائن ناصر الدين وقسمنا ميراثه وكانت أخت
السلطان الحسامية زوجة ناصر الدين وهى مستحقة الثمن والباقى بين البنت والابن وخلف عينا وورقا مجتمعا ومفترقا
وبلغ التراث فى الملك والعين والاثاث ما عظم عن ان يقدر بمقدار وأناف عن ألف ألف دينار فأعاره السلطان طرفه
بل تركه على أهل التركة قال ولما شاع بدمشق خبر دنونا احتفل أهلها واجتمع بالمسار شملها وطلعت أعيانها ونبعت
عيونها ووافت ابكارها وعونها وظهر مكنونها ومخزونها وترامت الينا بشراتها ومكرماتها سهولها وحزونها ودخلنا
المدينة وزينة الدنيا خارجه وسكينة النعمى فارجه ودمشق كالهدى مزفوفه وبالهدى محفوفه وبالحسن موصوفه
وكان الناس قد ساءهم خبر المرض فسرهم عيان السلامه وأسهرهم الهم للاشفاق فراجعوا للشفاء كرى الكرامه وما ألذ
الرجاء بعد الابلاس والثرى غب الافلاس والامل عقيب الياس وانهم ظفروا فى حالة الايحاش بالايناس وأمنوا
بمشاهدة الانوار السلطانية حنادس الوسواس واجتمع السلطان فى القلعة بأهله وأقلع المرجف عن جهله وحسنت
الاحوال وأمنت الاهوال وشاهدنا الفضل والكرم بالمشاهدة الفاضلية الكريمه وعدنا الى عادة السعادة القديمه
واجتمع السلطان به فبثه أسراره واستنزل بصفو رأيه اكداره ودخل جنته وجنى ثماره وزاره مرة واستزاره وراجعه
فى مصالح دولته واستشاره وجلس السلطان فى دار العدل لكشف المظالم وبث المكارم واحياء المعالم واقامة مواسم
المراسم وقال القاضى ابن شداد ولما وجد السلطان نشاطا من مرضه رحل يطلب جهة حلب وكان وصوله اليها
يوم الاحد رابع عشر المحرم وكان يوما مشهودا لشدة فرح الناس بعافيته ولقائه فأقام بها أربعة أيام ثم رحل فى
ثامن عشره نحو دمشق فلقيه أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه بتل السلطان ومعه أخته وقد صحبه خدمة
عظيمة وقربه زائدة مد عليه بحمص وأقام أياما يعتبر تركة ابيه ثم سار يطلب جهة دمشق وكان دخوله اليها فى ثانى
ربيع الاول وكان يوما لم ير مثله فرحا وسرورا

(فصل) فى ذكر ما استأنفه السلطان بمصر والشام من نقل الولايات بين أولاده قال العماد وكان السلطان
لملازمة أخيه العادل له قد مال الى رأيه وكان الملك الافضل نور الدين على بمصر وهو ولده الاكبر وقد بدا يظهر وعلى
تجويد الخط والادب وسماع الاحاديث النبوية بتوفر وقد مالت اليه بمصر جماعة وله منهم طاعة وربما نقم تقى الدين
النائب هناك من أحد أمرا فوقعت منه فيه شفاعة فكتب يشكو من اختلال أمره واشتغال سره وكان فى نفس
السلطان ان ينقل ولده الملك العزيز عثمان الى مصر ليكون عزيزها وليصير ملكتها ويحوزها وهو مفكر فى طريق
تدبيره ووجه تقريره حتى بدا له نقل الافضل الى الشام فكتب اليه يتشوقه ويستدعيه بجميع أهله وجماعته ووالدته
وحشمه وأصحابه فخرج ووصل دمشق يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الاولى وخرج السلطان لاستقباله
وأنزله بالقلعة فى دار رضوانه وكتب الى تقى الدين انه قد استقل أمره وزال عذره فابتهج بتفرده وخفى عنه انه كان
فى ذمة ولد السلطان وعصمته وان قام حرمته بحرمته قال ولما وصلنا الى دمشق كان بها من أولاد السلطان الملك
الظاهر غازى غياث الدين فزار عمه العادل وشد ظهره وقد اشتد بمصاهرته ظهره فقال له قد نزلت عن حلب

فتوح مصر وأخبارها

تأليف

أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم

تقديم وتحقيق

محمد صبيح

« واختط ابن عبدة داره التى فى السراجين ، وفيها العقابين اليوم وصارت لبنى مسكين » .

وكانت دار نصر لرجل من قريش [illegible] ، فاشتراها عبد العزيز بن مروان فوهبها للاصبغ » .

ودار سهل التى [illegible] السراجين وحمام سهل كان ذلك لعبد [illegible] بن عمرو ابن العاص اشتراها فوهبها لابنته أم عبد الله ابنة عبد الله بن عمرو فتزوجها عبد العزيز بن مروان [illegible] الذى يقال له : قصر مارية [illegible] لعبد العزيز بن مروان فبناه لام ولد له رومية يقال [illegible] .

ويقال :

« انه [illegible] من ذلك [illegible] بالحمراء » .

ويقال :

« بل ذلك خطتهم [illegible] عيسى بن يزيد الجلودى مدخله مصر مع عبد الله ابن طاهر فبناه سجنا ، وهو السجن الذى عند محرس بنانه ، عند منزل عمرو بن سواد السرحى : وبنانة كانت حاضنة لبعض بنى مروان أو ظئرا لهم فنسب المحرس اليها . ومارية : أم محمد بن عبد العزيز ولم يعقب » .

« وقد كان عمرو بن العاص :

كما حدثنا سعيد بن عفير ، عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة :

صاحب المكس . قد دعا خالد بن ثابت الفهمى جد بنى رفاعه ليجعله على المكس فاستعفاه . فقال عمرو : ما تكره منه ؟ قال : ان كعبا قال : لا تقرب المكس فان صاحبه فى النار » .

« واختط جهم بن الصلت المطلبى مما يلى أصحاب الزيت الدار التى تقابل حمام بسر » .

« واختط ابن ماجد [illegible] فى أصحاب الزيت الدار المبنى وجهها بالحجارة » .

« واختط اياس بن البكير وابنه تميم بن اياس الدار التى عند دار ابن أبرهة الدار التى فيها أصحاب الارز النافذة الى السوق . وهو اياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بنى عدى بن كعب » .

« واختط مجاهد بن جبر مولى بنت غزوان داره التى فى النحاسين التى صارت لصالح صاحب السوق .

« واختط أبو شمر بن أبرهة الى جنب دار شييم الليثى » .

« واختط ابن رعد الى جنبه فأخذوا ومن معهم الى سوق الحمام والدور التى كانت لبنى مروان » .

واخبرنى حميد بن هشام الحميرى قال :

« ليس لابن أبرهة خطة بفسطاط مصر وانما خطتهم بالجيزة وانما صارت المنازل التى لهم بالفسطاط وراثة ورثوها من الوعلية ، لانهم كانوا صاهروا الى ابن وعلة فصارت المنازل لهم بالميراث . وكان بنو أبرهة اربعــة : كريب بن أبرهة أبو رشدين ، وأبو شمر بن أبرهة ، ومعديكرب بن أبرهة ، ويكسوم بن أبرهة .

حدثنا سعيد بن [illegible] حدثنا ابن لهيعة قال :

« فاجتمع كريب بن أبرهة وأخوه أبو شمر بن أبرهة فى خلافة عمر بن الخطاب » .

حدثنا هارون بن عبد الله الزهرى حدثنا محمد بن عمر حدثنى عبد الحميد بن جعفر عن يزيد ابن أبى حبيب :

« ان عبد العزيز بن مروان سأل كريب بن أبرهة بن الصباح عن خطبة عمر ابن الخطاب بالجابية أشهدتها ؟ فقال : شهدتها وأنا غلام عى ازار أسمعها ولا أعيها ، ولكن ذلك عن من سمعها وهو رجل ، قال : من ؟ قال : سفيان بن وهب الخولانى ، فأرسل اليه فسأله . فقال : أشهدت عمر بخطبة ؟ قال نعم . ثم ذكر الحديث » .

حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا ميمون بن يحيى عن مخرمة بن بكير بن [illegible] الاشج قال :

« قسمت مصر فى أيام عبد العزيز بن مروان فرأيت كريب بن أبرهة يخرج من عند عبد العزيز [illegible] تحت ركابه خمسمائة رجل من حمير » .

« واختط كعب بن عدى العبادى فى القيسارية فلما أراد عبد العزيز بناءها اشتراها منه [illegible] التى فى بنى وائل » .

وحمام [illegible] الذى يعرف اليوم بحمام أبى مرة كان خطة لرجل من تنوخ هو [illegible] ابن علقمة أو أبوه ، فسأله اياه عبد العزيز بن مروان ، فوهبه له . فبناه حماما لزبان ابن عبد العزيز وبزبان كان يعرف » .

وفيه يقول الشاعر :

من كان فى نفسه للبيض منزلة	فمنزل البيض فى حمام زبان
لا يبرح فيه [illegible] شفر يقلبـــه	لكنه [illegible] فى خلق انسان

فى أبيات [illegible] .

« وكان فيه صنم من رخام على خلقة امرأة عجب من العجب حتى كسرت فى السنة التى أمر يزيد بن عبد الملك فيها بكسر الاصنام ، وكان أمر بكسرها فى سنة اثنتين ومائة . وغرس له عبد العزيز نخله التى بالجيزة اليوم التى تعرف بجنان كعب ، عوضا من ذلك » .

خطة الزبير . « واختط الزبير بن العوام داره التى بسوق وردان اليوم ، والخطة لبلى ، وفيها السلم الذى كان الزبير نصبه وصعد عليه الحصن . وفيها كان عبد الله بن الزبير ينزل اذا قدم مصر فيما ذكر بعض المشائخ ، وقد كان عبد الملك بن مروان اصطفاها فردها عليهم هشام بن عبد الملك . ثم أخذها منهم يزيد بن الوليد ثم نزل فى أيديهم حتى كانت ولاية أمير المؤمنين أبى جعفر فكلمه فيها هشام بن عروة وكانت لهشام ناحية من أبى جعفر فأمر بردها عليهم . وقال : ما مثل أبى عبد الله ــ يريد الزبير ــ [illegible] له شىء » .

حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب :

« ان الزبير بن العوام اختط بالفسطاط » .

« واختط أبو بصرة الغفارى عند دار الزبير بن العوام . وأقر عمرو بن العاص القصر لم يقسمه [illegible] » .

« ولاهل مصر عن أبى بصرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث منها :

حدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن أبى بصرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« انا راكبون غدا الى يهود ، فاذا سلموا عليكم ، فقولوا : عليكم » .

« كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص أن أفرض لكل من قبلك ممن بايع تحت الشجرة فى مائتين من العطاء ، وأبلغ ذلك لنفسك بأمارتك . وافرض خارجة ابن حذافة فى الشرف لشجاعته . وافرض لعثمان بن قيس بن أبى العاص فى الشرف لضيافته » .

قال :

« ودعا عمرو خالد بن ثابت الفهمى ليجعله على المكس فاستعفاه منه . فكان شرحبيل بن حسنة على المكس . وكان مسلمه بن مخلد على الطواحين » .

قال عبد الرحمن :

« طواحين البلقس » .

حدثنا ابن عفير حدثنا ابن لهيعة عن ابن هبيرة :

صاحب المكس

« ان عمرا دعا خالد بن ثابت الفهمى ، جد ابن رفاعة . ليجعله على المكس فاستعفاه منه . فقال له عمرو : ما تكره منه ؟ قال : ان كعبا قال : لا تقرب المكس فان صاحبه فى النار » .

حدثنا على بن معبد حدثنا عبيد الله بن عمرو الجزرى عن محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد الرحمن التجيبى عن عقبة بن عامر :

« ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل صاحب مكس الجنه » .

قال عبد الرحمن بن عبد الله :

ليس هو عبد الرحمن التجيبى انما هو عبد الرحمن بن شماسة المهرى ، ولكن هكذا :

حدثناه على بن معبد ، حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن مخيس بن ظبيان عن رجل من جذام عن مالك بن عتاهية قال :

« سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا لقيتم عشارا فاقتلوه » .

حدثنا ابن عفير حدثنا ابن لهيعة قال :

« كان شرحبيل بن حسنه على المكس وكان مسلمة بن مخلد على الطواحين » .

قال :

« ثم ولى سليم بن عتر التجيبى القضاء فى أيام معاوية بن أبى سفيان ، وقد أدرك عمر بن الخطاب ، وحضر خطبته بالجابية ، وجعل اليه القصص والقضاء جميعا » .

حدثنا عبد الله بن يزيد المقرىء حدثنا حيوة بن شريح حدثنا الحجاج بن شداد الصنعانى أن أبا صالح سعيد بن عبد الرحمن الغفارى أخبره :

« ان سليم بن عتر التجيبى كان يقص على الناس وهو قائم . فقال له صلة ابن الحارث الغفارى ، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله ما تركنا عهد نبينا ولا قطعنا أرحامنا حتى قمت أنت وأصحابك بين أظهرنا . قال وكان سليم ابن عتر :

كما حدثنا سعيد بن عفير :

« أحد العباد المجتهدين . وكان يقوم فى ليله فيبتدى القرآن حتى يختمه ، ثم يأتى أهله فيقضى منهم حاجته ، ثم يقوم فيغتسل ، ثم يقرأ فيختم القرآن ، ثم يأتى أهله فيقضى منهم حاجته . ربما فعل ذلك فى الليلة مرات . فلما مات قالت امرأته : رحمك الله فوالله لقد كنت ترضى ربك وتسر أهلك » .

حدثنا ابن أبى مريم ومحمد بن عبد السلام عن ضمام بن اسماعيل عن سليم بن عتر قال :

دار فتعبدت فيه سبعا . ولولا أنى خشيت أن أضعف لاتممتها عشرا » .
« خرجت من الاسكندريه . أحسبه قال : حين قدمت من البحر . فدخلت فى
أخبرنا أبو الاسود النضر بن عبد الجبار حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن على بن رباح قال : قال لى سليم بن عتر :

« اذا لقيت أبا هريرة فاقرئه منى السلام ، وأخبره أنى قد دعوت له ولامه فلقيته فأخبرته . فقال وأنا قد دعوت له ولامه » .

حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا موسى بن على عن أبيه قال :

« خرجنا حجاجا من مصر ، فقال لى سليم بن عتر : اقرأ على أبى هريرة السلام، وأخبره أنى قد استغفرت له ولامه الغداة . قال : فلقيته فقلت : ذلك له . فقال أبو هريرة : وأنا قد استغفرت له ولأهله الغداة . ثم قال أبو هريرة : كيف تركت أم خنور ؟ قال : فذكرت له من خصبها ورفاغتها . فقال : أما انها أول الارضين خرابا . ثم على أثرها ارمينية . فقلت : أسمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أو من كعب الكتابين » .

حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم حدثنا بكر بن مضر عن عبيد الله بن زحر عن الهيثم بن خالد عن ابن عمه سليم بن عتر قال :

« لقينا كريب بن أبرهة راكبا ووراءه غلام له يمشى . فقلنا يا أبا رشدين : ألا حملت الغلام ؟ قال : وكيف أحمل علجا مثل هذا ؟ أو كما قال . قال : أفلا اتخذت وصيفا صغيرا تحمله وراءك ؟ قال : ما فعلت . قال : أفلا أمرت الغلام يتقدم أمامك حتى تلحقه ؟ قال : ما فعلت ؟ قال : فانى سمعت أبا الدرداء يقول : ما يزال العبد يزداد من الله بعدا كلما مشى خلفه » .

قال :

مصر والمغرب ولاية واحدة

« ثم ولى مسلمة بن مخلد البلد . وجمعت له مصر والمغرب ، وهو أول وال جمع له ذلك ، فولى السائب بن هشام بن عمرو احد بنى مالك بن حسل شرطه . وفى هشام بن عمرو . يقول حسان بن ثابت » .

هل توفين بنو أمية ذمه   حقا كما أوفى جوار هشام
من معشر لا يغدرون بجارهم   للحارث بن حبيب بن سحام
واذا بنو حسل اجازوا ذمه   اوفوا وادوا جارهم بسلام

قال :

« وكان هشام بن عمرو أحد النفر الذين قاموا فى نقض الصحيفة التى كانت قريش كتبت » .

قال :

« وقد كان عمرو بن العاص ولى السائب بن هشام بعد خارجة بن حذافة وكان أيضا على شرطه عبد الله بن سعد بن أبى سرح . وكان اسم أبى سرح » .

كما حدثنا محمد بن ادريس الرازى

« عويفا . ثم عزل مسلمه بن مخلد السائب وولى عابس بن سعيد المرادى . الشرط . ثم جمع له القضاء مع الشرط . وهو صاحب كوم عابس الذى بفسطاط مصر » .

وفيه يقول الشاعر :

أحن الى الاسكندرية ان لى   بها اخوة فى الدين أهل تنافس
أبو الحارث الماضى وأشهب منهم   اماما هدى فى سنة ومقايس
وقد أحدثت للروم فيها كنيسة   لطاغية للعين حق الجواسس
فيا ليتها قد صيرت بمشورة   خوى صفصفا كالقاع من كوم عابس

ذخائر التراث العربي

شذرات الذهب
في
أخبار من ذهب

للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي
المتوفى سنة ١٠٨٩

يُطلب من
المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

بالكتاب والسنة فقيه على مذهب الشافعي كان من أولاد الأمراء فتزهد توفى
فى ثالث رمضان عن خمس وتسعين سنة وقيل عاش مائة سنة وأربع سنين قاله
فى العبر قال ابن خفيف قدم علينا بعض أصحابنا فاعتل بعلة البطن فكنت
أخدمه وآخذ من تحته الطست طول الليل فأغفلت عنه مرة فقال لى نمت لعنك
الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله قال كقوله رحمك الله
ومن كلامه التوكل الاكتفاء بضمانه واسقاط التهمة عن قضائه وقال الأكل
مع الفقراء قربة الى الله عز وجل وقال أحمد بن يحيى الشيرازى ما أرى التصوف
الا يختم بأبى عبدالله بن خفيف وقال السبكى : شيخ المشايخ وذو القدم الراسخ
فى العلم والدين كان سيداً جليلا واماما حفيلا يستمطر الغيث بدعائه و يؤوب
المصر بكلامه عن اغوائه من أعلم المشايخ بعلوم الظاهر وممن اتفقوا على عظيم
تمسكه بالكتاب والسنة وكانت له أسفار و بدايات وأحوال عاليات ورياضات
لقى من النساك شيوخا ومن السلاك طوائف رسخ قدمهم فى الطريق رسوخا
وصحب من أرباب الأحوال أحباراً وأخياراً وشرب من منهل الطريق كاسات
كباراً وسافر مشرقا و مغربا وصابر النفس حتى انقادت له فاصبح مثنى الثناء
عليها معربا ذا صبر على الطاعة لايعصيه فيه قلبه واستمرار على المراقبة شهيد
عليه ربه وجنب لايدرى القرار ونفس لاتعرف المأوى الا البيداء ولاسكن
الا القفار وكان من أولاد الأمراء فتزهد حتى قال كنت أذهب واجمع الخرق من
المزابل واغسلها واصلح منها ماالبسه وروى عنه القاضى أبو بكر بن الباقلانى
وغيره ورحل الى الشيخ أبى الحسن الأشعرى وأخذ عنه وهو من أعيان
تلامذته وصنف من الكتب مالم يصنفه أحد وعمر حتى عم نفعه البلدان
وازدحم الناس على جنازته وصلى عليه نحو مائة مرة انتهى ملخصاً .

﴿ سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة ﴾

فى شوالها مات عضد الدولة فناخسرو بن الملك ركن الدولة الحسن بن بويه
ولى سلطنة فارس بعد عمه عماد الدولة على ثم حارب ابن عمه عز الدولة كما تقدم
واستولى على العراق والجزيرة ودانت له الأمم وهو أول من خوطب بشاه
شاه فى الاسلام وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة وكان من جملة
ألقابه تاج الملة وهو الذى أظهر قبر الامام على كرم الله وجهه بالكوفة وبنى
عليه المشهد الذى هناك وعمر النواحى وحفر الأنهار وأصلح طريق مكة وهو
الذى بنى على مدينة النبى صلى الله عليه وسلم سورا وبنى المارستان العضدى
ببغداد وأنفق عليه أموالا لاتحصى وكان أديباً مشاركا فى فنون من العلم حازما
لبيباً الا أنه كان غالياً فى التشيع وله صنف أبو على الايضاح والتكملة وقصده
الشعراء من البلاد كالمتنبى وأبى الحسن السلامى وكان شهماً مطاعا حازماً ذكياً
متيقظاً مهيباً سفاكا للدماء له عيون كثيرة تأتيه باخبار البلاد القاصية وليس
فى بنى بويه مثله وكان قد طلب حساب مايدخله فى العام فاذا هو ثلثمائة ألف
ألف وعشرون ألف ألف درهم وجدد مكوساً ومظالم قيل انه انشد أبياتاً
فلازمه الصرع بعدها الى أن مات وهى :

ليس شرب الكاس الا فى المطر ... وغناء من جوار فى السحر
غاليات سالبات للنهى ... ناغمات فى تضاعيف الوتر
عضد الدولة وابن ركنها ... ملك الأملاك غلاب القدر
سهل الله له بغيته ... فى ملوك الأرض مادار القمر
وأراه الخير فى أولاده ... ليساس الملك منهم بالغرر

ومات بعلة الصرع فى شوال ولما نزل به الموت كان يقول (ما أغنى عنى ماليه
هلك عنى سلطانيه) و يرددها الى أن مات وأنشد فى احتضاره قبل ترديده لهذه

رابع صفر ودفن من الغد الى جانب ابن شمعون بمقبرة الامام أحمد وكان موته
فجأة فانه دخل الى بيته ليتوضأ لصلاة الظهر فقاء فمات وكان قد تزوج وعزم تلك
الليلة على الدخول بزوجته

وفيها ابو محمد عبد الرحمن بن أبي الفتح محمد بن علي بن محمد الحلواني الفقيه الحنبلي
الامام وقد سبق ذكر أبيه ولد سنة تسعين وأربعمائة وتفقه على أبيه وأبي الخطاب وبرع
في الفقه وله تفسير القرآن في أحد وأربعين جزءاً وروى عن أبيه وعلي بن
أيوب البزار والمبارك بن عبد الجبار وخلق وذكره ابن شافع وابن النجار وأثنيا
عليه وذكره ابن الجوزي وقال كان يتجر في الخل ويقتنع به ولم يقبل من أحد
شيئا وتوفي يوم الاثنين سلخ ربيع الأول وصلى عليه من الغد الشيخ عبد القادر

﴿ سنة سبع وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها توفي أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي نزيل اسكندرية كان أديبا
فاضلا حكيما فيلسوفا ماهرا في الطب ورد القاهرة واتصل بوزير الآمر ثم نقم
عليه وحبسه ثم أطلقه فقصد يحيى بن تميم صاحب القيروان فحسنت حاله عنده
ومن تصانيفه كتاب الادوية المفرده والانتصار في أصول الفقه وغير ذلك
ومن شعره

قد كنت جارك والأيام ترهبني ... ولست أرهب غير الله من أحد
فنافستني الليالي فيك ظالمة ... وما حسبت الليالي من ذوي الحسد

وفيها أبو عبد الله بن غلام الفرس محمد بن الحسن بن محمد بن سعيد الداني
المقرىء الاستاذ أخذ القراآت عن ابن داود وابن الدش وأبي الحسن بن شفيع
وغيرهم وسمع من أبي علي الصدفي وتصدر للاقراء مدة ولتعليم العربية وكان
مشاركا في علوم جمة صاحب تحقيق واتقان وولي خطابة بلده ومات في المحرم
عن خمس وسبعين سنة

وفيها القاضي الأرموي أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الفقيه الشافعي
ولد ببغداد سنة تسع وخمسين وأربعمائة وسمع أبا جعفر بن المسلمة وابن المأمون
وابن المهتدي ومحمد بن علي الخياط وتفرد بالرواية عنهم وكان ثقة صالحاً تفقه
على الشيخ أبي اسحق وانتهى اليه علو الاسناد بالعراق توفي في رجب وقد تولى
قضاء دير العاقول في شبيبته وكان يشهد في الآخر.

وفيها محمد بن منصور الحرضي النيسابوري شيخ صالح سمع القشيري ويعقوب
الصيرفي والكبار ومات في شعبان.

وفيها السلطان مسعود غياث الدين أبو الفتح بن محمد بن ملكشاه بن الب
أرسلان بن جعفر بيك السلجوقي رباه بالموصل الامير مودود ثم أفسق القرسقي
ثم جوس بك فلما تمكن أخوه السلطان محمود طمعه جوس بك في السلطنة فجمع
وحشد والتقى أخاه فانكسر مسعود ثم تنقلت به الأحوال واستقل بالملك سنة
ثمان وعشرين وامتدت أيامه وكان منهمكا في اللهو واللعب كثير المزاح لين
العريكة سعيداً في دنياه سامحه الله تعالى وعاش خمساً وأربعين سنة ومات
في جمادى الآخرة وكان قد آذى المقتفي في الآخر فقنت عليه شهراً فمات قاله
في العبر.

﴿ سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها توفي ابن الطلاية أبو العباس أحمد بن أبي غالب بن أحمد البغدادي
الحنبلي الوراق الزاهد العابد سمع من عبد العزيز الأنماطي وغيره وانفرد بالجزء
التاسع من المخلصيات حتى أضيفت عليه وقد زاره السلطان مسعود في مسجده
بالحربية فتشاغل عنه بالصلاة وما زاده على أن قال يامسعود اعدل وادع لي الله
أكبر وأحرم بالصلاة فبكى السلطان وأبطل المكوس والضرائب وتاب وكان
الشيخ من أعاجيب دهره في الاستقامة لازم مسجده سبعين سنة لم يخرج منه

الدين بن تيمية وقال فى أول تفسيره وقد ذكر شيوخه فى العلم فأول ما قال كنت برهة مع شيخنا الامام الورع أبو الكرم فتيان بن مباح وكان طويل الباع فى علم اللغة والاعراب لا يشق غباره فى علم القرآن ومعاناة المعانى فيها فى الأحكام ومواقع الحلال والحرام انتهى .

وفيها محمد بن أسعد بن محمد بن نصر الفقيه الحنفى المعروف بابن الحكيم البغدادى الواعظ درس بالطرخانية والصادرية و بنى له معين الدين مدرسة ، شرح المقامات ودفن بباب الصغير ومن شعره :

الدهر يوضع عامداً فيلا و يرفع قدر نملة
فاذا تنبـه للمنا م وقام للنوام نم له

وفيها أبو عبدالله محمد بن يوسف بن سعادة المرسى نزيل شاطبة مكثر عن أبى على الصوفى واليه صارت عامة أصوله وسمع أيضاً من أبى محمد بن عتاب وحج فسمع من ابن غزال و رزين العبدرى قال الابار كان عارفا بالاثر مشاركا فى التفسير حافظاً للفروع بصيراً باللغة والكلام فصيحاً مفوهاً مع الوقار والسمت والصيام والخشوع ولى قضاء شاطبة وحدث وصنف ومات فى أول العام وله سبعون سنة .

وفيها يحيى بن ثابت بن بندار أبو القسم البغدادى البقال سمع من طراد والنعالى وجماعة وتوفى فى ربيع الأول وقد نيف على الثمانين .

وفيها المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتفى لأمر الله محمد بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدى العباسى خطب له أبوه بولاية العهد سنة سبع وأربعين واستخلف سنة خمس وخمسين وعاش ثمانياً وأربعين سنة وأمه طاووس الكرجية أدركت دولته قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء كان موصوفا بالعدل والرفق أطلق من المكوس شيئاً كثيراً بحيث لم يترك بالعراق مكساً وكان شديداً على المفسدين سجن رجلا كان يسعى بالناس مدة فحضر رجل وبذل

فيه عشرة آلاف درهم فقال أنا أعطيك عشرة آلاف دينار ودلنى على آخر مثله لأحبسه وألف شره وقال ابن النجار كان المستنجد موصوفا بالفهم الثاقب والرأى الصائب والذكاء الغالب والفضل الباهر والعدل الظاهر له نظم بديع ونثر بليغ ومعرفة بعمل آلات الفلك والاسطرلاب وغير ذلك ومن شعره فى بخيل :

وباخل أشعل فى بيته تكرمة منه لنا شمعه
فما جرت من عينها دمعة حتى جرت من عينه دمعه

توفى فى ثامن ربيع الآخر .

وفيها ابن الخلال القاضى الأديب موفق الدين يوسف بن محمد المصرى صاحب دواوين الانشاء للخلفاء وهو شيخ القاضى الفاضل ومن شعره :

عذبت ليال بالعذيب خوال وحلت مواقف بالوصال حوال
ومضت لذاذات تقضى ذكرها تصبى الخلى وتستهيم السالى
وجلت موردة الخدود فأوثقت فى الصبوة الخالى بحسن الخال
قالوا سراة بنى هلال أصلها صدقوا كذاك البدر فرع هلال

توفى فى جمادى الآخرة وقد شاخ وولى بعده القاضى الفاضل .

﴿ سنة سبع وستين وخمسمائة ﴾

فيها تجاسر صلاح الدين بن أيوب وقطع خطبة العاضد العبيدى وكان قبل هذا كالمتحكم له وخطب للخليفة العباسى المستضىء فمات العاضد عقيب ذلك قيل انه مات غبناً وأظهر صلاح الدين الحزن عليه وجلس للعزاء ثم تسلم القصر وما حوى ثم حول أولاد المعتضد وخاصته الى مكان آخر ورتب لهم كفاياتهم ولما وصل أبو سعد بن أبى عصرون رسولا بذلك الى بغداد زينت وكان يوما مشهوداً وكانت الخطبة العباسية قد قطعت من مصر منذ مائتى سنة

ودفن بباب الصغير.

وفيها الحافظ عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن حمدان بن موسى الاصبهانى أبو الخير كان من الأئمة الحفاظ الامجاد ومن محفوظه فيما قيل الصحيحان بالاسناد تكلم فيه أبو موسى المدينى وغيره من النقاد قاله ابن ناصر الدين .

وفيها أبو جعفر الصيدلانى محمد بن الحسن الاصبهانى له اجازة من بيبى الهرثمية تفرد بها وسمع من شيخ الاسلام وطبقته بهراة ومن سليمان الحافظ وطبقته باصبهان توفى فى ذى القعدة قاله فى العبر .

﴿سنة تسع وستين وخمسمائة﴾

فيها ثارت الفرنج لموت نور الدين الملك العادل أبو القسم محمود بن زنكى ابن آق سنقر تملك حلب بعد أبيه ثم أخذ دمشق فملكها عشرين سنة وكان مولده فى شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة وكان أجل ملوك زمانه وأعدلهم وأدينهم وأكثرهم جهادا وأسعدهم فى دنياه وآخرته هزم الفرنج غير مرة وأخافهم وجرعهم المر وكان أولا متحكما لملوك السلاجقة ثم استقل وكان فى الاسلام زيادة ببقائه افتتح من بلاد الروم عدة حصون ومن بلاد الفرنج مايزيد على خمسين حصنا وكان أسمر طويلا مليحا تركى اللحية نقى الخد شديد المهابة حسن التواضع طاهر اللسان كامل العقل والرأى سليما من التكبر خائفا من الله قل ان يوجد فى الصلحاء مثله فضلا عن الملوك ختم الله له بالشهادة ونوله الحسنى ان شاء وزيادة وخطب له فى الدنيا وأزال الأذان بحى على خير العمل وبنى المدارس وسور دمشق وأسقط ما كان يؤخذ من جميع المكوس وبنى المكاتب للايتام ووقف عليها الأوقاف وبنى الربط والبيمارستان وأقطع العرب الاقطاعات لئلا يتعرضوا للحاج وبنى الخانات والربط وكان حسن الخط كثير المطالعة مواظبا على الصلوات الخمس كثير تلاوة القرآن لم تسمع منه

كلمة فحش ذو عقل متين يحب الصالحين ويزورهم فى أماكنهم قال ابن الأثير طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الاسلام والى يومنا هذا فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ملكا أحسن سيرة منه ولا أكثر تحريا للعدل والانصاف ثم ذكر زهده وعدله وفضله وجهاده واجتهاده وكان لا يأكل ولا يشرب ولا يتصرف فى شىء يخصه الا من ملك اشتراه من سهمه من غنائم الكفار ولم يلبس حريرا قط ولا ذهبا ولا فضة وكان كثير الصيام وله أوراد فى النهار والليل وكان يقدم أشغال المسلمين عليها ثم يتمم وكان يلعب بالكرة فى ميدان دمشق فجاء رجل فوقف بازائه فقال للحاجب سله ماحاجته فقال لى مع نور الدين حكومة فرمى الصولجان من يده وجاء الى مجلس القاضى كمال الدين الشهرزورى وقال له لا تنزعج واسلك معى ما تسلكه مع آحاد الناس فلما حضر سوى بينه وبين خصمه وتحاكما فلم يثبت للرجل عليه حق وكان يدعى ملكا فى يد نور الدين فقال نور الدين للقاضى هل ثبت له على حق قال لا قال فاشهدوا انى قد وهبت الملك له وقد كنت أعلم انه لاحق له عندى وانما حضرت معه لئلا يقال عنى انى طلبت الى مجلس الشرع فأبيت وبنى دار العدل وكان يجلس فى كل أسبوع أربعة أيام ويحضر عنده الفقهاء ويأمر بازالة الحجاب والبواب حتى يصل اليه الشيخ الكبير والضعيف ويسأل الفقهاء عما أشكل واذا حضر الحرب شد تركاشين وحمل قوسين وبنى جامعه بالموصل وفوض أمره الى الشيخ عمر الملا وكان من الأخيار وانما قيل الملا لانه كان يملأ أتون الآجر ويتقوت بالأجرة وليس عليه غير قميص ولا عمامة ولا يملك شيئا فقيل له ان هذا لا يصلح لمثل هذا العمل فقال اذا وليت بعض الأجناد لا يخلو من الظلم وهذا الشيخ لا يظلم فان ظلم كان الظلم عليه فدفع الى الشيخ ستين ألف دينار وقيل ثلثمائة ألف دينار فتم بناؤه فى ثلاث سنين فلما دخل نور الدين الى الموصل دخله وصلى فيه ووقف عليه قرية فدخل عليه الملا وهو

الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد بالله يوسف
ابن المقتفى العباسى ولد سنة احدى وسبعين وخمسمائة وبويع بالخلافة بعد
أبيه فى العام الماضى وكانت خلافته تسعة أشهر ونصفا وكان دينا خيراً
متواضعا حتى بالغ ابن الأثير وقال أظهر من العدل والاحسان ما أعاد به
سنة العمرين وقال أبو شامة كان أبيض مشربا بحمرة حلو الشمائل شديد
القوى قيل له الاتنفسح قال لقد لقس الزرع فقيل يبارك الله فى عمرك
فقال من فتح بعد العصر ايش يكسب ثم انه أحسن الى الناس وفرق الاموال
أبطل المكوس وأزال المظالم وقال الذهبي توفى فى ثالث عشر رجب
وبويع بعده ابنه المستنصر بالله . وفيها أحمد بن عبد المنعم الحكيم
البغدادى كان حسن المعرفة بالادب والطلب ومن شعره:

إذا لم أجد لى فى الزمان مؤانسا … جعلت كتابى مؤنسى وجليسى
وأغلقت بابى دون من كان ذا غنى … وأمليت من مال القناعة كيسى

وفيها ابن أبى لقمة أبو المحاسن محمد بن السيد بن فارس الانصارى الدمشقي
الصفار المعمر ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة وسمع من هبة الله بن طاوس
والفقيه نصر الله المصيصى وجماعة تفرد بالرواية عنهم واجاز له من بغداد
سنة أربعين على بن الصباغ وطبقته وكان دينا كثير التلاوة والذكر توفى فى
ثالث ربيع الاول . وفيها ابن البيع أبو المحاسن محمد بن هبة الله
ابن عبد العزيز الدينورى الزهرى سمع من عمه أبى بكر محمد بن أبى حامد
ومحمد بن طراد الزينبى وجماعة انفرد بالرواية عنهم وكان شيخا جليلا نبيلا
رضيا توفى فى شوال . وفيها أبو القسم العتابى المبارك بن على بن أبى
الجود الوراق آخر أصحاب ابن الطلاية كان رجلا صالحا توفى فى المحرم قال
الذهبي حدثنا عنه الابرقوهى . وفيها أبو العز موفق الدين مظفر
ابن ابراهيم بن جماعة بن على بن شامى بن أحمد بن ناهض بن عبد الرزاق

العيلانى ـ بالعين المهملة نسبة الى قيس عيلان ـ الحنبلى الاديب الشاعر العروضى
الضرير المصرى ولد لخمس ليال بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين
وخمسمائة بمصر وسمع الحديث من أبى القسم بن البستى وابن الصابونى
وأبي طاهر السلفى والبوصيرى وغيرهم ولقى جماعة من الادباء وقال الشعر
الجيد وبرع فى علم العروض وصنف فيه تصنيفاً مشهورا دل على حذقه ومدح
جماعة كثيرة من الملوك والشعراء والوزراء وغيرهم وحدث بتصنيفه وبشىء
من شعره قال المنذرى سمعت منه وكان بقية فضلاء طبقته وذكر ابن خلكان
أنه قال دخلت يوما على القاضى هبة الله بن سناء الملك الشاعر فقال لى ياأديب
صنفت نصف بيت ولى أيام أفكر فى تمامه قلت وما هو قال:
• بياض عذارى من سواد عذاره • قلت قد حصل تمامه وانشدت
• كما جل نارى فيه من جلناره • فاستحسنه وعمل عليه ومن
نظمه الابيات المشهورة السائرة الرائقة الفائقة .

قالوا عشقت وأنت أعمى … ظبيا كحيل الطرف المى
وحلاه ما عاينتها … فنقول قد شغفتك دهما
وخياله بك فى المنا … م فما أطاف ولا ألما
من أين أرسل للفؤا … د وأنت لم تنظره سهما
ومتى رأيت جماله … حتى كساك هواه سقما
وبأى جارحة وصلت … لوصفه نثرا ونظما
والعين داعية الهوى … وبه يتم اذا تنمى
فأجبت انى موسوى … العشق انصاتا وفهما
أهوى بجارحة السما … ع ولا أرى ذات المسمى

وقال ابن خلكان وأخبرنى أحد أصحابه ان شخصا قال له رأيت فى
بعض تآليف أبي العلاء المعرى ما صورته أصلحك الله وأبقاك لقد كان
من الواجب أن تأتينا اليوم الى منزلنا الخالى لكى نحدث عهدا بك يازين

الأولى .   وفيها الامير الصاحب الوزير نجم الدين محمد بن عثمان بن
الصفى البصروى الحنفى ولى الحسبة ثم الخزانة ثم الوزارة ثم الامرة ودرس أولا
بمدرسة بصرى وكان فاضلا مقدم خيول عربية فتقدم فى ذلك وتوفى ببصرى
كهلا .   وفيها مسند الوقت شمس الدين أبو نصر محمد بن محمد بن محمد
ابن مميل بن الشيرازى الدمشقى سمع من جده القاضى أبى نصر والسخاوى وجماعة
وبمصر من العلم بن الصابونى وابن قميرة وأجازله أبوعبد الله بن الزبيدى والحسين
ابن السيد وقاضى حلب بن شداد وخلق وله مشيخة وعوال وروى الكثير وكان
ساكنا وقوراً متقبضاله كفاية وكبر سنه وأكثر ولم يختلط وتوفى بالمزة ليلة عرفة
عن أربع وتسعين سنة وشهرين .   وفيها صفى الدين محمود بن محمد
ابن حامد الارموى ثم القرافى الصوفى كان محدثا لغوياً اماما سمع الكثير وكتب
وتعب واشتهر وحدث عن النجيب والكمال وكان شافعيا حفظ التنبيه مع دين
وتصون ومعرفة توفى بدمشق بالمارستان فى جمادى الآخرة وله ست وسبعون سنة .

وفيها صاحب الاجرومية أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجى
النحوى المشهور بابن آجروم بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم والدال المشددة
ومعناه بلغة البربر الفقير الصوفى صاحب المقدمة المشهورة بالجرومية قال ابن مكتوم
فى تذكرته نحوى مقرى له معلومات من فرائض وحساب وأدب بارع وله مصنفات
وأراجيز وقال غيره المشهور بالبركة والصلاح ويشهد لذلك عموم النفع بمقدمته ولد
بفاس سنة اثنتين وسبعين وستمائة وتوفى بها فى صفر .

﴿سنة أربع وعشرين وسبعمائة﴾

فيها كان الغلاء المفرط بالشام وبلغت الغرارة ازيد من مائتى درهم أياما ثم جلب
القمح من مصر بالزام سلطانى لامرائه فنزل الى مائة وعشرين درهما ثم بقى أشهرا
ونزل السعر بعد شدة واسقط مكس الاقوات بالشام بكتاب سلطانى

وكان على الغرارة ثلاثة دراهم ونصف قاله فى العبر .

وفيها توفى القاضى المعمر المعدل شمس الدين احمد بن على بن الزبير الجيلى
ثم الدمشقى الشافعى سمع من ابن الصلاح من سنن البيهقى وتوفى بدمشق فى
ربيع الآخر عن تسع وثمانين سنة .   وفيها وزير الشرق على شاه بن
أبى بكر التبريزى كان سنيا معظما لصاحب مصر محبا له توفى بأرجان فى
جمادى الآخرة وقد شاخ .   وفيها الصاحب الكبير كريم الدين
عبد الكريم بن هبة الله بن العلم هبة الله بن السديد المصرى وكيل السلطان أسلم
كهلا فى أيام الجاشنكير وكان كاتبه وتمكن من السلطان غاية التمكن بحيث صار
الكل اليه وبيده العقد والحل وبلغ من الرتبة ما لا مزيد عليه وجمع أموالا عظيمة
عاد أكثرها إلى السلطان وكان حسن الخلق عاقلا خيراً متمماً داهية وقوراً مرض
نوبة فزينت مصر لعافيته وكان يعظم الدينين وله بر وإيثار عمر البيارات وأصلح
الطرق وعمر جامع القبيبات وجامع القابون وأوقف عليهما الاوقاف ثم انحرف عليه
السلطان ونكبه فنفى إلى الشوبكة ثم إلى القدس ثم إلى اسوان فاصبح مشنوقاً
بعمامته ولما أحس بالقتل صلى ركعتين وقال هاتوا عشنا سعداء ومتنا شهداء
أعطانى السلطان الدنيا والآخرة وشنق وقد قارب السبعين .

وفيها الحافظ الزاهد علاء الدين على بن ابراهيم بن دواد بن سلمان بن سليمان
أبو الحسن بن العطار الشافعى ويلقب بمختصر النووى سمع من ابن عبد الدايم وابن
أبى اليسر وغيرهما ولد يوم عيد الفطر سنة أربع وخمسين وستمائة وتفقه على الشيخ
محيى الدين النووى وأخذ العربية عن جمال الدين بن مالك وولى مشيخة دار
الحديث النورية وغيرها ومرض بالفالج ازيد من عشرين سنة وكان يحمل فى محفة
وكتب الكثير وحمله ودرس وأفتى وصنف أشياء مفيدة قال الذهبى خرجت له
معجما فى مجلد انتفعت به واحسن الى باستجازته لى كبار المشيخة وله فضائل وتأله
وأتباع وقال ابن كثير له مصنفات مفيدة وتخاريج ومجاميع وقال غيره هو أشهر

التسهيل ومختصر ابن الحاجب وتوفى فى أول شهر رمضان .

وفيها الملك الظاهر برقوق بن أنس بن عبد الله الجركسى العثمانى ذكر الخواجا عثمان الذى أحضره من بلاد الجركس انه اشتراه منه يلبغا الكبير واسمه حينئذ الطنبغا فسماه برقوقاً لنتوء فى عينيه فكان فى خدمة يلبغا من جملة المماليك الكتابية ثم كان فيمن نفى الى الكرك بعد قتل يلبغا ثم اتصل بخدمة منجك نائب الشام ثم حضر معه الى مصر ثم اتصل بخدمة الأشرف شعبان فلما قتل الأشرف ترقى برقوق الى ان أعطى امرة أربعين وكان هو وجماعة من اخوته فى خدمة اينبك ثم لما قام طشتمر على اينبك وقبض عليه ركب بركة وبرقوق ومن تابعهما على المذكور وأقاما طشتمر العلائى مدبراً للمملكة اتابكا واشتهروا فى خدمته الى أن قام عليه مماليكه فى أواخر سنة تسع وسبعين فآل الأمر الى استقلال بركة وبرقوق فى تدبير المملكة بعض القبض على طشتمر فلم تطل الأيام حتى اختلفا وتباينت اغراضهما وقد سكن برقوق فى الاصطبل السلطانى وأول شىء صنعه ان قبض على ثلاثة من أكابر الأمراء كانوا من اتباع بركة فبلغه ذلك فركب على برقوق ودام الحرب بينهما أياماً الى أن قبض على بركة وسجنه بالاسكندرية وانفرد برقوق بتدبير المملكة الى أن دخل شهر رمضان سنة أربع وثمانين ثم له الأمر استقلالا بالملك فجلس على تخت الملك ولقب الملك الظاهر وبايعه الخليفة وهو المتوكل محمد بن المعتضد والقضاة والأمراء ومن تبعهم وخلعوا الصالح حاجى بن الأشرف وأدخل به الى دور أهله بالقلعة واستمر فى الملك الى وفاته وجرت عليه اتعاب وكان شهماً شجاعاً ذكياً خبيراً بالأمور عارفاً بالفروسية خصوصاً اللعب بالرمح يحب الفقراء ويتواضع لهم ويتصدق كثيراً ولاسيما اذا مرض وأبطل فى ولايته كثيرا من المكوس وضخم ملكه حتى خطب له على منابر توريز وضربت الدنانير والدراهم فيها باسمه وعلى منابر ماردين والموصل وسنجار وغير ذلك وكان جهورى

الصوت كبير اللحية واسع العينين محباً لجمع المال طماعا جداً ومن آثاره المدرسة القائمة بين القصرين بالقاهرة لم يتقدم بناء مثلها وعمل جسر الشريعة وانتفع به المسافرون كثيراً وفى ذلك يقول شمس الدين محمد المزين :

بنى سلطاننا للناس جسراً ... بأمر والوجوه له مطيعه
مجازاً فى الحقيقة للبرايا ... وأمرا بالسلوك على الشريعه

وبالجملة فانه كان أعظم ملوك الجراكسة بلامدافعة بل المتعصب يقول انه أعظم ملوك الترك قاطبة وتوفى على فراشه ليلة نصف شوال بالقاهرة عن نحو ستين سنة وترك من الذهب العين ألفى ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار ومن الأثاث وغيره ماقيمته ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار قاله المقريزى وعهد بالسلطنة الى ابنه فرج وله يومئذ عشر سنين .

وفيها الشيخ الصالح عبدالله بن سعد بن عبدالكافى المصرى ثم المكى المعروف بالحرفوش صاحب كتاب الحريفيش فى الوعظ كان رجلا عالما زاهدا صوفيا واعظا مشهورا بالخير وللناس فيه اعتقاد زائد ويخبر بأشياء فتقع كما يقول وجاور بمكة أكثر من ثلاثين سنة ومات فى أول هذه السنة .

وفيها ست القضاة بنت عبد الوهاب بن عمر بن كثير ابنة أخى الحافظ عماد الدين حدثت بالاجازة عن القسم بن عساكر وغيره من شيوخ الشام وعن على الوانى وغيره من شيوخ مصر وخرج لها صلاح الدين أربعين حديثا عن شيوخها وتوفيت فى جمادى الآخرة وقد جاوزت الثمانين .

وفيها صفية بنت القاضى عماد الدين اسمعيل بن محمد بن العز الصالحية ولى أبوها القضاء وحدثت هى بالاجازة عن الحجار وأيوب الكحال وغيرهما وسمعت من عبد القادر الايوبى وماتت فى المحرم .

وفيها جمال الدين عبدالله بن شهاب الدين حمد بن صالح بن أحمد بن خطاب الزهرى الشافعى ولد فى جمادى الآخرة سنة تسع وستين وحفظ التميز وأذن

أحكام أهل الذمّة

تأليف

الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر

ابن قيّم الجوزيّة

٦٩١ - ٧٥١

حققه وعلق حواشيه

الدكتور صبحي الصالح

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة اللبنانية
وأستاذ الاسلاميات وفقه اللغة فيها

دار العلم للملايين

ص.ب: ١٠٨٥ - بيروت
تلكس: ٢٣١٦٦ - لبنان

الجزية بإسلامه . فإن قيل : فلو اشترى ذمي أرضاً خراجية من تغلبي فما حكمها ؟
قيل : قد اختلف في ذلك الأصحاب على ثلاثة أوجه ، أحدها أنه لا شيء عليه
في نبتها كما لو اشتراها من مسلم ، والثاني عليه فيها عشر واحد ، والثالث عليه
فيها عشران كما كان على التغلبي ، وهو الأقيس والأصح .

فإن قيل : فما تقولون لو اشترى ذمي أرضاً من مسلم لا عشر فيها ، مثل أن
كانت دوراً أو خاناً ونحو ذلك فزرعها فهل يجب في زرعها شيء ؟ قيل: لا يجب
عليه شيء في هذه الصورة ، ولا يمنع من شرائها ، فإنه لم يسقط بذلك حق مسلم
من الأرض . وكذلك الحكم لو اشترى أرضاً خراجية من ذمي فزرعها لم يكن
عليه غير الخراج ، كما كانت في يد البائع ، وكما لو ورثها . وقال أبو عبد الله
ابن حمدان في « رعايته »: وإن اشترى ذمي أرضاً خراجية أو أرض تغلبي جاز ،
ولا شيء عليه في نبتها . وقيل : بل عشران . وقيل: بل عشر في نبت الخراجية ،
لا فيما اشتراه من تغلبي .

قلت: أما شراؤه أرض التغلبي فإنه يتوجه أن يجب عليه عشران ، كما كان
يجب على التغلبي ، ولا يسقط بشرائه حقُّ المسلمين الذي كان على أرض التغلبي
بل إذا ضوعِفَ عليه العشرُ بشرائها من مسلم حيث لم يكن واجباً ، فلأن
يؤخذ منه ما كان واجباً على التغلبي أولى وأحرى . وأما شراؤه للأرض
الخراجية التي لا عشر عليها فهذا لا يتوجه فيه نزاع ، ولا تقبل ما ذكره من
الأقوال ، ولا سيما إذا اشتراها من ذمي لم يدخل في عموم كلامه ، فهذا لم يقل
أحد : إن عليه فيها عُشْرَيْن ، ولا عُشْراً . فإن قيل : يحمل كلامه على ما إذا
اشتراها من مسلم ، قيل : إن كانت عشرية ـ مع كونها خراجية ـ فقد تقدم

حكمها ، وإن لم تكن عشرية ، بأن كانت داراً أو خاناً ، جاز له شراؤها ولا
عشر عليه في زرعها اتفاقاً كما تقدم ، بل هذا من سوء التفريع والتصرف ، والله أعلم.
فإن قيل : فما تقولون في إجارة الأرض العشرية للذمي ؟ قيل : قد نصَّ أحمد
رحمه الله تعالى على صحة الإجارة مع الكراهة ، والفرق بينها وبين البيع أنَّ
البيع يراد للدوام ، بخلاف الإجارة ، والحكم في زرعه كالحكم في زرع ما
اشتراه ، سواءٌ ، وقيل : لا شيء عليه هاهنا ، وإن أوجبنا عليه العُشْرَيْن في
صورة الشراء ، ويكون كما لو اشترى الزرع وحده ، وهذا ليس بصحيح ، فإن
الموجب لمضاعفة العشر عليه في صورة الشراء هو بعينه موجود في صورة
الإجارة . وأما شراؤه الزرعَ ، فإن اشتراه قبل اشتداد حبه لم يصح البيع ؛
وإن اشتراه بعد اشتداد حبه ، فزكاتُه على البائع ؛ فإن قيل : فلو اشتراه مع
الأرض قبل اشتداد الحب ، قيل : حكمه حكم ما زرعه بنفسه .

فصل

وأما أموالهم التي يتجرون بها من بلد إلى بلد ، فإنه يؤخذ منهم نصف
عشرها إن كانوا ذمة ، وعُشْرها إن كانوا أهل هدنة . وهذه مسألة تلقَّاها
الناس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ونحن نذكر أصلها ، وكيف كان
ابتداء أمرها ، واختلاف الفقهاء في ما اختلفوا فيه من أحكامها ، بحول الله
وقوته وتأييده ، بعد أن نذكر مقدمة في المُكُوس وتحريمها والتغليظ في أمرها،
وتحريم الجنة على صاحبها ، وأمر رسول الله ﷺ بقتله ؛ وأن قياسها على ما
وضعه عمر رضي الله عنه على أهل الذمة من الخراج أو العشر كقياس أهل الشرك
الذين قاسوا الربا على البيع ، والميتةَ على المذكَّى.

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن شُماسة التُجيبي[1] عن عقبة بن عامر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة صاحب مَكْس[2] » .

وقال أبو عبيد[3] : حدثنا يحيى بن بُكَير عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الحسين[4] قال: سمعت رُوَيْفِع بن ثابت يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّ صاحب المكس في النار » . قال : يعني العاشرَ . حدثنا الهيثم بن جميل عن محمد بن مسلم عن إبراهيم بن مَيْسَرة عن طاووس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : « إن صاحب المكس لا يُسْأل عن شيء ، يؤخذ كما هو فيرمى به في النار » . حدثنا حسان بن عبد الله عن يعقوب ابن عبد الرحمن القاري عن أبيه قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاةَ : « أنْ ضَعْ عن الناس الفِدْيَةَ[5] ، وضع عن الناس المائدةَ ، وضع عن الناس المكس ، وليس بالمكس ، ولكنه البخس الذي قال الله تعالى : « ولاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، ولاَ تَعْثَوْا في الأَرْضِ مُفْسِدِينَ » فمن جاءك بصدقة فاقبلها منه ، ومن لم يأتك بها فالله حسيبه » . حدثنا نعيم عن ضَمْرَةَ عن كُرَيْز بن سليمان[6] قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الله بن

(١) شماسة - كما في القاموس - كثامة ، ويفتح . واسمه أبو عمرو المهري المصري . توفي بعد المئة .

(٢) رواه بنحوه أيضاً أبو عبيد في الأموال ص ٥٢٦ رقم ١٦٢٤ . وقارن بسنن أبي داوود .

(٣) انظر الأموال (باب ذكر العاشر وصاحب المكس ، وما فيه من التهمة والتغليظ) ص ٥٢٦ . وفي الباب نحو ثلاثين حديثاً .

(٤) كذا بالأصل ، وفي مطبوعة الأموال (عن أبي الخير ?) .

(٥) في الأصل (النوبة) . صوابه من مطبوعة الأموال رقم ١٦٢٨ .

(٦) في الأصل (جرير بن سفيان) . وقارن بالأموال رقم ١٦٢٩ .

عوف[1] القاري : أن اركب إلى البيت الذي برَفَح الذي يقال له « بيت المكس » فاهدمه ثم احمله إلى البحر فانسفه فيه نسفاً » . قال أبو عبيد : وقد رأيته بين مصر والرملة . حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن مُخَيِّس بن ظَبْيان حدثه عن عبد الرحمن بن حسان عن رجل من جُذام عن مالك بن عناهية[2] قال : قال رسول الله ﷺ : « من لقي صاحب عشور فليضرب عنقه » . حدثنا ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن مُخَيِّس بن ظبيان عن عبد الرحمن بن حسان قال: أخبرني رجل من جذام[3] قال سمع فلان بن عناهية يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : « إذا لقيتم عاشراً فاقتلوه » - يعني بذلك الصدقة يأخذها على غير حقها - . حدثنا حجاج عن ابن جُرَيج[4] قال : أخبرني عَمْرو بن دينار قال أخبرني مسلم ابن سكرة[5] أنه سأل ابن عمر : أعلمتَ أنّ عمر أخذ من المسلمين العُشْرَ ؟ قال : لا أعلمه . [حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن إبراهيم بن مهاجر قال :

(١) في الأصل (عون) .

(٢) ذكر في « أسد الغابة » أنه من أهل مصر ، وأن اباه عناهية هو ابن حرب بن سعد الكندي .

(٣) في الأصل (حدام) بالحاء والدال المهملتين .

(٤) في الأصل (عن أبي جرير) .

(٥) كذا بالأصل (سكرة) بالسين المهملة ، وهو يوافق ما في « التاريخ الصغير » للبخاري . والذي في «المشتبه» الذهبي : أنه يعرف بابن شكرة ، وقد ضبطه في «التهذيب» بفتحات وشين معجمة (شَكَرَة) وذكر أن اسمه مسلم بن يسار الأموي مولاهم، ويقال له : مسلم المصبّح ، كان يسرج مصابيح المسجد . وضبط في مطبوعة الأموال رقم ١٦٣٢ « شَكَرَة » بالشين وفتحات أيضاً .

سمعت زياد بن حُدَيْر يقول : أنا أول عاشر عشّر في الاسلام » قلت : من كنتم تعشّرون ؟ قال : ما كنا نعشّر مسلماً ولا معاهداً ، كنا نعشّر نصارى بني تغلب[1]] . حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عبد الله بن خالد العبسي عن عبد الرحمن بن مَعْقِل[2] قال : سألت زياد بن حُدَيْر : مَنْ كنتم تعشّرون ؟ قال : ما كنا نعشر مسلماً ولا معاهداً . قلت : فَمَن كنتم تعشرون ؟ قال : تجار الحرب ، كما كانوا يعشرونا إذا أتيناهم . حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن مسروق أنه قال : والله ما علمت عملاً أخوف عندي أن يدخلني الله النار من عملكم هذا ، وما تراني[3] أن أكون ظلمت فيه مسلماً أو معاهداً ديناراً ولا درهماً ، ولكني لا أدري ماهذا الحبل الذي لم يسنه رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر . قالوا : فما حملك على أن دخلت فيه ؟ قال : لم يدعني زياد ولا شُرَيْح ولا السلطان حتى دخلت فيه .

قلت : هو[4] سلسلة كان يعترض بها على النهر ، تمنع السفن من المضيّ حتى تؤخذ منهم الصدقة ، وكان مكانها يسمى « السلسلة » ، وأقام بها مسروق زماناً يقصر الصلاة . كان عاملاً لزياد ، وكان أبو وائل معه ، فما رأيت أميراً قطّ كان أعفّ منه ، ما كان يصيب شيئاً إلا مادخله . وقيل للشعبي : كيف خرج مسروق من عمله ؟ قال : ألم تروا إلى الثوب يبعث به إلى القصار فيجيد غسله ؟ فكذلك

(١) الزيادة من الأموال رقم ١٦٣٣ .

(٢) في الأصل (منفل) . وصوابه ما أثبتناه .

(٣) كذا بالأصل . وفي مطبوعة الأموال رقم ١٦٣٥ (وما بي) .

(٤) أي هذا الحبل الذي ينكره مسروق ، لأنه ليس من سنة النبي ولا أبي بكر ولا عمر . وقارن بالأموال ص ٥٣٠ رقم ١٦٤٥ .

خرج من عمله . قال أبو عبيد[1] : « وكان المكس له أصل في الجاهلية ، يفعله ملوك العرب والعجم جميعاً ، فكانت سنتهم أن يأخذوا من التجار عشر أموالهم إذا مرّوا بها عليهم ، يبين ذلك ما في كتب النبي ﷺ لمن كتب من أهل الأمصار ، مثل ثقيف والبحرين ودومة الجندل وغيرهم ممن أسلم ، « أنهم لا يحشرون[2] ولا يعشرون » ، فعلمنا بهذا أنه كان من سنة الجاهلية مع أحاديث فيه كثيرة ، فأبطل الله تعالى ذلك برسوله ﷺ وبالاسلام ، وجاءت فريضة الزكاة [بربع العشر من كل مئتي درهم خمسة][3] ، فمن أخذها منهم على وجهها فليس بعاشر ، لأنه لم يأخذ العشر ، إنما أخذ ربعه ، وهو مفسر في الحديث الذي يحدثونه عن عطاء بن السائب عن حرب بن عبيد الله الثقفي عن جده أبي أمه[4] أن رسول الله ﷺ قال : « ليس على المسلمين عشور ، إنما العشور على اليهود والنصارى » .

قلت : وفي « المسند » و« سنن أبي داوود » عن رجل من بني تغلب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس على المسلمين عُشور ، إنما العشور على اليهود والنصارى » . قال أبو عبيد : « فالعاشر الذي يأخذ الصدقة بغير حقها كما جاء في الحديث مرفوعاً ، وقد تقدم ، وكذلك وَجْه حديث ابن عمر : « لم يأخذ العشور » ، إنما أراد هذا ولم يُرِدِ الزكاة ، [وكيف ينكر ذلك] وقد

(١) قارن بالأموال ص ٥٢٩ .

(٢) في الأصل (يحسرون) ، بالسين بالمهملة .

(٣) الزيادة من الأموال ص ٥٣٠ .

(٤) في الأصل (أبي أمية) . وتصحيحه من الأموال رقم ١٦٣٩ .

سمعت زياد بن حُدَيْر يقول : أنا أول عاشر عشَّر في الاسلام » قلت : من كنتم تعشّرون ؟ قال : ما كنا نعشّر مسلماً ولا معاهداً ، كنا نعشّر نصارى بني تغلب[1]] . حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عبد الله بن خالد العبسي عن عبد الرحمن بن مَعْقِل[2] قال : سألت زياد بن حُدَيْر : مَنْ كنتم تعشّرون ؟ قال : ما كنا نعشر مسلماً ولا معاهداً . قلت : فَمَن كنتم تعشرون ؟ قال : تجار الحرب ، كما كانوا يعشروننا إذا أتيناهم . حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن مسروق أنه قال : والله ما علمت عملاً أخوف عندي أن يدخلني الله النار من عملكم هذا، وما تراني[3] أن أكون ظلمت فيه مسلماً أو معاهداً ديناراً ولا درهماً ، ولكني لا أدري ماهذا الحبل الذي لم يسنه رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر . قالوا : فما حملك على أن دخلت فيه ؟ قال : لم يدعني زياد ولا شُرَيْح ولا السلطان حتى دخلت فيه .

قلت : هو[4] سلسلة كان يعترض بها على النهر، تمنع السفن من المضيّ حتى تؤخذ منهم الصدقة ، وكان مكانها يسمى « السلسلة » ، وأقام بها مسروق زماناً يقصر الصلاة . كان عاملاً لزياد ، وكان أبو وائل معه ، فما رأيت أميراً قط كان أعفّ منه ، ما كان يصيب شيئاً إلا مادخله . وقيل للشعبي: كيف خرج مسروق من عمله ؟ قال: ألم تروا إلى الثوب يبعث به إلى القصار فيجيد غسله ؟ فكذلك

(١) الزيادة من الأموال رقم ١٦٣٣ .
(٢) في الأصل (مغفل) . وصوابه ما أثبتناه .
(٣) كذا بالأصل . وفي مطبوعة الأموال رقم ١٦٣٥ (وما بي) .
(٤) أي هذا الحبل الذي ينكره مسروق ، لأنه ليس من سنة النبي ولا أبي بكر ولا عمر . وقارن بالأموال ص ٥٣٠ رقم ١٦٤٥ .

خرج من عمله . قال أبو عبيد[1] : « وكان المكس له أصل في الجاهلية ، يفعله ملوك العرب والعجم جميعاً ، فكانت سنتهم أن يأخذوا من التجار عشر أموالهم إذا مرّوا بها عليهم ، يبين ذلك ما في كتب النبي ﷺ لمن كتب من أهل الأمصار ، مثل ثقيف والبحرين ودومة الجندل وغيرهم ممن أسلم ، « أنهم لا يحشرون[2] ولا يعشرون » ، فعلمنا بهذا أنه كان من سنة الجاهلية مع أحاديث فيه كثيرة ، فأبطل الله تعالى ذلك برسوله ﷺ وبالاسلام ، وجاءت فريضة الزكاة [بربع العشر من كل مئتي درهم خمسة][3] ، فمن أخذها منهم على وجهها فليس بعاشر ، لأنه لم يأخذ العشر ، إنما أخذ ربعه ، وهو مفسر في الحديث الذي يحدثونه عن عطاء بن السائب عن حرب بن عبيد الله الثقفي عن جده أبي أمه[4] أن رسول الله ﷺ قال : « ليس على المسلمين عشور ، إنما العشور على اليهود والنصارى » .

قلت : وفي « المسند » و« سنن أبي داوود » عن رجل من بني تغلب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس على المسلمين عُشور ، إنما العشور على اليهود والنصارى » . قال أبو عبيد : « فالعاشر الذي يأخذ الصدقة بغير حقها كما جاء في الحديث مرفوعاً ، وقد تقدم ، وكذلك وَجْه حديث ابن عمر : « لم يأخذ العشور » ، إنما أراد هذا ولم يُرِدِ الزكاة ، [وكيف ينكر ذلك] وقد

(١) قارن بالأموال ص ٥٢٩ .
(٢) في الأصل (يحسرون) ، بالسين المهملة .
(٣) الزيادة من الأموال ص ٥٣٠ .
(٤) في الأصل (أبي أمية) . وتصحيحه من الأموال رقم ١٦٣٩ .

[ابن عمر] عن أبيه قال : كان عمر يأخذ من النبط من الزيت والحنطة نصف العشر ، لكي يكثر الحمل إلى المدينة ، ويأخذ من القطنية العشر . ولهذا ذهب مالك إليه اتباعاً لعمر ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله[1] بمصر : من مر بك من أهل الذمة فخذ مما يديرون في التجارات من أموالهم من كل عشرين ديناراً ، ديناراً ، وما نقص فبحساب ذلك حتى يبلغ عشرة دنانير . فان نقصت ثلث دينار فلا تأخذ منها شيئاً ، واكتب لهم بما تأخذ كتاباً إلى مثله من الحول. وقال عبدالله بن محمد بن زياد بن حدير: كنت مع جدي زياد بن حدير على العشور ، فمر نصراني بفرس فقوموه عشرين ألفاً ، فقال : ان شئت أعطيتنا العين وأخذت الفرس ، وإن شئت أعطيناك ثمانية عشر ألفاً ، قال أبو عبيد : وإنما فعل عمر في العشر مافعل لمصالحته إياهم عليه ، ولم يكن ذلك بعهد النبي ﷺ ، لأن الذين صالحهم لم يكن شرط عليهم منه شيئاً ، وكذلك دهر أبي بكر ، وإنما فتحت بلاد العجم في زمن عمر ، فلذلك كان الذي كان . قال الشعبي : أول من وضع العشر في الاسلام عمر رضي الله عنه . قال أبو عبيد: وكان ابن شهاب يتأول على عمر فيه شيئاً غيرهُ أحب إلينا منه . حدثنا إسحاق بن عيسى عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى قال : سألت ابن شهاب : لم أخذ عمر العشر من أهل الذمة ؟ فقال : كان يؤخذ منهم في الجاهلية فأقرهم عمر على ذلك . قال أبو عبيد : والوجه الأول الذي ذكرناه من الصلح

(١) وهو رُزَيق بن حيان الدمشقي، وكان على جواز مصر، كما في الأموال رقم ١٦٦١. وقد ذكر أبو عبيد أن أهل العراق يقولون رُزَيْق – بتقديم الراء – وأهل الشام ومصر يقولون: زُرَيق بتقديم الزاي .

أشبه بعمر وأولى به ، وبه كان يقول مالك بن أنس نفسه . وقال الامام أحمد: حدثنا سفيان عن هشام عن أنس بن سيرين قال : بعثني أنس بن مالك على العشور فقلت : تبعثني إلى العشور من بين عمالك ؟ فقال : أما ترضى أن أجعلك على ماجعلني عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؟ أمرني أن آخذ من المسلمين ربع العشر ، ومن أهل الذمة نصف العشر .

فصل

إذا عُرف هذا فاختلف الأئمة في ذلك : هل يؤخذ من الذمي والحربي أم يختص الأخذ بالحربي[1] ؟ فقال الشافعي رحمه الله تعالى : لا يؤخذ من الذمي شيء ، وإن اضطرب في بلاد الاسلام كلها غير الحجاز ، فان الجزية أثبتت له الأمان العام على نفسه وأهله وماله في المقام والسفر ، فانْ دخلَ إلى أرض الحجاز فينظر في حاله، فان كان دخوله لرسالة أو نقل ميرة أذن له [الامام] بغير شيء، وإن كان لتجارة لاحاجة بأهل الحجاز إليها لم يأذن له إلا أن يشترط عليه عوضاً بحسب مايراه .والأولى أن يشترط عليه نصف العشر ، لأن عمر رضي الله عنه شرط نصف العشر على من دخل الحجاز من أهل الذمة ، وأما الحربي فان دخل إلينا لتجارة لا يحتاج إليها المسلمون لم يأذن له الامام إلا بعوض يشرطه، ومهما شرط جاز ، ويستحب أن يشرط العشر ، ليوافق فعل عمر ، وإن أذن مطلقاً من غير شرط لم يؤخذ منه شيء لأنه أمان من غير شرط ، فهو كالهدنة قال : ويحتمل

(١) في الأصل (الجزى)

المواعظ والاعتبار
بذكر الخطط والآثار

المعروف بالخطط المقريزية

تأليف

تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة المثنى

بغداد

الخراج و الثغور الشامية رغب وتنزه عن أدناس المعاون والمرافق وكتب باسقاطها في جميع أعماله وكانت تبلغ
بمصر خاصة مائة ألف دينار في كل سنة وله في ذلك خبر فيه أكبر معتبر قد ذكرته عند ذكر أخبار الجامع
الطولوني من هذا الكتاب ثم أعيدت الاموال الهلالية في أثناء الدولة الفاطمية عندما ضعفت وصارت
تعرف بالمكوس فلما استبد السلطان الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب بملك مصر أمر باسقاط
مكوس مصر والقاهرة فكتب عنه القاضي الفاضل مرسوما بذلك وكان جملة ذلك في كل سنة مائة ألف
دينار تفصيلها مكس البهار وعمالته ثلاثة وثلاثون ألفا وثلثمائة وأربعة وستون دينارا مكس البضائع
والقوفل وعمالتها تسعة آلاف وثلثمائة وخمسون دينارا منفلات الصناعة عن مكس البز الوارد اليها والنحاس
والقزدير والمرجان والفاضلات خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون دينارا الصادر عن الصناعة بمصر ستة
آلاف وستمائة وستة وستون دينارا سمسرة التمر ثلثمائة دينار الفندق بالمنية عن مكس البضائع ثمانمائة
دينار وستة وخمسون دينارا رسوم دار النقد ثلاثة آلاف ومائة وثمانية دنانير رسوم الخشب الطويل والملح
ستمائة وستة وسبعون دينارا رسوم العلب المنسوبة الى بلبيس والبورى مائة دينار رسوم التفتيش بالصناعة
عن البهار وغيره مائتان وسبعة عشر دينارا خمة أرمنت عن الوارد اليها سبعة وستون دينارا فندق القطن ألفا
دينار سوق الغنم بالقاهرة ومصر والسمسرة وعبور الاغنام بالجيزة ثلاثة آلاف وثلثمائة واحد عشر دينارا عبور
الاغنام والكتان والابقار بباب القنطرة ألف ومائتا دينار واجب ما ورد من الكتان الحطب الى الصناعة
مائتا دينار رسوم واجب الغلات كالحبوب الواردة الى الصناعة والمقس والمنية والجسر والتبابين ومفالات
جزيرة الذهب وطموه ومنبر الفروج ستة آلاف دينار مكس ما يرد الى الصناعة من الاغنام ستة وثلاثون
دينار الاغنام البيتوتية اثنا عشر دينارا بعرصة والسمسناوى بالجيزة ومكس الاغنام مائة وتسعون دينارا
منفلات الفيوم عما يرد من الكتان من القبلة ومن البضائع الواردة من الفيوم وغيره أربعة آلاف ومائة وستون
دينارا مكس الورق المجلوب الى الصناعة ورسم التفتيش مائتا دينار الحصة بساحل الغلة والاقوات والرسائل
سبعمائة وثمانية وستون دينارا دار التفاح والرطب بمصر والعرصة بالقاهرة ألف وسبعمائة دينار رسم ابن
المايحي مائتا دينار دار الجبن ألف دينار مشارفة الخزائن مائتان وأربعون دينارا واجب الحلي الوارد من
الوجه البحري والقطن ألف وعشرون دينارا رسم سمسرة الصفا ألف ومائتا دينار منفلات الصعيد مائة
وأحد وستون دينارا خاتم الشرب والدبيقي ألف وخمسمائة دينار مكس الصوف مائتا دينار نصف الموردة
بساحل المقس أربعة عشر دينارا دكة السمار ثلثمائة وخمسون دينارا منفلات العريف بالصناعة وحملة البهار
والبضائع مائتان وستة عشر دينارا الحلفاء الواردة من القبلة مائة وخمسة وثلاثون دينارا الوقد والمرقين
والضم بدار التفاح ومنفلات القبلة بالتبابين والجسر خمسة وثلاثون دينارا رسوم الصفا والحمراء ورسوم دار
الكتان ستون دينارا حماية الغلات بالمقس ودار الجبن مائة وأربعون دينار الحلفاء الواردة على الجسر
ومعدية المقياس مائة دينار خمس البرنية بالجيزة عشرون دينارا آل التعريف بالصناعة ثمانية وعشرون دينارا
منفلات الغلات بمعدية جزيرة الذهب عشرة دنانير رسوم الحمام بساحل الغلة خمسمائة وأربعة وثلاثون دينارا
واجب الحناء الواردة في البر ثمانمائة دينار واجب الحلفاء والقصاب ثلاثة وستون دينارا مكس ما يرد من
البضائع الى المنية مائة وأربعة وثمانون دينارا مسلخة شطنوف والبرانية مائتا دينار سوق السكر بين خمسون
دينارا رسوم خيمة الجملي بالشارع وسوق وردان تسعة عشر دينارا واجب الفحم الوارد الى القاهرة عشرة
دنانير معدية الجسر بالجيزة مائة وعشرون دينارا خيمة البقرى أربعون دينارا الخيمة بدار الدباغة تسعة عشر
دينارا سمسرة الجبس الجيوشي ثلثمائة واثنا عشر دينارا دكان الدهن ومعصرة الشيرج والخل بالقاهرة خمسمائة
دينار الخل الحامض وما معه أربعمائة دينار بيوت الغزل والمصابنة ثلثمائة وخمسون دينارا ذبائح الابقار ألف
دينار سوق السمك بالقاهرة ومصر ألف ومائتا دينار رسوم الدلالة ثلثمائة دينار سمسرة الكتان ثلثمائة دينار
رسوم حماية الصناعتين أربعمائة دينار ربعة العسل مائتان واثنان وثلاثون دينارا معادي جزيرة الذهب
وغيرها ثلثمائة دينار خاتم الشمع بالقاهرة ثلاثة وستون دينارا زريبة الذبيحة سبعمائة دينار معدية المقياس والانبابة
مائتا دينار حمولة السلجم ثلثمائة وثلاثون دينارا دكة الدباغ ثمانمائة دينار سوق الرقيق خمسمائة دينار معمل الطيري

مائتان

مائتان وأربعون دينارا سوق منبوبة مائة وأربعة وستون دينارا ذبائح الضأن بالجيزة ورسوم ساحل السنط
عشرة دنانير فرخ السمك خمسة دنانير تنور الشوى مائة دينار نصف الرطل من مطابخ السكر مائة وخمسة وثلاثون
دينارا سوق الدواب بالقاهرة ومصر أربعمائة دينار سوق الجمال مائتان وخمسون دينارا قبان الحناء ثلاثون
دينارا واجب طاقات الادم ستة وثلاثون دينارا منفلات الخام بالشاشيين ثلاثة وثلاثون دينارا أتولة القصار
أربعون دينارا بيوت الفروج ثلاثون دينارا الشعر والضارات أربعة دنانير رسوم الصبغ والحرير ثمانمائة وأربعة
وثلاثون دينارا وزن الطفل مائة وأربعون دينارا معمل المزر أربعة وثلاثون دينارا الفاخور بمصر والقاهرة
مائتان وستة وثلاثون دينارا * وذكر ابن ابي طي أن الذي أسقطه السلطان صلاح الدين والذي سامح
به لعدة سنين آخرها سنة أربع وستين وخمسمائة مبلغه عن نيف ألف ألف دينار وألفي ألف اردب سامح بذلك
وأبطله من الدواوين وأسقطه عن المعاملين فلما ولي السلطان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أعاد
المكوس وزاد في شناعتها قال القاضي الفاضل في متجددات سنة تسعين وخمسمائة وكان قد تتابع في شعبان
اهل مصر والقاهرة في اظهار المنكرات وترك الانكار لها واباحة اهل الامر والنهي لها وتفاحش الامر
فيها الى أن غلا سعر العنب لكثرة من يعصره وأقيمت طاحون بحارة المحمودية لطحن حشيش المزر وأفردت
برسمه وحميت بيوت المزر وأقيمت عليها الضرائب الثقيلة فمنها ما انتهى أمره في كل يوم الى ستة عشر دينارا ومنع
المزر البيوتي ليتوفر الشراء من البيوت المحمية وحملت اواني الخمر على رؤس الاشهاد وفي الاسواق من غير منكر
وظهر من عاجل عقوبة الله عز وجل وقوف زيادة النيل عن معتادها وزيادة سعر الغلة في وقت ميسورها * وقال
في متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وآل الامر الى وقوف وظيفة الدار العزيزية من خبز ولحم الى أن
يحصل في بعض الاوقات لا كلها البعض ما يتبلغ به من خبز وكثر ضجيجهم وشكواهم فلم يسمع ووقف الحال
فيما ينفق في دار السلطان وفيما يصرف الى عياله وفيما يقتات به اولاده وما يغصب من أربابه وأفضى هذا الى
غلاء الاسعار فان المتعيشين من ارباب الدكاكين يزيدون في أسعار المأكولات العامة بمقدار ما يؤخذ منهم للدار
السلطانية وأفضى ذلك الى النظر في المكاسب الخبيثة وضمن المزر والخمر باثني عشر ألف دينار وفسح في اظهار
منكره والاعلان به والبيع له في القاعات والحوانيت مع قرب استهلال رجب وما استطاع احد من العامة
الانكار لا باليد ولا باللسان وصار هذا السحت مما ينفرد السلطان به لنفقته وطعامه وانتقل مال الثغور ومال
الجوالي الحل الطيب الى أن يصير نحو الاتباع لا يبالي من اين أخذ المال ولا يفرق بين الحرام والحلال وفي
شهر رمضان غلا سعر الاعناب لكثرة العصير منها ونظر به أربابه لحكم تضمينه السلطاني واستيفاء رسمه بأيدي
مستخدميه وبلغ تحصيله سبعة عشر ألف دينار وحصل منه شيء حمل اليه فبلغني أنه صنع به آلات الشراب
ذهبيات وفضيات وكثر اجتماع النساء والرجال في شهر رمضان لا سيما على الخليج لما فتح وعلى مصر لما زاد
الماء وتلقى فيه النيل بمعاص نسأل الله أن لا يؤاخذنا بها وأن لا يعاقبنا عليها بجزاء أهلها * وقال جامع
السيرة التركية ولما استقل الملك المعز عز الدين أيبك التركماني الصالحي بمملكة مصر في سنة خمسين وستمائة
بعد انقراض دولة بني ايوب استوزر شخصا من نظار الدواوين يعرف بشرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي
احد كتاب الاقباط وكان قد أظهر الاسلام من ايام الملك الكامل وترقى في خدمة الكتابة فقرر في
وزارته اموالا على التجار وذوي اليسار وأرباب العقار ورتب مكوسا وضمانات سموها حقوقا ومعاملات
ولما ولي الملك المظفر سيف الدين قطز مملكة مصر بعد خلعه الملك المنصور علي بن المعز أيبك احدث عند سفره
الذي قتل فيه مظالم كثيرة لاجل جمع المال وصرفه في الحركة لقتال جموع التتر منها تصقيع الاملاك
وتقويمها وزكاتها وأحدث على كل انسان دينارا يؤخذ منه وأخذ ثلث التركات الاهلية فبلغ ذلك ستمائة
الف دينار في كل سنة فلما قتل قطز وجلس الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بعده على سرير الملك بقلعة الجبل
ابطل ذلك جميعه وكتب به مسامحة قرئت على المنابر ثم أبطل ضمان المزر وجهاته في سنة اثنتين وستين
وستمائة وكتب وهو بالشام الى الامير عز الدين الحلي نائب السلطنة بمصر أن يبطل بيوت المزر ويعفي آثاره
ويخرب بيوته ويكسر مواعينه ويسقط ارتفاعه من الديوان فان بعض المساخين تحدث معي في ذلك وقال
القمح الذي جعله الله تعالى قوتا للعالم يداس بالارجل وقد تقربت الى الله تعالى بابطاله ومن ترك شيأ لله عوضه

خيرا منه ومن كان له على هذه الجهة شيء يعوضه الله من المال الحلال فأبطل الحلي ذلك وعوض المقطعين
عليه بدله وفي سنة ثلاث وستين أبطل حراسة النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة مستكثرة وكتب بذلك توقيعا
وأبطل من أعمال الدقهلية والمرتاحية عن رسوم الولاية أربعة وعشرين ألف دينار وفي خامس عشري شهر
رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة قرئ بجامع مصر مكتوب بابطال ما قرر على رسوم ولاية مصر من الرسوم
وهي مائة ألف درهم مصرية فبطل ذلك وابطل ضمان الحشيش من ديار مصر كلها في سنة خمس وستين
وستمائة وأمر باراقة الخمور وابطال المنكرات وتعفية بيوت المسكرات ومنع الخانات والخواطئ بجميع اقطار
مملكة مصر والشام فطهرت من ذلك البقاع ولما وردت المراسيم بذلك على القاضي ناصر الدين احمد بن المنير
قال

ليس لابليس عندنا أرب * غير بلاد الامير مأواه
حرمته الخمر والحشيش معا * حرمتنا ماؤه ومرعاه

وقال الاديب الفاضل ابو الحسين الجزار

قد عطل الكوب من حبابه * واخلى الثغر من رضابه
وأصبح الشيخ وهو يبكي * على الذي فات من شبابه

وفي تاسع جمادى الآخرة سنة ست وستين وستمائة أمر الملك الظاهر بيبرس باراقة الخمور وابطال الفساد
ومنع النساء الخواطئ من التعرض للبغاء من جميع القاهرة ومصر وسائر الاعمال المصرية فتطهرت
أرض مصر من هذا المنكر ونهبت الخانات التي كانت معدة لذلك وسلب اهلها جميع ما كان لهم ونفي بعضهم
وحبست النساء حتى يتزوجن وكتب الى جميع البلاد بمثل ذلك وحط المال المقرر على البغايا من الديوان
وعوض الحاشية من جهات حل بنظيره وفي سابع عشر ذي الحجة سنة تسع وستين وستمائة اريقت الخمور
وأبطل ضمانها وكان كل يوم ألف دينار وكتب توقيع بذلك قرئ على المنابر وافتتح سنة سبعين باراقة الخمور
والتشدد في ازالة المنكرات وكان يوما مشهودا بالقاهرة وبلغه في سنة اربع وسبعين عن الطواشي شجاع الدين
عنبر المعروف بصدر الباز وكان قد تمكن منه تمكنا كثيرا أنه يشرب الخمر فشنقه تحت قلعة الجبل * ولما ولي
الملك المنصور سيف الدين قلاون الالفي مملكة مصر أبطل زكاة الدولة وهو ما كان يؤخذ من الرجل عن
زكاة ماله أبدا ولو عدم منه واذا مات يؤخذ من ورثته وابطل ما كان يجبى من اهل اقليم مصر كله اذا
حضر مبشر بفتح حصن او نحوه فيؤخذ من الناس بالقاهرة ومصر على قدر طبقاتهم ويجتمع من ذلك مال
كثير وأبطل ما كان يجبى من اهل الذمة وهو دينار سوى الجالية برسم نفقة الاجناد في كل سنة وأبطل
مقرر جباية الدينار من التجار عند سفر العسكر والغزاة وكان يؤخذ من جميع تجار القاهرة ومصر من كل تاجر
دينار وابطل ما كان يجبى عند وفاء النيل مما يعمل به شوى وحلوى وفاكهة في المقياس وجعل مصرف ذلك
من بيت المال وأبطل اشياء كثيرة من هذا النمط * وابطل الملك الناصر محمد بن قلاون عدة جهات قد ذكرت
في الروك الناصري وآخر ما أدركنا ابطاله ضمان الاغاني وضمان القراريط في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة
على يد الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون * فأما ضمان الاغاني فكان بلاء عظيما وهو عبارة
عن أخذ مال من النساء البغايا فلو خرجت اجل امرأة في مصر تريد البغاء حتى نزلت اسمها عند الضامنة
وقامت بما يلزمها لما قدر أكبر أهل مصر على منعها من عمل الفاحشة وكان على النساء اذا تنفس
او عرس امرأة او خضبت امرأة يدها بحناء وأراد أحد أن يعمل فرحا لا بد من مال يقرر تأخذه الضامنة
ومن فعل فرحا بأغان او نقش امرأته من غير اذن الضامنة حل به بلاء لا يوصف * وأما ضمان القراريط فانه
كان يؤخذ من كل من باع ملكا عن كل الف درهم عشرون درهما وكان متحصل هاتين الجهتين مالا كثيرا
جدا * وأبطل الملك الظاهر برقوق ما كان يؤخذ من اهل البرلس وشوري وبلطيم شبه الجالية في كل سنة
ستين الف درهم وأبطل ما كان على القمح من مكس يؤخذ من الفقراء بثغر دمياط ممن يبتاع من اردبين
فما دونهما وأبطل ما كان يؤخذ مكسا من معمل الفروج بالنحريرية والاعمال الغربية وأبطل ما كان يؤخذ
تقدمة لمن يسرح الى العباسة من الخيل والجمال والغنم وغير ذلك وأبطل ما كان يؤخذ على الدريس والحلفاء
بباب النصر خارج القاهرة وأبطل ضمان المغاني بمنية ابن خصيب واعمال الاشمونين وبزنا بالاعمال الغربية

وابطل

وأبطل الابقار التي كانت ترمى بالوجه البحري عند فراغ الجسور وأبطل الامير يلبغا السالمي لما ولي استادار
السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق في سنة احدى وثمانمائة تعريف الغلال بمنية ابن خصيب وضمان العرصة
بها واخصاص الغسالين وكانت من المظالم القبيحة وأبطل من القاهرة ضمان بحيرة البقر ثم اعاده القبط من
بعده * وقد بقيت الى الآن من المكوس بقايا أخبرني الامير الوزير المشير الاستادار يلبغا السالمي في ايام وزارته
أن جهات المكوس بديار مصر تبلغ في كل يوم بضعا وسبعين ألف درهم وانه اختبرها فلم يجدها تصرف في شيء من
مصالح الدولة بل انما هي منافع تنبسط وحواشيهم وكان قد عزم على ابطال المكوس فلم يمهل * (والمال الهلالي)
عبارة عما يستأدى مشاهرة كأجر الاملاك المسقفة من الآدر والخرائب والحمامات والافران والطواحين
وعداد الغنم والجهة الهوائية المضمونة والمحلولة وعد بعض الكتاب احكار البيوت وريع البساتين التي تستخرج
اجرها مشاهرة ومصايد السمك ومعاصر الشيرج والزيت في المال الهلالي * ومن اصطلاح كتاب مصر
القدماء أن تورد جزية اهل الذمة من اليهود والنصارى قلما احد استقلالا بذاته بعد الهلالي وقبل الخراجي
وذلك انها تستأدى مسانهة وكانوا يرون وجوبها مشاهرة وفائدته فيمن أسلم او مات أثناء الحول فانهم كانوا
يلزمونه بقدر ما مضى من السنة قبل اسلامه أو وفاته فلذلك أوردت فيما بين الهلالي والخراجي * وكانوا
في الاقطاعات الجيشية يجرونها مجرى المال الهلالي عند خروج اقطاع من يقطع ودخول آخر على ذلك
الاقطاع فانها كانت تستخرج على حكم الشهور الهلالية لا الشمسية بحيث لو تحللها مقطع في غرة السنة على
العادة في ذلك وخرج الاقطاع عنه في اثناء السنة بوفاة أو نقله الى غيره استحق منها نظير ما مضى من شهور
السنة الى حين انتقال الاقطاع عنه لا على حكم ما يستحق من المغل ويستحق المتصل من استقبال تاريخ
منشوره كعادة النقود والمتحصل بينهما من المدة مستحق ذلك الديوان فيرد من جملة المحلولات من الاقطاعات
وكان من ابواب الهلالي جهات تسمى المعاملات وهي الزكاة والمواريث والثغور والمتجر والشب والنطرون
والملبس الحيوشي ودار الضرب ودار العيار والجاموس وأبقار الجيس والاغنام والغروس والبساتين والاحكار
والرباع والمراكب وما يستأدى من الذمة غير الجوالي وساحل السنط والدراج والقرظ ومقرر الجسور وموظف
الاتبان ومقرر القصب ومقرر البريد ومقرر البسط وعشر العرق وغير ذلك من جهات المكوس فأما الجزية
وتعرف في زمننا بالجوالي فانها تستخرج سلفا وتعجيلا في غرة السنة وكان يتحصل منها مال كثير فيما مضى *
قال القاضي الفاضل في متجددات الحوادث الذي انعقد عليه ارتفاع الجوالي لسنة سبع وثمانين وخمسمائة
مائة الف وثلاثون الف دينار وأما في وقتنا هذا فان الجوالي قلت جدا لكثرة اظهار النصارى للاسلام في
الحوادث التي مرت بهم ولما استبد السلطان الملك المؤيد شيخ بملك مصر بعد الخليفة العباس بن محمد امير
المؤمنين المستعين بالله ولي رجلا جباية الجوالي فكثر الاستقصاء عن الذمة والكد في الاستخراج منهم فبلغت
الجوالي في سنة ست عشرة وثمانمائة أحد عشر الف دينار وأربعمائة دينار سوى ما غرم للاعوان وهو قدر
كثير * وأما المراعي وهو الكلأ المطلق المباح الذي أنبته الله تعالى لرعي دواب بني آدم فأول من ادخلها
الديوان بمصر احمد بن مدبر لما ولي الخراج وصير لذلك ديوانا وعاملا جلدا يحظر على الناس أن يتبايعوا المراعي
أو يشتروها الا من جهته وادركنا المراعي ببلاد الصعيد مما يضاف الى الاقطاعات فيأخذ الامير ممن يرعى دوابه
في أرض بلده الكلأ في كل سنة مالا عن كل رأس فيجبى من صاحب الماشية بعدد أنعامه فلما اختل امر
الصعيد في الحوادث الكائنة منذ سنة ست وثمانمائة تلاشى الامر في ذلك وكانت العادة القديمة أن يندب
للمراعي مشد وشهود وكاتب فيعدون المواشي ويستخرجون من اربابها عن كل رأس شيأ ولا يكون ذلك
الا بعد هبوط النيل ونبات الكلأ واستهلاكه للمرعى * وأما المصايد فهي ما اطعم الله سبحانه وتعالى من صيد
البحر وأول من ادخلها الديوان أيضا ابن مدبر وصير لها ديوانا واحتشم من ذكر المصايد وشناعة القول
فيها فأمر أن يكتب في الديوان خراج مضارب الاوتار ومغارس الشباك فاستمر ذلك وكان يندب لها ايضا
مشد وشهود وكاتب الى عدة جهات مثل خليج الاسكندرية وبحيرة الاسكندرية وبحيرة نسترو وثغر دمياط
وجنادل ثغر اسوان وغير ذلك من البرك والبحيرات فيخرجون عند هبوط النيل ورجوع الماء من المزارع
الى بحر النيل بعد ما تكون افواه الترع قد سكرت وأبواب القناطر قد سدت عند انتهاء زيادة النيل كيما ترجع

الماء ويتكاثف مما يلى المزارع ثم تنصب شباكا وتصرف المياه فيأتى السمك وقد اندفع مع الماء الجارى فتصده
الشباك عن الانحدار مع الماء ويجتمع فيها فيخرج الى البر ويوضع على الاخاخ ويملح ويوضع فى الامطار فاذا
استوى بيع ويقال له الملوحة والصير ولا يكون ذلك الا فيما كان من السمك فى قدر الاصبع فما دونه ويسمون هذا
الصنف اذا كان طريا البسارية فتؤكل مشوية ومقلية ويصاد من بحيرة نسترو وبحيرة تنيس وبحيرة الاسكندرية
اسماك تعرف بالبورى وقيل لها ذلك لانها كانت تصاد عند قرية من قرى تنيس يقال لها بورة وقد خربت
والنسبة اليها بورى وينسب اليها جماعة من الناس منهم بنو البورى وقيل لهذا السمك البورى اضافة
الى القرية المذكورة وقد بطل فى زمننا اليوم أمر هذه المصايد الا من بحيرة نسترو بالبرلس وبحيرة تنيس
بدمياط فقط وهاتان البحيرتان تجريان فى ديوان الخاص وهما مضمنتان وما يخرج منهما من البورى وغيره من
انواع السمك فللسلطان لا يقدر أحد أن يتعرض لصيد شئ منه الا أن يكون من صياديهما المتعينين بالضمان
وما عدا هاتين البحيرتين من البرك والاملاق والخلجان فليست للسلطان وأما بحيرة الاسكندرية فقد جفت وثغر
اسوان فقد خرج عن يد السلطنة وتغلب عليه اولاد الكفرة ثم برك بأيدى اقوام كبركة الفيل بيد أولاد
الملك الظاهر بيبرس وبركة الرطلى بيد أولاد الامير بكتمر الحاجب وغير ذلك فان أكثرها كلها مضمنة لهم يبيعونها
ومع ذلك لا يمنع أحد الصيد منها * وأما بحر النيل فما يصاد منه يحمل الى دار السمك بالقاهرة فيباع
ويؤخذ منه مكس السلطان الآن الامير جمال الدين يوسف الاستادار زاد فيما كان يؤخذ من الصيادين مكسا
ومن حينئذ قل السمك بالقاهرة وغلا سعره * وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس فى تاريخ مصر ان صنما
كان بالاسكندرية يقال له شراحيل على حشفة من حشاف البحر مستقبلا باصبع من كفه قسطنطينية لا يدرى
أكان مما عمله سليمان النبى ام عمله الاسكندر فكانت الحيتان تدور بالاسكندرية وتصاد عنده فيما زعموا قال زيد
ابن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم اخبرنى ابى عن ابيه انه انبطح على بطنه ومد يديه ورجليه فكان طوله طول قدم
الصنم فكتب رجل يقال له أسامة بن زيد كان عاملا على مصر للوليد بن عبد الملك امير المؤمنين ان عندنا
بالاسكندرية صنما يقال له شراحيل من نحاس وقد غلت علينا الفلوس فان رأى أمير المؤمنين أن ينزله ويضربه
فلوسا فعل وان رأى غير ذلك فليكتب الى بما امره فكتب اليه لا تنزله حتى أبعث اليك امناء يحضرونه فبعث
اليه رجالا امناء حتى انزل من الحشفة فوجدوا عينيه ياقوتتين حمراوين ليس لهما قيمة فضربه فلوسا فانطلقت
الحيتان فلم ترجع الى ما هنالك * وأما الزكاة فان السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب اول من جباها بمصر
قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة ثالث عشر ربيع الآخر فرقت الزكوات
بعد ما جمعت على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والغارمين بعد أن رفع الى بيت المال السهام الاربعة وهى
سهام العاملين والمؤلفة وفى سبيل الله وفى الرقاب وقررت لهم فريضة واستودى على الاموال والبضائع وعلى
ما يقرر عليه من المواشى والنخل والخضراوات قال والذى انعقد عليه ارتفاع الجوالى لسنة سبع وثمانين
وخمسمائة ثلاثون ألف دينار والزائد فى معاملة الزكاة ودار الضرب لسنتى ست وسبع وثمانين وخمسمائة احد
وعشرون ألف دينار وثمانمائة وأحد وستون دينارا وقال فى سنة ثمان وثمانين واستخدم ابن حمدان فى ديوان
الزكاة وكتب خطه بما مبلغه اثنان وخمسون الف دينار لسنة واحدة من مال الزكاة وجعل الطواشى
قراغش الشاد فى هذا المال وأن لا يتصرف فيه بل يكون فى صندوق مودعا للمهمات التى يؤمر بها ولما قدم
ابن عنين الشاعر من عند الملك العزيز سيف الاسلام طغتكين بن نجم الدين ايوب بن شادى ملك اليمن الى مصر
وقد أجزل صلته عندما وفد عليه وفارقه وقد أثرى ثراء كثيرا قبض ارباب ديوان الزكاة بمصر على ما قدم به من
المتجر وطالبوه بزكاة ما معه وكان ذلك فى ايام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادى
فقال

ما كل من يتسمى بالعزيز لها * أهل ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين فرق فى فعالهما * هذا يعطى وهذا يأخذ الصدقة

ثم ان العزيز كشف عما يستأدى من الزكاة فانه انتهى اليه فيها أقوال شنعة منها انه أخذ من رجل فقير يبيع الملح
فى قفة على رأسه زكاة عما فى القفة وأنه بيع جمل بخمسة دنانير ذهب فأخذ زكاتها خمسة دراهم فأمر بتعويض

امرها

امرها الى ارباب الاموال ومن وجب عليه حق ثم لما كانت سلطنة الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل
ابى بكر بن أيوب اخرج من زكاة الاموال التى كانت تجبى من الناس سهمى الفقراء والمساكين وأمر بصرفهما
فى مصارفهما الشرعية ورتب من جملة هذين السهمين معاليم للفقهاء والصلحاء واهل الخير تجرى عليهم
فاستحسن ذلك من فعله وحمله الى ديوان الزكاة قبل منه ومن لم يحمل لا يتعرض اليه فبخل الاغنياء بزكاة
اموالهم حتى تضرر الفقراء والمساكين وأخذ السعاة يدلون فى ضمانها الاموال لتعود الى ما كانت عليه
فولى النظر فى ديوان الزكاة القاضى الاسعد شرف الدين ابو المكارم أسعد بن مهذب بن مماتى فاستخرج الزكاة
من أربابها ثم ضمنت بمال كثير وعاد الامر فيها الى ما كان عليه من العسف والجور وكانت أعوان متولى
الزكاة تخرج الى منية ابن خصيب واخميم وقوص لكشف أحوال المسافرين من التجار والحجاج وغيرهم فيفتشون
عن جميع ما معهم ويدخلون أيديهم اوساط الرجال خشية أن يكون معهم مال ويحلفون الجميع بالايمان
الحرجة على ما بأيديهم وما عندهم غير ما وجدوه وتقوم طائفة من مردة هذه الاعوان وبأيديهم المسال
الطوال ذوات الانصبة فيصعدون الى المراكب ويجسون بها جميع ما فيها من الاحمال والغرائر مخافة أن
يكون فيها شئ من بضاعة او مال فيبالغون فى البحث والاستقصاء بحيث يقبح ويستشنع فعلهم ويقف الحجاج
بين يدى هؤلاء الاعوان مواقف خزى ومهانة لما يصدر منهم عند تفتيش اوساطهم وغرائر أزوادهم ويحل بهم
من العسف وسوء المعاملة ما لا يوصف وكذلك يفعل فى جميع أرض مصر منذ عهد السلطان صلاح الدين
ابن أيوب * وأما الثغور فهى دمياط وتنيس ورشيد وعيذاب واسوان والاسكندرية وهى أعظمها قدرا
فانه كان فيها عدة جهات منها الخمس والمتجر فالخمس ما يستأدى من تجار الروم الواردين فى البحر عما معهم من
البضائع للمتجر بمقتضى ما صولحوا عليه وربما بلغ ما يستخرج منهم فى قيمته مائة دينار ومائتان وخمسة وثلاثون
دينارا وربما انحط عن عشرين دينارا ويسمى كلاهما خمسا ومن أجناس الروم من يؤخذ منهم العشر ولذلك
مراتب مقررة وقال القاضى الفاضل والحاصل من خمس الاسكندرية فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة ثمانية
وعشرون ألف دينار وستمائة وثلاثة عشر دينارا والمتجر عبارة عما يبتاع للديوان من بضائع تدعو اليها الحاجة
ويقتضيه طلب الفائدة * قال جامع سيرة الوزير اليازورى وقصر النيل بمصر فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة
ولم يكن فى مخازن الغلات شئ فاشتدت المسغبة بمصر وكان خلو المخازن سبب أوجب ذلك وهو أن الوزير
الناصر للدين لما اضيف اليه القضاء فى أيام ابى البركات الوزير كان يبتاع للسلطان فى كل سنة غلة بمائة ألف
درهم ويجعل متجرا فمثل القاضى بحضرة الخليفة المستنصر بالله وعرفه أن المتجر الذى يقام بالغلة فيه أوفى مضرة
على المسلمين وربما انحط السعر عن مشتراها فلا يمكن بيعها فتعفن فى المخازن وتتلف وانه يقيم متجرا لا كلفة
فيه على الناس ويفيد اضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغيره فى المخازن ولا انحطاط سعره وهو الخشب
والصابون والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك فأمضى السلطان له ما رآه واستمر ذلك ودام الرخاء
على الناس فوسعوا فيه مدة سنين ثم عمل الملوك بعد ذلك ديوانا للمتجر وآخر من عمله الظاهر برقوق * وأما الشب
فان معادنه بالصعيد وكانت عادة الديوان الانفاق فى تحصيل القنطار منه بالليثى يبلغ ثلاثين درهما وكانت
العربان تحضره من معادنه الى ساحل اخميم وسيوط والبهنسا ليحمل الى الاسكندرية أيام النيل فى الخليج ويشترى
بالقنطار الليثى ويباع بالقنطار الجروى فيباع منه على تجار الروم قدر اثنى عشر ألف قنطار بالجروى بسعر أربعة
دنانير كل قنطار الى ستة دنانير ويباع منه بمصر على اللبودية والصباغين نحو الثمانين قنطارا بالجروى سعر
ستة دنانير ونصف القنطار ولا يقدر أحد على ابتياعه من العربان ولا غيرهم فان عثر على أحد أنه اشترى منه
شيأ أو باعه سوى الديوان نكل به واستهلك ما وجد معه منه وقد بطل هذا * (وأما النطرون) فيوجد فى البر
الغربى من أرض مصر بناحية الطرانة وهو أحمر وأخضر ويوجد منه بالفاقوسية شئ دون ما يوجد فى
الطرانة وهو أيضا مما حظر عليه ابن مدبر من الاشياء التى كانت مباحة وجعله فى ديوان السلطان وكان من
بعده على ذلك الى اليوم وقد كان الرسم فيه بالديوان أن يعمل منه فى كل سنة عشرة آلاف قنطار ويعطى
الضمان منها فى كل سنة قدر ثلاثين قنطارا يتسلمونها من الطرانة فتباع فى مصر بالقنطار المصرى وفى بحر
الشرق والصعيد بالجروى وفى دمياط بالليثى قال القاضى الفاضل وباب النطرون كان مضمونا الى آخر سنة

أن تسرح الى السلطان من مكان بعيد فيكتب اليه عنوان اللطيف حتى لا يفتحها أحد وكل وان تصل اليه يكتب
فى ظهرها أنها وصلت اليه ونقلها حتى نصر شترومة قال ومما شاهدته وتوليت أمرها انه فى شهور سنة ثمان وثمانين
وستمائة حضر من جهة نائب الصبيبة نيف وأربعون طائرا صحبة البراجين ووصل كتابه انه درجها الى مصر
فأقامت مدة لم يكن شغل تطلق فيه فقال البراجون لها قد أزف الوقت عليها فى الفرنصة وجرى الحديث مع الامير
بيدار نائب السلطنة فتقرر كتب بطائق على عشرة منها بوصولها لا غير وسرحت يوم أربعاء جميعها فتنق وقوع
طائرين منها فأحضرت بطائقهما وحصل الاستهزاء بها فلما كان بعد مدة وصل كتاب السلطان أنها وصلت الى
الصبيبة فى ذلك اليوم بعينه وبطاقتها فى ذلك اليوم بعينه الى دمشق ووصل الخبر الى دمشق فى يوم واحد
وهذا مما تم مصرفه وحاضره والمشيرة * قال مؤلفه رحمه الله قد بطل الحمام من سائر المملكة الا ما ينقل من
قطيا الى بلبيس ومن بلبيس الى قلعة الجبل ولا تسأل بعد ذلك عن شئ وكانى بهذا القدر وقد ذهب ولا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم

(ذكر ملوك مصر منذ بنيت قلعة الجبل)

اعلم أن الذين ولوا أرض مصر فى الملة الاسلامية على ثلاثة اقسام * القسم الاول من ولى بفسطاط مصر منذ
فتح الله تعالى أرض مصر على ايدى العرب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم وتابعيهم فصارت
دار اسلام الى أن قدم القائد أبو الحسين جوهر من بلاد افريقية بعساكر مولاه المعز لدين الله أبى تميم معد وبنى
القاهرة وهؤلاء يقال لهم امراء مصر ومدتهم ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة اشهر وستة عشر يوما أولها
يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة وآخرها يوم الاثنين سادس عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة
وعدة هؤلاء الامراء مائة واثنا عشر اميرا * والقسم الثانى من ولى بالقاهرة منذ بنيت الى أن مات الامام العاضد
لدين الله ابو محمد عبد الله رحمه الله وهؤلاء يقال لهم الخلفاء الفاطميون ومدتهم بمصر مائتا سنة وثمانى سنين
واربعة اشهر واثنان وعشرون يوما أولها يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وآخرها
يوم الاحد عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وعدة هؤلاء الخلفاء أحد عشر خليفة * والقسم الثالث
من ملك مصر بعد موت العاضد الى وقتنا هذا الذى نحن فيه ويقال لهم الملوك والسلاطين وهم ثلاثة اقسام *
القسم الاول ملوك بنى أيوب وهم اكراد * والقسم الثانى البحرية وأولادهم وهم مماليك أتراك لبنى أيوب *
والقسم الثالث مماليك أولاد البحرية وهم جراكسة وقد تقدم فى هذا الكتاب ذكر الامراء والخلفاء
وستقف ان شاء الله تعالى على ذكر من ملك من الاكراد والاتراك والجراكسة وتعرف أخبارهم على
ما شرطنا من الاختصار اذ قد وضعت لبسط ذلك كتابا سميته كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك وجردت تراجمهم
فى كتاب التاريخ الكبير المقفى فتطلبهما تجد فيهما ما لا تحتاج بعده الى سواهما فى معناهما

(ذكر من ملك مصر من الاكراد)

اعلم أن الناس قد اختلفوا فى الاكراد فذكر العجم أن الاكراد فضل طعم الملك بيوراسف وذلك انه كان يأمر أن
يذبح له كل يوم انسانان ويتخذ طعامه من لحومهما وكان له وزير يسمى ارمايل وكان يذبح واحدا ويستحيى
واحدا ويبعث به الى جبال فارس فتوالدوا فى الجبال وكثروا ومن الناس من ألحقهم باماء سليمان بن داود عليهما
السلام حين سلب ملكه ووقع على نسائه المنافقات الشيطان الذى يقال له الجسد وعصم الله تعالى منه
المؤمنات فعلق منه المنافقات فلما رد الله تعالى على سليمان عليه السلام ملكه ووضع هؤلاء الاماء الحوامل
من الشيطان قال اكردوهم الى الجبال والاودية فربتهم أمهاتهم وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدء نسب
الاكراد والاكراد عند الفرس من ولد كرد بن اسفنديار بن منوشهر وقيل هم ينسبون الى كرد بن مرد بن عمرو
ابن صعصعة بن معاوية بن بكر وقيل هم من ولد عمرو مزيقيا بن عامر ابن ماء السماء وقيل من بنى حامد بن طارق
من بقية أولاد حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهذه اقوال الفقهاء لهم ممن أراد
التقرب لديهم لمناصرة الملك اليهم وانما هم قبيل من قبائل العجم وهم قبائل عديدة كورانية بنو كوران
وهذبانية وبشنوية وشاصنجانية وسرنجية وبزولية ومهرانية وزردارية وكيكانية وجاك وكردنيلية
ورواديه ودسنية وهكارية وحميدية وزوركية ومروانية وجلالية وسنبكية وجوبى وتزعم المروانية أنها من بنى

مروان

مروان بن الحكم ويزعم بعض الهكارية انها من ولد عتبة بن أبى سفيان بن حرب * وأول من ملك مصر
من الاكراد الايوبية * (السلطان الملك الناصر صلاح الدين) * أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أبى الشكر أيوب
ابن شادى بن مروان الكردى من قبيل الروادية أحد بطون الهذبانية نشأ نجم الدين أيوب وعمه أسد الدين شيركوه
ببلد دوين من أرض اذربيجان من جهة اران وبلاد الكرج ودخلا بغداد وخدما مجاهد الدين بهروز شحنة
بغداد فبعث أيوب الى قلعة تكريت وأقامه بها مستحفظا لها ومعه أخوه شيركوه وهو اصغر منه سنا فخدم أيوب
الشهيد زنكى لما انهزم فشكر له خدمته واتفق بعد ذلك أن شيركوه قتل رجلا بتكريت فطرده هو وأخوه أيوب
من قلعتها فمضيا الى زنكى بالموصل فأقاما وأقطعهما اقطاعا عنده ثم رتب أيوب بقلعة بعلبك مستحفظا ثم انعم
عليه بامرة واتصل شيركوه بنور الدين محمود بن زنكى فى ايام أبيه وخدمه فلما ملك حلب بعد أبيه كان لنجم الدين
أيوب عمل كثير فى أخذ دمشق لنور الدين فتمكنا فى دولته حتى بعث شيركوه مع الوزير شاور بن مجير السعدى
الى مصر فسار صلاح الدين فى خدمته من جملة اجناده وكان من أمر شيركوه ما كان حتى مات فأقيم بعده
فى وزارة العاضد ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب فى يوم الثلاثاء خامس عشرى جمادى الآخرة سنة
أربع وستين وخمسمائة ولقبه بالملك الناصر وأنزله بدار الوزارة من القاهرة فاستمال قلوب الناس واقبل على الجد
وترك اللهو وتعاضد هو والقاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى رحمه الله على ازالة الدولة الفاطمية
وولى صدر الدين بن درباس قضاء القضاة وعزل قضاة الشيعة وبنى بمدينة مصر مدرسة للفقهاء المالكية
ومدرسة للفقهاء الشافعية وقبض على أمراء الدولة وأقام اصحابه عوضهم وأبطل المكوس بأسرها من أرض
مصر ولم يزل يدأب فى ازالة الدولة حتى تم له ذلك وخطب للخليفة ببغداد المستضىء بامر الله أبى محمد الحسن
العباسى وكان العاضد مريضا فتوفى بعد ذلك بثلاثة ايام واستبد صلاح الدين بالسلطنة من أول سنة سبع
وستين وخمسمائة واستدعى أباه نجم الدين أيوب واخوته من بلاد الشام فقدموا عليه بأهاليهم وتأهب لغزو
الفرنج وسار الى الشوبك وهى بيد الفرنج فواقعهم وعاد الى ايلة فجبى الزكوات من أهل مصر وفرقها على
اصنافها ورفع الى بيت المال سهم العاملين وسهم المؤلفة وسهم المقاتلة وسهم المكاتبين وأنزل الغز بالقصر
الغربى وأحاط بأموال القصر وبعث بها الى الخليفة ببغداد والى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى
بالشام فأتته الخلع الخليفية فلبسها ورتب نوب الطبلخاناه فى كل يوم ثلاث مرات ثم سار الى الاسكندرية
وبعث ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب على عسكر الى برقة وعاد الى القاهرة ثم سار فى سنة
ثمان وخمسين الى الكرك وهى بيد الفرنج فحصرها وعاد بغير طائل فبعث أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه
ابن أيوب الى بلاد النوبة فأخذ قلعة ابريم وعاد بغنائم وسبى كثير ثم سار لأخذ بلاد اليمن فملك زبيد وغيرها فلما
مات نور الدين محمود بن زنكى توجه السلطان صلاح الدين فى أول صفر سنة سبعين الى الشام وملك دمشق
بغير مانع وأبطل ما كان يؤخذ بها من المكوس كما ابطلها من ديار مصر وأخذ حمص وحماه وحاصر حلب وبها الملك
الصالح مجير الدين اسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكى فقاتله أهلها قتالا شديدا فرحل عنها الى حمص
وأخذ بعلبك بغير حصار ثم عاد الى حلب فوقع الصلح على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام مع المعرة وكفر طاب
ولهم ما بأيديهم وعاد فأخذ بغراس بعد حصار وأقام بدمشق وندب قراقوش التقوى لأخذ بلاد المغرب فأخذ
أيجان وعاد الى القاهرة وكانت بين السلطان وبين الحلبيين وقعة هزمهم فيها وحصرهم بحلب اياما وأخذ بزاعة
ومنبج وعزاز ثم عاد الى دمشق وقدم القاهرة فى سادس عشرى ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين بعد ما كانت
له عساكر حروب كثيرة مع الفرنج فأمر ببناء سور يحيط بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل وأقام على بنائه الامير بهاء
الدين قراقوش الاسدى فشرع فى بناء قلعة الجبل وعمل السور وحفر الخندق حوله وبدأ السلطان بعمل
مدرسة بجوار قبر الامام الشافعى رضى الله عنه فى القرافة وعمل مارستانا بالقاهرة وتوجه الى الاسكندرية
فصام بها شهر رمضان وسمع الحديث على الحافظ أبى طاهر أحمد السلفى وعمر الاسطول وعاد الى القاهرة وأخرج
قراقوش التقوى الى بلاد المغرب وأمر بقطع ما كان يؤخذ من الحجاج وعوض امير مكة عنه فى كل سنة ألفى
دينار وألف اردب غلة سوى اقطاعه بصعيد مصر وباليمن ومبلغه ثمانية آلاف اردب ثم سار من القاهرة
فى جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين الى عسقلان وهى بيد الفرنج وقتل وأسر وسبى وغنم ومضى يريدهم بالرملة

الخراج والثغور الشامية رغب وتنزه عن أدناس المعاون والمرافق وكتب باسقاطها فى جميع أعماله وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة ألف دينار فى كل سنة وله فى ذلك خبر فيه أكبر معتبر قد ذكرته عند ذكر أخبار الجامع الطولونى من هذا الكتاب ثم اعيدت الاموال الهلالية فى أثناء الدولة الفاطمية عندما ضعفت وصارت تعرف بالمكوس فلما استبد السلطان الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب بملك مصر أمر باسقاط مكوس مصر والقاهرة فكتب عنه القاضى الفاضل مرسوما بذلك وكان جملة ذلك فى كل سنة مائة ألف دينار تفصيلها مكس الهار وعمالته ثلاثة وثلاثون ألفا وثلثمائة وأربعة وستون دينارا مكس البضائع والقوافل وعمالتها تسعة آلاف وثلثمائة وخمسون دينارا منفلات الصناعة عن مكس البز الوارد اليها والنحاس والقزدير والمرجان والفاضلات خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون دينارا الصادر عن الصناعة بمصر ستة آلاف وستمائة وستة وستون دينارا سمسرة التمر ثلثمائة دينار الفندق بالمنية عن مكس البضائع ثمانمائة دينار وستة وخمسون دينارا رسوم دار القند ثلاثة آلاف ومائة وثمانية دنانير رسوم الخشب الطويل والمل ستمائة وستة وسبعون دينارا رسوم العلب المنسوبة الى بلبيس والبورى مائة دينار رسوم التفتيش بالصناعة عن الهار وغيره مائتان وسبعة عشر دينارا خمية أرمنت عن الوارد اليها سبعة وستون دينارا فندق القطن ألفا دينار سوق الغنم بالقاهرة ومصر والسمسرة وعبور الاغنام بالجيزة ثلاثة آلاف وثلثمائة واحد عشر دينارا عبور الاغنام والكتان والابقار بباب القنطرة ألف ومائتا دينار واجب ما ورد من الكتان الحطب الى الصناعة مائتا دينار رسوم واجب الغلات المجلوب الواردة الى الصناعة والمقس والمنية والجسر والتبابين ومنفلات جزيرة الذهب وطموه ومنبر الدرج ستة آلاف دينار مكس ما يرد الى الصناعة من الاغنام ستة وثلاثون دينارا الاغنام البيتوتية اثناعشر دينارا العرصة والسمسناوى بالجيزة ومكس الاغنام مائة وتسعون دينارا منفلات الفيوم عما يرد من الكتان من القبلة ومن البضائع الواردة من الفيوم وغيره أربعة آلاف ومائة وستون دينارا مكس الورق المجلوب الى الصناعة ورسم التفتيش مائتا دينار الحصة بساحل الغلة والاقوات والرسائل سبعمائة وثمانية وستون دينارا دار التفاح والرطب بمصر والعرصة بالقاهرة ألف وسبعمائة دينار رسم ابن الماليجى مائتا دينار دار الجبن ألف دينار مشارفة الخزائن مائتان وأربعون دينارا واجب الحلى الوارد من الوجه البحرى والقطن ألف وعشرون دينارا رسم سمسرة الصوف ألف ومائتا دينار منفلات الصعيد مائة وأحد وستون دينارا خاتم الشرب والديبقى ألف وخمسمائة دينار مكس الصوف مائتا دينار نصف المورده بساحل المقس أربعة عشر دينارا دكة السمار ثلثمائة وخمسون دينارا منفلات التعريف بالصناعة وحملة الهار والبضائع مائتان وستة عشر دينارا الحلفاء الواردة من القبلة مائة وخمسة وثلاثون دينارا الوقد والسرقين والطمى بدار التفاح ومنفلات القبلة بالتبابين والجسر خمسة وثلاثون دينارا رسوم الصفا والحمراء ورسوم دار الكتان ستون دينارا حماية الغلات بالمقس ودار الجبن مائة وأربعون دينارا الحلفاء الواردة على الجسر ومعدية المقياس مائة دينار خمس البرنية بالجيزة عشرون دينارا ثمن التعريف بالصناعة ثمانية وعشرون دينارا منفلات الغلات بمعدية جزيرة الذهب عشرة دنانير رسوم الحمام بساحل الغلة خمسمائة وأربعة وثلاثون دينارا واجب الحناء الواردة فى البر ثمانمائة دينار واجب الحلفاء والقصاب ثلاثة وستون دينارا مكس ما يرد من البضائع الى المنية مائة وأربعة وثمانون دينارا مسلخة شطنوف والبرانية مائتا دينار سوق السكر بين خمسون دينارا رسوم خيمة الحلى بالشارع وسوق وردان تسعة عشر دينارا واجب الفحم الوارد الى القاهرة عشرة دنانير معدية الجسر بالجيزة مائة وعشرون دينارا خيمة البقرى أربعون دينارا الخيمة بدار الدباغة تسعة عشر دينارا سمسرة الجبس الجيوشى ثلثمائة واثناعشر دينارا دكان الدهن ومعصرة الشيرج والخل بالقاهرة خمسمائة دينار الخل الحامض وما معه أربعمائة دينار بيوت الغزل والمصطبة ثلثمائة وخمسون دينارا ذبائح الابقار ألف دينار سوق السمك بالقاهرة ومصر ألف ومائتا دينار رسوم الدلالة ثلثمائة دينار سمسرة الكتان ثلثمائة دينار رسوم حماية الصناعتين أربعمائة دينار مربعة العسل مائتان واثنان وثلاثون دينارا معادى جزيرة الذهب وغيرها ثلثمائة دينار خاتم الشمع بالقاهرة ثلاثة وستون دينارا زريبة الذبيحة سبعمائة دينار معدية المقياس وا[illegible] مائتا دينار حولة السلجم ثلثمائة وثلاثون دينارا دكة الدباغ ثمانمائة دينار سوق الرقيق خمسمائة دينار معمل الطيرى

مائتان وأربعون دينارا سوق منبوبة مائة وأربعة وستون دينارا ذبائح الضأن بالجيزة ورسوم ساحل السنط عشرة دنانير فخ السمك خمسة دنانير تنور الشوى مائة دينار نصف ارطل من مطابخ السكر مائة وخمسة وثلاثون دينارا سوق الدواب بالقاهرة ومصر أربعمائة دينار سوق الجمال مائتان وخمسون دينارا قبان الحناء ثلاثون دينارا واجب طاقات الادم ستة وثلاثون دينارا منفلات الخام بالشاشين ثلاثة وثلاثون دينارا الولة القصار أربعون دينارا بيوت الفروج ثلاثون دينارا الشعر والنطارات أربعة دنانير رسوم الصبغ والحرير ثلثمائة وأربعة وثلاثون دينارا وزن الطفل مائة وأربعون دينارا معمل المزر أربعة وثمانون دينارا الفاخور بمصر والقاهرة مائتان وستة وثلاثون دينارا * وذكر ابن ابى طى أن الذى أسقطه السلطان صلاح الدين والذى سامح به لمدة سنين آخرها سنة أربع وستين وخمسمائة مبلغه عن نيف ألف ألف دينار وألفى ألف اردب سامح بذلك وأبطله من الدواوين وأسقطه عن المعاملين فلما ولى السلطان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أعاد المكوس وزاد فى شناعتها ذكر القاضى الفاضل فى متجددات سنة تسعين وخمسمائة وكان قد تتابع فى شعبان اهل مصر والقاهرة فى اظهار المنكرات وترك الانكار لها واباحة اهل الامر والنهى لها وتفاحش الامر فيها الى أن غلا سعر العنب لكثرة من يعصره واقيمت طاحون بحارة المحمودية لطحن حشيش المزر وافردت برسمه وحميت بيوت المزر واقيمت عليها الضرائب الثقيلة فمنها ما انتهى أمره فى كل يوم الى ستة عشر دينارا ومنع المزر البيوتى ليتوفر الشراء من البيوت المحمية وحملت اوانى الخمر على رؤس الاشهاد وفى الاسواق من غير منكر وظهر من عاجل عقوبة الله عز وجل وقوف زيادة النيل عن معتادها وزيادة سعر الغلة فى وقت ميسورها * وقال فى متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وآل الامر الى وقوف وظيفة الدار العزيزية من خبز ولحم الى أن يتعطل فى بعض الاوقات لا كثر لبعض ما يتبلغ به من خبز وكثر ضجيجهم وشكواهم فلم يسمع ووقف الحال فيما ينفق فى دار السلطان وفيما يصرف الى عياله وفيما يقتات به اولاده وما يغصب من أربابه وأفضى هذا الى غلاء الاسعار فان المتعيشين من ارباب الدكاكين يزيدون فى أسعار الماكولات العامة بمقدار ما يؤخذ منهم للدار السلطانية فأفضى ذلك الى النظر فى المكاسب الخبيثة وضمن المزر والخمر باثنى عشر ألف دينار وفسح فى اظهار منكره والاعلان به والبيع له فى القاعات والحوانيت مع قرب استهلال رجب وما استطاع احد من العامة الانكار لا باليد ولا باللسان وصار هذا السحت مما يتفرد السلطان به لنفقته وطعامه وانتقل مال الثغور ومال الجوالى والحل الطيب الى أن يصير حوالات لمن لا يبالى من اين أخذ المال ولا يفرق بين الحرام والحلال وفى شهر رمضان غلا سعر الاعناب لكثرة المعصير منها وتظاهر ارباب المنكر بتضمينه السلطانى واستيفاء رسمه بأيدى مستخدميه وبلغ ضمانه سبعة عشر الف دينار وحصل منه شئ حمل اليه فبلغنى أنه صنع به آلات الشراب ذهبيات وفضيات وكثر اجتماع النساء والرجال فى شهر رمضان لاسيما على الخليج لما فتح وعلى مصر لما زاد الماء وتلقى فيه النيل بمعاص نسأل الله أن لا يؤاخذنا بها وأن لا يعاقبنا عليها بجرائر أهلها * وقال جامع السيرة التركية ولما استقل الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى الصالحى بمملكة مصر فى سنة خمسين وستمائة بعد انقراض دولة بنى ايوب استوزر شخصا من نظار الدواوين يعرف بشرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى احد كتاب الاقباط وكان قد أظهر الاسلام من ايام الملك الكامل وترقى فى خدمة الكتابة فقرر فى وزارته اموالا على التجار وذوى اليسار وأرباب العقار ورتب مكوسا وضمانات سموها حقوقا ومعاملات ولما ولى الملك المظفر سيف الدين قطز مملكة مصر بعد خلعه الملك المنصور على بن المعز أيبك احدث عند سفره الذى قتل فيه مظالم كثيرة لاجل جمع المال وصرفه فى الحركة لقتال جموع التتر منها تصقيع الاملاك وتقويمها وزكاتها وأحدث على كل انسان دينارا يؤخذ منه وأخذ ثلث التركات الاهلية فبلغ ذلك ستمائة الف دينار فى كل سنة فلما قتل قطز وجلس الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بعده على سرير الملك بقلعة الجبل ابطل ذلك جميعه وكتب به مسامح قرئت على المنابر ثم أبطل ضمان المزر وجهاته فى سنة اثنتين وستين وستمائة وكتب وهو بالشام الى الامير عز الدين الحلى نائب السلطنة بمصر أن يبطل بيوت المزر ويعفى آثاره ويخرب بيوته ويكسر مواعينه ويسقط ارتفاعه من الديوان فذكر بعض الصالحين تحدث معى فى ذلك وقال القمح الذى جعله الله تعالى قوتا للعالم يداس بالارجل وقد تقربت الى الله تعالى بابطاله ومن ترك شيئا لله عوضه

ولا يمكن الامير أن يأكل الا وجميع اجناده معه وربما أخذ غير اجناده كل يوم الطعام من مطبخه واذا رأى نارا
توقد سأل عنها فيقال ان فلانا اشتهى كذا فيغضب ممن لا يأكل عنده ومع ذلك كانت اشكالهم بشعة
وملابسهم غير طائلة فلما افضت السلطنة الى المنصور لاجين راك البلاد وذلك ان أرض مصر كانت أربعة
وعشرين قيراطا فيختص السلطان منها بأربعة قراريط ويختص الاجناد بعشرة قراريط ويختص الامراء
بعشرة قراريط وكان الامراء يأخذون كثيرا من اقطاعات الاجناد فلا يصل الى الاجناد منها شئ ويصير ذلك
الاقطاع في دواوين الامراء ويحتمى بها قطاع الطريق وتثور بهم الفتن ويقوم بها الهوشات ويمنع منها الحقوق
والمقررات الديوانية وتصير مأكلة لاعوان الامراء وتستخدم بهم وتضر بهم على أهل البلاد التي تجاورها فأبطل
السلطان ذلك وردّ تلك الاقطاعات على اربابها وأخرجها بأسرها من دواوين الامراء وأزال ما بدأ به ديوان
الامير سيف الدين منكوتمر نائب السلطنة فأخرج منه ما كان فيه من هذه الاقطاعات وكان يتحصل له منها مائة
الف أردب غلة في كل سنة واقتدى به جميع الامراء واخرجوا ما في اقطاعاتهم من ذلك فبطلت الحمايات وجعل
السلطان في هذا الروك للامراء والاجناد أحد عشر قيراطا وأفرد تسعة قراريط ليخدم بها عسكرا ويقطعهم اياها
ثم رتب اوراقا بكفية الامراء والاجناد بعشرة قراريط ووفر قيراطا لزيادة من عساه يطلب زيادة لقلة متحصل
اقطاعه وأفرد لخاص السلطان عدة اعمال جليلة وأفرد لنائب منكوتمر لتفرقة المثالات في تابعيه فتنكرت قلوب
الامراء حتى كان من المنصور لاجين ونائبه منكوتمر ما كان فلما كانت الايام الناصرية راك الناصر محمد البلاد
قال جامع السيرة الناصرية وفي سنة خمس عشرة وسبعمائة اختار السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ان يروك
الديار المصرية وان يبطل منها مكوسا كثيرة ويفضل لخاص مملكته شيأ كثيرا من اراضي مصر وكان سبب ذلك
انه اعتبر كثيرا من اخباز المماليك والحاشية الذين كانوا للملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير والامير سلار
وسائر المماليك البرجية فاذا هي ما بين ألف دينار الى ثمانمائة دينار وخشي من قطع اخباز المذكورين فداوله
الرأي مع القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش ان يروك ديار مصر ويقرر اقطاعات مما يختار ويكتب
بها مثالات سلطانية فتقدم الفخر ناظر الجيش فعمل أوراقا بما عليه عبر النواحي ومساحتها وعين السلطان لكل
اقليم من أقاليم ديار مصر اناسا وكتب مرسوما للامير بدر الدين جنكل بن البابا ان يخرج لناحية الغربية
ومعه اعزل الحاجب ومن الكتاب المكين بن قرويته وان يخرج الامير عز الدين ايدمر الخطيري الى ناحية
الشرقية ومعه الامير أيتمش المحمدي ومن الكتاب امين الدولة ابن قرموط وان يخرج الامير بلبان الصرخدي
والقليجي وابن طرنطاي وبيبرس الجمدار الى ناحية المنوفية والبحيرة وان يخرج البليلي والمرتيني الى الوجه القبلي
وندب معهم كتابا ومستوفين وقياسين فساروا الى حيث ذكر فكان كل منهم اذا نزل بأول عمله طلب مشايخ
كل بلد ودلاءها وعدولها وقضاتها وسجلاتها التي بأيدي مقطعيها وفحص عن متحصلها من عين وغلة واصناف
ومقدار ما تحتوي عليه من الفدن ومزروعها وبورها وما فيها من ترابي وبراق وغرس ومستبحر وعبرة الناحية
وما على المقطعين من غلة ودجاج وخراف وبرسيم وكشك وكعك وغير ذلك من الضيافة فاذا حرر ذلك كله ابتدأ
بقياس تلك الناحية وضبط بالعدول وقياسين وقاضي العمل ما يظهر بالقياس الصحيح وطلب مكلفات تلك
القرية وغنداقها وفضل ما فيها من الخاص السلطاني وبلاد الامراء واقطاعات الاجناد والرزق حتى ينتهي الى
آخر عمله ثم حضروا بعد خمسة وسبعين يوما وقد تحرر في الاوراق المحضرة حال جميع ضياع أرض مصر
ومساحتها وعبرة أراضيها وما يتحصل عن كل قرية من عين وغلة وصنف فطلب السلطان الفخر ناظر الجيش والتقي
الاسعد بن أمين الملك المعروف بكاتب برلغي وسائر مستوفي الدولة وألزمهم بعمل اوراق تشتمل على بلاد الخاص
السلطاني التي عينها لهم وعلى اقطاعات الامراء وأضاف على عبرة كل بلد ما كان على فلاحيها من ضيافة
لمقطعيها واضاف الى العبرة ما في الاقطاع من الجوالي وكتب مثالات للاجناد باقطاعات على هذا الحكم فاعتد
منها بما كان يصرف في كلف حمل الغلات من النواحي الى ساحل القاهرة وما كان عليها من المكس وابطل السلطان
عدة مكوس منها مكس ساحل الغلة وكان جل متحصل الديوان وعليه اقطاعات الامراء والاجناد ويتحصل منه
في السنة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف درهم وعليه اربعمائة مقطع لكل منهم من عشرة آلاف الى ثلاثة
آلاف ولكل من الامراء من اربعين ألف الى عشرة آلاف وكانت جهة عظيمة لها متحصل كثير جدا وينال الضبط

منها

منها منافع كثيرة لا تحصى ويحل بالناس من ذلك بلاء شديد وتعب عظيم من المغارم والظلم فان مظالمها كانت
تتعدد ما بين نواتية تسرق وكيالين تبخس وشادين وكتاب يريد كل منهم شيأ وكان مقرر الاردب درهمين للسلطان
ويلحقه نصف درهم غير ما ينهب ويسرق وكان لهذه الجهة مكان يعرف بخص الكيالة في ساحل بولاق يجلس فيه
شاد وستون متعمما ما بين كاتب ومستوفين وناظر وثلاثون جنديا مباشرون ولا يمكن احدا من الناس
أن يبيع قدحا من غلة في سائر النواحي بل تحمل الغلات حتى تباع في خص الكيالة ببولاق ومما ابطل أيضا نصف
السمسرة وهو عبارة عن أن من باع شيأ من الاشياء فانه يعطي أجرة الدلال على ما تقرر من قديم عن كل مائة
درهم درهمين فلما ولي ناصر الدين الشيخي الوزارة قرر على كل دلال من دلالته درهما من كل درهمين فصار
الدلال يعمل معدله ويجتهد حتى ينال عادته وتصير الغرامة على البائع فتضرر الناس من ذلك واوذوا فلم يغاثوا
حتى ابطل ذلك السلطان ومما ابطل رسوم الولاية وكانت جهة تتعلق بالولاة والمقدمين فيجبيها المذكورون من
عرفاء الاسواق وبيوت الفواحش ولهذه الجهة ضامن وتحت يده عدة صبيان وعليها جند مستقطعون وامراء
وغيرهم وكانت تشتمل على ظلم شنيع وفساد قبيح وهتك قوم مستورين وهجم بيوت اكثر الناس ومما ابطل
مقرر الحوائص والبغال من المدينة وسائر أعمال مصر كلها من الوجه القبلي والبحري فكان على كل من
الولاة والمقدمين مقرر يحمل في كل قسط من أقساط السنة الى بيت المال عن ثمن حياصة ثلثمائة درهم
وعن ثمن بغل خمسمائة درهم وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويفضل منها ما يحمل وكان يصيب الناس من هذه
الجهة ما لا يوصف ويحل بهم من عسف الرقاصين ما يهون معه الموت ومن ذلك مقرر السجون وهو عبارة عما
يؤخذ من كل من يسجن فللسجان على حكم المقرر ستة دراهم سوى كلف اخرى وعلى هذه الجهة عدة
مقطعين ويرغب فيها الضمان ويتزايدون في مبلغ ضمانها لكثرة ما يتحصل منها فانه كان لو تخاصم رجل مع
امرأته او ابنه رفعه الوالي الى السجن فبمجرد ما يدخل السجن ولو لم يقم به الا لحظة واحدة اخذ منه المقرر وكذلك
كان على سجن القضاة أيضا * (ومن ذلك مقرر طرح الفراريج) ولها ضمان عدة في سائر نواحي أرض مصر
يطرحون على الناس الفراريج فيمر بضعفاء الناس من ذلك بلاء عظيم وتقاسي الارامل من العسف والظلم
شيأ كثيرا وكان على هذه الجهة عدة مقطعين ولا يمكن احدا من الناس في جميع الاقاليم أن يشتري فروجا فما
فوقه الا من الضامن ومن عثر عليه أنه اشترى أو باع فروجا من سوى الضامن جاءه الموت من كل مكان وما هو
بميت * (ومن ذلك مقرر الفرسان) وهو عبارة عما يجبيه ولاة النواحي من سائر البلاد فلا يؤخذ درهم مقرر
حتى يغرم عليه صاحبه درهمين ويقاسي الناس فيه اهوالا صعبة * (ومن ذلك مقرر الاقصاب والمعاصر) وهو
ما يجبى من مزارعي قصب السكر ومن المعاصر ورجال المعاصر * (ومن ذلك مقرر رسوم الافراح) ويجبى
من سائر النواحي ولهذه الجهة عدة ضمان ولا يعرف لهذه الجهة اصل [illegible] وانما يجبى بضرائب ينال الناس
فيها مع المقرر غرامات وروعات * (ومن ذلك حماية المراكب) وهي عبارة عما يؤخذ من كل مركب بتقرير
معين يعرف بمقرر الحماية وكانت هذه الجهة اشد ما ضر به الناس فيؤخذ من كل من ركب البحر للسفر حتى من
السؤال والمكدين * (ومن ذلك حقوق القينات) وهو عبارة عما يجمع من الفواحش والمنكرات
فيجبيه مهتار الطشتخاناه السلطانية من أوباش الناس * (ومن ذلك شد الزعماء) وهي جهة مفردة وحقوق
السودان وكشف المراكب ومقرر ما على كل جارية او عبد حين نزولهم بالخانات لعمل الفاحشة فيؤخذ
من كل ذكر وانثى مقرر معين ومتوفر الجراريف وهو ما يجبى من سائر النواحي فيحمل ذلك مهندسوا البلاد الى
بيت المال باعانة الولاة لهم في تحصيل ذلك وعلى هذه الجهة عدة مقطعين من الجند ومقرر المشاعلية وهو
عبارة عما يؤخذ عن كسح الافنية وحمل ما يخرج منها من الوسخ الى الكيمان فكان اذا امتلأ سراب جامع
او مدرسة او مسجد او تربة او منزل من منازل سائر الناس لا يمكنه ولو بلغ من العظمة ما عسى أن يبلغ التعرض
لذلك حتى يأتيه ضامن الجهة ويقاوله على كسح ذلك بما يريد وكان من عادة الضامن الاشطاط في السوم وطلب
اضعاف القيمة فان لم يرض رب المنزل بما طلب الضامن والا تركه وانصرف فلا يقدر على مقاساة ترك الوسخ
ويضطر الى سؤاله ثانيا فيعظم تحكمه ويشتد باسه الى أن يرضيه بما يختار حتى يتمكن من كسح فنائه ورفع
ما هنالك من الاقذار * (ومن ذلك ابطال المباشرين من النواحي) وكانت بلاد مصر كلها من الوجهين القبلي

وتسعين وسبعمائة وجعل بعضه بستانا فى سنة ست وتسعين وسبعمائة * (حكر ابن الاسد جفر يل) هذا
الحكر فى قبلى حكر تكان كان بستانا فحكر وعرف بالامير شمس الدين موسى بن الامير أسد الدين جفر يل أحد
أمراء الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بمصر * (حكر البغدادية) هذا الحكر بجوار خليج الذكر
كان من اعظم البساتين فى الدولة الفاطمية فلما زال الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب اشتراه
زغلوا وجعل منه انامة حكر وصارت فيه عدة مساكن وهو الآن خراب يباب لا يأوى به الا البوم والرخم * (حكر
خطلبا) هذا الحكر حده القبلى الى الخليج وحده البحرى الى الكوم الفاصل بينه وبين حكر الاوسية المعروف
بخطلبا وحده الشرقى الى بستان الجليس الذى عرف بابن منقذ والحد الغربى الى زقاق هناك وكان هذا
الحكر بستانا اشتراه جمال الدين الطواشى من جمال الدين عمر بن ناصح الدين داود بن اسماعيل المكى الكاملى
فى سنة ست عشرة وستمائة ثم ابتاعه منه الطواشى محيى الدين صندل الكاملى فى سنة عشرين وستمائة وباعه
للامير الفارس صارم الدين خطلبا الكاملى فى سنة احدى وعشرين وستمائة فعرف به * وهو خطلبا بن موسى
الامير صارم الدين الفارسى التبتى الموصلى الكاملى استقر فى ولاية القاهرة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة فى ايام
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم اضيفت له ولاية الفيوم فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة ثم صرف عنها
وسار متسلما الى اليمن ليتسلمها فتسلمها فى جمادى الاولى وسار وهو فى سادس شوال منها واليا على مدينة زبيد باليمن
ومعه خمسمائة رجل ورفيقه الامير باخل فبلغت النفقة عليه عشرين ألف دينار وكتب للطواشية بنفقة
عشرة دنانير لكل منهم على اليمن فأقام باليمن مدة ثم قدم الى القاهرة وصار من اصحاب الامير فخر الدين جهاركس
وتأخر الى ايام الملك الكامل وصار من أمرائه بالقاهرة الى أن مات فى ثالث شعبان سنة خمس وثلاثين وستمائة
* (حكر ابن منقذ) هذا الحكر خارج باب القنطرة بعد وخليج الذكر وكان بستانا يعرف ببستان الشريف
الجليس ويعرف أيضا بالطاطحى ثم عرف بالامير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ نائب الملك المعز سيف
الاسلام ظهير الدين طغتكين بن نجم الدين أيوب بن شادى على مملكة اليمن وانتقل بعد ابن منقذ الى الشيخ عبد
المحسن بن عبد العزيز بن على المخزومى المعروف بابن الصيرفى فوقفه على جهات تؤول أخيرا الى الفقراء
والمساكين المقيمين بمشهد السيدة نفيسة والفقراء والمساكين المعتقلين فى حبوس القاهرة فى سنة ثلاث وأربعين
وستمائة ثم ازيلت أنشاب هذا البستان وحكرت أرضه وبنيت الدور والمساكن عليها وهو الآن خراب
* (حكر فارس المسلمين بدر بن رزيك) هذا الحكر تجاه منظرة اللؤلؤة كان من جملة البركة المعروفة ببطن البقرة
ثم حكر وبنى فيه وأكثره الآن خراب * (حكر شمس الخواص مسرور) هذا الحكر فيما بين خليج الذكر وحكر ابن
منقذ كان بستانا لشمس الخواص مسرور الطواشى أحد الخدام الصالحية مات فى نصف شوال سنة سبع
وأربعين وستمائة بالقاهرة ثم حكر وبنى فيه الدور وموضعه الآن كيمان * (حكر العلائى) هذا الحكر يجاور
حكر تكان من بحريه وكان بستانا جليل القدر ثم حكر وصار بعضه وقف تذكار بى خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس
وقفته فى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة على نفسها ثم من بعدها على الرباط الذى أنشأته داخل الدرب الاصفر
تجاه خانقاه بيبرس وهو الرباط المعروف برواق البغدادية وعلى المسجد الذى بحكر سيف الاسلام خارج باب زويلة
وعلى تربتها التى بجوار جامع ابن عبد الظاهر بالقرافة وصار بعض هذا الحكر فى وقف الامير سيف الدين بهادر
العلائى متولى البهنساء وكان وقفه فى سنة احدى وأربعين وسبعمائة فعرف بالحكر العلائى المذكور وأدركت
هذا الحكر وهو من أعمر الاحكار وفيه درب الامير عز الدين ايدمر الزراق أمير جاندار ووالى القاهرة وداره
العظيمة ومساكنه الكثيرة فلما حدثت المحن منذ سنة ست وثمانمائة خرب هذا الحكر وأخذت أنقاضه
وبقيت دار الزراق الى سنة سبع عشرة وثمانمائة فشرع فى الهدم فيها لاجل أنقاضها الجليلة * (حكر
الحريرى) هذا الحكر بجوار حكر العلائى المذكور من حده البحرى وهو من جملة الارض المعروفة بالارض
البيضاء وكان بستانا ثم حكر وصار فى وقف خزائن السلاح وأدركته عامرا وفيه سوق يعرف بالسويقة البيضاء
كانت بها عدة حوانيت وقد خرب هذا الحكر وهذا الحريرى هو الصاحب محيى الدين * (حكر المساح) عرف
بالامير شمس الدين سنقر المساح أحد أمراء الظاهر بيبرس توفى عليه فى عدة من الامراء فى ذى الحجة سنة تسع
وستين وستمائة * (الدكة) هذا المكان كان بستانا من اعظم بساتين القاهرة فيما بين اراضى اللوق والمقس

وبه منظرة الخلفاء الفاطميين تشرف طاقاتها على بحر النيل الاعظم ولا يحول بينها وبين بر الجيزة شئ فلما زالت
الدولة الفاطمية تلاشى أمر هذا البستان وخرب فحكر موضعه وبنى الناس فيه فصار خطة كبيرة كأنه بلد
جليل وصار به سوق عظيم وسكنه الكتاب وغيرهم من الناس وأدركته عامرا ثم انه خرب منذ سنة ست وثمانمائة
وبه الآن بقية عما قليل تدثر كما دثر ما هنالك وصار كيمانا

(ذكر المقس وفيه الكلام على المكس وكيف كان اصله فى أول الاسلام)

اعلم أن المقس قديم وكان فى الجاهلية قرية تعرف بأم دنين وهى الآن محلة بظاهر القاهرة فى بر الخليج الغربى
وكان عند وضع القاهرة هو ساحل النيل وبه أنشأ الامام المعز لدين الله أبو تميم معد الصناعة التى ذكرت عند
ذكر الصناعات من هذا الكتاب وبه أيضا أنشأ الامام الحاكم بأمر الله أبو على منصور جامع المقس الذى تسميه
عامة أهل مصر فى زمننا بجامع المقسى وهو الآن يطل على الخليج الناصرى قال أبو القاسم عبد الرحمن
ابن عبد الله بن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر وقد ذكر مسير عمرو بن العاص رضى الله عنه الى فتح مصر فتقدم
عمرو بن العاص رضى الله عنه لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى أتى بلبيس فقاتلوه بها نحوا من شهر حتى فتح الله
سبحانه وتعالى عليه ثم مضى لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى أم دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا وأبطأ عليه
الفتح فكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يستمده فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية
آلاف فقاتلهم وذكر تمام الخبر وقال القاضى أبو عبد الله القضاعى المقس كانت ضيعة تعرف بأم دنين
وانما سميت المقس لان العاشر كان يقعد بها وصاحب المكس فقيل المكس فقلب فقيل المقس قال المؤلف
رحمه الله الماكس هو العشار وأصل المكس فى اللغة الجباية قال ابن سيدة فى كتاب المحكم المكس
الجباية مكسه يمكسه مكسا والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع فى الاسواق فى الجاهلية ويقال للعشار
صاحب مكس والمكس انتقاص الثمن فى المبايعة قال الشاعر

أفى كل أسواق العراق اتاوة * وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم
ألا ينتهى عنا رجال وتتقى * محارمنا لا يبوء الدم بالدم

الاتاوة الخراج ومكس درهم أى نقص درهم فى بيع ونحوه قال وعشر القوم يعشرهم عشرا وعشورا وعشرهم
أخذ عشر أموالهم وعشر المال نفسه وعشره كذلك والعشار قابض العشر ومنه قول عيسى بن عمر ولابن هبيرة
وهو يضرب بين يديه بالسياط تالله ان كانت الا اثيابا فى اسفاط قبضها عشاروك وقال الجاحظ ترك الناس
مما كان مستعملا فى الجاهلية أمورا كثيرة فمن ذلك تسميتهم للاتاوة بالخراج وتسميتهم لما يأخذه السلطان من
الحلوان والمكس بالرشوة وقال الخارجى * أفى كل أسواق العراق اتاوة * البيت وكما قال العبدى فى الجارود
أكابن المعلى خلتنا أم حسبتنا * صوارى تعطى الماكسين مكوسا
الصوارى الملاحون والمكس ما يأخذه العشار انتهى ويقال ان قوم شعيب عليه السلام كانوا مكاسين لا يدعون
شيأ الا مكسوه ومنه قيل للمكس البخس لقوله تعالى ولا تبخسوا الناس أشياءهم وذكر احمد بن يحيى
البلاذرى عن سفيان الثورى عن ابراهيم بن مهاجر قال سمعت زياد بن جرير يقول أنا أول من عشر فى الاسلام
وعن سفيان عن عبد الله بن خالد عن عبد الرحمن بن معقل قال سألت زياد بن جرير من كنتم تعشرون فقال ما كنا
نعشر مسلما ولا معاهدا بل كنا نعشر تجار أهل الحرب كما كانوا يعشروننا اذا أتيناهم وقال عبد الملك بن حبيب
السلمى فى كتاب سيرة الامام العدل فى مال الله عن السائب بن يزيد انه قال كنت على سوق المدينة فى زمن
عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكنا نأخذ من القبط العشر وقال ابن شهاب كان ذلك يؤخذ منهم فى الجاهلية
فألزمهم ذلك عمر بن الخطاب وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال ان عمر بن الخطاب رضى الله
عنه كان يأخذ بالمدينة من القبط من الحنطة والزبيب نصف العشر يريد بذلك أن يكثر الحمل الى المدينة من الحنطة
والزبيب وكان يأخذ من القطنية العشر وقال مالك رحمه الله والسنة أن ما أقام الذمة فى بلادهم التى صالحوا
عليها فليس عليهم فيها الا الجزية الا أن يتجروا فى بلاد المسلمين ويختلفوا فيها فيؤخذ منهم العشر فيما يديرون من
التجارة وان اختلفوا فى العام الواحد مرارا الى بلاد المسلمين فعليهم كلما اختلفوا العشر واذا اتجر الذمى فى بلاده
من أعلاها الى أسفلها ولم يخرج منها الى غيرها فليس عليه شئ مثل أن يتجر الذمى الشامى فى جميع الشام

أو الذمى المصرى فى جميع مصر أو الذمى العراقى فى جميع العراق وليس العمل عندنا على قول عمر بن عبد العزيز لزريق بن حيان واكتب لهم بما يؤخذ منهم كتابا الى مثلها من الحول ومن مر بك من أهل الذمة فخذ مما يديرون من التجارات من كل عشرين دينارا دينارا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير فان نقص منها ثلث دينار فدعها ولا تأخذ منها شيأ والعمل على أن يؤخذ منهم العشر وان خرجوا فى السنة مرارا من كل ما تجروا به قل أو كثر وهذا قول ربيعة وابن هرمز وقال القاضى أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الحضرمى أحد أصحاب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فى كتاب الرسالة الى امير المؤمنين هارون الرشيد وهو كتاب جليل القدر حدثنا اسماعيل ابن ابراهيم بن المهاجر قال سمعت أبى يذكر قال سمعت زياد بن جرير يقول أول من بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه منا على العشور أنا فأمرنى أن لا افتش أحدا وما مر على من شئ أخذت من حساب أربعين درهما درهما من المسلمين وأخذت من اهل الذمة من عشرين واحدا وممن لا ذمة له العشر وأمرنى أن اغلظ على نصارى بنى تغلب قال انهم قوم من العرب وليسوا من أهل الكتاب فلعلهم يسلمون قال وكان عمر رضى الله عنه قد اشترط على نصارى بنى تغلب أن لا ينصروا أولادهم وحدثنا أبو حنيفة عن الهيثم عن انس بن سيرين عن انس بن مالك رضى الله عنه قال بعثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العشور وكتب لى عهدا أن آخذ من المسلمين مما اختلفوا به لتجاراتهم ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر وحدثنا عاصم بن سليمان الاحول عن الحسن قال كتب أبو موسى الاشعرى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ان تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أهل الحرب فيأخذون منهم العشر فكتب اليه عمر رضى الله عنه خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين وخذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما وليس فيما دون المائتين شئ فاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم فما زاد فبحسابه وحدثنا عبد الملك بن جريج عن عمرو بن شعيب قال ان أهل منبج قوما من أهل الشرك وراء البحر كتبوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعنا ندخل أرضك تجارا وتعشرنا قال فشاور عمر رضى الله عنه اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك فأشاروا عليه به فكانوا أول من عشره من أهل الحرب وحدثنا السدى بن اسماعيل عن عامر الشعبى عن زياد بن جرير الاسدى قال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعثه على عشور العراق والشام وأمره أن يأخذ من المسلمين ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر فمر عليه رجل من بنى تغلب من نصارى العرب ومعه فرس فقوموها بعشرين ألفا فقال أمسك الفرس وأعطى ألفا أو خذ منى تسعة عشر ألفا وأعطى الفرس قال فأعطاه ألفا وأمسك الفرس قال ثم مر عليه راجعا فى سنته فقال أعطنى ألفا أخرى فقال له التغلبى كلما مررت بك تأخذ منى ألفا قال ثم فرجع التغلبى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فوافاه بمكة وهو فى بيت له فاستأذن عليه فقال من أنت فقال أنا رجل من نصارى العرب وقص عليه قصته فقال له عمر رضى الله عنه كفيت ولم يزده على ذلك قال فرجع الرجل الى زياد بن جرير وقد وطن نفسه على أن يعطيه ألفا فوجد كتاب عمر رضى الله عنه قد سبق اليه من مر عليك فأخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيأ الى مثل ذلك اليوم من قابل الا أن تجد فضلا قال فقال الرجل قد والله كانت نفسى طيبة أن اعطيك ألفا وانى أشهد الله تعالى أنى برئ من النصرانية وانى على دين الرجل الذى كتب اليك هذا الكتاب * وحدثنى يحيى بن سعيد عن زريق بن حيان وكان على مكس مصر فذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب اليه أن انظر من مر عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم وما ظهر لك من التجارات من كل أربعين دينارا دينارا فما نقص فبحسابه حتى تبلغ عشرين دينارا فان نقصت فدعها ولا تأخذ منها واذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يديرون من تجاراتهم من كل عشرين دينارا دينارا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ثم دعها لا تأخذ منها شيأ واكتب لهم كتابا بما تأخذ منهم الى مثلها من الحول * وحدثنى أبو حنيفة عن حماد عن ابراهيم انه قال اذا مر أهل الذمة بالخمر للتجارة أخذ من قيمتها نصف العشر ولا يقبل قول الذمى فى قيمتها حتى يؤتى برجلين من أهل الذمة يقومانها عليه فيؤخذ نصف العشر من الذمى * وحدثنا قيس بن الربيع عن أبى فزارة عن يزيد بن الاصم عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما انه قال ان هذه المعاصر والقناطر سحت لا يحل أكلها فبعث عمالا الى اليمن ونهاهم أن يأخذوا من عاصر او قنطرة أو طريق شيأ فقدموا فاستقل المال فقالوا نهيتنا فقال خذوا كما كنتم تأخذون * وحدثنا محمد بن عبد الله عن انس بن سيرين قال أرادوا أن يستعملونى

على عشور الابلة فأبيت فلقينى انس بن مالك رضى الله عنه فقال ما يمنعك قلت العشور اخبث ما عمل عليه الناس قال فقال لى لم لا تفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه صنعه فجعل على أهل الاسلام ربع العشر وعلى أهل الذمة نصف العشر وعلى أهل المنزل ممن ليس له ذمة العشر وقال ابو الحسن المسعودى ان كيتباذ أحد ملوك الفرس أول من أخذ العشر من الارض وعمر بلاد بابل ومملكة الفرس ورأيت فى التوراة التى فى يد اليهود ان أول من أخرج العشر من مواشيه وزروعه وجميع ماله خليل الله ابراهيم عليه السلام وكان يدفع ذلك الى ملك أورشليم التى هى أرض القدس واسمه ملكى صادق فلما مات الخليل ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه اقتدى به بنوه فى ذلك من بعده وصاروا يدفعون العشر من اموالهم الى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام فأوجب على بنى اسرائيل اخراج العشر فى كل ما ملكت أيمانهم من جميع أموالهم بأنواعها وجعل ذلك حقا لسبط لاوى الذين هم قرابة موسى عليه السلام * وقال ابن يونس فى تاريخ مصر كان ربيعة بن شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه أحد من شهد فتح مصر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واليا لعمرو بن العاص رضى الله عنه على المكس وكان زريق بن حيان على مكس ايلة فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال مؤلفه رحمه الله ومع ذلك فقد كان أهل الورع من السلف يكرهون هذا العمل روى ابن قتيبة فى كتاب الغريب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعن الله سهيلا كان عشارا باليمن فمسخه الله شهابا وروى ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن ميمون عن أبى ابراهيم المعافرى عن خالد بن ثابت أن كعبا ارصاه وتقدم اليه حين مخرجه مع عمرو بن العاص أن لا يقرب المكس فهذا اعزك الله معنى المكس عند أهل الاسلام لا ما أحدثه الظالم هبة الله بن صاعد الفائزى وزير الملك المعز ايبك التركمانى أول من اقام من ملوك الترك بقلعة الجبل من المظالم التى سماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية ونعرف اليوم بالمكوس فذلك الرجس النجس الذى هو أقبح المعاصى والذنوب الموبقات لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده وتكرر ذلك منه وانتهاكه للناس وأخذ أموالهم بغير حقها وصرفها فى غير وجهها وذلك الذى لا يقربه متق وعلى آخذه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين * ولنرجع الى الكلام فى المقس فنقول من الناس من يسميه المقسم بالميم بعد السين قال ابن عبد الظاهر فى كتاب خطط القاهرة وسمعت من يقول انه المقسم قيل لان قسمة الغنائم عند الفتوح كانت به ولم أره مسطورا وقال العماد محمد بن أبى الفرج محمد ابن حامد الكاتب الاصفهانى فى كتاب سنا البرق الشامى وجلس الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى البرج الذى بجوار جامع المقسم فى السابع والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وهذا المقسم على شاطئ النيل يزار وهناك مسجد يتبرك به الابرار وهو المكان الذى قسمت فيه الغنائم عند استيلاء الصحابة رضى الله عنهم على مصر فلما امر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بادارة السور على مصر والقاهرة تولى ذلك الامير بهاء الدين قراقوش وجعل نهايته التى الى القاهرة عند المقسم وبنى فيه برجا مشرفا على النيل وبنى مسجدا جامعا واتصلت العمارة منه الى البلد وجامعه تقام فيه الجمعة والجماعات وهذا البرج عرف بقلعة قراقوش ومابرح هنالك الى أن هدمه الصاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى وزير الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون فى سنة بضع وسبعين وسبعمائة عندما جدد جامع المقس الذى أنشأه الخليفة الحاكم بأمر الله فصار يعرف بجامع المقسى هذا الى اليوم ومابرح جامع المقس هذا يشرف على النيل الاعظم الى ما بعد سنة سبعمائة بعدة أعوام * قال جامع السيرة الطولونية وركب أحمد بن طولون فى غداة باردة الى المقس فأصاب بشاطئ النيل صيادا عليه خلق لا يواريه منه شئ ومعه صبى له فى مثل حاله وقد ألقى شبكته فى البحر فلما رآه رق لحاله وقال يا نسيم ادفع الى هذا عشرين دينارا فدفعها اليه ولحق ابن طولون فسار احمد بن طولون غير بعيد ورجع فوجد الصياد ميتا والصبى يبكى ويصيح فظن ابن طولون أن بعض سودانه قتله وأخذ الدنانير منه فوقف بنفسه عليه وسأل الصبى عن أبيه فقال له هذا الغلام وأشار الى نسيم الخادم دفع الى أبى شيأ فلم يزل يقلبه حتى وقع ميتا فقال فتشه يا نسيم فنزل ففتشه فوجد الدنانير معه بحالها فحرض الصبى أن يأخذها فأبى وقال هذه قتلت أبى وان أخذتها قتلتنى فأحضر ابن طولون قاضى المقس وشيوخه وأمرهم أن يشتروا للصبى دارا بخمسمائة دينار تكون لها غلة وأن تحبس عليه وكتب اسمه فى اصحاب الجرايات وقال أنا قتلت أباه لان الغنى يحتاج الى تدريج والا قتل صاحبه هذا

٢ بثانى مائة ابن سعيد على مكس ولى المجلس

أو الذمى المصرى فى جميع مصر أو الذمى العراقى فى جميع العراق وليس العمل عندنا على قول عمر بن عبد العزيز لزريق بن حيان واكتب لهم بما يؤخذ منهم كتابا الى مثله من الحول ومن مر بك من أهل الذمة فخذ مما يديرون من التجارات من كل عشرين دينارا دينارا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير فان نقص منها ثلث دينار فدعها ولا تأخذ منها شيأ والعمل على أن يؤخذ منهم العشر وان خرجوا فى السنة مرارا من كل ما اتجروا به قل أو كثر وهذا قول ربيعة وابن هرمز وقال القاضى أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الحضرمى أحد أصحاب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فى كتاب الرسالة الى امير المؤمنين هارون الرشيد وهو كتاب جليل القدر حدثنا اسماعيل ابن ابراهيم بن المهاجر قال سمعت أبى يذكر قال سمعت زياد بن جرير قال أول من بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه منا على العشور أنا فأمرنى أن لا افتش أحدا وما مر على من شئ أخذت من حساب أربعين درهما درهما من المسلمين وأخذت من اهل الذمة من عشرين واحدا وممن لا ذمة له العشر وأمرنى أن اغلظ على نصارى بنى تغلب قال انهم قوم من العرب وليسوا من أهل الكتاب فلعلهم يسلمون قال وكان عمر رضى الله عنه قد اشترط على نصارى بنى تغلب أن لا ينصروا أولادهم وحدثنا أبو حنيفة عن الهيثم عن انس بن سيرين عن انس بن مالك رضى الله عنه قال بعثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العشور وكتب لى عهدا أن آخذ من المسلمين مما اختلفوا به لتجاراتهم ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر وحدثنا عاصم بن سليمان الاحول عن الحسن قال كتب أبو موسى الاشعرى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ان تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أهل الحرب فيأخذون منهم العشر فكتب اليه عمر رضى الله عنه خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين وخذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما وليس فيما دون المائتين شئ فاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم فما زاد فبحسابه وحدثنا عبد الملك بن جريج عن عمرو بن شعيب قال ان أهل منبج قوما من أهل الشرك وراء البحر كتبوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعنا ندخل أرضك تجارا وتعشرنا قال فشاور عمر رضى الله عنه اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك فأشاروا عليه به فكانوا أول من عشره من أهل الحرب وحدثنا السدى بن اسماعيل عن عامر الشعبى عن زياد بن جرير الاسدى قال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعثه على عشور العراق والشام وأمره أن يأخذ من المسلمين ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر فمر عليه رجل من بنى تغلب من نصارى العرب ومعه فرس فقوموها بعشرين ألفا فقال أمسك الفرس وأعطنى ألفا أو خذ منى تسعة عشر ألفا وأعطنى الفرس قال فأعطاه ألفا وأمسك الفرس قال ثم مر عليه راجعا فى سنته فقال أعطنى ألفا أخرى فقال له التغلبى كلما مررت بك تأخذ منى ألفا قال نعم فرجع التغلبى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فوافاه بمكة وهو فى بيت له فاستأذن عليه فقال من أنت فقال أنا رجل من نصارى العرب وقص عليه قصته فقال له عمر رضى الله عنه كفيت ولم يزده على ذلك قال فرجع الرجل الى زياد بن جرير وقد وطن نفسه على أن يعطيه ألفا فوجد كتاب عمر رضى الله عنه قد سبق اليه من مر عليك فأخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيأ الى مثل ذلك اليوم من قابل الا أن تجد فضلا قال فقال الرجل قد والله كانت نفسى طيبة أن اعطيك ألفا وانى أشهد الله تعالى أنى برئ من النصرانية وانى على دين الرجل الذى كتب اليك هذا الكتاب * وحدثنى يحيى بن سعيد عن زريق بن حيان وكان على مكس مصر فذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب اليه أن انظر من مر عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم وما ظهر لك من التجارات من كل أربعين دينارا دينارا فما نقص فبحسابه حتى تبلغ عشرين دينارا فان نقصت فدعها ولا تأخذ منها واذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يديرون من تجاراتهم من كل عشرين دينارا دينارا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ثم دعها الا تأخذ منها شيأ واكتب لهم كتابا بما تأخذ منهم الى مثلها من الحول * وحدثنى أبو حنيفة عن حماد عن ابراهيم انه قال اذا مر أهل الذمة بالخمر للتجارة أخذ من قيمتها نصف العشر ولا يقبل قول الذمى فى قيمتها حتى يؤتى برجلين من أهل الذمة يقومانها عليه فيؤخذ نصف العشر من الذمى * وحدثنا قيس بن الربيع عن أبى فزارة عن يزيد بن الاصم عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما انه قال ان هذه المعاصر والقناطر سحت لا يحل أخذها فبعث [illegible] الى اليمن ونهاهم أن يأخذوا من معصرا وقنطرة أو طريق شيأ فقدموا فاستقل المال فقالوا نهيتنا فقال خذوا كما كنتم تأخذون [illegible] بن عبيد الله عن انس بن سيرين قال أراد وا أن يستعملونى

على عشور الابلة فأبيت فلقينى انس بن مالك رضى الله عنه فقال ما يمنعك قلت العشور اخبث ما عمل عليه الناس قال فقال لى لم لا تفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه صنعه فجعل على أهل الاسلام ربع العشر وعلى أهل الذمة نصف العشر وعلى أهل المنزل ممن ليس له ذمة العشر وقال ابو الحسن المسعودى ان كيقباذ أحد ملوك الفرس أول من أخذ العشر من الارض وعمر بلاد بابل ومملكة الفرس ورأيت فى التوراة التى فى يد اليهود ان أول من أخرج العشر من مواشيه وزروعه وجميع ماله خليل الله ابراهيم عليه السلام وكان يدفع ذلك الى ملك أورشليم التى هى أرض القدس واسمه ملكى صادق فلما مات الخليل ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه اقتدى به بنوه فى ذلك من بعده وصاروا يدفعون العشر من اموالهم الى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام فأوجب على بنى اسرائيل اخراج العشر فى كل ما ملكت أيمانهم من جميع أموالهم بأنواعها وجعل ذلك حقا لسبط لاوى الذين هم قرابة موسى عليه السلام * وقال ابن يونس فى تاريخ مصر كان ربيعة بن شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه أحد من شهد فتح مصر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واليا لعمرو بن العاص رضى الله عنه على المكس وكان زريق بن حيان على مكس ايلة فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال مؤلفه رحمه الله ومع ذلك فقد كان أهل الورع من السلف يكرهون هذا العمل روى ابن قتيبة فى كتاب الغريب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعن الله سهيلا كان عشارا باليمن فمسخه الله شهابا وروى ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن ميمون عن أبى ابراهيم المعافرى عن خالد بن ثابت أن كعبا أوصاه وتقدم اليه حين مخرجه مع عمرو بن العاص أن لا يقرب المكس فهذا اعزك الله معنى المكس عند أهل الاسلام لا ما أحدثه الظالم هبة الله بن صاعد الفائزى وزير الملك المعز أيبك التركمانى أول من أقام من ملوك الترك بقلعة الجبل من المظالم التى سماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية وتعرف اليوم بالمكوس فذلك الرجس النجس الذى هو أقبح المعاصى والذنوب الموبقات لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده وتكرر ذلك منه وانتهاكه للناس وأخذ اموالهم بغير حقها وصرفها فى غير وجهها وذلك الذى لا يقربه متق وعلى آخذه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين * ولنرجع الى الكلام فى المقس فنقول من الناس من يسميه المقسم بالميم بعد السين قال ابن عبد الظاهر فى كتاب خطط القاهرة وسمعت من يقول انه المقسم قيل لان قسمة الغنائم عند الفتوح كانت به ولم أره مسطورا وقال العماد محمد بن أبى الفرج محمد ابن حامد الكاتب الاصفهانى فى كتاب سنا البرق الشامى وجلس الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى البرج الذى بجوار جامع المقسم فى السابع والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وهذا المقسم على شاطئ النيل يزار وهنالك مسجد يتبرك به الابرار وهو المكان الذى قسمت فيه الغنائم عند استيلاء الصحابة رضى الله عنهم على مصر فلما امر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بادارة السور على مصر والقاهرة تولى ذلك الامير بهاء الدين قراقوش وجعل نهايته التى تلى القاهرة عند المقسم وبنى فيه برجا مشرفا على النيل وبنى مسجدا جامعا واتصلت العمارة منه الى البلد وجامعه تقام فيه الجمعة والجماعات وهذا البرج عرف بقلعة قراقوش ومابرح هنالك الى أن هدمه الصاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى وزير الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون فى سنة بضع وسبعين وسبعمائة عندما جدد جامع المقس الذى أنشأه الخليفة الحاكم بأمر الله فصار يعرف بجامع المقسى هذا الى اليوم ومابرح جامع المقس هذا يشرف على النيل الاعظم الى ما بعد سنة سبعمائة بعدة أعوام * قال جامع السيرة الطولونية وركب أحمد بن طولون فى غداة باردة الى المقس فأصاب بشاطئ النيل صيادا عليه خلق لا يواريه منه شئ ومعه صبى له فى مثل حاله وقد ألقى شبكته فى البحر فلما رآه رق لحاله وقال يا نسيم ادفع الى هذا عشرين دينارا فدفعها اليه ولحق ابن طولون فسار احمد بن طولون ولم يبعد ورجع فوجد الصياد ميتا والصبى يبكى ويصيح فظن ابن طولون أن بعض سودانه قتله وأخذ الدنانير منه فوقف بنفسه عليه وسأل الصبى عن أبيه فقال له هذا الغلام وأشار الى نسيم الخادم دفع الى أبى شيأ فلم يزل يقلبه حتى وقع ميتا فقال فتشه يا نسيم [illegible] ففتشه فوجد الدنانير معه بحالها فحرض الصبى أن يأخذها فأبى وقال هذه قتلت أبى وان أخذتها قتلتنى فأحضر ابن طولون قاضى المقس وشيوخه وأمرهم أن يشتروا للصبى دارا بخمسمائة دينار تكون لها غلة وأن تحبس عليه وكتب اسمه فى اصحاب الجرايات وقال أنا قتلت أباه لان الغنى يحتاج الى تدريب والا قتل صاحبه هذا

٢ بنانى مائة
ابن سعيد
على مكس
ولى المحليز

أوالذمى المصرى فى جميع مصرأوالذمى العرقى فى جميع العراق وليس العمل عندنا على قول عمربن عبد العزيز لزريق بن حيان واكتب لهم بمايؤخذ منهم كتابا الى مثله من الحول ومن مربك من أهل الذمة فخذ ممايديرون من التجارات من كل عشرين دينارادينارافمانقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانيرفان نقص منها ثلث دينار فدعها ولاتأخذ منها شيا والعمل على أن يؤخذ منهم العشروان خرجوا فى السنة مرارا من كل ما تجروا به قل أوكثروهذا قول ربيعة وابن هرمز وقال القاضى أبويوسف يعقوب بن ابراهيم الحضرمى أحد أصحاب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فى كتاب الرسالة الى امير المؤمنين هارون الرشيد وهوكتاب جليل القدر حدثنا اسماعيل ابن ابراهيم بن المهاجر قال سمعت أبى يذكر قال سمعت زياد بن جرير قال أول من بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه منا على العشور أنا فأمرنى أن لا افتش أحدا ومامر على من شئ أخذت من حساب أربعين درهما درهما من المسلمين وأخذت من اهل الذمة من عشرين واحدا وممن لاذمة له العشروأمرنى أن اغلظ على نصارى بنى تغلب قال انهم قوم من العرب وليسوا من أهل الكتاب فلعلهم يسلمون قال وكان عمر رضى الله عنه قد اشترط على نصارى بنى تغلب أن لا ينصروا أولادهم وحدثنا أبوحنيفة عن الهيثم عن انس بن سيرين عن انس بن مالك رضى الله عنه قال بعثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العشوروكتب لى عهدا أن آخذ من المسلمين مما اختلفوا به لتجاراتهم ربع العشرومن أهل الذمة نصف العشرومن أهل الحرب العشر وحدثنا عاصم بن سليمان الاحول عن الحسن قال كتب أبوموسى الاشعرى الى عمربن الخطاب رضى الله عنهما ان تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أهل الحرب فيأخذون منهم العشرفكتب اليه عمررضى الله عنه فخذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين وخذ من أهل الذمة نصف العشرومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما وليس فيمادون المائتين شئ فاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم فمازاد فبحسابه وحدثنا عبد الملك بن جريج عن عمروبن شعيب قال ان أهل منبج قوما من أهل الشرك وراء البحركتبوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعنا ندخل أرضك تجارا وتعشرنا قال فشاورعمررضى الله عنه اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك فأشاروا عليه به فكانوا أول من عشره من أهل الحرب وحدثنا السدى بن اسماعيل عن عامر الشعبى عن زياد بن جرير الاسدى قال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعثه على عشور العراق والشام وأمره أن يأخذ من المسلمين ربع العشرومن أهل الذمة نصف العشرومن أهل الحرب العشرفمرعليه رجل من بنى تغلب من نصارى العرب ومعه فرس فقوّمها بعشرين ألفا فقال أمسك الفرس وأعطنى ألفا أوخذمنى تسعة عشر ألفا وأعطنى الفرس قال فأعطاه ألفا وأمسك الفرس قال ثم مرعليه راجعا فى سنته فقال أعطنى ألفا أخرى فقال له التغلبى كلما مررت بك تأخذ منى ألفا قال ثم فرجع التغلبى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فوافاه بمكة وهو فى بيت له فاستأذن عليه فقال من أنت فقال أنا رجل من نصارى العرب وقص عليه قصته فقال له عمررضى الله عنه كفيت ولم يزده على ذلك قال فرجع الرجل الى زياد بن جرير وقد وطن نفسه على أن يعطيه ألفا فوجد كتاب عمر رضى الله عنه قد سبق اليه من مر عليك فأخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيأ الى مثل ذلك اليوم من قابل الا أن تجد فضلا قال فقال الرجل قد والله كانت نفسى طيبة أن اعطيك ألفا وانى أشهد الله تعالى أنى برئ من النصرانية وانى على دين الرجل الذى كتب اليك هذا الكتاب * وحدثنى يحيى بن سعيد عن زريق بن حيان وكان على مكس مصرفذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب اليه أن انظرمن مرعليك من المسلمين فخذ مما ظهرمن أموالهم وماظهرلك من التجارات من كل أربعين دينارادينارافمانقص فبحسابه حتى تبلغ عشرين دينارافان نقصت فدعها ولاتأخذ منها واذا مرعليك أهل الذمة فخذ ممايديرون من تجاراتهم من كل عشرين دينارادينارافمانقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانيرثم دعها لاتأخذ منها شيأ واكتب لهم كتابا بما تأخذ منهم الى مثلها من الحول * وحدثنى أبوحنيفة عن حماد عن ابراهيم انه قال اذا مر أهل الذمة بالخمر للتجارة أخذ من قيمتها نصف العشر ولايقبل قول الذمى فى قيمتها حتى يؤتى برجلين من أهل الذمة يقومانها عليه فيؤخذ نصف العشرمن الذمى * وحدثنا قيس بن الربيع عن أبى فزارة عن يزيد بن الاصم عن عبد الله بن الزبيررضى الله عنهما انه قال ان هذه المعاصر والقناطر سحت لا يحل أخذها فبعث عمالا الى اليمن ونهاهم أن يأخذوا من عاصرا وقنطرة أوطريق شيأ فقدموا فاستقل المال فقالوا نهيتنا فقال خذوا كما كنتم تأخذون * وحدثنى محمد بن عبد الله عن انس بن سيرين قال أرادوا أن يستعملونى

على عشورالابلة فأبيت فلقينى انس بن مالك رضى الله عنه فقال ما يمنعك قلت العشوراخبث ما عمل عليه الناس قال فقال لى لم لاتفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه صنعه فجعل على أهل الاسلام ربع العشروعلى أهل الذمة نصف العشروعلى أهل المنزل ممن ليس له ذمة العشر وقال ابوالحسن المسعودى ان كيقباذ أحد ملوك الفرس أول من أخذ العشرمن الارض وعمر بلاد بابل ومملكة الفرس ورأيت فى التوراة التى فى يد اليهود ان أول من أخرج العشرمن مواشيه وزروعه وجميع ماله خليل الله ابراهيم عليه السلام وكان يدفع ذلك الى ملك أورشليم التى هى أرض القدس واسمه ملكى صادق فلما مات الخليل ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه اقتدى به بنوه فى ذلك من بعده وصاروا يدفعون العشرمن اموالهم الى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام فأوجب على بنى اسرائيل اخراج العشرفى كل ماملكت أيمانهم من جميع أموالهم بأنواعها وجعل ذلك حقا لسبط لاوى الذين هم قرابة موسى عليه السلام * وقال ابن يونس فى تاريخ مصركان ربيعة بن شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه أحد من شهد فتح مصرمن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واليا لعمرو بن العاص رضى الله عنه على المكس وكان زريق بن حيان على مكس ايلة فى خلافة عمر بن عبد العزيزرضى الله عنه قال مؤلفه رحمه الله ومع ذلك فقد كان أهل الورع من السلف يكرهون هذا العمل روى ابن قتيبة فى كتاب الغريب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعن الله سهيلا كان عشارا باليمن فمسخه الله شهابا وروى ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن ميمون عن أبى ابراهيم المعافرى عن خالد بن ثابت أن كعبا اوصاه وتقدم اليه حين مخرجه مع عمرو بن العاص أن لا يقرب المكس فهذا اعزك الله معنى المكس عند أهل الاسلام لاما أحدثه الظالم هبة الله بن صاعد الفائزى وزير الملك المعز ايبك التركمانى أول من اقام من ملوك الترك بقلعة الجبل من المظالم التى سماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية وتعرف اليوم بالمكوس فذلك الرجس النجس الذى هو أقبح المعاصى والذنوب الموبقات لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده وتكرر ذلك منه وانتهاكه للناس وأخذ أموالهم بغير حقها وصرفها فى غير وجهها وذلك الذى لا يقربه متق وعلى آخذه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين * ولنرجع الى الكلام فى المقس فنقول من الناس من يسميه المقسم بالميم بعد السين قال ابن عبد الظاهر فى كتاب خطط القاهرة وسمعت من يقول انه المقسم قيل لان قسمة الغنائم عند الفتوح كانت به ولم أره مسطورا وقال العماد محمد بن أبى الفرج محمد ابن حامد الكاتب الاصفهانى فى كتاب سنا البرق الشامى وجلس الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى البرج الذى بجوار جامع المقسم فى السابع والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وهذا المقسم على شاطئ النيل يزار وهناك مسجد يتبرك به الابرار وهو المكان الذى قسمت فيه الغنائم عند استيلاء الصحابة رضى الله عنهم على مصر فلما امر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بادارة السور على مصر والقاهرة تولى ذلك الامير بهاء الدين قراقوش وجعل نهايته التى تلى القاهرة عند المقسم وبنى فيه برجا مشرفا على النيل وبنى مسجدا جامعا واتصلت العمارة منه الى البلد وجامعه تقام فيه الجمعة والجماعات وهذا البرج عرف بقلعة قراقوش ومابرح هنالك الى أن هدمه الصاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى وزير الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون فى سنة بضع وسبعين وسبعمائة عندما جدد جامع المقس الذى أنشأه الخليفة الحاكم بأمر الله فصار يعرف بجامع المقسى هذا الى اليوم ومابرح جامع المقس هذا يشرف على النيل الاعظم الى مابعد سنة سبعمائة بعدة أعوام * قال جامع السيرة الطولونية وركب أحمد بن طولون فى غداة باردة الى المقس فأصاب بشاطئ النيل صيادا عليه خلق لا يواريه منه شئ ومعه صبى له فى مثل حاله وقد ألقى شبكته فى البحر فلما رآه رق لحاله وقال يانسيم ادفع الى هذا عشرين دينارا فدفعها اليه ولحق ابن طولون فسار احمد بن طولون ولم يبعد ورجع فوجد الصياد ميتا والصبى يبكى ويصيح فظن ابن طولون أن بعض سودانه قتله وأخذ الدنانير منه فوقف بنفسه عليه وسأل الصبى عن أبيه فقال له هذا الغلام وأشار الى نسيم الخادم دفع الى أبى شيأ فلم يزل يقلبه حتى وقع ميتا فقال فتشه يانسيم فنزل وفتشه فوجد الدنانير معه بحالها فحرض الصبى أن يأخذها فأبى وقال هذه قتلت أبى وان أخذتها قتلتنى فأحضر ابن طولون قاضى المقس وشيوخه وأمرهم أن يشتروا للصبى دارا بخمسمائة دينار تكون لها غلة وأن تحبس عليه وكتب اسمه فى اصحاب الجرايات وقال أنا قتلت أباه لان الغنى يحتاج الى تدريج والا قتل صاحبه هذا

٢ ينافي ماتة
ابن سعيد
على مكس
ولى الحليز

وسبعمائة عندما انتهى حفر الخليج الناصرى تركب ماعلى جانبى الخليج من القنطرة الجديدة هذه الى قناطر الاوز عامرا بالاملاك ثم خربت شيأ بعد شئ من حين حدث فصل البارد بعد سنة ستين وسبعمائة وفحش الخراب هنالك منذ كانت سنة الشراقى فى زمن الملك الاشرف شعبان بن حسين فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة فلما فرغت الخمسين سنة بعد سنة الشراقى خربت الاملاك التى كانت فى شرقى الخليج ما بين القنطرة الجديدة وقناطر الاوز وأخذت أنقاضها وصارت هذه البقعة موجودة الآن * (قناطر الاوز) هذه القناطر على الخليج الكبير يتوصل اليها من الحسينية ويسلك من فوقها الى ارض الطبالة وغيرها وهى أيضا مما أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وأدركت هنالك املاكا كثيرة على الخليج بعد سنة ثمانين وسبعمائة وهذه القناطر من أحسن منتزهات أهل القاهرة أيام خليجها يصير فيه من الماء ولما على حافته الشرقية من البساتين الانيقة الا انها الآن قد خربت وتجاه هذه القنطرة منظرة البعل التى تقدم ذكرها عند ذكر مناظر الخلفاء وبقيت آثارها الى الآن أدركناها يعطن فيها الكتان وبها عرفت الارض التى هنالك فسميت الى الآن أرض البعل وكان هنالك صف من شجر السنط قد امتد من تجاه قناطر الاوز الى منظرة البعل وصار فاصلا بين مزرعتين يجلس الناس تحته فى يومى الاحد والجمعة للنزهة فيكون هنالك من أصناف الناس رجالهم ونسائهم ما لا يقع عليه حصر ويباع هنالك مآكل كثيرة وكان هنالك حانوت من طين تجاه القنطرة يباع فيها السمك أدركتها وقد استؤجرت بخمسة آلاف درهم فى السنة عنها يومئذ نحو مائتين وخمسين مثقالا من الذهب على انه لا يباع فيها السمك الا نحو ثلاثة اشهر أو دون ذلك ولم يزل هذا السنط الى نحو سنة تسعين وسبعمائة فقطع والى اليوم تجتمع الناس هنالك ولكن شتان بين ما أدركنا وبين ما هو الآن وقيل لها قناطر الاوز * (قناطر بنى وائل) هذه القناطر على الخليج الكبير تجاه التاج أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعرفت بقناطر بنى وائل من اجل انه كان بجانبها عدة منازل يسكنها عرب ضعفاء بالجانب الشرقى يقال لهم بنو وائل ولم يزالوا هنالك الى نحو سنة تسعين وسبعمائة وكان بجانب هذه القناطر من الجانب الغربى مقعد أحدثه الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى لاخذ المكوس واستمر مدة ثم خرب ولم ار أحسن منظرا من هذه القنطرة فى ايام النيل وزمن الربيع * (قنطرة الاميرية) هذه القنطرة هى آخر ما على الخليج الكبير من القناطر بضواحى القاهرة وهى تجاه الناحية المعروفة بالاميرية فيما بينها وبين المطرية أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعند هذه القنطرة ينسد ماء النيل اذا فتح الخليج عند وفاء زيادة النيل ستة عشر ذراعا فلا يزال الماء عند سد الاميرية هذا الى يوم النوروز فيخرج والى القاهرة اليه ويشهد على مشايخ أهل الضواحى بتغليق أراضى نواحيهم بالرى ثم يفتح هذا السد فيمر الماء الى جسر شيبين القصر ويسد عليه حتى يروى ما على جانبى الخليج من البلاد فلا يزال الماء واقفا عند سد شيبين الى يوم عيد الصليب وهو اليوم السابع عشر من النوروز فيفتح حينئذ بعد شمول الرى جميع تلك الاراضى وليس بعد قنطرة الاميرية هذه قنطرة سوى قنطرة ناحية سرياقوس وهى أيضا انشاء الملك الناصر محمد بن قلاون وبعد قنطرة سرياقوس جسر شيبين القصر وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الجسور من هذا الكتاب * (قنطرة الفخر) هذه القنطرة بجوار موردة البلاط من اراضى بستان الخشاب برأس الميدان وهى أول قنطرة عمرت على الخليج الناصرى على فمه أنشأها القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله بن خروف القبطى المعروف بالفخر ناظر الجيش فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة عند انتهاء حفر الخليج الناصرى ومات فى رجب سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة وقد أناف على السبعين سنة وتمكن فى الرياسة تمكنا كبيرا * (قنطرة قدادار) هذه القنطرة على الخليج الناصرى يتوصل اليها من اللوق ويمشى فوقها الى بر الخليج الناصرى مما يلى النيل وأول ما وضعت كانت تجاه البستان الذى كان ميدانا فى زمن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان الموجود الآن بموردة البلاط من جملة اراضى بستان الخشاب فغرس فى الميدان الظاهرى الانشجار وصار بستانا عظيما كما ذكر ذلك فى موضعه من هذا الكتاب وعرفت هذه القنطرة بالامير سيف الدين قدادار مملوك الامير برلغى وكان من خبره أنه تنقل فى الخدم حتى ولى الغربية من أراضى مصر فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فلقى أهل البلاد منه شرا كثيرا ثم انتقل الى ولاية البحيرة فلما كان فى سنة أربع وعشرين

كثرت الشناعة فى القاهرة بسبب الفلوس وتعنت الناس فيها وامتنعوا من أخذها حتى وقف الحال وتحسن السعر وكان حينئذ يتقلد الوزارة الامير علاء الدين مغلطاى الجمالى ويتقلد ولاية القاهرة الامير علم الدين سنجر الخازن فلما توجه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون من قلعة الجبل الى السرحة بناحية سرياقوس بلغه توقف الحال وطمع السرقة فى الناس وأن متولى القاهرة فيه لين وانه قليل الحرمة على السوقة وكان السلطان كثير النفور من العامة شديد البغض لهم ويريد كل وقت من الخازن أن يبطش بالحرافيش ويؤثر فيهم آثارا قبيحة ويشهرهم جماعة فلم يبلغ من ذلك غرضه فكرهه واستدعى الامير ارغون نائب السلطنة وتقدم اليه بالاغلاظ فى القول على الخازن بسبب فساد حال الناس وهم ببروز امره بالقبض عليه وأخذ ماله فما زال به النائب حتى عفا عنه وقال السلطان يعزله ويولى من ينفع فى مثل هذا الامر فاختار ولاية قدادار عوضه لما يعرف من يقظته وشهامته وجراءته على سفك الدما فاستدعاه من البحيرة وولاه ولاية القاهرة فى أول شهر رمضان من السنة المذكورة فأول ما بدأ به أن احضر الخبازين والباعة وضرب كثيرا منهم بالمقارع وشهر جماعة منهم فى دراريب حوانيتهم ونادى فى البلد من رد فلسا سمر ثم عرض اهل السجن ووسط جماعة من المفسدين عند باب زويلة فهابته العامة وذعروا منه وأخذ يتتبع من عصر خمرا وأحضر عريف الحمالين وألزمه باحضار من كان يحمل العنب فلما حضروا عنده استملاهم اسماء من يشترى العنب ومواضع مساكنهم ثم أحضر خفراء الحارات والاخطاط ولم يزل بهم حتى دلوه على سائر من عصر الخمر فاشتهر ذلك بين الناس وخافوه فحول أهل حارة زويلة وأهل حارتى الروم والديلم وغير ذلك من الاماكن ما عندهم من الخمر وصبوها فى البلاليع والاقنية وألقوها فى الازقة وبذلوا المال لمن يأخذها منهم فحصل لكثير من العامة والاطراف منها شئ كثير حتى صارت تباع كل جرة خمر بدرهم ويمر الناس بأبواب الدور والازقة فترى من جرار الخمر شيأ كثيرا ولا يقدر أحد أن يتعرض لشئ منها ثم ركب وكبس خط باب اللوق وأخذ منه شيأ كثيرا من الحشيش وأحرقه عند باب زويلة واستمر الحال مدة شهر ما من يوم الا ويحرق فيه خمر عند باب زويلة ويحرق حشيش فطهر الله به البلد من ذلك جميعه وتتبع الزعار وأهل الفساد فخافوه وفروا من البلد فصار السلطان يشكره ويثنى عليه لما يبلغه من ذلك وأما العامة فانه ثقل عليها وكرهته حتى انه لما تأمر ابن الامير بكتمر الساقى وركب الى القبة المنصورية على العادة ومعه أبوه والنائب وسائر الامراء صاحت العامة للامير بكتمر الساقى يا أمير بالله قل لولدك اعزل هذا الظالم ورد علينا والينا يعنون الخازن فلما عرف بكتمر السلطان ذلك أعجبه وقال يا أمير ما تخشى العامة والسوقة الا ظالما مثل هذا اما يخاف الله تعالى وزاد اعجاب السلطان به حتى قال له لا تشاور فى امر المفسدين فلم يغتر بذلك ورفع اليه جميع ما يتفق له وشاوره فى كل جليل وحقير وقال له ان جماعة من الكتاب والتجار قد عصروا الخمر واستأذنه فى طلبهم ومصادرتهم فتقدم له بمشاورة النائب فى ذلك واعلامه أن السلطان قد رسم بالكشف عمن عصر من الكتاب والتجار الخمر فلما صار الى النائب وعرفه الخبر أهانه وقال ان السلطان لا يرضى بكبس بيوت الناس وهتك حرمهم وسترهم واقامة الشناعات وقام من فوره الى السلطان وعرفه ما يكون فى فعل ذلك من الفساد الكبير وما زال به حتى صرف رأيه عما اشار به قدادار من كبس الدور وأخذ الناس فى مقته والاخراق به فى كل وقت فانه كان يعنى بالخازن ولم يعجبه عزله عن الولاية فكثر جور قدادار وزاد تتبعه للناس ونادى أن لا يعمل أحد حلقة فيما بين القصرين ولا يسمر هنالك وامر أن لا يخرج أحد من بيته بعد عشاء الآخرة واقام عنه نائبا من بطالى الحسينية ضمن المسطبة منه فى كل يوم بثلثمائة درهم وانحصر الناس منه وضاقوا به ذرعا لكثرة ما هتك أستارهم وخرق بكثير من المستورين وتسلطت المستصنعة وأرباب المظالم على الناس وكانوا اذا رأوا سكران او شموا منه رائحة خمر أحضروه اليه فتفرق الناس شره وشكا الامراء غير مرة الى السلطان فلم يلتفت لما يقال فيه والنائب مستمر على الاخراق به الى أن قبض عليه السلطان فخلا الجو لقدادار وأكثر من سفك الدماء واتلاف النفوس والتسلط على العامة لبغضهم اياه والسلطان يعجبه منه ذلك بحيث انه ابرز مرسوما لسائر عماله وولاته ان أحدا منهم لا يقتص ممن وجب عليه القصاص فى النفس او القطع الا أن يشاور فيه ويطالع بأمره ما خلا قدادار متولى القاهرة فانه لا يشاور على مفسد ولا غيره ويده مطلقة فى سائر الناس فدهى الناس منه بعظائم وشرع فى كبس بيوت السعداء ومشت جماعة من المستصنعين فى البلد

ج من لسان العرب للامام العلامة
أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف
بابن منظور الافريقى المصرى
الانصارى الخزرجى تغمده
الله برحمته وأسكنه
فسيح جنته
آمين

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الميرية ببولاق مصر المعزية
سنة ١٣٠٠ هجرية

دريد ما أدرى أعربى هو أم لا والمتمسة والمتماس اختلاط الامر واشتباهه قال رؤبة

ان كنت من أمرك فى متماس * فاسط على أمك سطو الماس

خفف سين الماس كما يخففونها فى قولهم مست الشىء أى مسسته قال الازهرى هذا غلط الماسى هو الذى يدخل يده فى حياء الانثى لاستخراج الجنين اذا نشب يقال مسيتها أمسيها مسيا روى ذلك أبو عبيد عن الأصمعى وليس الماسى من المس فى شىء وأما قول الشاعر

* أحسن به فهن اليه شوس * أراد أحسسن فحذف احدى السينين فافهم (مطس) مطس العذرة يمطسها مطسا رماها بمرة والمطس الضرب باليد كاللطم ومطسه بيده يمطسه مطسا ضربه (معس) معس فى الحرب حمل ورجل معاس ومتمعس مقدام ومعس الأديم لينه فى الدباغ وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على أسماء بنت عميس وهى تمعس إهابا لها وفى رواية منيئة لها أى تدبغ وأصل المعس المعك والدلك للجلد بعد ادخاله فى الدباغ ومعسه معسا دلكه دلكا شديدا قال فى وصف السيل والمطر

حتى اذا ما الغيث قال رجسا * يمعس بالماء الجواء معسا * وغرق الصمان ماء قلسا

اراد بقوله قال رجسا أى يصوت بشدة وقعه وقالت السماء اذا أمطرت مطرا يسمع صوته ويجوز أن يريد صوت الرعد الذى فى سحاب هذا المطر والصمان موضع بعينه والقلس الذى ملأ الموضع حتى فاض والجواء مثل السهبل وهو الوادى الواسع قال الاصمعى بعثت امرأة من العرب بنتا لها الى جارتها ان ابعثى الى بنفس أو نفسين من الدباغ أمعس به منيئتى فانى أفدة والمنيئة المدبغة والنفس قدر ما يدبغ به من ورق القرظ والأرطى ومنيئة معوس اذا حركت فى الدباغ عن ابن الاعرابى وأنشد

يخرج بين الناب والضروس * حمراء كالمنيئة المعوس

يعنى بالحمراء الشقشقة شبهها بالمنيئة المحركة فى الدباغ والمعس الحركة وامتعس تحرك قال

* وصاحب يمتعس امتعاسا * ومعس المرأة معسا نكحها وامتعس العرفج اذا امتلأت أجوافه من جنبه حتى تسود (مغس) المغس لغة فى المغص وهو وجع وتقطيع يأخذ فى البطن وقد مغس فى بطنى ومغسه بالرمح مغسا طعنه وامغس رأسه بنصفين من بياض وسواد اختلط وبطن مغوس (مقس) مقست نفسه بالكسر مقسا وتمقست غثت وقيل تقززت وكرهت وهو نحو ذلك قال أبو زيد صاد أعرابى حامة فأكلها فقال ما هذا فقيل سمانى فقلت

قوله حتى تسود هكذا بالاصل وفى شرح القاموس حتى لا تسود اه مصححه

نفسه فقال * نفسى تمقس من سمانى الاقبر * أبو عمرو مقست نفسى من أمر كذا تمقس فهى ماقسة اذا أنفت وقال مرة خبثت وهى بمعنى لقست والمقس الجوب والخرق ومقس فى الارض مقسا ذهب فيها أبو سعيد مقسته فى الماء مقسا وقمسته قمسا اذا غططته فيه غطا وفى الحديث خرج عبد الرحمن بن زيد وعاصم بن عمر يتماقسان فى البحر أى يتغاوصان يقال مقسته وقمسته على القلب اذا غططته فى الماء وامرأة مقاسة طوافة ومقاس والمقاس كلاهما اسم رجل (مكس) المكس الجباية مكسه يمكسه مكسا ومكسته أمكسه مكسا والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع فى الأسواق فى الجاهلية والماكس العشار ويقال للعشار صاحب مكس والمكس ما يأخذه العشار يقال مكس فهو ماكس اذا أخذ ابن الاعرابى المكس درهم كان يأخذه المصدق بعد فراغه وفى الحديث لا يدخل صاحب مكس الجنة المكس الضريبة التى يأخذها الماكس وأصله الجباية وفى حديث ابن سيرين قال لأنس تستعملنى أى على عشور الناس فأماكسهم ويماكسونى قيل معناه تستعملنى على ما ينقص دينى لما يخاف من الزيادة والنقصان فى الأخذ والترك وفى حديث جابر قال له أترى انما ماكستك لآخذ جملك المماكسة فى البيع انتقاص الثمن واستحطاطه والمنابذة بين المتبايعين وفى حديث ابن عمر لا بأس بالمماكسة فى البيع والمكس النقص والمكس انتقاص الثمن فى البياعة ومنه أخذ المكاس لانه يستنقصه قال جابر بن حنى التغلبى

أفى كل أسواق العراق اتاوة * وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم

ألا ينتهى عنا ملوك وتتقى * محارمنا لا يبوء الدم بالدم

تعاطى الملوك السلم ما قصدوا بنا * وليس علينا قتلهم بمحرم

الاتاوة الخراج والمكس ما يأخذه العشار يقول كل من باع شيأ أخذ منه الخراج أو العشر وهذا مما آنف منه يقول ألا ينتهى عنا ملوك أى لينته عنا ملوك فانهم اذا انتهوا لم يؤخذ بدم ولم يقتل واحد بآخر فيبوء مجزوم على جواب قوله ألا ينتهى لأنه فى معنى الامر والبوء القود وقوله ما قصدوا بنا أى ما ركبوا بنا قصدا وقد قيل فى الاتاوة انها الرشوة وقيل كل ما أخذ بكره أو قسم على قوم من الجباية وغيرها اتاوة وخص بعضهم به الرشوة على الماء وجمعها أتى نادر كأنه جمع أتوة وفى قوله مكس درهم أى نقصان درهم بعد وجوبه ومكس فى البيع يمكس بالكسر مكسا ومكس الشىء نقص ومكس الرجل نقص فى بيع ونحوه وتماكس البيعان تشاحا

دريد لا أدري أعربي هو أم لا والمَمْسَمة والمَسْماس اختلاط الأمر واشتباهه قال رؤبة

إن كنتَ من أمرك في مَسْماس * فاسْطُ على أمّك سَطْوَ الماسي

خفف سين الماس كما يخففونها في قولهم مَسْتُ الشيء أي مَسِسْته قال الأزهري هذا غلط الماسي هو الذي يُدْخِل يده في حياء الأنثى لاستخراج الجنين إذا نَشِب يقال مَسَيْتها أمْسِيها مَسْيًا روى ذلك أبو عبيد عن الأصمعي وليس الماسي من المسّ في شيء وأما قول الشاعر

* أحْسَنَّ به فهن إليه شُوس * أراد أحْسَسْنَ فحذف إحدى السينين فافهم (مطس) مَطَسَ العَذِرة يَمْطِسها مَطْسًا رماها بمرة والمَطْس الضرب باليد كاللطم ومَطَسه بيده يَمْطِسه مَطْسًا ضربه (معس) مَعَس في الحرب حمل ورجل مَعّاس ومُتَمَعِّس مِقْدام ومَعَس الأديم لَيَّنه في الدباغ وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ على أسماء بنت عُمَيس وهي تَمْعَس إهابًا لها وفي رواية مَنِيئة لها أي تَدْبُغ وأصل المَعْس المَعْك والدَّلْك للجلد بعد إدخاله في الدباغ ومَعَسه مَعْسًا دلكه دلكًا شديدًا قال في وصف السيل والمطر

حتى إذا ما الغيثُ قال رَجْسا * يَمْعَس بالماء الجِواء مَعْسا * وغَرِق الصَّمّان ماءً قَلْسا

أراد بقوله قال رَجْسًا أي يُصَوِّت بشدة وقعه وقالت السماء إذا أمطرت مطرًا يسمع صوته ويجوز أن يريد صوت الرعد الذي في سحاب هذا المطر والصَّمّان موضع بعينه والقَلْس الذي ملأ الموضع حتى فاض والجِواء مثل السَّحْبَل وهو الوادي الواسع قال الأصمعي بعثت امرأة من العرب بنتًا لها إلى جارتها أن ابعثي إليّ بنَفْس أو نَفْسين من الدباغ أمْعَس به مَنِيئتي فإني أفِدَة والمَنِيئة المَدْبَغة والنَّفْس قدر ما يدبغ به من ورق القَرَظ والأَرْطَى ومَنِيئة مَعُوس إذا حُرِّكت في الدباغ عن ابن الأعرابي وأنشد

يخرج بين الناب والضُّروس * حمراء كالمَنِيئة المَعُوس

يعني بالحمراء الشِّقْشِقة شبهها بالمَنِيئة المحركة في الدباغ والمَعْس الحركة وامْتَعَس تحرك قال

* وصاحب يَمْتَعِس امْتِعاسا * ومَعَس المرأة مَعْسًا نكحها وامْتَعَس العَرْفَج إذا امتلأت أجوافه من خَجْتِه حتى تسود (مغس) المَغْس لغة في المَغْص وهو وجع وتقطيع يأخذ في البطن وقد مَغَس في بطني ومَغَسه بالرمح مَغْسًا طعنه وأمْغَس رأسه نصفين من بياض وسواد اختلط وبطن مَغُوس (مقس) مَقِسَت نفسه بالكسر تَمْقَس مَقَسًا ومَقَسَت غَثَت وقيل تقززت وكرهت وهو نحو ذلك قال أبو زيد صاد أعرابي حمامة فأكلها فقال ما هذا فقيل سُماني نَمْقَسَتْ

قوله حتى تسود هكذا بالاصل وفي شرح القاموس حتى لا تسود اه مصححه

نفسه

نفسه فقال * نفسي تَمْقَس من سُمانَى الأقْبُر * أبو عمرو مَقِسَتْ نفسي من أمر كذا تَمْقَس فهي ماقِسة إذا أنِفَت وقال مرة خَبُثَت وهي بمعنى لَقِسَت والمَقْس الجَوْب والخَرْق ومَقَس في الأرض مَقْسًا ذهب فيها أبو عبيد مَقَسْته في الماء مَقْسًا وقَمَسْته قَمْسًا إذا غَطَطْته فيه غَطًّا وفي الحديث خرج عبد الرحمن بن زيد وعاصم بن عمر يَتَماقَسان في البحر أي يتغاوصان يقال مَقَسْته وقَمَسْته على القلب إذا غَطَطْته في الماء وامرأة مَقّاسة طَوّافة ومِقّاس والمِقّاس كلاهما اسم رجل (مكس) المَكْس الجِباية مَكَسه يَمْكِسه مَكْسًا ومَكَسْته أمْكُسه مَكْسًا والمَكْس دراهم كانت تؤخذ من بائع السِّلَع في الأسواق في الجاهلية والماكِس العَشّار ويقال للعَشّار صاحب مَكْس والمَكْس ما يأخذه العشار يقال مَكَس فهو ماكِس إذا أخذ ابن الأعرابي المَكْس درهم كان يأخذه المُصَدِّق بعد فراغه وفي الحديث لا يدخل صاحب مَكْس الجنة المَكْس الضريبة التي يأخذها الماكس وأصله الجباية وفي حديث ابن سيرين قال لأنس تستعملني أي على عُشور الناس فأُماكِسهم ويُماكِسوني فقال تستعملني على ما ينقص ديني لما يخاف من الزيادة والنقصان في الأخذ والترك وفي حديث جابر قال له أترى إنما ماكَسْتُك لآخذ جملك المُماكَسة في البيع انتقاص الثمن واستحطاطه والمنابذة بين المتبايعين وفي حديث ابن عمر لا بأس بالمُماكَسة في البيع والمَكْس النقص والمَكْس انتقاص الثمن في البِياعة ومنه أُخِذ المَكّاس لأنه يَسْتَنْقِصه قال جابر بن حُنَيّ التغلبي

أفي كُلّ أسواق العراق إتاوةٌ * وفي كُلّ ما باع امرؤٌ مَكْسُ دِرْهَمِ

ألا يَنْتَهِي عنّا ملوكٌ وتَتَّقِي * محارِمَنا لا يَبُؤ الدمُ بالدمِ

تَعاطَى الملوكُ السِّلْمَ ما قَصَدُوا بنا * وليس علينا قَتْلُهم بمُحَرَّمِ

الإتاوة الخراج والمَكْس ما يأخذه العَشّار يقول كُلُّ من باع شيئًا أُخِذ منه الخراج أو العُشْر وهذا مما أنف منه يقول ألا ينتهي عنا ملوك أي ليَنْتَهِ عنا ملوك فإنهم إذا انتهوا لم يَبُؤْ دم بدم ولم يُقْتَل واحد بآخر فيَبُؤْ مجزوم على جواب قوله ألا ينتهي لأنه في معنى الأمر والبَوْء القَوَد وقوله ما قصدوا بنا أي ما ركبوا بنا قصدًا وقد قيل في الإتاوة إنها الرَّشْوة وقيل كل ما أُخِذ بكُرْه أو قُسِم على قوم من الجباية وغيرها إتاوة وخص بعضهم به الرَّشْوة على الماء وجمعها أُتًى نادر كأنه جمع أتْوة وفي قوله مَكْس درهم أي نقصان درهم بعد وجوبه ومَكَس في البيع يَمْكِس بالكسر مَكْسًا ومَكَس الشيء نقص ومُكِس الرجل نُقِص في بيع ونحوه وتَماكَس البَيِّعان تشاحّا

مطبوعات دار المأمون

الوقف من ذهب
مكتبة القراءة والثقافة
الأدبية

الدكتور احمد فريد رفاعي بك
مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة
المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

الجزء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكاتب الشهيرة

الدور: موضع ببغداد ومحلة بالجانب الشرقي، توفي أبو عمر الدوري سنة ست وأربعين ومائتين.

﴿ ٢٥ — أَبُو حَفْصٍ الزَّكْرَمِيُّ الْعَرُوضِيُّ * ﴾

أبو حفص العروضي

الأديب الشاعر، قال الحافظ أبو طاهر السلفي في معجم الشعراء: أنشدني أبو القاسم ذربان بن عتيق بن تميم الكاتب قال: أنشدني أبو حفص الزكرمي بإفريقية، قاله بالأندلس وقد طولب بمكس (١) يتولاه يهودي

يا أهل دانية لقد خالفتم
حكم الشريعة والمروءة فينا

مالي أراكم تأمرون بضد ما
أمرت تُرى (٢) نسخ الإله الدينا

كنا نطالب لليهود بجزية (٣)
وأرى اليهود بجزية طلبونا

(١) المكس: دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق. والظلم، والمماكسة في البيع: المشاقة — (٢) ترى: مبني للمجهول: أي تظن

(٣) الجزية: الإتاوة التي تؤخذ من أهل الذمة

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ما ذكره ياقوت

ما إن سمعنا مالكا أفتى بذا
كلا ولا من بعده سحنونا

لا هؤلاء ولا الأئمة كلهم
حاشاهم بالمكس قد أمرونا

أيجوز مثلي أن يمكس عدله (١)
لو كان يعدل وزنه قاعونا (٢)

ولقد رجونا أن ننال بعدلكم
رفدا (٣) يكون على الزمان معينا

فالآن نقنع بالسلامة منكم
لا تأخذوا منا ولا تعطونا

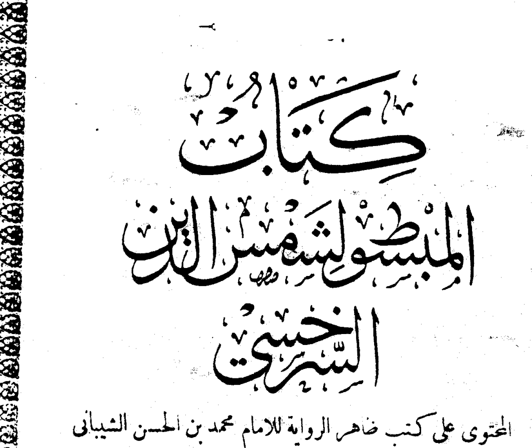
﴿ ٢٦ — حَفْصَةُ بِنْتُ الْحَاجِّ الرَّكُونِيِّ * ﴾

حفصة بنت الحاج الركوني

شاعرة أديبة من أهل غرناطة، مشهورة بالحسب

(١) العدلة: الحمل والجوالق — (٢) قاعون: اسم جبل بالأندلس قرب دانية شاهق يرى من مسيرة يومين. (٣) الرفد: العطاء

(*) ترجم لها في كتاب الأعلام جزء أول صفحة ٢٦٥ بأن قال: هي شاعرة انفردت في عصرها بالتفوق في الأدب والظرف والحسن وسرعة الخاطر بالشعر. وهي من أهل غرناطة. ووفاتها بمراكش. عشقها ابن —



المحتوى على كتب ظاهر الرواية للامام محمد بن الحسن الشيبانى

عن الامام الاعظم أبي حنيفة رحمهم الله تعالى ونفع بهم

هذا الكتاب رقى علا وبجمعه * فاق السرخسي سائر الاقران

وتكاملت فيه قواعد مذهب * لابى حنيفة ذى التقى النعمان

نشر التعامل والعبادة نشره * فى كل آونة وكل مكان

[illegible]لا ومتمة القضاة مقاله * وأئمة الافتاء والعرفان

(تنبيه) قد باشر حضرة العلامة الفاضل الجهبذ الشهير الشيخ محمد راضى الحنفى تصحيح هذا الكتاب بمساعدة جماعة من ذوى الدقة من أهل العلم والله المستعان وعليه التكلان

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية

﴿قال﴾ وليس على التاجر زكاة مسكنه وخدمه ومركبه وكسوة أهله وطعامهم وما يتجمل به من آنية أو لؤلؤ وفرس ومتاع لم ينو به التجارة لان نصاب الزكاة المال النامي ومعنى النماء في هذه الاشياء لا يكون بدون نية التجارة وكذلك الفلوس يشتريها للنفقة فانها صفر والصفر ليس بمال الزكاة باعتبار عينه بل باعتبار طلب النماء منه وذلك غير موجود فيما اذ اشتراه للنفقة . وذكر بشر بن الوليد عن أبي يوسف رحمه الله تعالى أن الصباغ اذا اشترى العصفر والزعفران ليصبغ بهما ثياب الناس فعليه فيهما الزكاة لان ما يأخذه عوض عن الصبغ القائم بالثوب ألا ترى أن عند فساد العقد يصار الى التقويم فكان هذا مال التجارة بخلاف القصار اذا اشترى الحرض والصابون والقلى لان ذلك آلة عمله فيصير مستهلكا ولا يبقى في الثوب عينه فما يأخذ من العوض يكون بدل عمله لا بدل الآلة ونخاس الدواب اذا اشترى الجلال والبراقع والمقاود فان كان يبيعها مع الدواب فعليه فيها الزكاة وان كان يحفظ الدواب بها ولا يبيعها فليس عليه فيها الزكاة اذا لم ينو التجارة عند شرائها ثم لا خلاف ان نية التجارة اذا اقترنت بالشراء أو الاعارة صار المال للتجارة لان النية اقترنت بعمل التجارة ولو ورث مالا فنوي به التجارة لا يكون للتجارة لان النية تجردت عن العمل فالميراث يدخل في ملكه من غير صنعه ولو قبل الهبة والوصية في مال بنية التجارة عند أبي يوسف رحمه الله تعالى يكون للتجارة وعند محمد رحمه الله تعالى لا يكون للتجارة وكذلك في المهر وبدل الخلع والصلح عن دم العمد فمحمد رحمه الله تعالى يقول نية التجارة لا تعمل الا مقرونة بعمل التجارة وهذه الاسباب ليست بتجارة وأبو يوسف رحمه الله تعالى يقول التجارة عقد اكتساب المال فما لا يدخل في ملكه الا بقبوله فهو كسبه فيصح اقتران نية التجارة بفعله كالشراء والاجارة ﴿قال﴾ وما كان عنده من المال للتجارة فنواه للمهنة خرج من أن يكون للتجارة لانه نوى ترك التجارة وهو تارك لها للحال فاقترنت النية بالعمل وان كان عنده عبيد للخدمة فنوى التجارة لم تكن للتجارة ما لم يبعهم لان النية تجردت عن عمل التجارة وهو نظير المسافر ينوي الاقامة فانه يصير مقيما والمقيم ينوي السفر فلا يصير مسافرا ما لم يخرج الى السفر والله أعلم بالصواب

باب العشر

﴿قال﴾ رحمه الله العاشر من ينصبه الامام على الطريق ليأخذ الصدقات من التجار وتأمن التجار بمقامه من اللصوص وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أراد أن يستعمل أنس بن مالك رحمه الله تعالى على هذا العمل فقال له أتستعملني على المكس من عملك فقال ألا ترضى أن أقلدك ما قلدنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى روى من ذم العشار محمول على من يأخذ مال الناس ظلما كما هو في زماننا دون من يأخذ ماهو حق وهو الصدقة اذا عرفنا هذا فنقول العاشر يأخذ مما يمر به المسلم عليه الزكاة اذا استجمعت شرائط الوجوب لأن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما نصب العشار قال لهم خذوا مما يمر به المسلم ربع العشر ومما يمر به الذمى نصف العشر فقيل له فكم نأخذ مما يمر به الحربى فقال كم يأخذون منا فقالوا العشر فقال خذوا منهم العشر . وفي رواية خذوا منهم مثل ما يأخذون منا فقيل له فان لم يعلم كم يأخذون منا فقال خذوا منهم العشر وان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب الى عماله بذلك وقال أخبرني به من سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم المسلم حين أخرج مال التجارة الى المفاوز فقد احتاج الى حماية الامام فيثبت له حق أخذ الزكاة منه لأجل الحماية كما في السوائم يأخذ الامام الزكاة لحاجته الى حمايته وكما ان المسلم يحتاج الى الحماية فكذلك الذمى بل أكثر لأن طمع اللصوص في أموال أهل الذمة أكثر وأبين ﴿قال﴾ ومايؤخذ من المسلم اذا وجب أخذه من الكافر يضعف عليه كصدقات بنى تغلب فأما أهل الحرب فالأخذ منهم على طريق المجازاة كما أشار اليه عمر رضى الله تعالى عنه ولسنا نعنى بهذا أن أخذنا بمقابلة أخذهم فأخذهم أموالنا ظلم وأخذنا بحق ولكن المراد أنا اذا عاملناهم بمثل ما يعاملوننا به كان ذلك أقرب الى مقصود الأمان واتصال التجارات واذا لم نعلم كم يأخذون منا نأخذ منهم العشر لأن حال الحربي مع الذمي كحال الذمى مع المسلم فان الذمى منا داراً دون الحربى فكما يُضعَّف على الذمى مايؤخذ من المسلم فكذلك يضعف على الحربى مايؤخذ من الذمى ﴿قال﴾ فان مر على العاشر بأقل من مائتى درهم لم يأخذ منه شيئاً وان علم أن له في منزله مالا لان حق الأخذ انما يثبت باعتبار المال الممرور به عليه لحاجته الى الحماية وهذا غير موجود فيما في بيته وما مر به عليه لم يبلغ نصاباً وهذا اذا كان المار مسلماً أو ذمياً وقال

في الحربي في كتاب الزكاة هكذا وفي الجامع الصغير والسير الكبير قال الا ان يكونوا هم يأخذون من تجارنا من أقل من مائتي درهم فنحن نأخذ أيضاً حينئذ ووجهه ان الاخذ منهم بطريق المجازاة ووجه رواية كتاب الزكاة أن القليل عفو شرعاً وعرفاً فان كانوا يظلمونا في أخذ شيء من القليل فنحن لا نأخذ منهم ألا ترى أنهم لو كانوا يأخذون جميع الاموال من التجار لا نأخذ منهم مثل ذلك لان ذلك يرجع الى غدر الأمان واذا كان المرور به نصاباً كاملا أخذ من المسلم ربع العشر ومن الذمي نصف العشر ومن الحربي مثل ما يأخذون من تجارنا عشراً كان أو أقل أو أكثر ﴿قال﴾ فان ادعى المسلم ان عليه ديناً يحيط بماله أو ان حوله لم يتم أو انه ليس للتجارة صدقه على ذلك اذا حلف لانكاره وجوب الزكاة عليه وقد بينا مثله في السوائم وكذلك اذا قال هذا المال ليس لي صدقه مع يمينه ولم يأخذ منه شيئاً لان ثبوت حق الأخذ له اذا حضره المالك والملك فكما ان حضور المالك بدون الملك لا يثبت له حق الأخذ فكذلك حضور الملك بدون المالك ولان المستبضع فوض اليه التصرف في المال دون أداء الزكاة وليس للعاشر ان يأخذ غير الزكاة ﴿قال﴾ ويصدق الذمي أيضاً فيما يصدق فيه المسلم لانه من أهل دارنا فاما الحربي فلا يصدق على شيء من ذلك لانه ان قال لم يتم الحول ففي الأخذ منه لا يعتبر الحول لانه لا يمكن من المقام في دارنا حولا واذ قال على دين فالدين الذي وجب عليه في دار الحرب لا يطالب به في دارنا وان قال ليس للتجارة فهو ما دخل دارنا الا لقصد التجارة فما معه يكون للتجارة الا ان يقول للغلام في يده هذا ولدي أو لجارية في يده هذه أم ولدي لان النسب يثبت في دار الحرب كما يثبت في دار الاسلام فامومية الولد تثبت بناء على نسب الولد فتنعدم المالية فيهما باقراره فلا يأخذ منه شيئاً فان قال المسلم دفعت صدقتها الى المساكين صدقه على ذلك لو حلف بخلاف السوائم لان في عروض التجارة كان الدفع الى المساكين مفوضاً اليه قبل المرور به على العاشر وفي السوائم كان حق الاخذ للامام ﴿قال﴾ ولا يأخذ العاشر مما يمر به المكاتب واليتيم وان كان وصيه معه لما بينا أنه انما يأخذ الزكاة ولا تجب الزكاة في كسب المكاتب ولا في مال اليتيم ﴿قال﴾ واذا أخبر التاجر العاشر أن متاعه مروي أو هروي واتهمه العاشر وفي فتحه ضرر عليه حلفه وأخذ منه الصدقة على قوله لانه ليس له ولاية الاضرار به وقد نقل عن عمر رضي الله عنه أنه قال لعماله لا تفتشوا على الناس متاعهم ثم لو أنكر وجوب الزكاة فيه

صدقه مع اليمين فكذلك لو أنكر الزيادة ﴿قال﴾ والتغلبي والذمي في المرور على العاشر سواء لان الصلح مع بني تغلب على ان يؤخذ منهم ضعف ما يؤخذ من المسلم فلا تجوز الزيادة عليه ﴿قال﴾ وان أخذ من الحربي العشر لم يطالب به مرة أخرى ما دام في أرض الاسلام لما روي أن نصرانياً خرج بفرس من الروم ليبيعه في دارنا فأخذ منه العاشر العشر ثم لم يتفق له بيعه فلما عاد به ليدخل دار الحرب طالبه العاشر بعشره فقال اني كلما مررت عليك لو أديت اليك عشره لم يبق لي شيء فترك الفرس عنده وجاء الى المدينة فوجد عمر رضي الله عنه في المسجد مع أصحابه ينظرون في كتاب فوقف على باب المسجد فقال انا الشيخ النصراني فقال عمر وأنا الشيخ الحنفي فما وراءك فقص عليه القصة فعاد عمر الى ما كان فيه فظن أنه لم يلتفت الى كلامه فرجع عازما على أداء العشر ثانيا فلما انتهى الى العاشر اذا كتاب عمر سبقه انك ان أخذت مرة فلا تأخذ مرة أخرى ﴿قال﴾ النصراني ان دينا يكون العدل فيه بهذه الصفة لحقيق أن يكون حقا فاسلم ولان تجدد حق الأخذ باعتبار تجدد الحول والحربي لا يتمكن من المقام في دارنا حولا قال في الكتاب الا أن يتجدد الحول ومراده اذا لم يعلم الامام بحاله حتى حال الحول فحينئذ يأخذ منه ثانيا لتجدد الحول كما يأخذ من الذمي ﴿قال﴾ فان رجع الى دار الحرب ثم عاد عشره ثانية وان كان في يومه ذلك لانه بالرجوع التحق بحربي لم يدخل دارنا قط. ألا ترى انه في الدخول يحتاج الى استئمان جديد ولان الأخذ منه لاجل الأمان وقد انتهى ذلك برجوعه فدخوله ثانيا يكون بامان جديد فلهذا يأخذ منه ﴿قال﴾ واذا مر العبد بمال مولاه يتجر به لم يأخذ منه العشر الا أن يكون المولى حاضرا أما اذا كان المال بضاعة في يد العبد للمولى فهو غير مشكل كما لو كان بضاعة مع أجنبي واما ان كان المال كسب العبد وهو مأذون فان كان عليه دين يحيط به فلا زكاة عليه فيه وان لم يكن عليه دين فان كان المولى معه يأخذ منه الزكاة وان لم يكن المولى معه ففي كتاب الزكاة يقول لا يأخذ منه الزكاة ثم رجع وقال لا يأخذ منه شيئاً. وفي الجامع الصغير يقول يأخذ منه ربع العشر في قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى ولا يأخذ منه في قولهما وفي المضارب اذا مر على العاشر بمال المضاربة كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقول أولا يأخذ منه الزكاة ثم رجع وقال لا يأخذ منه شيئاً وهو قول أبي يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى ولا أعلمه رجع في العبد أم لا وقياس قوله الثاني في المضارب يوجب أن لا يأخذ من العبد شيئاً أيضاً. وجه قوله الاول

عمار بن خيرم

فتح العلي المالك

في

الفتوى على مذهب الإمام مالك

رضى الله عنه

تأليف

سلالة سيد قريش

أبي عبد الله الشيخ محمد أحمد عليش

المتوفى سنة ١٢٩٩ هـ

وبهامشه :

- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام

للقاضي برهان الدين إبراهيم بن علي بن أبي القاسم

ابن محمد بن فرحون المالكي المدني

المتوفى سنة ٧٩٩ هـ

الطبعة الأخيرة

١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م

ملتزم الطبع والنشر

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

تترقف عن الإقرار والانكار من أجل أنه على غير يقين من الأمر فإن حلف قيل للطالب أثبت حقك وإن نكل المطلوب عن اليمين
فاختلف فقيل يجبر على الإقرار أو الانكار وقيل إنه يقضى للطالب مع يمينه وقيل يقضى له بغير يمين وإلى هذا ذهب محمد بن المواز وفي الطرر
لابن عات قال المشاور ولا يوقف المدعى عليه على الجواب إلا بعد إثبات المدعى موت من يقوم عنه وعدة ورثته وتناسخ الوارثات فإن لم يثبت
ذلك لم يكن له يمين على المطلوب لأنه حجة له في أن يقول إن أباك أو جدك أو من تقوم عنه حي وسيقوم ويقر أنه لاحق له عندي أو
يطلبني إن كان له عندي حق فيلزمني به قال وكذلك إن قام الورثة بديون له أو ودائع أو غير ذلك قلت فإن قال أنا ثابت أنت عالم بموته وعدة
ورثته قال وإن أقر بذلك لم

يقبل قوله لما في ذلك من إلزام الحقوق وتوريث زوجته وتزويجها وإنفاذ وصاياه
وغير ذلك ولا يمين عليه
في شيء من ذلك وإنما هو
شاهد بذلك لا مقر وله أن
يقول أيضا مع ذلك قد
يقدم صاحبكم فيأخذوني
بحقه مرة أخرى وقد قال
أحمد بن ميسر من أقر
بقتل رجل لم يؤخذ به لما في
ذلك من توريث وتزويج
زوجته وإنفاذ وصاياه وغير
ذلك (مسألة) إذا ادعى
رجل قبل رجل حقوقا
وكشفه عن بعضها وسأله
الجواب عما كشفه عنه
فقال له المطلوب اجمع
مطالبك كلها حتى أجيبك
لم يكن له ذلك وله أن يطلب
من حقوقه ما شاء ويترك
ما شاء وإن كان إنما قال له
هل لك في هذه القرية شيء
غير الابتياع الذي قمت به
علي فقال له خصمه جاوبني
عن الابتياع أولا فليس له
ذلك حتى يقول له ليس لي
دعوى غير الابتياع
وحينئذ يلزم المطلوب
بالاقرار أو الانكار قال المتيطي وهذا خلاف ما حكاه ابن أبي زمنين في التفرقة بين المواريث وغيرها
لأن المواريث لا يحاط بها فيلزم المدعى عليه الجواب على ما ادعى عليه منها بخلاف غير المواريث لا يلزم المدعى عليه الجواب حتى
يجمع المدعى دعاويه كلها (مسألة) قال محمد من ادعى بستين دينارا فأقر خصمه بخمسين وأبى في العشرة أن يقر أو ينكر فإنه يجبر
بالحبس حتى يقر أو ينكر إذا طلب ذلك المدعى فإن أصر على الامتناع والتمادي عليه حكم عليه بغير يمين قال محمد لأن كل مدعى
عليه لا يدفع الدعوى فإنه يحكم عليه بغير يمين قال وكذلك المدعى عليه يدور في يده لا يقر ولا ينكر فإذا أجبر على ذلك فتمادى حكم
عليه للمدعي بلا يمين (مسألة) لو قال المد

الزكاة فهل يسوغ له أن ينوى به الزكاة وتسقط عنه أم لا :

فأجبت بما نصه . الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله لا يسوغ له نية الزكاة
به وإن نواها لا تسقط عنه كما أفتى به الناصر اللقاني والحطاب وقد سئلا عمن تقدم له سلع من
الهند ونحوه فيبيع بعضها لدفع المكس من ثمنه فهل فيه زكاة ويحسب عليه أم تسقط الزكاة
عنه وقد يأخذون سلعا في العشور فأجاب الأول بقوله ما ألجئ إلى بيعه لمكس لا تسقط الزكاة
عنه بذلك وأجره فيما ظلم فيه على الله تعالى . وأجاب الثاني بأنهم إن أخذوا سلعا فلا يلزمه تقويمها
وإن ألزم بالبيع وقبض الثمن ودفعه إليهم أن يزكى عنه اه وبحث البدر بأن جبره على البيع
وقبض الثمن كجبره على أخذ السلع لأن الإكراه على سبب البيع كالإكراه عليه كما صرحوا
به فيه . وسئل البدر القرافي عمن دفع له السلطان فضة وأخذ منه صرفها ذهبا وصرفه زائد
عليها فهل تحسب له الزيادة من الزكاة التي عليه : فأجاب بعدم حسبها منها قال الأجهوري
وهو ظاهر وإنما التوقف في أنه يزكى الزيادة أولا وظاهر فتوى الناصر والحطاب الأول لكن
في شرح السوداني كل ما أخذه الظالم لا زكاة فيه كالجائحة وفي مختصر البرزلي ما يأخذه المستوهب
فان دفع ذلك لخوف منه مثل أن يكون من خدمة الأمراء أو العرب فهو بمنزلة الجائحة لا زكاة
فيها وإلا زكى قال البناني قال بعض شيوخنا الذي قاله السوداني والبرزلي هو الصواب إن شاء
الله تعالى ويوافقه بحث البدر الذي قدمه اه .

(ما قولكم) فيمن خرص الحاكم زرعه في سنبله وقت حصاده وأخذ عشره باسم الزكاة
وزاد الحب على تخريصه فهل يلزمه إخراج عشر الزائد .

فأجبت بما نصه . الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله نعم يلزمه إخراج
عشر الزائد إن سقى بلا آلة وإن سقى بها فنصف عشره قال في المجموع وإن زادت على خرص
عارف وجب الإخراج انتهى :

(ما قولكم) في الكاغد الذي فيه ختم السلطان ويتعامل به كالدراهم والدنانير هل يزكى
زكاة العين أو العرض أو لا زكاة فيه :

فأجبت بما نصه : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله لا زكاة فيه لانحصارها
في النعم وأصناف مخصوصة من الحبوب والثمار والذهب والفضة ومنهما قيمة عرض المدير وثمن
عرض المحتكر والمذكور ليس داخلا في شيء منها ويقرب لك ذلك أن الفلوس النحاس المختومة

يسأل عن ذلك الطالب فإن بين وجه طلبه وقف على ذلك المطلوب وألزم أن يقر أو ينكر وإن أبى الطالب أن يبين سبب دعواه
وادعى نسيانه قبل ذلك منه بغير يمين وألزم المطلوب أن يقر أو ينكر ، وقال القاضي أبو الوليد الباجي القياس عندي أن لا يوقف
المطلوب حتى يحلف الطالب أنه لا يذكر ما يدعيه إذ لعله بذكر السبب يجد مخرجا وإن امتنع من ذكر السبب من غير أن يدعي
نسيانا لم يسأل المطلوب عن شيء . (مسألة) إذا طالبت المرأة زوجها أن يقر بصداقها ففي أحكام ابن سهل قال أبو صالح
لا بد للمسئول أن يقر أو ينكر ويلزم بذلك . وأما إباحة النكاح فإن قوله في ذلك إن كان الزوجان غريبين وتقاررا على ذلك
قبل قولهما وإن كانا من أهل البلد لم يقض القاضي بقولهما أنهما

زوجان إلا عن ثبات أصل النكاح
وهذا يؤيد ما أوردته على
كلام ابن شاس في قبول
دعوى الزوجية وقد تقدم
في الفروع التي تتعلق
بأحكام الدعوى :
(مسألة) وإذا امتنع
المطلوب من الاقرار
والانكار وقال أنا آتيه
بوكيل يجاوبه عني ففي
ذلك ثلاثة أقوال الالزام
بأن يقر أو ينكر ويقال
له قل الآن ما تريد أن تأمر
به وكيلك قال أبو الأصبغ
ابن سهل وهو الصحيح
عندي وقال ابن الهندي
يمكن والثالث التفرقة
فإن كانت الدعوى قريبة
المعنى أمر بالجواب ثم وكل
فإن أبى حمل عليه الأدب
وإلا فله ذلك وبه العمل :
(فصل) لو ادعى على
رجل بملك فكان إنكاره
باقراره به لغيره كقوله
ليس لي فيه شيء وإنما هو
وقف على الفقراء أو على
ولدي أو هو لطفل ممن
فيقال للمدعي أثبت أنه لك فإن هذا لا ينزعك فيه إلا أن يثبت المدعى عليه ما ذكره من ذلك فتقف المخاصمة على حضور
من ثبت له عليه الولاية ولو قال ليس هو لي أو هو لمن لا أسميه لم يمنع المدعي ذلك من تمام المحاكمة ولو قال هو لفلان وفلان
حاضر في البلد فحضر وادعى به فللمدعي أن يحلف المقر له فإن نكل حلف المدعي وأخذه وإن حلف المقر له فللمدعي أن
يحلف المقر لأنه أتلفه عليه بإقراره فإن نكل حلف المدعي وأخذ من المقر قيمة المقر به . أما لو أضافه إلى ملك غائب فإن أثبت
ذلك ببينة انصرفت الخصومة عنه إلى الغائب وإن لم يثبت ذلك لم يصدق وحلف المقر له فإن نكل أخذه المدعي بغير يمين فإن

بختم السلطان المتعامل بها لا زكاة في عينها لخروجها عن ذلك . قال في المدونة : ومن حال الحول
على فلوس عنده قيمتها مائتا درهم فلا زكاة عليه فيها إلا أن يكون مديرا فيقومها كالعروض انتهى
وفي الطراز بعد أن ذكر عن أبي حنيفة والشافعي وجوب الزكاة في عينها واتفاقهما على تعلقها
بقيمتها ، وعن الشافعي قولين في إخراج عينها . قال والمذهب أنها لا تجب في عينها إذ لا خلاف أنه
لا يعتبر وزنها ولا عددها وإنما المعتبر قيمتها فلو وجبت في عينها لاعتبر النصاب من عينها
ومبلغها لا من قيمتها كما في عين الورق والذهب والحبوب والثمار فلما انقطع تعلقها بعينها
جرت على حكم جنسها من النحاس والحديد وشبهه والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وسلم :

(ما قولكم) فيمن ملك مركبا أجرتها في العام لا تكفي قوته فيه وإذا باعها كفاه ثمنها فهل هو
غني لا يستحق الزكاة بوصف الفقر :

فأجبت بما نصه : نعم هو غني لا يستحقها به إذ المركب تباع على المفلس في الدين . قال
في المدونة . وإن كان فيهما يعني دار السكنى والخادم فضل لم يعط : قال أبو الحسن يريد
فضلا يغنيه لو باعهما واشترى غيرهما انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وسلم :

(ما قولكم) في مستحق للزكاة عاجز عن السفر لمحل وجوبها وكل شخصا سافر مع رب المال
لمحل وجوبها على أن يأخذ له أو وكل رب المال ليأتيه بشيء من الزكاة عوضا عنه فهل يجوز
للوكيل أو لرب المال الإتيان له بشيء من الزكاة أم لا :

فأجبت بما نصه . الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله لم أر في هذه المسألة
نصا ويتخرج فيها الخلاف بين المتأخرين فيمن سافر لموضع وجوبها لأخذها فإن الوكيل كالأصيل
فأفتى السيوري والغبريني بأنه لا يعطى وأفتى أكثر شيوخ البرزلي أنه يعطى واختاره البرزلي والله
سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم :

(ما قولكم) فيمن جزأ معشره فتا عشرة أجزاء وخير المستحق في واحد فأخذ واحدا منها
فهل يجزئه في الزكاة أفيدونا الجواب :

فأجبت بما نصه : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله نعم أجزأه ما أخذه
المستحق فيها . الحطاب لو أخرج زكاة الزرع بعد طيبه وقبل جذاذه أجزأت على المشهور صرح

عند العقد وان كان أخذه على وجه السلف فليس لرب الدراهم إلا دراهمه والربح جميعه للمتسلف ولا عبرة بجعله جزءا من الربح لصاحب الدراهم فى هذه الحالة لأنه يؤول إلى سلف بزيادة وذلك ربا يحرم على المعطى والآخذ وإن اختلفا فى السلف والقراض فالقول لمدعى السلف والله سبحانه وتعالى أعلم . قوله إن كان أخذ المال على وجه القراض الخ محله إن لم يشترط رب المال على العامل أن يزرع ويعالج بيده ولم يجر العرف بذلك وإلا فالقراض فاسد للعامل أجرة مثله وجميع الربح لرب الدراهم قال الخرشى فى شرح قول المختصر وكأن يخيط أو يزرع المعنى أنه لا يجوز لرب المال أن يشترط عمل يد العامل والقراض فاسد مع الشرط المذكور للعامل أجرة مثله كما إذا اشترط عليه أن يزرع من مال القراض لأن ذلك زيادة زادها رب المال على العامل وهو عمله فى الزرع وأما إن كان على معنى أن ينفق المال فى الزرع من غير أن يعمل بيده فلا يمتنع الا أن يكون العامل ممن لا وجاهة أو يكون الزرع مما يقل فى تلك الناحية انتهى وأقره المحشى وتبعه فى المجموع ومعلوم أن العرف كالشرط والله سبحانه وتعالى أعلم (وسئل أيضا رضى الله تعالى عنه بما نصه) فى بلاد الأرياف بعضهم يأخذ من الآخر دراهم يشترى بها زبل حمام ليزرع به بطيخا ويجعل لرب الدراهم الثلث هل تكون شركة فاسدة وليس لرب الدراهم إلا مادفعه له والزرع لزارعه له ربحه وعليه خسره أم كيف الحال أفيدوا الجواب (فأجاب بما نصه) الحمد لله ان كان الرجل يأخذ الدراهم على أن ينفقها فى الزرع والربح بينهما فهذا قراض صحيح إن خسر فعلى رب المال وإن ربح فبينهما على مادخلا عليه وإن أخذ الدراهم يزرع بيده فهو قراض فاسد للعامل أجرة مثله والربح والخسر لرب المال وعليه والله أعلم ، وهذا الجواب هو الصواب والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ماقولكم) فى رجل أخذ من آخر مالا ليعمل فيه قراضا بجزء معلوم من ربحه فاشترى به غلاما ثم طلب العامل من رب المال مالا آخر يعمل فيه حكم الأول فأعطاه قدرا من الدراهم وحاله ليبيعها ويضم ثمنها للقدر المذكور ويجعل الجميع رأس مال ثم اشترى به جانبا من الحرير وأعطاه لشخص آخر لأجل أن ينفذه له من المكاسين فضاع ذلك الحرير منه ثم حصل توافق من رب المال مع العامل على أنه يلتزم له ماقد ضاع فالتزمه له وحسبه رب المال على المال الأول بعد نضوضه وجعل الجميع رأس مال للقراض ولم يزل يعمل فيه العامل ويربح ويأخذ رب المال مايخصه فى ربح الجميع فهل إذا أراد العامل أن يرجع عما التزمه وأن يرجع فيما يخص ذلك من الربح يجاب لذلك أو كيف الحال أفيدوا الجواب .

فأجبت بما نصه : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ليس للعامل أن يرجع عما التزمه لأنه لازم له ولو لم يلتزمه لتعديه على المال وتعريضه للضياع بدفعه لمن ينفذه من المكاسين فان ذلك تغرير بالمال إذ يغلب اطلاعهم عليه وأخذهم جميعه أو قدر مكسه مرتين كما هو مشاهد فلا يجاب العامل للرجوع فيما التزمه ولا فيما يخصه من الربح قال فى المجموع ومن أخذ من رأس المال شيئا أو جنى عليه اتبع أيا كان ورأس المال ما بقى ولا تجبر الجناية بالربح أصلا على الصواب كما فى الرماصى خلافا لما فى الخرشى اهـ والله سبحانه وتعالى أعلم . وبقى النظر فى حكم

معروفا بذلك ففيه نظر فينبغى أن يقال لايكشفوا عن ذلك ولا يطلبوا تحقيق الشهادة لما ندبوا إليه من الستر فينبغى التجاوز عنهم الا أن يقال إنهم يحققون الشهادة لاحتمال أن يقذفه شخص فيقومون بالشهادة لدرء الحد عنهم والستر أولى لأن مراعاة قذفه من النادر الوقوع (فرع) ومن مجموعة قال ابن القاسم وأشهب وعبد الملك وإذا سأل الحاكم الشهود عن صفة الزنا فأبوا ولم يزيدوا على أن يشهدوا عليه بالزنا ترد شهادتهم وليحدوا قال ابن القاسم لا يحدون إلا بعد كشف الشهادة قال ابن القاسم لا تحد الشهود عليه الا بعد كشف شهادتهم حتى يدل تفسيرهم أنه الزنا ويقولون مثل المرود فى المكحلة فان استراب من غير العدل سأله عن غير هذا مما يرجو فيه بيانا من اختلاف شهادته . (فرع) وقيل لابن القاسم أترى للقاضى أن يمسك الكتاب الذى فيه شهادات الشهود ويقول لهم أخبرونى بشهادتكم قال لا وليس كل الناس يعرف شهادته حتى يقرأها ويذكرها فإذا عرف شهد ولو قرأها فقيل له استظهرها ماقدر وما كان ذلك عليه . (مسئلة) شهادات الاسترعاء لابد أن يكون الشهود يستحضرونها إذا كانت الوثيقة مبنية على معرفة الشهود لذلك وذلك فى عقود الاسترعاء التى يكتب فيها يشهد المسمون فى هذا الكتاب من الشهود أنهم يعرفون كذا وكذا فان رأى الحاكم ريبة توجب تثبيت فينبغى أن يقول لهم الشهود يحفظون ذكروا شهادتهم بألسنتهم على مافى الوثيقة جارت وإلا ردها وأيسر فكل موضع ينبغى أن يفعل هذا ولا بكل الشهود وإنما ينبغى أن يفعله من يخشى عليه الخديعة قال القاضى أبو بكر بن زرب وربما فعلته (فرع) وأما إذا كانت

دفع

دفع المال الثانى مع الحمارة للعامل ابتداء وبعد الوقوع أما الأول فالمنع لانتفاء شرط كون رأس المال كله نقدا مسكوكا وأما الثانى فللعامل أجرة مثله فى توليه بيع الحمارة وقراض مثله فيما يخص ثمنها من الربح وبقى النظر أيضا فى حكم ضم ما التزمه العامل للمال الأول بعد نضوضه وهو المنع إن نض الأول زائدا بربح أو ناقصا بخسر لتهمة الترغيب بالملتزم فى الربح أو جبر الخسر والجواز إن نض مساويا قال فى المجموع ولا يصح القراض بعرض كثمنه إن باعه العامل وله أجر مثله فى توليه البيع ثم قراض المثل ثم قال وجاز دفع مالين معا أو متعاقبين قبل الشغل بالأول وإن شرط الخلط فى اختلاف جزئهما تولا واحدا بر وإنفاقه على الراجح كما فى الرماصى كبعده أى دفع الثانى بعد شغل الأول جاز إن اتفق الخلط بالفعل وشرطه فإن نض الأول مساويا فعلى ماسبق إن دفع ثانيا من التفصيل لأنه كابتداء قراض وإلا بأن نض أزيد أو ناقصا منع لتهمة الترغيب بالثانى فى الربح أو جبر الخسر اهـ بتصرف .

(ماقولكم) فيمن دفع لابنه وأجنبى دراهم ليعملا فيها قراضا بجزء الربح ثم بعد العمل دفع الأجنبى جميع المال للابن ماعدا حصة الأجنبى من الربح ثم عارض الابن لصوص أخذوا منه المال فهل لاضمان على الأجنبى .

فأجاب أبو البركات الدردير رحمه الله تعالى بقوله : الحمد لله إن كان الرجل وكل ابنه فى قبض المال من الأجنبى فلا ضمان على الابن ولا على الأجنبى وإن لم يوكله على قبضه فالأجنبى مفرط فى دفع المال للابن والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ماقولكم) فيمن أخذ دراهم من آخر ليعمل بها والربح بينهما واشترى بها سلعا وأراد التوجه بها إلى المحروسة وشاع على ألسنة الناس أن هذه السلعة لاتربح فطلب رب المال العامل وقال له مالى سلف فى ذمتك وليس لى معك فى الربح شىء فإن ربح المال فهو لك وإن خسر فهو عليك فرضى العامل بذلك وكتبت بينهما وثيقة به والعامل يجهل الحكم الشرعى وخسر المال فهل لا يعمل بتلك الوثيقة ويكون الخسر على رب المال خاصة ولا يلزم العامل شىء أم كيف الحال أفيدوا الجواب .

فأجاب أخونا الشيخ أحمد الصعيدى رحمه الله تعالى بقوله : الحمد لله عقد القراض من العقود الجائزة ولا يلزم إلا بالعمل فلكل من رب القراض وعامله تركه والخروج عن نفسه قبل العمل فإن حصل عمل بأن اشترى العامل سلعا فى الحضر بالمال أو ظعن فى السفر لزم وليس لأحدهما الفسخ فإن اتفقا معا على الفسخ جاز إذا علمت ذلك فقول رب المال للعامل مالى فى ذمتك سلف ولا شىء لى فى السلع فرضى العامل بذلك رضا منهما بالفسخ وحينئذ فالسلع للعامل والخسر عليه والله تعالى أعلم . وهذا ظاهر إن كان العامل يعلم الحكم لكن الغرض أنه جاهل به وأنه ما التزم السلع إلا لكونه يعتقد أنها تلزمه فالظاهر أنه إن كان ممن يظن به الجهل بذلك وحلف عليه فالخسر كله على رب المال ولا عبرة بالوثيقة ولا يلزم العامل شىء منه كما يفيده جواب شيخنا أبى يحيى المتقدم والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

الوثيقة منعقدة من إشهاد الشهود كالصدقة والابتياع ونحو ذلك فلا ينبغى أن تؤخذ الشهود بحفظ مافى الوثيقة وحسبهم أن يقولوا إن شهادتهم فيها حق وأنهم يعرفون من أشهدهم ولا يمسك القاضى الكتاب ويسألهم عن شهادتهم من أحكام ابن سهل (مسألة) وفى النادر إذا وقع فى الوثيقة بشر أو ضرب أو محو فى غير موضع نعدد مثل عدد الدنانير أو أجلها أو تاريخ الوثيقة لم يضر الوثيقة ولا يوهنها وإن لم يعتذر منه وإن كان فى تلك المواضع سئلت البينة فان حفظت الشىء بعينه الذى وقع فيه ذلك من غير أن يروا الوثيقة مضت وسئلوا عن البشر إذا كان فيها فإن حفظوه مضت أيضا وإن لم يحفظوه سقطت الوثيقة (مسألة) وإذا شهدت بينة لرجل أنه كفء ليتيمة أراد نكاحها لم يكن للحاكم أن يسألهم من أين علموا ذلك ووجب نكاحها منه من ابن سهل (مسألة) ولا ينبغى للقاضى أن يفرق الشهود إلا عن تهمة ويفعله فى رفق كشفا رفيقا عن كل مايريد حتى تصح له براءتهما من تهمة أو تحق الريبة عليهما فيبطل شهادتهما قاله ابن عبد الحكم (فرع) قال ابن القاسم كل الشهود لا يسألون ولا يفرقون إن كانوا عدولا إلا الشهود على الزنا فإنهم يفرقون ويسألون . وقال أشهب لا يفرق بين الشهود فى حد ولا غيره إلا أن يستراب من شهادتهم فله أن يستدل على صحة ذلك بالتفرقة بينهم وفى تنبيه الحكام أن القاضى إذا استراب من الشهود كشف عن حقيقة شهادتهم به فان ظهر له حقيقة ماتوهم عمل على ماظهر له مما يقتضيه موجب الشرع وإن لم يظهر له شىء وعظهم وخوفهم بالله وذكرهم إن رأى لذلك محلا . (مسألة) إذا شهدت البينة أن فلانا افترى على فلان أو شتمه أو آذاه أو سفهه فلا يجوز ذلك حتى

المختصر في أخبار البشر

تأليف
عماد الدين إسماعيل أبي الفداء
المتوفى سنة ٧٣٢ هجرية

حلب الغريبة حتى على رحى بظاهر باب الجنان بينها وبين سور حلب عرض الطريق وأظن ان اسمها الغريبة وكان أهل حلب معهم في ضيق شديد فسار عماد الدين اليه ونازله وجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وقصدوا عماد الدين فرحل عماد الدين عن الأثارب وسار الى ملتقاهم فالتقوا واقتتلوا أشد قتال ونصر الله المسلمين وانهزم الفرنج ووقع كثير من فرسانهم في الاسر وكثر القتل فيهم ولما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الاثارب فأخذوه عنوة وقتلوا وأسروا كل من فيه وخرب عماد الدين في ذلك الوقت حصن الاثارب المذكور وجعله دكا وبقي خرابا الى الآن

(ذكر وفاة الآمر بأحكام الله العلوى)

(في هذه السنة) في ذى القعدة قتل الآمر بأحكام الله العلوى أبو على منصور بن المستعلى أحمد بن المستنصر معد العلوى صاحب مصر وكان قد خرج الى متنزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما وعمره أربعا وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدى عبيد الله وهو العاشر من الخلفاء العلويين ولما قتل الآمر لم يكن له ولد فولى بعده ابن عمه الحافظ عبد المجيد بن أبى القاسم بن المستنصر بالله ولم يبايع أولا بالخلافة بل كان على صورة نائب لانتظار حمل ان ظهر للآمر ولما تولى الحافظ استوزر أباعلى أحمد بن الافضل بن بدر الجمالى فاستبد بالامر وتغلب على الحافظ وحجر عليه ونقل أبو على ما كان بالقصر من الاموال الى داره ولم يزل الامر كذلك الى ان قتل أبو على سنة ست وعشرين على ماسنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) كان الرصد في دار السلطنة شرقى بغداد تولاه البديع الاسطرلابى ولم يتم ﴿ وفي هذه السنة ﴾ ملك السلطان مسعود قلعة الموت ﴿ وفيها ﴾ توفي ابراهيم ابن عثمان بن محمد الغزى عند قلعة بلخ ودفن فيها وهو من أهل غزة ومولده سنة احدى وأربعين وأربعمائة وهو من الشعراء المجيدين فمن قصائده المشهورة قصيدته التى مدح فيها الترك التى أولها

امط عن الدرر الزهر اليواقيتا ... واجعل [illegible]ج تلاقينا مواقيتا

ومنها

في فتية من جيوش الترك ماتركت ... للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا

قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة ... حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

ثم ترك الغزى قول الشعر وغسل كثيرا منه وقال

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب البواعث والدواعى مغلق

خلت البلاد فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن

ومن العجائب انه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة ﴾ فيها أسر دبيس بن صدقة وسبب ذلك مسيره من العراق الى صرخد لان صرخد كان صاحبها خصيا وكانت له سرية فتوفي الخصى في هذه السنة واستولت سريته على قلعة صرخد وما فيها وعلمت انه لايتم لها ذلك ان لم تتصل برجل يحميها فأرسلت الى دبيس بن صدقة تستدعيه للتزوج به وتسلم اليه صرخد وما فيها من مال وغيره فسار دبيس من العراق اليها فضل به الادلاء بنواحى دمشق فنزل بناس من كلب كانوا شرقى الغوطة فأخذوه وحملوه الى تاج الملوك تورى بن طغتكين صاحب دمشق في شعبان من هذه السنة فحبسه تورى وسمع عماد الدين زنكى بأسر دبيس فأرسل الى تورى يطلبه ويبذل له اطلاق ولده سونج ومن معه من الامراء الذين غدر بهم زنكى وقبضهم كما تقدم ذكره فأجاب تورى الى ذلك وافرج زنكى عن المذكورين وتسلم دبيس فأيقن دبيس بالهلاك لانه كان كثير الوقيعة في عماد الدين زنكى ففعل معه زنكى بخلاف ما كان يظن وأحسن الى دبيس وحمل اليه الاموال والسلاح والدواب وقدمه على نفسه ولم يزل دبيس مع عماد الدين زنكى حتى انحدر معه الى العراق على ماسنذكره ان شاء الله تعالى وسمع الخليفة المسترشد بقبض دبيس فأرسل يطلبه مع سديد الدولة ابن الانبارى وأبى بكر بن بشر الجزرى فأمسكهما عماد الدين زنكى وسجن ابن الانبارى ووقع منه في حق ابن بشر مكروه قوى ثم شفع المسترشد في ابن الانبارى فأطلقه

(ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود)

(في هذه السنة) في شوال توفي السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق بهمدان فاقعد وزيره أبو القاسم النساباذى ابنه داود ابن محمود في السلطنة وصار اتابكه الاقسنقر الاحمديلى وكان عمر السلطان محمود لما توفي نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته السلطنة اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما وكان حليما عاقلا يسمع المكروه ولا يعاقب عليه مع قدرته عليه

ذكر غير ذلك

(في هذه السنة) وثبت الباطنية على تاج الملوك تورى ابن طغتكين صاحب دمشق فجرحوه جرحين برئ أحدهما وبقى الآخر ينسر عليه الا انه يجلس للناس ويركب على ضعف فيه ﴿ وفيها ﴾ توفي حماد بن مسلم الرحبى الرباثى الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث وله أصحاب وتلاميذ كثيرة وكان أبو الفرج بن الجوزى يذمه وينابه

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة ﴾ فيها قتل أبو على بن الافضل بن بدر الجمالى وزير الحافظ لدين الله العلوى وكان أبو على المذكور قد حجر على الحافظ وقعد

وجماعة من أصحاب الرصد وابتدأ أمر السلطان الكبار بعمل مساكن لهم ببغداد بحيث اذا قدموا الى بغداد ينزلون فيها فتفرق شملهم بالموت والقتل بعد ذلك عن قريب (وفيها) توفي الامير ارتق ابن أكسك التركماني جد الملوك أصحاب ماردين مالكا للقدس منذ قدم الى تتش حسبما تقدم ذكره ولما توفي ارتق استقرت القدس لولديه ايلغازى وسقمان ابني ارتق الى ان سار الافضل أمير الجيوش من مصر وأخذ القدس منهما فسار ايلغازى وسقمان الى الشرق فكان منهما ماسنذكره ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة)

(ذكر استيلاء تتش علي حمص وغيرها)

كان السلطان ملكشاه قد أمر اقسنقر بمساعدة أخيه تتش على ملك الشام وما بأيدى خليفة مصر العلوى من البلاد فسار اقسنقر مع تتش ونزل على حمص وبها صاحبها خلف ابن ملاعب فملك تتش حمص وأمسك ابن ملاعب وولديه ثم سار تتش الى عرقة فملكها ثم سار الى فامية فملكها

(ذكر مقتل نظام الملك الحسن بن على بن اسحق)

وسببه انه حصل بين ملكشاه وبين نظام الملك وحشة فلما كان عاشر رمضان من هذه السنة بعد الافطار وهم بالقرب من نهاوند وقد انصرف نظام الملك الى خيمة حرمه وثب عليه صبي ديلمى في صورة مستمط وضرب نظام الملك بسكين فقضى عليه وأدرك أصحاب نظام الملك ذلك الصبي فقتلوه وحصل للعسكر بسبب مقتله شوشة فركب السلطان وسكن العسكر وكان نظام الملك قد كبر فان مولده سنة ثمان وأربعمائة وكان قتله بتدبير من السلطان ملكشاه ومات السلطان ملكشاه بعده بخمسة وثلاثين يوما على ماسنذكره ان شاء الله تعالى وكان نظام الملك من ابناء الدهاقين بطوس وماتت أم نظام الملك وهو رضيع فكان يطوف به والده على المرضعات فيرضعنه حسبة ثم انتشا نظام الملك وتعلم العربية وسمع الحديث ثم اشتغل بالاعمال السلطانية ولم يزل الدهر يعلو به حتى خدم طغريل بك وصار وزيره واستمر على وزارته ولما صار الملك الى الب أرسلان كان نظام الملك مع ابنه ملكشاه بن الب أرسلان وقام بأمره حتى صارت السلطنة الى ملكشاه فبلغ نظام الملك من المنزلة مالم يبلغه غيره من الوزراء وقرب العلماء وبنى المدارس في سائر الامصار واسقط المكوس وازال لعن الاشعرية من المنابر وكان قد فعله عميد الملك الكندرى كما تقدم ذكره وأوصافه كثيرة حسنة رحمه الله تعالى

(ذكر وفاة السلطان ملكشاه)

كان السلطان ونظام الملك قد سارا من بغداد في العام الماضى الى أصفهان فعادا من أصفهان

في هذه السنة متوجهين الى بغداد فقتل نظام الملك بالقرب من نهاوند كما ذكر وأتم السلطان السير ودخل بغداد في الرابع والعشرين من رمضان هذه السنة ثم خرج السلطان ملكشاه من بغداد الى الصيد وعاد ثالث شوال مريضاً بحمى محرقة وتوفي ليلة الجمعة نصف شوال وهو ملكشاه بن الب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق وكان مولده في سنة سبع وأربعين وأربعمائة وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ومن أقاصى بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن وحملت له ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وكانت أيامه أيام عدل وسكون وأمن فعمرت البلاد ودرت الارزاق وعمر الجامع ببغداد وعمل المصانع بطريق مكة وكان غاويا بالصيد وكان يتصدق بعدد كل وحش يصيده بدينار وصاد مرة صيدا كثيرا يزيد عن عشرة آلاف فتصدق بعشرة آلاف دينار

﴿ذكر ملك الملك محمود بن ملكشاه وحال أخيه بركيارق بن ملكشاه﴾

لما مات السلطان ملكشاه أخفت زوجته تركان خاتون موته وفرقت الاموال في الامراء وسارت بهم الى أصفهان واستحلفت العسكر لولدها محمود وعمره أربع سنين وشهور وخطب له في بغداد وغيرها وكان تاج الملك هو الذى يدبر الامر بين يدى تركان خاتون وأما أخوه بركيارق فانه هرب من أصفهان لما وصلت تركان خاتون اليها وانضم الى بركيارق النظامية لبغضهم تاج الملك لانه هو الذى سعى في نظام الملك حتى كان من قتله ما كان فقوى بركيارق بهم فأرسلت تركان خاتون عسكرا الى بركيارق والنظامية فاقتتلوا بالقرب من بروجرد فانهزم عسكر الخاتون وسار بركيارق في أثرهم وحصرهم بأصفهان وكان تاج الملك في عسكر تركان خاتون فأخذ أسيرا وأراد بركيارق الاحسان الى تاج الملك وأن يوليه الوزارة فوثبت النظامية عليه فقتلوه وكان تاج الملك المذكور ذا فضائل جمة وخرجت هذه السنة والامر على ذلك (ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة) فيها خرج من أصفهان الحسن بن نظام الملك الى بركيارق وهو محاصر لاصفهان فاكرمه وولاه وزارته ولقبه عز الملك (وفيها) تحرك تتش من دمشق لطلب السلطنة بعد موت أخيه ملكشاه واتفق معه اقسنقر صاحب حلب وخطب له باغى سيان صاحب انطاكية وبزان صاحب الرها وسار تتش ومعه اقسنقر فافتتح نصيبين عنوة ثم قصد الموصل وكنا ذكرنا في سنة سبع وسبعين وأربعمائة انه لما قتل شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل وحلب وغيرهما استولى على الموصل ابراهيم بن قريش أخو مسلم ثم ان ملكشاه قبض على ابراهيم سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة وأخذ منه الموصل وبقى ابراهيم معه حتى مات ملكشاه فاطلق ابراهيم وسار الي الموصل وملكها فلما قصد تتش في هذه السنة الموصل خرج ابراهيم

عدة ملوك كبار نحو عشرين ملكا فاختلفت الآراء بين يدى السلطان الملك الكامل في أمرهم فبعضهم قال لانعطيهم امانا ونأخذهم ونتسلم بهم مابقى بأيديهم من الساحل مثل عكا وغيرها ثم اتفق آراؤهم على إجابتهم الى الامان لطول مدة البيكار وتضجر العساكر لانهم كان لهم ثلاث سنين وشهور في القتال معهم فأجابهم الملك الكامل الى ذلك وطلب الفرنج رهينة من الملك الكامل فبعث ابنه الملك الصالح أيوب وعمره يومئذ خمس عشرة سنة الى الفرنج رهينة وحضر من الفرنج رهينة على ذلك ملك عكا ونائب البابا صاحب رومية الكبرى وكندريس وغيرهم من الملوك وكان ذلك سابع رجب من هذه السنة واستحضر الملك الكامل ملوك الفرنج المذكورين وجلس لهم مجلسا عظيما ووقف بين يديه الملوك من اخوته وأهل بيته جميعهم وسلمت دمياط الى المسلمين تاسع عشر رجب من هذه السنة وقد حصنها الفرنج الى غاية مايكون وولاها السلطان الملك الكامل الامير شجاع الدين جلدك التقوى وهو من مماليك الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وهنأت الشعراء الملك الكامل بهذا الفتح العظيم ثم سار السلطان الملك الكامل ودخل دمياط ومعه اخوته وأهل بيته وكان يوما مشهودا ثم توجه الى القاهرة وأذن للملوك في الرجوع الى بلادهم فتوجه الملك الاشرف الى الشرق وانتزع الرقة من محمود وقيل اسمه عمر بن قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى بن مودود بن عماد الدين زنكى بن أقسنقر ولتى بغيه على أخيه فانا ذكرنا كيف وثب على أخيه وقتله وأخذ سنجار ثم أقام الملك الاشرف بالرقة وورد اليه الملك الناصر صاحب حماة فاقام عنده مدة ثم عاد الى بلده

ذكر وفاة صاحب آمد

﴿ وفي هذه السنة ﴾ توفي الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق صاحب آمد وحصن كيفا بالقولنج وقام في الملك بعده ولده الملك المسعود وهو الذى انتزع منه الملك الكامل آمد وكان الملك الصالح المذكور قبيح السيرة * وقد أورد ابن الاثير وفاته في سنة تسع عشره

ذكر غير ذلك من الحوادث

﴿ في هذه السنة ﴾ في جمادى الآخرة خنق قتادة بن ادريس العلوى الحسنى أمير مكة وعمره نحو تسعين سنة وكانت ولايته قد اتسعت الى نواحى اليمن وكان حسن السيرة في مبتدأ أمره ثم أساء السيرة وجدد المظالم والمكوس وصورة ماجرى له ان قتادة كان مريضاً فارسل عسكرا مع أخيه ومع ابنه الحسن بن قتادة للاستيلاء على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وأخذها من صاحبها فوثب الحسن بن قتادة في أثناء الطريق

على عمه فقتله وعاد الى أبيه قتادة بمكة فخنقه وكان له أخ نائباً بقلعة ينبع عن أبيه فارسل اليه الحسن فحضر الى مكة فقتله أيضا وارتكب الحسن أمرا عظيما قتل عمه وأباه وأخاه في أيام يسيرة واستقر في ملك مكة وقيل ان قتادة كان يقول الشعر وطولب أن يحضر الى أمير الحاج العراقى فامتنع وعوتب من بغداد فاجاب بابيات منها

ولى كف ضرغام أصول ببطشها … وأشرى بها بين الورى وأبيع

تظل ملوك الارض تلثم ظهرها … وفي بطنها للمجدبين ربيع

أأجعلها تحت الرحى ثم أبتغى … خلاصا لها انى اذن لرقيع

وما أنا الا المسك فى كل بلدة … يضوع وأما عندكم فيضيع

﴿ وفيها ﴾ توفي جلال الدين الحسن صاحب الالموت ومقدم الاسماعيلية وولى بعده ابنه علاء الدين محمد ﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة ﴾ في هذه السنة استقل بدر الدين لولو بملك الموصل وتوفي الطفل الذى كان قد نصبه في المملكة وهو ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن اقسنقر وسمى لولو نفسه الملك الرحيم وكان قد اعتضد بالملك الاشرف ابن الملك العادل فدافع عنه ونصره وقلع لولو البيت الاتابكى بالكلية واستمر مالكا للموصل نيفا وأربعين سنة سوى ماتقدم له من الاستيلاء والتحكم في أيام أستاذه نور الدين أرسلان شاه وابنه الملك القاهر مسعود ﴿ وفي هذه السنة ﴾ سار الملك الاشرف الى خدمة أخيه الملك الكامل وأقام عنده بمصر متنزها الى ان خرجت هذه السنة ﴿ وفي هذه السنة ﴾ فوض الاتابك طغريل الخادم مدبر مملكة حلب الى الملك الصالح أحمد بن الظاهر أمر الشغر وبكاس فسار الملك الصالح من حلب واستولى عليهما وأضاف اليه الروج ومعرة ومصرين ﴿ وفي هذه السنة ﴾ قصد الملك المعظم عيسى صاحب دمشق حماة لان الملك الناصر صاحب حماة كان قد التزم له بمال يحمله اليه اذا ملك حماة فلم يف له فقصد الملك المعظم حماة ونزل بقيرين وغلقت ابواب حماة فقصدها الملك المعظم وجرى بينهم قتال قليل ثم ارتحل الملك المعظم الى سلمية فاستولى على حواصلها وولى عليها ثم توجه الى المعرة فاستولى عليها وأقام فيها واليا من جهته وقرر أمورها ثم عاد الى سلمية فأقام بها حتى خرجت هذه السنة على قصد منازلة حماة ﴿ وفي هذه السنة ﴾ حج من اليمن الملك المسعود يوسف الملقب اطسز وهو اسم تركى والعامة تسميه اقسيس وكان قد استولى على اليمن سنة اثنتى عشرة وستمائة وقبض على سليمان شاه بن شاهنشاه بن عمر بن شاهنشاه ابن أيوب وحج في هذه السنة * فلما وقف الملك المسعود في هذه السنة بعرفة وتقدمت

المستظهر أحمد ابن المقتدى عبد الله ابن الامير ذخيرة الدين محمد ابن القائم عبد الله
ابن القادر أحمد ابن الامير اسحق ابن المقتدر جعفر ابن المكتفي على ابن المعتضد أحمد
ابن الامير الموفق قيل اسمه طلحة وقيل محمد ابن المتوكل جعفر ابن المعتصم محمد ابن
الرشيد هرون ابن المهدى محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله
ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب بن هاشم وكان عمر الامام
الناصر نحو سبعين سنة وكان قبيح السيرة في رعيته ظالماً لهم خرب في أيامه العراق وتفرق
أهله في البلاد وكان يتشيع وكان منصرف الهمة الى رمي البندق والطيور المناسيب ويلبس
سراويلات الفتوة ومنع رمي البندق الا من ينتسب اليه فأجابه الناس الى ذلك الا انساناً واحداً
يقال له ابن السفت وهرب من بغداد الى الشام وقد نسب الامام الناصر انه هو الذى كاتب
التتر وأطمعهم في البلاد بسبب ما كان بينه وبين خوارزم شاه محمد بن تكش من العداوة
ليشتغل خوارزم شاه بهم عن قصد العراق

(ذكر خلافة ابنه الظاهر)

وهو خامس ثلاثينهم ولما توفي الامام الناصر بويع ولده الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد
فاظهر العدل وازال المكوس وأخرج المحبوسين وظهر للناس وكان الناصر ومن قبله لا
يظهرون الا نادراً ولم تطل مدته في الخلافة غير تسعة أشهر (ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين
وستمائة) فيها سار الملك المعظم عيسى بن العادل صاحب دمشق ونازل حمص وكان قد
اتفق مع جلال الدين بن خوارزم شاه ومع مظفر الدين صاحب أربل على أن يكونوا
يداً واحدة وكان الملك الاشرف ببلاده الشرقية ثم رحل المعظم عن حمص الى دمشق
بسبب كثرة ما مات من خيله وخيل عسكره وورد عليه أخوه الملك الاشرف طلباً للصلح
وقطعاً للفتن فبقي مكرماً ظاهراً وهو في الباطن كالاسير معه وأقام الملك الاشرف عند أخيه
المعظم الى ان انقضت هذه الـ[illegible] أما الملك الكامل فانه كان بمصر وقد تخيل من بعض
عسكره فما أمكنه الـ[illegible] (وفي هذه السنة) فتح السلطان جلال الدين تفليس من
الكرج وهي من المدن العظام (وفي هذه السنة) سار جلال الدين ونازل خلاط وهي
منازلته الاولى فطال القتال بينهم وكان نائب الاشرف بخلاط الحاجب حسام الدين على
الموصلي وكان نزوله عليها ثالث عشر ذى القعدة ورحل عنها لسبع بقين من ذى الحجة من
هذه السنة بسبب كثرة الثلوج

(ذكر وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله)

وفي رابع عشر رجب من هذه السنة توفي الخليفة الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر
لدين الله وكان متواضعاً محسناً الى الرعية جداً وأبطل عدة مظالم منها انه كان بخزانة

الخليفة صنجة زائدة يقبضون بها المال ويعطون بالصنجة التي يتعامل بها الناس وكان زيادة
الصنجة في كل دينار حبة فخرج توقيع الظاهر بابطال ذلك وأوله (ويل للمطففين الذين
اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) وعمل صنجة المخزن
مثل صنجة المسلمين وكان مضاداً لابيه الناصر في كثير من أحواله منها أن مدة خلافة
أبيه كانت طويلة ومدة خلافته كانت قصيرة وكان أبوه متشيعاً وكان الظاهر سنياً
وكان أبوه ظالماً جماعاً للمال وكان الظاهر في غاية العدل وبذل الاموال للمحبوسين على
الديون وللعلماء

(ذكر خلافة المستنصر)

وهو سادس ثلاثينهم ولما توفي الظاهر ولي الخلافة بعده ولده الاكبر المستنصر بالله أبو
جعفر المنصور وكان للظاهر ولد آخر يقال له الخفاجي في غاية الشجاعة وبقي حياً حتى
أخذت التتر بغداد وقتل مع من قتل ولما تولى المستنصر الخلافة سلك في العدل والاحسان
مسلك أبيه الظاهر

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) سار علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم
الى بلاد الملك المسعود الارتقي صاحب آمد فنزل كيقباد بملطية وهي من بلاد كيقباد
وأرسل عسكراً ففتحوا حصن منصور وحصن الكختا وكانا لصاحب آمد المذكور
(وفيها) في خامس عشر الحجة نازل جلال الدين مدينة خلاط وهي للملك الاشرف
وبها نائبه حسام الدين علي الحاجب وهي منازلته الثانية وجرى بينهم قتال شديد وأدركه
البرد فرحل عنها في السنة المذكورة (ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة) والملك
الكامل بديار مصر وجلال الدين خوارزم شاه مالك أذربيجان واران وبعض
بلاد الكرج وعراق العجم وغيرها وهو موافق الملك المعظم على حرب أخويه
الكامل والاشرف والرسل لا تنقطع بين المعظم وجلال الدين والملك الاشرف مقيم
كالاسير عند أخيه الملك المعظم ولما رأى الملك الاشرف حاله مع أخيه المعظم
المعظم وانه لا خلاص له منه الا باجابته الى ما يريد اجابه كالمكره الى ما طلبه منه
وحلف له أن يعاضده ويكون معه على أخيهما الملك الكامل وأن يكون معه على صاحبي
حماة وحمص فلما حلف له على ذلك أطلقه الملك المعظم فرحل الملك الاشرف في جمادى
الآخرة من هذه السنة فكانت مدة مقامه مع المعظم نحو عشرة أشهر ولما استقر الملك
الاشرف ببلاده رجع عن جميع ما تقرر بينه وبين أخيه الملك المعظم وتأول في أيمانه
التي حلفها انه مكره ولما تحقق الملك الكامل اعتضاد أخيه الملك المعظم بجلال الدين

ذكر السنة الحمرا

فيها جدبت الارض بالشام من دمشق الى حلب وانحبس القطر ولم ينبت شئ من الزراعات الا القليل النادر واستقى الناس في هذه البلاد فلم يسقوا وأما السواحل التى من طرابلس الى اللاذقية وجبل اللكام فان الامطار مازالت تقع في هذه النواحى فاستوت زراعاتهم (وفيها) مات قاضى القضاة الشافعى بدمشق المعروف بابن صقرى وهو نجم الدين أحمد وولى مكانه جمال الدين المعروف بالزرعى (وفيها) عزل السلطان كريم الدين بن عبد الكريم عن منصبه واستعاد منه ما كان عنده من الاموال وأرسله الى الشوبك فاقام بها وولى مكانه أمين الملك عبد الله (وفيها) رسم السلطان لمؤلف الاصل أن لايرسل قوده نظرا في حاله بسبب محل البلاد فارسلت عدة يسيرة من الخيل التى كنت حصلتها فتصدق على بتشريف كامل على عادتى وستين قطعة اسكندرى وخمسين ألف درهم وألف مكوك حنطة (وفيها) حضرت رسل أبى سعيد ملك التتر ورسل نائبه جوبان وتوجهوا الى الابواب الشريفة بالقاهرة ثم عادوا الى بلادهم (وفيها) وصلت الملكة بنت ابغا واسمها قطلو وفي خدمتها عدة كثيرة من التتر وتوجهت الى الحج ورسم السلطان ورتب لها في الطرقات الاقامات الوافرة (ثم دخلت سنة أربع وعشرين وسبعمائة) فيها تقدم السلطان بابطال المكوس والضرائب عن سائر أصناف الغلة بجميع الشام فابطل وكان ذلك جملة تخرج عن الاحصاء

ذكر المتجددات فى بلاد الروم

كان ببلاد الروم تمرتاش بن جوبان فاستولى عليها واستكثر من المماليك وقطع ماكان يحمل منها الى الاردو والخواتين وصار كلما جاءه رسول لطلب المال يهينه ويعيده بغير زبدة فلما كثر ذلك منه سار اليه أبوه جوبان فعزم تمرتاش على قتال أبيه وأنفق في عسكره ومماليكه فلما قرب جوبان منه فارقه عسكره وصاروا مع جوبان * فلما رأى تمرتاش ذلك حضر مستسلما الى أبيه جوبان فتقدم جوبان بامساكه وأخذه معه معتقلا الى الاردو وذلك بعد ان أقام ببلاد الروم شخصاً من التتر موضع تمرتاش

ذكر المتجددات باليمن

(في هذه السنة) لم يبق في يد الملك المجاهد على بن داود غير حصن تعز وخرج باقى ملك اليمن عنه وسار بيد ابن عمه صاحب الدملوه وتلقب بالملك الظاهر (وفيها) نزل الامير مهنا بن عيسى بظاهر سلمية من بلاد حمص عند تل اعدا وكان له مايزيد عن عشر سنين لم ينزل باهله هناك وكان الامر والنهى اليه في العرب وخبز الامرة لاخيه

فضل

فضل بن عيسى (وفيها) ورد مرسوم السلطان الى صاحب حماة بالمسير الى خدمته فسار وأخذ معه ولده محمدا وأهله قال وحضرت بين يدى السلطان بقلعة الجبل مستهل الحجة فبالغ في أنواع الصدقات على وعلى من كان معى وعلى ولدى ووصل وأنا هناك رسل أبى سعيد ملك التتر ويقال لكبيرهم طوغان وهو من جهة أبى سعيد والذى من بعده حمزة وهو من جهة جوبان وصحبتهما الطواشى ريحان خزندار أبى سعيد وكان مسلما ما كان صحبتهم من الهدايا وحضر المذكورون بين يدى السلطان بقلعة الجبل وكان يوما مشهودا لبس فيه جميع الامراء والمقدمون والمماليك السلطانية وغيرهم الكلوتات المزركشات والطرز الذهب ولم يبق من لم يلبس ذلك غير الملك الناصر وأحضر المذكورون التقدمة وأنا حاضر وهى ثلاثة أكاديش بثلاثة سروج ذهب مصرى مرصعة بأنواع الجواهر وثلاث حوايص ذهب مجوهرة وسيف غلافه ملبس ذهباً مرصع جوهرا وعدة أقبية من نسيج وغيره مستنجبة وجميعها بطرز زركش ذهب وشاشا فيه قبضات عدة زركش ذهب واحدى عشر بختيا مزينة أحمالها صناديق ملؤها قماش من معمول تلك البلاد وعدتها سبعمائة شقة قد نقش عليها القاب السلطان فقبل ذلك منهم وغمر الرسل بأنواع التشاريف والانعام وكان عيد الاضحى بعد ذلك بيومين واحتفل السلطان للعيد احتفالا عظيما يطول شرحه وأقام رسل التتر ينظرون الى ذلك ثم أحضرهم وخلع عليهم ثانيا وأوصلهم مناطق من الذهب ومبالغا تزيد على مائة ألف درهم وأمرهم بالعود الى بلادهم ثم بعد ذلك عبر السلطان النيل ونزل بالجيزة ثالث عشر الحجة وكان قد طلع النيل وزاد على ثمانية عشر ذراعا ووصل الى قريب الذراع التاسع عشر وطال مكثه على ابلاد فاقام بالجيزة حتى جفت البلاد لاجل الصيد ثم رحل وسار الى الصيد وأنا بين يديه الشريفتين (وفيها) مات على شاه وزير ملك التتر وكان المذكور قد بلغ منزلا عظيما من أبى سعيد وغيره وانشأ بتبزير الجامع الذى لم يعهد مثله ومات قبل اتمامه وهو الذى نسج المودة بين الاسلام والتتر رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة خمس وعشرين وسبعمائة) فيها عاد الملك الناصر الى القاهرة وأعطى لصاحب حماة الدستور بعد ماغمره بالصدقات ورسم له بألفى مثقال ذهب وثلاثين ألف درهم ومائة شقة من أفخر القماش الاسكندرى ووصل الى حماة شاكرا ناشرا

ذكر عمارة القصور بقرية سرياقوس والخانقاه

﴿ في هذه السنة ﴾ تكملت القصور والبساتين بسرياقوس وهى قرية في جهة الشمال عن القاهرة على مرحلة خفيفه وعمر السلطان على طريق الجادة الآخذة الى الشام بالقرب من العش خانقاه وأنزل جماعة من الصوفية بها ورتب لهم الرواتب الجليلة

بقايا اجواد بنى شيركوه وكان تنكز على شممه بدمشق ينزل الى ضيافته كل سنة فينفق على ضيافة تنكز نحو ستين ألف درهم (وفيها توفي السلطان الملك الناصر) محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى رحمه الله تعالى وله ستون سنة بعد ان خطب له ببغداد والعراق وديار بكر والموصل والروم وضرب الدينار والدرهم هناك باسمه كما يضرب له بالشام ومصر وحج مرات وحصل لقلوب الناس بوفاته ألم عظيم فانه أبطل مكوسا وكان يستحي أن يخيب .قاصديه وأيامه أيام أمن وسكينة وبنى جوامع وغيرها لولا تسليط لؤلؤ والنشو على الناس في آخر وقته وعهد لولده ﴿ السلطان الملك المنصور ﴾ أبى بكر فجلس على الكرسى قبل موت والده وضربت له البشائر في البلاد ﴿ ولى من تهنئة وتعزية في ذلك ﴾

ماأساء الدهر حتى أحسنا ... رق فاستدرك حزنا بهنا
بينما البأساء عمت من هنا ... واذا النعماء عمت من هنا
فبحق أن يسمى محزنا ... وبصدق حين يدعى محسنا
فلئن أوحشنا بدر السما ... فلقد آنسنا شمس السنا
علما أبدله من علم ... ظاهر الاعراب مرفوع البنا
فجزى الله بخير من نأى ... ووقى من كل ضير من دنا

أجل والله لقد أساء الدهر وأحسن وأهزل وأسمن وأحزن وسروعق وبر اذ أصبح الملك وباعه بفقد الناصر قاصر قدضعفت أركانه ومات سلطانه فماله من قوة ولا ناصر فامسى بحمدالله وقد ملأ القصور بالمنصور سرورا وأطاعه الدهر وأهله فلا يسرف في القتل انه كان منصورا (وفيها) ورد الى حلب زائرا صاحبنا (التاج اليمانى) عبد الباقى بن عبد المجيد بن عبد الله النحوى اللغوى الكاتب العروضى الشاعر المنشى وجرت معه بحوث (منها مسألة نفيسة) وهى مالوقال له عندى اثنا عشر درهما وسدسا كم يلزمه فاستبهمت هذه المسألة على الجماعة فيسر الله لى حلها فقلت يلزمه سبعة دراهم اذ المعنى اثنا عشر دراهم وأسداسا فيكون النصف دراهم وهى ستة دراهم والنصف أسداسا وهى ستة أسداس بدرهم فهذه سبعة ولو قال اثنا عشر درهما وربعا لزمه سبعة ونصف ولو قال اثنا عشر درهما وثلثا لزمه ثمانية أو ونصفا فتسعة وهكذا ومما أنشدنى لنفسه قوله

تجنب ان تذم بك الليالى ... وحاول أن يذم لك الزمان
ولا تحفل اذا كملت ذاتا ... أصبت العزأم حصل الهوان

وقوله

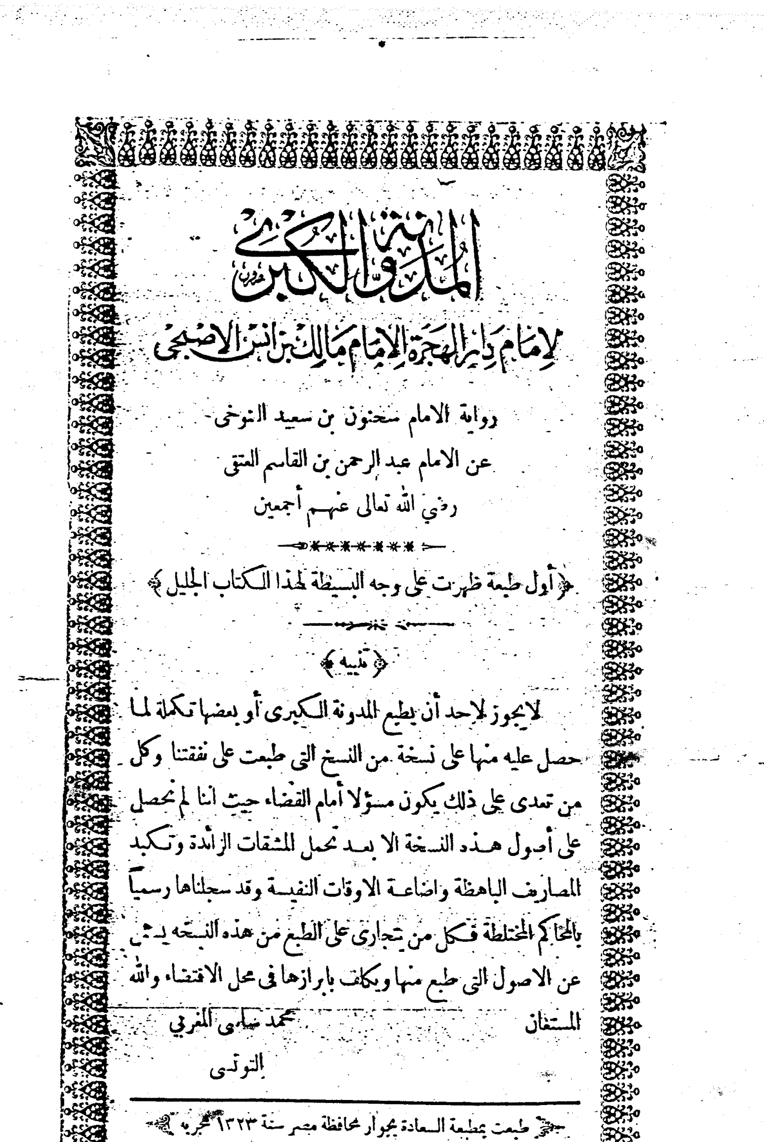
بخلت لواحظ من آتانا مقبلا ... بسلامها ورموزهن سلام

فعذرت نرجس مقلتيه لأنها ... تخشى العذار فانه نمام

(وفيها) نقل طشتمر حمص أخضر من نيابة صفد الى نيابة حلب (وفيها) في ذى الحجة وصل الى حلب الفيل والزرافة جهزهما الملك الناصر قبل وفاته لصاحب ماردين (وفيها) فتح الامير علاء الدين ايدغدى الزراق ومعه بعض عسكر حلب قلعة خندروس من الروم كانت عاصية وبها أرمن وتتر يقطعون الطرقات (وفيها) صلى بحلب صلاة الغائب على الشيخ عز الدين عبد المؤمن بن قطب الدين عبد الرحمن بن العجمى الحلبى توفي بمصر وكان عنده تزهد وكتب المنسوب (وفيها) توفي بباياس نائبها الامير علاء الدين مغلطاى الغزى تقدمت له نكاية في الارمن ونقل الى تربته بحلب ﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ﴾ في المحرم منها بايع السلطان الملك المنصور أبو بكر الملك الناصر الخليفة الحاكم بأمر الله أبا العباس أحمد بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان كان قد عهد اليه والده بالخلافة فلم يبايع في حياة الملك الناصر فلما ولى المنصور بايعه وجلس معه على كرسى الملك وبايعه القضاة وغيرهم (وفيها) في صفر توفي شيخ الاسلام الحافظ جمال الدين يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن المزى الدمشقى بها منقطع القرين في معرفة أسماء الرجال مشاركا في علوم وتولى مشيخة دار الحديث بعده قاضى القضاة تقى الدين السبكى (وفيها) في صفر (خلع السلطان الملك المنصور) أبو بكر ابن الملك احتج عليه قوصون الناصرى ولى نعمة أبيه بحجج ونسب اليه أمورا وأخرجه الى قوص الى الدار التى أخرج الملك الناصر والده الخليفة المستكفى اليها جزاء وفاقا ثم أمر قوصون والى قوص فقتله بها وأقام في الملك أخاه الملك الاشرف كجك وهو ابن ثمان سنين (فقلت في ذلك)

سلطاننا اليوم طفل والاكابر في ... خلف وبينهم الشيطان قد نزغا
وكيف يطمع من مسته مظلمة ... أن يبلغ السؤل والسلطان مابلغا

﴿ وفيها ﴾ في جمادى الآخرة جهز قوصون مع الامير قطلبغا الفخرى الناصرى عسكرا لحصار السلطان أحمد ابن الملك الناصر بالكرك وسار الطنبغا نائب دمشق والحاج ارقطاى نائب طرابلس باشارة قوصون الى قتال طشتمر بحلب لكون طشتمر أنكر على قوصون ما اعتمده في حق أخيه المنصور أبى بكر ونهب الطنبغا بحلب مال طشتمر وهرب طشتمر الى الروم واجتمع بصاحب الروم ارتنا ثم ان الفخرى عاد عن الكرك الى دمشق بعد محاصرة أحمد بها أياما وبعد ان استمال الناصر أحمد الفخرى فبايعه ولما وصل الفخرى الى دمشق بايع للناصر من بقى من عسكر دمشق المتأخرين عن المضى الى حلب صحبة الطنبغا هذا كله والطنبغا ومن معه بالمملكة الحلبية ثم سار الفخرى الى ثنية العقاب وأخذ من مخزن الايتام بدمشق أربعمائة ألف درهم وكان الطنبغا قد استدان منه مائتى



المدونة الكبرى

للإمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس الاصبحي

رواية الامام سحنون بن سعيد التنوخي
عن الامام عبد الرحمن بن القاسم العتقي
رضي الله تعالى عنهم أجمعين

﴿أول طبعة ظهرت على وجه البسيطة لهذا الكتاب الجليل﴾

﴿طبعت بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة ١٣٢٣ هجريه﴾

الربح من واحد منهما على صاحبه ولا فى المساقاة أيضاً لان المال ربما كان أصله لا تجب فيه الزكاة وان كان أصله تجب فيه الزكاة فربما اغترقه الدين فأبطل الزكاة والمساقاة ربما لا تخرج الحائط الا أربعة أوسق وربما أخرج عشرة فتختلف الاجزاء فيصير العامل على غير جزء مسمى ﴿قال﴾ وسئل مالك عن الرجل يدفع الى الرجل المال قراضاً فيتجر به الى بلاد فيحول عليه الحول أترى أن يخرج زكاته المقارض (فقال) لا حتى يؤدي الى الرجل رأس ماله وربحه ﴿قلت﴾ أرأيت هذا المقارض اذا أخذ ربحه وانما عمل فى المال شهراً واحداً فكان ربحه الذي أخذ أقل من عشرين ديناراً أو عشرين ديناراً فصاعداً (فقال) لا زكاة عليه فيه ويستقبل بما أخذ من ربحه سنة من ذي قبل بمنزلة الفائدة وانما تكون الزكاة على العامل فى القراض اذا عمل به سنة من يوم أخذه فتكون فى المال الزكاة كانت حصة العامل من ذلك ما تجب فيه الزكاة أو لا تجب فهو سواء يؤدى الزكاة على كل حال اذا عمل به سنة وهو قول مالك ﴿وقال مالك﴾ ولو حال على العامل من يوم قبض المال حول وأخذ ربحه وعليه من الدين ما يغترق حصته من المال فانه لا زكاة عليه فيه حال الحول فى ذلك أو لم يحل ﴿قال ابن القاسم﴾ وان كان على رب المال دين يغترق رأس ماله وربحه لم يكن على العامل أيضاً في حصته زكاة وان كان قد حال الحول على المال من يوم أخذه لان أصل المال لا زكاة فيه حين كان الدين أولى به ﴿وقال ابن القاسم﴾ فى الرجل يساقي نخله فيصير للعامل فى الثمر أقل من خمسة أوسق حظه من ذلك فتكون عليه فيه الصدقة ﴿قال﴾ وسألت مالكا عن الرجل يزكى ماله ثم يدفعه الى الرجل يعمل به قراضاً فيعمل فيه سبعة أشهر أو ثمانية أو أقل من الحول فيقتسمان فيدفع العامل الى رب المال رأس ماله وربحه ويأخذ هو ربحه وفيما صار للعامل ما فيه الزكاة أو لا يكون فيحول على رب المال وربحه الحول فيؤدى الزكاة هل ترى على العامل فى المال فيما فى يديه مما أخذ من ربحه زكاة (فقال) مالك اذا قاسمه قبل أن يحول على المال الحول من يوم زكاه ربه ودفع العامل الى رب المال رأس ماله وربحه إستقبل العامل بما فى يديه سنة

مستقبلة لانها فى هذا الوجه فائدة ولا تجب عليه فيها الزكاة الا أن يحول عليها حول عنده من يوم قبض ربحه وفيه ما تجب فيه الزكاة ﴿قال﴾ وسألنا مالكا عن الحرّ يأخذ من العبد المأذون له في التجارة مالا قراضاً فيعمل فيه سنة ثم يقاسمه فيصير فى يدي الحرّ العامل في المال ربح تجب فيه الزكاة هل ترى عليه في ربحه الزكاة (فقال) لا حتى يحول عليه الحول عنده لان أصل المال كان للعبد ولا زكاة فى أموال العبيد فلما لم يكن فى أصل المال الذي عمل فيه هذا المقارض الزكاة كان ربحه فائدة فلا زكاة عليه فيه حتى يحول عليه الحول

﴿فى زكاة تجار المسلمين﴾

﴿قلت﴾ أكان مالك يرى أن تؤخذ من تجار المسلمين اذا تجروا الزكاة فقال نعم ﴿قلت﴾ فى بلادهم أم اذا خرجوا من بلادهم (فقال) بلادهم عنده وغير بلادهم سواء من كان عنده مال تجب فيه الزكاة زكاه ﴿قلت﴾ أفيسألهم اذا أخذ منهم الزكاة هذا الذي يأخذ عما فى بيوتهم من ناضهم فيأخذ زكاته مما فى أيديهم (فقال) ما سمعت من مالك فى هذا شيئاً وأرى ان كان الوالي عدلا أن يسألهم عن ذلك وقد فعل ذلك أبو بكر الصديق ﴿قلت﴾ أفيسأل عن زكاة أموالهم الناض اذا لم يتجروا (فقال) نعم اذا كان عدلا وقد فعل ذلك أبو بكر الصديق كان يقول للرجل اذا أعطاه عطاءه هل عندك من مال قد وجبت عليك فيه الزكاة فان قال نعم أخذ من عطائه زكاة ذلك وان قال لا أسلم اليه عطاءه ولا أرى أن يبعث في ذلك أحداً وانما ذلك الى أمانة الناس الا أن يعلم أحد أن لا يؤدى فتؤخذ منه ألا ترى أن عثمان كان يقول هذا شهر زكاتكم ﴿قلت﴾ فما قول مالك أين ينصب هؤلاء الذين يأخذون العشور من أهل الذمة والزكاة من تجار المسلمين (فقال) لم أسمع منه فيه شيئاً ولكنى رأيته فيما يتكلم به أنه لا يعجبه أن ينصب لهذه المكوس أحد ﴿قال ابن القاسم﴾ وأخبرنى يعقوب بن عبد الرحمن من بنى القارة حليف لبنى زهرة عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عامل المدينة أن يضع المكس فانه ليس بالمكس ولكنه البخس قال الله تعالى ولا تبخسوا

البناية

في شرح الهداية

لأبي محمد محمود بن أحمد العيني

تصحيح

المولوي محمد عمر الشهير بناصر الإسلام الرامفوري

دار الفكر

والأخذ لا يجب إلا من المال . قال ويؤخذ من المسلم ربع العشر ومن الذمي نصف العشر ومن الحربي العشر

الاولاد ، لأنهن يبقين إلا باقراره (فلا يؤخذ إلا من المال) وكذا لو قال هم اولادي لهذا المعنى ، وان قالهم مدبرون لا يلتفت اليه لأن التدبير منه لا يصح في دار الحرب ، كذا في الجامع المحبوبي ، وكذا لو قال كنت اعتقتهم في دار الحرب لا يصدق ، لأن عتقه فيها لا يصح كتدبيره (والأخذ لا يجب إلا من المال) أي أخـذ العاشر لا يجب إلا من المال المرور به .

(قال) أي محمد رحمه الله (ويؤخذ من المسلم ربع العشر ومن الذمى نصف العشر ، ومن الحربي العشر) أي الذي يؤخذ من المسلم الزكاة ، لأنه لما اخرج ماله إلى الـبراري احتاج إلى حماية الإمام ، فثبت له ولاية أخذ الزكاة منه كما من السوائم والذمى أحوج إلى الحماية إذ أطماع اللصوص والسراق إلى أموال أهل الذمة اكثر فلذلك وجب الأخذ بضعف ما يؤخذ من المسلم ، ولتحقيق الذل بالكفر ، وأما الحربي فإنه يؤخذ منه العشر لأنه لما يثبت الضعف في الذمى ثبت ضعف ذلك في الحربي تحقيقاً لفضل الذل ، وما يؤخـذ من المسلم زكاة توضع موضع الزكاة وتسقط عنه زكاة تلك مسنة ، وما يؤخذ من الذمى ليس بزكاة ولا يؤخذ بشرائط الزكاة ، وتصرف في مصرف الجزية والخراج ، ولا تسقط عنهم جزية رؤوسهم في تلك السنة ، وكذا ما يؤخذ من الحربي يصرف إلى مصارف الجزية وكيفية الاخذ المذكور هي مذهب أبي حنيفة رحمـه الله (1) وبه قال ابن أبي ليلى والشافعي والثوري وأبو عبيد . وقال مالك يؤخذ من تجار أهـل الذمة العشر إذا اتجروا إلى غير بلادهم مما قل أو اكثر إذا باعوا ويؤخذ منهم في سفره كذلك ، ولو مراراً في السنة وان اتجروا في بلادهم لا يؤخذ منهم شيء ، ويؤخذ من الحربي كذلك إلا إذا حملوا إلى المدينة من الحنطة والزيت خاصة ، فإنه يؤخـذ منهم نصف العشر فقط وهـذا عجيب جداً .

---

(1) هنا كلام ساقط وربما هو « وبعض الصحابة » ، اهـ مصححه .

هكذا أمر عمر رضي الله عنـه سعاته إن مر حربي على عاشر بخمسين درهماً لم يؤخذ منه شيء إلا أن يكونوا يأخذون منا من مثلها ، لأن الأخذ منهم بطريق المجازاة بخلاف المسلم والذمي لأن المأخوذ زكاة أو ضعفها فلا بـد من النصاب . وهذا في الجامع الصغـير ، وفي كتاب الزكاة لا تأخـذ من القليل ، وإن كانوا يأخذون منا منه ،

(وهكذا أمر عمر رضى الله عنه سعاته) يعني مثـل المذكور أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعاته بضم السين جمع ساع وهو عامل الزكاة ، رواه عبد الرزاق في مصنفه اخبرنا هشام بن حسان عن أنس وابن سيرين قال بعثني أنس بن مالك رضى الله عنـه على الايلة فأخرج لي كتاباً عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه يؤخذ من المسلمين من كل أربعين درهماً درهم ، ومن أهل الذمة من كل عشرين درهماً درهم ، وممن لا زمـة له من كل عشرة دراهم درهم ، وروى الشيخ أبو الحسين القدوري في شرحه لمختصر الكرخي ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه نصف العشر ، وقال لهم خـذوا من المسلم ربـع العشر ، ومن الذمى نصب العشار ، ومن الحربي العشر وكان هذا بمحضر الصحابة رضى الله عنهم من غير خلاف فـكان اجماعاً .

(وإن مر حربي على عاشر بخمسين درهماً لم يؤخذ منه شيء إلا ان كانوا يأخذون منا من مثلها) أي من مثل خمسين لأن الأخذ منهم بطريق المجازاة (بخـلاف المسلم والذمي لأن المأخوذ زكاة) يعني من المسلم (أو ضعفها) أي والمأخوذ من الحربي ضعف الزكاة وهو نصف العشر ، فإذا كان كذلك (فلا بد من النصاب) لأنه شرط في الاصل فكذا في المضاعف (وهذا في الجامع الصغير) أي الذي ذكرنا كذا ذكـر في الجامـع الصغير لمحمد رحمه الله .

(وفي كتاب الزكاة) يعني المذكور في كتاب الزكاة المذكور في الأصل وهو المبسوط لمحمد رحمه الله ايضاً (لا يؤخذ) أي الزكاة من القليل (وإن كانوا يأخذون منا منه)



تأليف

عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي

المتوفى ٩٢٧

١٩٨٨

تحقيق

جعفر الحسني

عضو المجمع العلمي العربي

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

١٤ ميدان العتبة . ت : ٩٢٢٦٢٠

بالكلاسة ، وكان قبل ذلك في حال العمارة ، محراب الحنفية بالمقصورة المعروفة بهم [١] ، ومحراب الحنابلة من خلفهم في الرواق الثالث الغربي ، وكانا بين الأعمدة ، فقلعت تلك المحاريب ، وعوضوا بالمحاريب المستقرة في الحائط القبلي ، واستقرّ الأمر كذلك انتهى . وقال في سنة ثلاثين وسبعمائة ، وفي يوم الأحد سادس شهر رجب حضر الدرس الذي أنشأه القاضي فخر الدين كاتب المماليك [٢] على الحنفية بمحرابهم بجامع دمشق ، ودرس به الشيخ شهاب الدين بن قاضي الحصن أخو قاضي القضاة برهان الدين بن عبد الحق بالديار المصرية ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وانصرفوا من عنده إلى عند ابن أخيه صلاح الدين بالجوهرية ، فدرّس بها عوضاً عن حميه [٣] شمس الدين بن الزكي نزل له عنها انتهى . وقال في سنة اثنتين وثلاثين : القاضي فخر الدين كاتب المماليك [٢] ، وهو محمد ابن فضل الله ناظر الجيوش بمصر ، أصله قبطي فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له أوقاف كثيرة ، وإحسان وبرّ إلى أهل العلم ، وكان صدراً معظماً ، حصل له من السلطان حظ وافر ، وقد جاوز السبعين ، وإليه تنسب المدرسة الفخرية بالقدس الشريف ، توفي رحمه الله تعالى في نصف شهر رجب ، وأحيط [٤] على أمواله وأملاكه بعد وفاته انتهى .

فخر الدين كاتب المماليك
... – ٧٣٢

١٣٧ — المدرسة النورية الكبرى [٥]

قال ابن شداد : وهي بخط الخواصين ، أنشأها الملك العادل نور الدين

(١) في ابن كثير : « وكان قبل ذلك في حال العمارة قد بلغ محراب الحنفية من المقصورة المعروفة بهم الخ) .
(٢) في (صل) : « المهالك » والتصحيح من (مخ و م) وابن كثير .
(٣) في (صل) : « حموه » .
(٤) في (مخ و م) وابن كثير : « واحتيط » .
(٥) مخطط المنجد رقم (٦٣) . لا تزال عامرة الى يومنا وهي في سوق الخياطين وفيها ضريح نور الدين . راجع خطط الشام ٦ : ٩٧ ، وذيل ثمار المقاصد ص : ٢٥٨ . و :
W. W. Damaskus . P . 70
Souveget - M. H. D. p. 53

محمود بن زنكي بن آقسنقر رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وستين وخمسمائة انتهى . وفيه نظر إنما أنشأها ولده الملك الصالح إسماعيل ، ثم نقله من القلعة بعد فراغها ودفنه بها ، وهي بعض دار هشام بن عبد الملك بن مروان ، وكانت قديماً دار معاوية بن أبي سفيان ، وكانت لمعاوية رضي الله تعالى عنه دار أخرى بباب الفراديس تحت السقيفة ، يقال إنها الدار المعروفة الآن بابن المقدم انتهى . قال الذهبي في العبر في سنة خمس وعشرين ومائة : وفيها مات في ربيع الآخر الخليفة أبو الوليد هشام بن عبد الملك الأموي ، وكانت داره عند الخواصين بدمشق ، فعمل منها مدرسة السلطان نور الدين انتهى . وقال في المختصر : وكانت داره عند الخواصين ، وهي اليوم تربة الملك العادل نور الدين الشهيد ومدرسته رحمه الله تعالى انتهى . وقال الأسدي في سنة تسع وستين وخمسمائة : محمود بن أبي سعيد زنكي ابن آقسنقر التركي الملك العادل نور الدين أبو القاسم ، ولد بحلب في شوال سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، ودخل قلعة حلب بعد قتل علي صغير [١] في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ، وله ثلاثون سنة ، وكان أعدل ملوك زمانه بالاجماع ، وأكثرهم جهاداً ، وأحرصهم على فعل الخير ، وأدينهم وأتقاهم لله تعالى ، قصدة الابرنس صاحب أنطاكية فواقعه فكسره نور الدين رحمه الله تعالى وقتله وقتل ثلاثة آلاف من الفرنج ، وأظهر السنة بحلب وغير البدعة التي كانت في التأذين ، وقمع الرافضة ، وبنى بها المساجد والمدارس ، ووسع في أسواقها ، ومنع من أخذ ما كان يؤخذ منهم من المغارم بدار البطيخ ودار الغنم وضمان الشهر والكيالة ، وأبطل الخمر ، وكان في الحرب رابط الجأش ، ثابت القدم ، حسن الرمي ، وكان يعرض

هشام بن عبد الملك
٧١ – ١٢٥

نور الدين ابن زنكي
٥١١ – ٥٦٩

(١) كذا في النسخ ولم نعثر على ترجمة صاحب هذا الاسم ولعل في العبارة تحريف وصوابها : بعد قتل والده في صفين . وقد قتل والده زنكي في حصار قلعة جعبر ودفن في صفين . ومن عرف بهذا الاسم أيضاً هو : زين الدين علي كوجك (أي صغير) صاحب اربل المتوفى سنة ٥٦٣ .

ومن محمود حتى يقال له ذلك ؟ من حفظ البلاد قبل ذلك غير الذي لا إله إلا هو ؟!. ولأسامة بن منقذ فيه :

سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا ... له فكل عن الخيرات منكمش

أيامه مثل شهر الصوم طاهرة ... من المعاصي وفيها الجوع والعطش(١)

وقال مجد الدين بن الأثير في تاريخ الموصل : لم يلبس حريراً قط ولا ذهباً ولا فضة ، ومنع من بيع الخمر في بلاده ، وكان كثير الصيام ، وله أوراد في الليل والنهار ، وكان كثير اللعب بالكرة ، فكتب إليه بعض الصالحين ينكر عليه ويقول : تتعب الخيل في غير فائدة ، فكتب إليه بخطه : والله ما أقصد اللعب ، وإنما نحن في ثغر ؛ فربما وقع الصوت لتكون الخيل قد أدمنت الكر والفر ، وكان رحمه الله تعالى عارفاً بمذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وليس عنده تعصب ، والمذاهب عنده سواء . قال : وكان يلعب يوماً في ميدان دمشق وجاءه رجل وطلبه إلى الشرع ، فجاء معه إلى مجلس القاضي كمال الدين بن الشهرزوري ، وتقدم الحاجب يقول للقاضي : قد قال لك لا تنزعج ، واسلك معه ما تسلكه مع آحاد الناس ، فلما حضر سوى بينه وبين خصمه ، فتحاكما فلم يثبت للرجل عليه حق ، وكان يدعي ملكاً في يد نور الدين [فقال نور الدين] : هل ثبت له حق ؟ فقالوا لا . قال : فاشهدوا علي أني قد وهبت له الملك وإنما حضرت معه لئلا يقال عني دعيت إلى الشرع فأبيت ، قال : ودخل يوماً فرأى مالاً كثيراً فقالوا : بعث هذا القاضي كمال الدين من فائض الأوقاف ، فقال : ردوه وقولوا إنما رقبتي رقيقة لا أقدر على حمله غداً ، وأنت رقبتك غليظة تقدر على حمله ، ولما قدم أمراؤه دمشق ، اقتنوا الأملاك ، واستطالوا على الناس خصوصاً أسد الدين شيركوه ، ولم يقدر القاضي كمال الدين على الانتصار من شيركوه ، فأمر نور الدين ببناء دار العدل في الأسبوع ، فقال شيركوه : إن نور الدين ما بنى هذه الدار

(١) في الروضتين ١ : ٢٢٩ : « له فكل على الخيرات منكمش » .

إلا بسببي ! وإلا فمن يمتنع على القاضي كمال الدين ؟. وقال لنوابه(١) : والله إن حضرت إلى دار العدل بسبب واحد منكم لأصلبنه ، فإن [كان] بينكم وبين أحد منازعة فارضوه مهما أمكن ولو أتى على جميع مالي . وكان نور الدين يقف عند دار العدل في الأسبوع أربع مرات ، ويحضر عنده العلماء والفقهاء ، ويأمر بإزالة الحجاب والبوابين ، وأنفق على عمارة جامع الموصل ستين ألف دينار ، وفوض أمر عمارته إلى الشيخ عمر الملا الزاهد ، ويقال أنفق عليه ثلاثمائة ألف دينار ، فتم في ثلاث سنين ، وبنى جامع حماة على جانب العاصي ، ووقع في أسره ملك الفرنج(٢) ، فأشار الأمراء ببقائه في أسره خوفاً من شره ، فبذل هو في نفسه مالاً ، فبعث إليه نور الدين سراً يقول له : أحضر المال فأحضر ثلاثمائة ألف دينار فأطلقه ، فعند وصوله إلى مأمنه مات ، فطلب الأمراء سهمهم من المال ، فقال : ما تستحقون منه شيئاً لأنكم نهيتم عن الفداء ، وقد جمع الله تعالى [لي] الحسنيين : الفداء ، وموت اللعين وخلاص المسلمين منه ، فبنى بذلك المال المارستان والمدرسة بدمشق ودار الحديث ، وما كان أحد من الأمراء يتجاسر أن يجلس عنده من هيبته ، فإذا دخل عليه فقير أو عالم أو رث خرقة(٣) ، قام ومشى إليه وأجلسه إلى جانبه ، ويعطيهم الأموال ، فإن قيل له : يقول هؤلاء لهم حق في بيت المال ، فإذا قنعوا منا ببعضه فلهم المنة علينا . وقال العماد الكاتب في البرق الشامي : أكثر نور الدين في السنة التي توفي فيها من الصدقات والأوقاف ، وعمارة المساجد ، وأسقط كل ما فيه حرام ، فما أبقى سوى الجزية والخراج ، وما يحصل من الغلات على قويم(٤) المنهاج ، وأمرني بكتب مناشير لجميع

(١) في (صل) : « لصاحب ديوانه » ، وفي (مخ و م) : « وقال لديوانه » ، والتصحيح من الروضتين .

(٢) في (مخ و م) : « ملك افرنجي » .

(٣) في (صل) : « أورث خوفه » ، وفي (مخ و م) : « أورث حوته » ، ولعل صوابه ما أثبتناه ، ويكون المراد به احد المتصوفة .

(٤) في (صل) : « على قديم » والتصحيح من (مخ و م) .

أهل البلاد ، فكتبت أكثر من ألف منشور ، وحسبنا ما تصدق به في تلك الشهور فكان ثلاثين ألف دينار ، وكان له برسم نفقة الخاص في كل شهر من الجزية ما يبلغ ألفي قرطاس ، يصرفها في كسوته وما حوله وأجرة خياطة وجامكية طباخه (١) ، ويستفضل منها ما يتصدق به في آخر الشهر . وقيل إن استمر كل ستين (٢) قرطاساً بدينار . وذكر العماد الكاتب جملة من فضائله ، ومبلغ ما أطلق من الرسوم والضرائب في كل سنة خمس مائة ألف وستة وثمانون ألفاً وأربع مائة وستون ديناراً . وقد ذكر الذهبي تفصيل ذلك بالنسبة إلى كل بلد من بلاده . ونقل ابن واصل وغيره أنه كان من أقوى الناس بدناً وقلباً ، وأنه لم يُر على ظهر فرس أشدّ منه ، كأنما خلق عليه ولا يتحرك ، وكان إذا حضر الحرب أخذ قوسين وتركاشين (٣) وباشر القتال بنفسه ، وكان يقول : طالما تعرضت للشهادة فلم أدركها . قال الذهبي : قلت وقد أدركها على فراشه وبقي ذلك في أفواه المسلمين تراهم يقولون نور الدين الشهيد ، وما شهادته إلا بالخوانيق رحمه الله تعالى ، ومن فضائله كما قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى أنه كان له عجائز بدمشق وحلب ، وكان يخيط الكوافي ويعمل السكاكر (٤) ويبيعها له العجائز سراً ، فكان يوم يصوم يفطر على أثمانها . وحكى شرف الدين يعقوب بن المعتمد أن في دارم سكرة على خرستان من عمل نور الدين يتبركون بها ، وهي باقية إلى سنة خمسين وستمائة . قال ابن كثير : كان يجلس يوم الثلاثاء في المسجد المعلق الذي بالكشك ليصل إليه كل أحد من المسلمين وأهل الذمة ، وأغلق باب كيسان وفتح باب الفرج ، ولم يكن هناك قبله باب بالكلية ، وفي أيامه فتحت المشاهد الأربعة بالجامع ،

---

(١) في (صل) : « خياطة » ، والتصحيح من (مخ و م) والروضتين .
(٢) في (صل) : « كل سنتين » والتصحيح من (مخ و م) .
(٣) تثنية (تركش) وهي كنانة السهام .
(٤) جمع سكرة وهي قفل من خشب .

وقد كانت حواصل الجامع فيها من حين احترق سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وأضاف إلى أوقاف الجامع المذكور الأوقاف التي لا يعرف واقفها ولا تعرف شروطهم فيها ، وجعلها قلماً واحداً ، وتسمى مال المصالح ، ورتب عليه لذوي الحاجات من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام وما أشبه ذلك ، توفي رحمه الله تعالى في شوال في قلعة دمشق بالخوانيق ، ودفن بتربته بمدرسة باب الخواصين (١) ، وعهد بالملك إلى ولده الصالح إسماعيل وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وحلّف الوزراء لولده أن يكون في السلطنة بعده ، وكان الصالح أحسن أهل زمانه صورةً . وللعماد الكاتب يرثيه ويقول : شعر :

يا ملكاً أيامه لم تزلْ بفضله باهية فاخره
ملكت دنياك وخلفتها وسرت حتى تملك الآخره (٢)

وفي كتاب البرق الشامي وغيره من مؤلفات العماد الكاتب كثير من سيرة نور الدين واجتهاده ، وقد عني الامام أبو شامة في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين بسيرته وترجمة السلطان نور الدين وكراماته ومناقبه ومآثره ، وما مدح به ورثي طويلة مشهورة ، وهذا الكتاب مبني على الاختصار ، وفيما ذكرناه مقنع وبلاغ ؛ بل فيه تطويل بالنسبة إلى موضوع هذا الكتاب انتهى . قلت : وقد جمع شيخنا ولده كتاباً أسماه : الدر الثمين في مناقب نور الدين ، ورأيت في الروضتين لأبي شامة أنه في سنة سبع وأربعين وخمسمائة ولد بحمص لنور الدين ابن سماه أحمد ، ثم توفي بدمشق ، وقبره خلف قبر معاوية رضي الله تعالى عنه إذا دخلت الحظيرة (٣) في مقابر باب الصغير انتهى . وقال شيخنا بدر الدين الأسدي في كتابه الكواكب الدرية في

---

(١) في (مخ) : « ودفن بتربته التي بباب الخواصين . وفي (م) : « ودفن بتربته بمدرسته بباب الخواصين » .
(٢) في الروضتين ١ : ٢٢٨ .

يا ملكاً أيامه لم تزل لفضله فاضلة فاخره
غاصت بحار الجود مذ غيبت أنملك الفائضة الزاخره
ملكت دنياك وخلفتها وسرت حتى تملك الآخره

(٣) في (صل) : « الخضيرة » والتصحيح من الروضتين .

الملك العادل
ابو بكر
ابن ايوب
٥٣٤ ـ ٦١٥

الملك العادل أبو بكر بن أيوب بن محمد بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني ثم التكريتي ثم الدمشقي السلطان الملك العادل أبو بكر ابن الامير نجم الدين أيوب (١) ، ولد ببعلبك في سنة أربع وثلاثين (٢) ، وهو أصغر من أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بسنتين ، وقيل مولده سنة ثمان وثلاثين وقيل في أول سنة أربعين ، نشأ في خدمة نور الدين الشهيد مع أبيه وأخوته ، وحضر مع أخيه صلاح الدين فتوحاته ، وكان صلاح الدين يعول [عليه] كثيراً ، واستنابه بمصر مدة ، ثم أعطاه حلب المحروسة ، ثم أخذها منه لولده الظاهر وأعطاه الكرك عوضها ثم حران . قال بعضهم : وكان أقعد الملوك بالملك ، وملك من بلاد الكرج الى قرب همدان والجزيرة والشام ومصر والحجاز واليمن وحضرموت ، وأبطل كثيراً من الظلم والمكوس . وقال أبو المظفر السبط : كان خليقاً بالملك ، حسن التدبير ، حليما ، صفوحاً ، مجاهداً ، عفيفاً ، متصدقاً ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، طهر جميع ولايته من الخمور والمكوس والخواطيء والمظالم (٣) ، وكان الحاصل من ذلك بدمشق خصوصاً مائة الف دينار ، فأبطل الجميع لله تعالى . وأعانه على ذلك واليه المعتمد (٤) ، ثم ذكر ما نقله في غلاء مصر وبالغ ، حتى نسبه الذهبي إلى المجازفة ، وقضاياه مشهورة مع الافضل والعزيز ، وآخر الأمر استقل بمملكة الديار المصرية ، ودخل القاهرة في شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وملك معها البلاد الشامية والشرقية ، وصفت له الدنيا ، ثم ملك اليمن سنة اثنتي عشرة وستمائة ، ولما تمهدت البلاد

(١) ترجمته في الوفيات وابن كثير والشذرات وذيل الروضتين .
(٢) جاء في ترجمته في الوفيات : « وكانت ولادته بدمشق في محرم سنة اربعين وقيل ثمان وثلاثين وخمسمائة » .
(٣) في (صل) : « والظالم » التصحيح من (مخ وم) وذيل الروضتين .
(٤) في (صل) : « واعانه الله تعالى على ذلك وعليه المعتمد » التصحيح من (مخ وم) وذيل الروضتين . والمعتمد هو : مبارز الدين ابراهيم بن موسى متولي دمشق ، مات سنة ٦٢٢ . ترجمته في ابن كثير وذيل الروضتين .

قسمها بين أولاده الكامل والمعظم والاشرف ، وكان يتردد (١) بينهم وينتقل من مملكة الى اخرى ، وكان في الغالب يصيف بالشام ويشتي بمصر ، وأمر بعمارة قلعة دمشق ، والزم كل واحد من ملوك اهل بيته بعمارة برج . وقال الموفق عبد اللطيف في سيرة العادل (٢) : كان أصغر الاخوة ، وأطولهم عمراً ، وأعفهم ذكراً ، وأنظرهم في العواقب ، وأشدهم امساكا ، وأحبهم للدرهم ، وكان فيه حلم وأناة وصبر على الشدائد ، وكان سعيد الحظ مظفراً بالأعداء ، وكان أكولاً نهماً يحب الطعام ، ويحب اختلاف الألوان ، وكان اكثر أكله (٣) بالليل وبالحل ، وعندما ينام آخر الليل يصنع [له] ويأكل رطلاً بالدمشقي من خبيص السكر ، وكان كثير الصلاة ويصوم الخميس ، وله صدقات في كثير من الاوقات [فخاصة] عندما تنزل به الآفات ، وكان كريماً على الطعام ، يحب من يواكله وكان قليل الامراض ، وكان يكثر من اقتناء السراري ، وكان عفيف الفرج ، لا يعرف له نظر الى غير حلاله ، نجب له أولاد ، وكان العادل قد وقع بغضه في قلوب رعاياه ، والمخامرة عليه في قلوب جنده ، وعملوا في مقتله أنواعاً وأصنافاً من الحيل الدقيقة مرات كثيرة ، وعندما يقال [ان] الحيلة قد تمت تنتسخ وتنكشف وتنحسم موادها (٤) ، ولولا أولاده يعولون بلاده لما ثبت ملكه بخلاف أخيه صلاح الدين فانه انما حفظ ملكه بالمحبة له وحسن الطاعة ، ولم يكن بالمنزلة المكروهة ، وانما الناس قد ألفوا دولة السلطان صلاح الدين وأولاده ، فتغيرت عليهم العادة دفعة واحدة ، ثم ان وزيره ابن شكر بالغ في الظلم وتفنن ، ومن صفات العادل الجميلة انه كان يعرف حق المحبة والصحبة ، ولا يتغير على

(١) في (صل) : « وكان ينزو » التصحيح من (مخ وم) .
(٢) في (صل) : « العدل » صوابه ما اثبتناه .
(٣) في (صل) : « وكان أكثر عله » التصحيح من (مخ)
(٤) في (م) : « موازدها »

ورأيت ملكاً عظيماً ، علا العيون روعة ، والقلوب محبة ، قريباً بعيداً مجيباً (١) ، وأصحابه يتشبهون ويتسابقون إلى المعروف ، وأول ليلة حضرته وجدت مجلساً محفوفاً بأهل العلم ، يتذاكرون في أصناف العلوم وهو يحسن الاستماع والمشاركة ، ويأخذ في كيفية بناء الاسوار وحفر الخنادق ، ويفقه في ذلك ، ويأتي بكل معنى بديع ، وكان مهتماً في بناء سور بيت المقدس وحفر خندقه يتولى ذلك بنفسه ، ينقل الحجارة على عاتقه ، ويتأسى به جميع الناس الأغنياء والفقراء والأقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل ، ويركب لذلك قبل طلوع الشمس إلى وقت الظهر ، فيأتي داره فيمد السماط ، ثم انه يستريح ويركب وقت العصر ويرجع في ضوء المشاعل(٢) ويصرف أكثر الليل فيما يعمل(٣) نهاراً ، وكان يحفظ الحماسة ويظن أن كل فقيه يحفظها ، فكان ينشد القطعة فاذا توقف في موضع استطعم فلا يطعم ، وجرى له ذلك مع القاضي الفاضل ولم يكن يحفظها فخرج من عنده فلم يزل حتى حفظها ، ولما كان شحنة دمشق كان يشرب الخمر ، فمذ باشر الملك طلق الخمر واللذات ، وكان محبباً خفيفاً على قلب نور الدين ، يلاعبه بالكرة ، وملك مصر ، وكانت وقعته مع السودان سنة بضع وستين ، وكانوا نحو مائتي الف فانتصر عليهم وقتل أكثرهم ، وهرب الباقون ، وابتنى سور القاهرة ، وقطع خطبة العاضد بمصر ، وخطب للمستضيء ومات العاضد واستولى صلاح على القصر وذخائره ، وفي سنة تسع وستين (٤) مات نور الدين ، وافتتح أخوه شمس الدولة اليمن وقتـل المتغلب عليها عبد النبي(٥) ، وفي سنة سبعين سار من مصر وتملك دمشق ودخلها يوم الاثنين سلخ شهر ربيع الأول ، ولم ينتطح فيها عنزان (٦)

(١) في (صل) : « محباً » والتصحيح من (مخ وم)
(٢) في (صل) : « المساء » والتصحيح من (مخ وم).
(٣) جاء هنا جميع البحث الذي سقط من خانقاه النجيبة ونقل اليها.
(٤) في (صل) : « تسع وتسعين » وصوابه ما اثبتناه.
(٥) عبد النبي بن المهدي ترجمته في الشذرات.
(٦) في (صل) : « ولم ينطح فيها غزلان » وصوابه ما اثبتناه.

ولا اختلف سيفان ، فنزل في دار والده وهي دار العقيقي ، وهي التي بنيت مدرسة الملك الظاهر بيبرس . وأحسن إلى أهل دمشق غاية الاحسان وكان في القلعة إذ ذاك الطواشي جمال الدين ريحان الخادم ، فلم يزل يكاتبه ويفعل له في الذروة والغارب حتى استماله وأجزل نواله فسلمها إليه ووفد عليه ومثل(١) بين يديه ، فأكرمه واحترمه وأحسن إليه ، وأظهر أنه أحق بتربية ولد نور الدين لما له عليهم من الاحسان المتين ، وذكر انه خطب لنور الدين بديار مصر ، وضرب باسمه السكة ، ثم عامل الناس بالجميل ، وأمر بوضع ما حدث بعد نور الدين من المكوس والضرائب في أيام ولده اسماعيل الصالح ، وكان قاضي دمشق قاضي القضاة كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري ، وتوفي في أول سنة اثنتين وسبعين(٢) وخمسمائة ، وكان من خيار القضاة وأخص الناس بنور الدين الشهيد رحمهم الله تعالى ، وفي سنة ثلاث وسبعين كسرته الفرنج على الرملة(٣) ، وفي سنة خمس وسبعين كسرهم وأسر ملوكهم وأبطالهم ، وفي سنة ست أمر ببناء قلعة القاهرة على جبل المقطم ، وفي سنة ثمان عبر الفرات(٤) وفتح سنجار وسروج ونصيبين وآمد والرها وحران والرقة والبيرة (٥) ، وحاصر الموصل ، وملك حلب المحروسة ثم حاصر الموصل ثانياً وثالثاً ، وأنزل أخاه العادل عن قلعة حلب المحروسة وسلمها لولده الملك الظاهر غازي وعمره احدى عشرة سنة ، وسير أخاه العادل الى مصر ثانياً ، وكان تقي الدين عمر(٦) بها فقدم الشام ، وفي سنة ثلاث وثمانين فتح السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى طبرية ، ونازل عسقلان ، وكانت وقعة حطين ، وكان الفرنج فيها أربعين ألفاً فأخذهم عن بكرة أبيهم

(١) في (صل) : « وقتل » والتصحيح من (مخ وم).
(٢) في (صل) : « اثنتين وخمسين » وصوابه ما اثبتناه.
(٣) في (صل) : « الرماة » وصوابه ما اثبتناه.
(٤) في (صل) : « غير الفراة » والتصحيح من (مخ وم).
(٥) في (مخ وم) تقديم وتأخير في ترتيب اسماء هذه المدن.
(٦) ابن شاهنشاه.

أمر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
بطبع هذا الكتاب بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري

المعيار المعرب

والجامع المغرب

عن فتاوي أهل إفريقية والاندلس والمغرب

تأليـــف

أبى العباس أحمد بن يحي الونشريسي

المتوفى بفاس سنة 914 هـ

خرجه جماعة من الفقهاء

بإشراف الدكتور محمد حجي

نشر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية للمملكة المغربية

[الوسيط عند القاضي في أخذ الرشوة]

وسئل الأشيري عن طالب يتوسط بين الناس والقاضي فيما يأخذه من الجعائل على الأحكام ويستنهض الناس لذلك، ويقف بينه وبينهم، واشتهر بذلك اشتهاراً مستفيضاً.

فأجاب: إذا كان الأمر على ما وصفت، فعلى فاعله الضرب الموجع مع السجن، ويلزمه غرم ما أخذ لنفسه، وما دفع إلى القاضي بيده. ثم إن قامت له بينة أنه دفع ذلك إلى القاضي رجع عليه، إلا أن يشاء الدافع تركه واتباع القاضي فله ذلك، وإن غرمه له رجع بذلك على القاضي، لأن ما أخذ من الظلم ليدفعه إلى من ظلم فيه، فهو في ذمته يغرمه، ثم يرجع هو على الظالم إن قدر عليه. وأعوان الظالم فيما أخذوا من الظلم كالظالم، وإن لم يأخذوا لأنفسهم فهو واجب عليهم. ولمن أخذ منهم أن يرجع على الظالم أو من قبض.

[هل يأخذ القاضي مرتبه من المكوس؟]

وسئل سيدي قاسم العقباني عمن ولي قضاء تونس ووجد مرتب قاضيها في المكس المأخوذ من الباب(1) هل يجوز للقاضي أخذه وهو له طيب إن تعذر تعينه من غيره؟

فأجاب: الطيب من الارتزاق حيث يكون المجبى حلالاً ويعدل في القسمة. وإن كان لا يعدل في القسمة. فمن أهل العلم من أجاز الأخذ وهم الأكثر. ومنهم من كره. فإن كان المجتبى يشوبه حلال وحرام، فمنهم من كره أخذ الجوائز والارتزاق وهم الأكثر. ومنهم من أجاز. وإن كان المجتبى حراماً، فمنهم من حرم الارتزاق منه على عمل من الأعمال، ومنهم من أجاز، ومنهم من كره. وما غالبه الحرام، له حكم الحرام وما غالبه الحلال، له حكم الحلال، وبعد هذا النقل لا يبقى عليك مما سألت عنه توقف من جهة

(1) في نسخة اخرى: الباعة.

النقل. والذي أُرشدك للأخذ به أن لا تأخذ من ذلك مِثقال ذرة وإن استطعت أن تغيث من يطلب منه من ماله بمنعه من ذلك فنعمت الفضيلة والله الموفق.

[فتوى في قتال المغيرين وقطاع الطرق من عرب المغرب الأوسط سنة796هـ]

وسئل الإمام أبو عبدالله ابن عرفة رحمه الله عن قضية قتال الديلم وسعيد رياح وسُوَيْد وبني عامر، أمراء عرب المغرب الأوسط، سنة ست وتسعين وسبعمائة.

وكان السائلَ له الفقيهُ أبو العباس أحمد المعروف بالمريضْ. فكتب إليه بما نصه بعد اختصار بعض ألفاظه.

جواب سيدنا أمتع الله بكم، عن مسألة وهي: جماعة في مغربنا من العرب، تبلغ ما بين فارسها وراجلها قدر عشرة آلاف أو تزيد، ليس لهم إلا الغارات، وقطع الطرقات على المساكين، وسفك دمائهم، وانتهاب أموالهم بغير حق ويأخذون حُرَم الإسلام أبكاراً وثيباً، قهراً وغلبة. هذا دأب سلفهم وخلفهم، مع أن أحكام السلطان أو نائبه لا تنالهم بل ضعُفَ عن مقاومتهم، فضلاً عن ردعهم. بل إنما يداريهم بالأعطية والإنعام، ببعض بلاد رعيته، ونصب عمالهم فيها، وقطع نظر عمال السلطنة عن النظر في حياتها وفصل أحكامها. ثم هم مع ذلك لا تأمن الرفاق منْ جانبهم نصبوا الغارات على هذه البلاد التي نحن بها، وقاتلوا منْ عاجلوه، وقطعوا الطرقات، وطلبوا على قطع رقاب المساكين، وأخذ أموالهم وسبي حريمهم، فأمرناهم بقتالهم، وصرحنا بأنهُ جهاد، لما قاله مالك في **المدونة**. فاجتمع الناس على قتالهم، فهزمهم الله، وقتل منهم خلق كثير. فأنكر ذلك علينا بعض المنتمين للعلم بهذه البلاد، بل كلهم. فاستظهرنا عليهم بنصوص أهل المذهب كنص **المدونة**، وما في آخر الجهاد للجلاب. وبقول الباجي بقتل اللصوص إذا أتوا للقتال، وطلبوا مالاً يجب أن يُعطوه، وأنَّ مالكاً وابن القاسم وأشهب قالوا جهادهم جهاد. وروى أشعب عنه أنه أفضل

كتاب
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

تأليف
أبي عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني
المعروف بالشريف الإدريسي
(من علماء القرن السادس الهجري)

عالم الكتب

وبشرقيه أيضا أرض فيها بعض منازل بلي وجهينة وصفارة ويلي
هؤلاء في جهة الشمال مما يلي القلزم قوم من العرب أنذال الأفعال
خسيسو الهمم ناقضو العهود فساق لئام أنكاد يعرفون ببني بجرية لا
يرجعون عن محرم ولا يخيفهم سفك دم إن استنصر بهم خذلوا وإن
اطمئن إليهم قتلوا لا أمانة لهم ولا رعاية ولا ديانة وقد أعطاهم الله 5
جل جلاله أوفر حظ من الفقر وابتلاهم بأنواع من الأسقام وهم مع ذلك
عن الإضرار لا ينتقلون وعن الأذى لا يتحولون.

وفي أعلى الأرض من هذا الجزء صحارى عيذاب وهي متصلة الخلاء
ليس بها ساكن ولا ينزلها قاطن إلا قوم من البجة رحالة قليلو الإقامة
فيها لعدم الماء بأمكنتها وقلة وجوده بها وعرض هذه الصحراء يقطعه 10
السالك من قوص إلى عيذاب في عشرين يوما إلى ما دونها وفي هذه
الصحراء يكون جب حميرة وهو من أعجب العجب وذلك أن ماءه لا
ينزل به من شربه من حيث تنزل المياه من الإنسان ولا يقيم بالمعدة
شيئا وإنما هو إذا شربه الإنسان لم يلبث أن ينزل به من مقعدته مسرعا
من غير تأخير ولا إقامة وهذه الصحراء لا تسلك في اشتداد الحر 15
وسموم القيظ لجفوف الماء بها ورياحها المنشفة وأرضها النارية المهلكة
وإنما يمر بها السالكون في آخر أيام الخريف.

6 وفي أعلى هذه الصحراء في ضفة البحر الملح مدينة عيذاب وأهلها
سود وشربهم من آبار وليست بالكبيرة القطر ولا بالآهلة العامرة بالخلق
ومنها المجاز إلى جدة وعرضه هناك مجرى يوم وليلة ومدينة عيذاب 20
ينزلها عامل من قبل رئيس البجة وعامل من قبل ملك مصر يقتسمون

P, G, I. A, C

1 بعض om. G • 3 بجرية] نجرية G, بحرية A • 5 أمان A • 9 البجة] النجة A • 18 المالح A | وأهلها – بالخلق om. A • 21 وعامل] ووال IAC •

جبايتها بنصفين وعلى عامل صاحب مصر القيام بجلب الأرزاق والمعيشة
إلى عيذاب وعلى رئيس البجة القيام بحمايتها من الحبشة والرئيس المقيم
بعيذاب من قبل ملك البجة ينزل الصحارى ولا يدخل المدينة إلا غبا
وأهل عيذاب يتجولون في كل النواحي من أرض البجة يشترون ويبيعون
ويجلبون ما هنالك من السمن والعسل واللبن وبالمدينة زوارق يصاد بها 5
السمك الكثير اللذيذ الطعم الشهي المأكل وبها يؤخذ المكس في وقتنا
هذا من حاج الإسلام القاصدين من بلاد المغرب وهذا المكس مبلغه
على كل رأس ثمانية دنانير من أي الذهب كان مسبوكا أو مكسورا أو
مسكوكا ولا يعبر أحد من حاج المغرب إلى جدة إلا أن يظهر مكسه
ومتى جوزه رباني بحر القلزم ولم يكن عنده مكس غرمه الرباني فلذلك 10
لا يجوز أحد من عيذاب إلى جدة حتى يظهر الرباني البراءة مما يلزمه
فإذا جاز المركب البحر وسهل الله عليه الوصول إلى جدة أرسى على
بعد ودخل الثقات من ناحية والي جدة فحرزوا ما هنالك من الموجودات
المكسة اللازمة وأثبتوها في دواوينهم ثم نزلوا ونزل الناس بجملتهم
فتقتضى منهم المكوس اللازمة لهم الواجبة عليهم فإن عثروا على رجل 15
منهم لا مكس معه لزم حقه على الرباني الذي جوزه وربما سجن الرجل
الحاج حتى يفوته الحج وربما قيض الله له من يفرج عنه بما لزمه
من المكس وهذا المكس يأخذه الهاشمي صاحب مكة فينفقه في أرزاق
أجناده إذ منافعه قليلة وجباياته لا تفي بلوازمه ورزق من معه.

7 وهذا البحر الذي ضمه هذا الجزء بحر صعب المجاز كثير القالات 20

P, G, I, A, C

1 صاحب om. P • 2 عذاب GIA • 6 الكثير] الكبير AC • 8 أو مسكوكا A: om. cett. • 9-11 إلا أن – البراءة om. A • 13 فحرزوا PGI, فجزروا C • 17 بما] ما G, ممّا A • 18 فينفقه P: فيدفعه cett. •

وبشرقيه أيضا أرض فيها بعض منازل بلي وجهينة وصفارة وبلي هؤلاء في جهة الشمال مما يلي القلزم قوم من العرب أنذال الأفعال خسيسو الهمم ناقضو العهود فساق لئام أنكاد يعرفون ببني بجرية لا يرجعون عن محرم ولا يخيفهم سفك دم إن استنصر بهم خذلوا وإن اطمئن إليهم قتلوا لا أمانة لهم ولا رعاية ولا ديانة وقد أعطاهم الله 5
جل جلاله أوفر حظ من الفقر وابتلاهم بأنواع من الأسقام وهم مع ذلك عن الإضرار لا ينتقلون وعن الأذى لا يتحولون.

وفي أعلى الأرض من هذا الجزء صحارى عيذاب وهي متصلة الخلاء ليس بها ساكن ولا ينزلها قاطن إلا قوم من البجة رحالة قليلو الإقامة فيها لعدم الماء بأمكنتها وقلة وجوده بها وعرض هذه الصحراء يقطعه 10
السالك من قوص إلى عيذاب في عشرين يوما إلى ما دونها وفي هذه الصحراء يكون جب حميرة وهو من أعجب العجب وذلك أن ماءه لا ينزل به من شربه من حيث تنزل المياه من الإنسان ولا يقيم بالمعدة شيئا وإنما هو إذا شربه الإنسان لم يلبث أن ينزل به من مقعدته مسرعا من غير تأخير ولا إقامة وهذه الصحراء لا تسلك في اشتداد الحر 15
وسموم القيظ لجفوف الماء بها ورياحها المنشفة وأرضها النارية المهلكة وإنما يمر بها السالكون في آخر أيام الخريف.

6 وفي أعلى هذه الصحراء في ضفة البحر الملح مدينة عيذاب وأهلها سود وشربهم من آبار وليست بالكبيرة القطر ولا بالآهلة العامرة بالخلق ومنها المجاز إلى جدة وعرضه هناك مجرى يوم وليلة ومدينة عيذاب 20
ينزلها عامل من قبل رئيس البجة وعامل من قبل ملك مصر يقتسمون

P, G, I, A, C

1 بعض om. G • 3 بجرية] نحرية G, بحـِـنة A • 5 أمان A • 9 البجة] اللجة A • 18 المالح A | وأهلها – بالخلق om. A • 21 وعامل] ووال I A C •

جبايتها بنصفين وعلى عامل صاحب مصر القيام بجلب الأرزاق والمعيشة إلى عيذاب وعلى رئيس البجة القيام بحمايتها من الحبشة والرئيس المقيم بعيذاب من قبل ملك البجة ينزل الصحارى ولا يدخل المدينة إلا غبا وأهل عيذاب يتجولون في كل النواحي من أرض البجة يشترون ويبيعون ويجلبون ما هنالك من السمن والعسل واللبن وبالمدينة زوارق يصاد بها 5
السمك الكثير اللذيذ الطعم الشهي المأكل وبها يؤخذ المكس في وقتنا هذا من حاج الإسلام القاصدين من بلاد المغرب وهذا المكس مبلغه على كل رأس ثمانية دنانير من أي الذهب كان مسبوكا أو مكسورا أو مسكوكا ولا يعبر أحد من حاج المغرب إلى جدة إلا أن يظهر مكسه ومتى جوزه رباني بحر القلزم ولم يكن عنده مكس غرمه الرباني فلذلك 10
لا يجوز أحد من عيذاب إلى جدة حتى يظهر الرباني البراءة مما يلزمه فإذا جاز المركب البحر وسهل الله عليه الوصول إلى جدة أرسى على بعد ودخل الثقات من ناحية والي جدة فحرزوا ما هنالك من الموجودات المكسة اللازمة وأثبتوها في دواوينهم ثم نزلوا ونزل الناس بجملتهم فتقتضى منهم المكوس اللازمة لهم الواجبة عليهم فإن عثروا على رجل 15
منهم لا مكس معه لزم حقه على الرباني الذي جوزه وربما سجن الرجل الحاج حتى يفوته الحج وربما قيض الله له من يفرج عنه بما لزمه من المكس وهذا المكس يأخذه الهاشمي صاحب مكة فينفقه في أرزاق أجناده إذ منافعه قليلة وجباياته لا تفي بلوازمه ورزق من معه.

7 وهذا البحر الذي ضمه هذا الجزء بحر صعب المجاز كثير القالات 20

P, G, I, A, C

1 صاحب om. P • 2 عذاب G I A • 6 الكثير] الكبير A C • 8 أو مسكوكا A: om. cett. • 9-11 إلا أن – البراءة om. A • 13 فحرزوا] فحزروا P G I, فجزروا C • 17 بما] ما G, ممّا A • 18 فينفقه P : فيدفعه cett. •

13 فأما حلي فإنها مدينة صغيرة وواليها منها وهو من قبل صاحب تهامة وهي فرضة من جاء من اليمن وفرضة لمن صعد من القلزم وبها جبايات على الداخل والخارج وكل شيء إليها جلب ومنها على البرية إلى مدينة عثر جنوبا خمسة أيام.

14 ومنها أيضا إلى مدينة ضنكان مرحلتان خفيفتان وضنكان بلد صغير فيه أهله مقيمون به لا يتحولون عنه إلى غيره وربما مات الرجل منهم والرجال الكثيرة ولم يخرجوا منه لرؤية غيره لا ارتحالا ولا نزهة والناس واردون عليها وصادرون عنها وبضائع أهلها قليلة وأموالهم يسيرة وصنائعها نزرة حقيرة وضياعها ضيقة وثمارها قحطة وجملتها غير حسنة لكن البارئ جل وعز حبب أرضها لأهلها.

15 وعلى الساحل مدينة السرين وبينها وبين حلي خمسة أيام في جهة الشمال والسرين حصن حصين حسن موضعه كثيرة مياهه ولواليه وجابيه شيء معلوم ورسم ملزوم على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن بالتجارات والمتاع والرقيق وجباياته المحصلة يصل نصفها إلى صاحب تهامة ونصفها الثاني يصل إلى الهاشمي بمكة وكذلك من السرين إلى ضنكان مرحلتان.

16 ومن السرين إلى مرسى السقية ثلاث مراحل وهي قرية عامرة وبها مستراح للمراكب.

17 ومنها إلى جدة على الساحل ثلاث مراحل وهي فرضة لأهل مكة

P, G, I, A, C

1 حلى P, حلى G I A | واليها – القلزم om. A • 3 يجلب G | مدينة om. G • 4 عشر P, اعتر G, عين A, عنر C | جنوبا] عقوبا A, حوتا C • 5 أيضا P : om. cett. | ضنكان pr.] ضنكان G, صيكان I • 6 يتحولون A • 7 الكثيرة P : om. cett. | منه om. C | لرؤيته C | ارتحالا C | نزهة] برهة C • 11 السرّين P, السيرين G | حلي P, خلى G, حلى I, السرّين | الى صاحب مكة الهاشمي GIAC • 15 لواليه] الواليه A • 12 والسرّين P | فعلى A • 16 السقية P, السفيه GC • ضنكان مرحلتان ومن السرين إلى om. GIAC | إلى I السرّين P,

وبينهما أربعون ميلا وهي مدينة كبيرة عامرة تجاراتها كثيرة وأهلها مياسير ذوو أموال واسعة وأحوال حسنة ومراح ظاهرة ولها موسم قبل وقت الحجيج مشهود البركة تنفق فيه البضائع المجلوبة والأمتعة المنتخبة والذخائر النفيسة وليس بعد مكة مدينة من مدائن الحجاز أكثر من أهلها مالا ولا أحسن منهم حالا وبها وال من ناحية الهاشمي صاحب مكة يقبض صدقاتها ولوازمها ومكوسها ويحرس عمالتها ولها مراكب كثيرة تتصرف إلى جهات كثيرة وبها مصائد للسمك الكثير والبقول بها ممكنة وبهذه المدينة فيما يذكر أنزلت حوا من الجنة وبها قبرها.

18 ومدينة مكة قديمة أزلية البناء مشهورة الثناء معمورة مقصودة من جميع الأرض الإسلامية وإليها حجهم المعروف وهي مدينة بين شعاب الجبال وطولها من المعلاة إلى المسفلة نحو ميلين وهو من حد الجنوب إلى جهة الشمال ومن أسفل جبل أجياد إلى ظهر جبل قعيقعان ميل والمدينة مبنية في وسط هذا الفضاء وبنيانها حجارة وطين وحجارة بنيانها من جبالها وأسواقها قليلة وفي وسط مكة مسجدها الجامع المسمى بالحرم وليس لهذا الجامع سقف وإنما هو دائر كالحظيرة والكعبة وهو البيت المسقف في وسط الحرم وطول هذا البيت من خارجه من ناحية الشرق أربعة وعشرون ذراعا وكذلك طول الشقة التي تقابلها في جهة الغرب وبشرقي هذا الوجه باب الكعبة وارتفاعه على الأرض نحو قامة وسطح الكعبة من داخل مساو لأسفل الباب وفي ركنه الحجر الأسود وطول الحائط الثاني الذي

P, G, I, A, C

1 وهي] وجدة IAC | كبيرة om. GC • 9 البناء] الثناء C • 10 وإليها] وإليهم I • 11 حد P : جهة cett. | جهة om. IA • 12 اجياد P, اجناد I, احناد C | قيدمان PG | ميل] ثلث ميل Ims • 16 وهذا البيت طوله GIAC • 17 الشقة] السعة A • 18 القامة A • 19 الثاني om. IAC •

وبشرقيه أيضا أرض فيها بعض منازل بلي وجهينة وصفارة وبلي هؤلاء في جهة الشمال مما يلي القلزم قوم من العرب أنذال الأفعال خسيسو الهمم ناقضو العهود فساق لئام أنكاد يعرفون ببني بجرية لا يرجعون عن محرم ولا يخيفهم سفك دم إن استنصر بهم خذلوا وإن 5 اطمئن إليهم قتلوا لا أمانة لهم ولا رعاية ولا ديانة وقد أعطاهم الله جل جلاله أوفر حظ من الفقر وابتلاهم بأنواع من الأسقام وهم مع ذلك عن الإضرار لا ينتقلون وعن الأذى لا يتحولون.

وفي أعلى الأرض من هذا الجزء صحارى عيذاب وهي متصلة الخلاء ليس بها ساكن ولا ينزلها قاطن إلا قوم من البجة رحالة قليلو الإقامة 10 فيها لعدم الماء بأمكنتها وقلة وجوده بها وعرض هذه الصحراء يقطعه السالك من قوص إلى عيذاب في عشرين يوما إلى ما دونها وفي هذه الصحراء يكون جب حميرة وهو من أعجب العجب وذلك أن ماءه لا ينزل به من شربه من حيث تنزل المياه من الإنسان ولا يقيم بالمعدة شيئا وإنما هو إذا شربه الإنسان لم يلبث أن ينزل به من مقعدته مسرعا 15 من غير تأخير ولا إقامة وهذه الصحراء لا تسلك في اشتداد الحر وسموم القيظ لجفوف الماء بها ورياحها المنشفة وأرضها النارية المهلكة وإنما يمر بها السالكون في آخر أيام الخريف.

6 وفي أعلى هذه الصحراء في ضفة البحر الملح مدينة عيذاب وأهلها سود وشربهم من آبار وليست بالكبيرة القطر ولا بالآهلة العامرة بالخلق 20 ومنها المجاز إلى جدة وعرضه هناك مجرى يوم وليلة ومدينة عيذاب ينزلها عامل من قبل رئيس البجة وعامل من قبل ملك مصر يقتسمون

P, G, I, A, C

1 بعض om. G • 3 بجرية] تجربة G, عـربة A • 5 أمان A • 9 البجة] اللجة A • 18 المالح A | وأهلها–بالخلق om. A • 21 وعامل] ووال I A C •

جبايتها بنصفين وعلى عامل صاحب مصر القيام بجلب الأرزاق والمعيشة إلى عيذاب وعلى رئيس البجة القيام بحمايتها من الحبشة والرئيس المقيم بعيذاب من قبل ملك البجة ينزل الصحارى ولا يدخل المدينة إلا غبا وأهل عيذاب يتجولون في كل النواحي من أرض البجة يشترون ويبيعون 5 ويجلبون ما هنالك من السمن والعسل واللبن وبالمدينة زوارق يصاد بها السمك الكثير اللذيذ الطعم الشهي المأكل وبها يؤخذ المكس في وقتنا هذا من حاج الإسلام القاصدين من بلاد المغرب وهذا المكس مبلغه على كل رأس ثمانية دنانير من أي الذهب كان مسبوكا أو مكسورا أو مسكوكا ولا يعبر أحد من حاج المغرب إلى جدة إلا أن يظهر مكسه 10 ومتى جوزه رباني بحر القلزم ولم يكن عنده مكس غرمه الرباني فلذلك لا يجوز أحد من عيذاب إلى جدة حتى يظهر الرباني البراءة مما يلزمه فإذا جاز المركب البحر وسهل الله عليه الوصول إلى جدة أرسى على بعد ودخل الثقات من ناحية والي جدة فحرزوا ما هنالك من الموجودات المكسة اللازمة وأثبتوها في دواوينهم ثم نزلوا ونزل الناس بجملتهم 15 فتقتضى منهم المكوس اللازمة لهم الواجبة عليهم فإن عثروا على رجل منهم لا مكس معه لزم حقه على الرباني الذي جوزه وربما سجن الرجل الحاج حتى يفوته الحج وربما قيض الله له من يفرج عنه بما لزمه من المكس وهذا المكس يأخذه الهاشمي صاحب مكة فينفقه في أرزاق أجناده إذ منافعه قليلة وجباياته لا تفي بلوازمه ورزق من معه.

20 7 وهذا البحر الذي ضمه هذا الجزء بحر صعب المجاز كثير القالات

P, G, I, A, C

1 صاحب om. P • 2 عذاب G I A • 6 الكثير] الكبير A C • 8 أو مسكوكا A: om. cett. • 9-11 إلا أن – البراءة om. A • 13 فحرزوا] فحزروا P G I, فجزروا C • 17 بما] ما G, ممّا A • 18 فينفقه P : فيدفعه cett. •

مجموع فتاوى

شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

قدس الله روحه

جمع وترتيب الفقير إلى الله

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي

وساعده ابنه محمد وفقهما الله

طبع بأمر

حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم

سعود بن عبد العزيز آل سعود

الطبعة الأولى

١٣٨١ هـ

مطابع الرياض

وسئل قدس الله روحه

عن مدينة لا يذبح فيها شاة الا ويأخذ المكاس سقطها ورأسها وكوارعها مكسا ، ثم يضع ذلك ، ويبيعه فى الأسواق ، وفي المدينة من لا يمتنع من شراء ذلك وأكله من أهل المدينة ، وغيرهم ، وليس يباع فى المدينة رؤوس وكوارع واسقاط الا على هذا الحكم ، ولا يمكن غير ذلك . فهل يحرم شراء ذلك وأكله والحالة هذه ؟ ام لا ؟ .

فأجاب : هذه حكمها حكم ما يأخذه الملوك من الكلف التى يضربونها على الناس ؛ فان هذه فى الحقيقة تؤخذ من أموال أصحاب الغنم الذين يبيعونها للقصابين وغيرهم؛ فان المشتري يحسب أنه يؤخذ من السواقط ، فيسقط من الثمن بحسب ذلك . وهكذا جميع ما يؤخذ من الكلف ، فانها وان كانت تؤخذ من المشتري ، فهي فى الحقيقة من مال البائع . وهذه الكلف دخلها التأويل والشبهة . ومنها ما هو ظلم محض ، ولكن تعذر معرفة أصحابه ورده اليهم ، فوجب صرفه في مصالح المسلمين . وولاية بيعها وصرفها لهم .

فالمشتري لذلك منهم اذا أعطاهم الثمن لم يكن بمنزلة اشتراء المغصوب

المحض الذي لا تأويل فيه ولا شبهة ، وليس لصاحبه ولاية بيعه ، حتى يقال : انه فعل محرماً يفسق بالاصرار عليه . وفى المنع من شرائها إضرار بالناس ، وإفساد للاموال من غير منفعة تعود على المظلوم .

والمظلوم له ان يطالب ظالمه بالثمن الذي قبضه ان شاء ، وبنظير ماله ، والتورع عن هذا من التورع عن الشبهات ، ولا نحكم بأنها حرام محض ، ومن اشتراها وأكلها لم يجب الانكار عليه ، ولا يقال انه فعل محرماً لا تأويل فيه .

فان طائفة من الفقهاء أفتوا طائفة من الملوك بجواز وضع أصل هذه الوظائف . كما فعل ذلك أبو المعالى الجوينى فى كتابه « غياث الأمم » وكما ذكر ذلك بعض الحنفية . وما قبض بتأويل فانه يسوغ للمسلم ان يشتريه ممن قبضه ، وان كان المشتري يعتقد ان ذلك العقد محرم ، كالذمي اذا باع خمراً ، وأخذ ثمنه ، جاز للمسلم ان يعامله فى ذلك الثمن ، وان كان المسلم لا يجوز له بيع الخمر ، كما قال عمر بن الخطاب : ولوهم بيعها ، وخذوا أثمانها . وهذا كان سببه ان بعض عماله أخذ خمراً فى الجزية ، وباع الخمر لأهل الذمة ، فبلغ ذلك عمر ، فأنكر ذلك . وقال : ولوهم بيعها ، وخذوا أثمانها . وهذا ثابت عن عمر ، وهو مذهب الأئمة .

وهكذا من عامل معاملة يعتقد جوازها فى مذهبه ، وقبض المال ،

جاز لغيره ان يشتري ذلك المال منه . وان كان لا يرى جواز تلك المعاملة . فاذا قدر ان الوظائف قد فعلها من يعتقد جوازها ؛ لافتاء بعض الناس له بذلك ، او اعتقد ان اعتقاد أخذ هذا المال وصرفه فى الجهاد وغيره من المصالح جائز ، جاز لغيره ان يشتري ذلك المال منه ، وان كان لا يعتقد جواز أصل القبض .

وعلى هذا فمن اعتقد ان لولاة الأمر فيا فعلوه تأويلا سائغا ، جاز ان يشتري ما قبضوه ، وان كان هو لا يجوز ما فعلوه ، مثل ان يقبض ولي الأمر من الزكاة قيمتها فيشتري منها ، ومثل ان يصادر بعض العمال مصادرة يعتقد جوازها ، او مثل ان يرى الجهاد وجب على الناس بأموالهم ، وان ما أخذوه من الوظائف هو من المال الذي يجوز أخذه ، وصرفه فى الجهاد ، وغير ذلك من التأويلات التى قد تكون خطأ ، ولكنها مما قد ساغ فيه الاجتهاد . فاذا كان قبض ولي الأمر المال على هذا الوجه ، جاز شراؤه منه ، وجاز شراؤه من نائبه الذي أمره ان يقبضه ، وان كان المشتري لا يسوغ قبضه ، والمشتري لم يظلم صاحبه ، فانه اشتراه بماله ممن قبضه قبضاً يعتقد جوازه .

وان كان على هذا الوجه فشراؤه حلال في أصح القولين ؛ وليس من الشبهات ؛ فانه اذا جاز ان يشتري من الكفار ما قبضوا بعقود يعتقدون جوازها — وان كانت محرمة فى دين المسلمين — فلأن

يجوز ان يشتري من المسلم ما قبضه بعقد يعتقد جوازه — وان كنا نراه محرماً — بطريق الأولى ، والأحرى ؛ فان الكافر تأويله المخالف لدين الاسلام باطل قطعاً ، بخلاف تأويل المسلم .

ولهذا إذا أسلموا وتحاكموا الينا ، وقد قبضوا أموالا بعقود يعتقدون جوازها : كالربا ، وثمن الخمر ، والخنزير ، لم تحرم عليهم تلك الأموال . كما لا تحرم معاملتهم فيها قبل الاسلام ؛ لقوله تعالى : (اتقوا الله . وذروا ما بقي من الربا) . ولم يحرم ما قبضوه .

وهكذا من كان قد عامل معاملات ربوية يعتقد جوازها ، ثم تبين له أنها لا تجوز ، وكانت من المعاملات التى تنازع فيها المسلمون ، فانه لا يحرم عليه ما قبضه بتلك المعاملة على الصحيح .

الوجه الثاني : ان ما قبضه الملوك ظلماً محضا : إذا اختلط بمال بيت المال ، وتعذر رده الى صاحبه ، فانه يصرف فى مصالح المسلمين ؛ فان المجهول كالمعدوم ، فما عرف أنه قبض ظلماً ، ولم يعرف صاحبه : صرف فى المصالح ، وما قبض من بيت المال المختلط حلاله بحرامه لم يحكم بأنه حرام ؛ فان الاختلاط إذا لم يتميز المال يجري مجرى الاتلاف ، وصاحبه يستحق عوضه من بيت المال . فمن قبض ثمن مبيع من مال بيت المال المختلط جاز له ذلك فى أصح الأقوال ؛ والله أعلم .

وسئل شيخ الاسلام رحمه الله

عن هذه الأغنام التى تباع فيؤخذ مكسها من القصابين ، فيحتجر عليهم في الذبيحة فى موضع واحد ، ويؤخذ منهم أجرة الذبح ، ثم بعد ذلك يؤخذ سواقطها مكساً ثانيا مضمنا ، ثم تطبخ وتباع . فهل هي حرام على من اشتراها للأكل أم لا ؟ وهل هذا التكسب فيها حرام ؟ أم لا ؟ .

فأجاب : الحمد لله . هذه المسألة فيها نزاع :

فمن الناس من يقول : هذا مال أخذ من صاحبه بغير حق ، وبيع بلا ولاية ، ولا وكالة ، فلم يصح بيعه ؛ بل هو باق على ملك صاحبه ، وقد طبخ هذا وبيع بغير إذنه ، فلا يجوز شراؤه .

ومنهم من يقول : هذا مال ولاة الأمور ؛ إما متأولين ، أو متعمدين للظلم ، وإذا لم يردوه إلى أصحابه كانت المصلحة بيعه ؛ لأن حبسه حتى يفسد ضرر لا يأمر به الشارع ، ولو بيع المال بغير اذن صاحبه كان بيعه موقوفا على إجازة المالك عند اكثر العلماء . وما باعه

ولاة الأمر فلهم من الولاية على الأموال المجهولة التى قبضها نوابهم ما ليس لغيرهم ، وقد تعذر بعد القبض معرفة مالك كل رأس ، والمصلحة بيعها ، وقسمة الأثمان بين المستحقين ، فان باعوها ولم يقسموا أثمانها لم يكن على المشترى اثم ؛ وانما الاثم على من يمنع أصحابها أثمانها . كما لو باع ولي اليتم ، وناظر الوقف ، وولي بيت المال ، ولم يصرف الثمن الى المستحقين ، فالاثم عليه ؛ لا على الذي اشترى منه .

ثم الذين اشتروها وان كان الشراء فاسداً أخذت منهم أثمانها ، فهم يستحقون أثمانها التى أدوها ، وقد نص غير واحد من العلماء كأحمد وغيره على أن من اشترى شيئاً ، فظهر له انه مغصوب ، ولم يعرف مالكه ، فان له ان يبيعه ويأخذ ثمنه ؛ ولكن يتصدق بالربح .

والطباخون الذين اشتروا الرؤوس ، وقد تعذر ردها : لهم أن يبيعوها ، ويأخذوا نظير أثمانها ؛ ان لم يكن البيع الأول صحيحا ، وحينئذ فيكون الشراء صحيحا ، وقد أجازوا البيع فيجوز على قول اكثر العلماء ، كمالك ، وأبى حنيفة ، وأحمد فى أظهر الروايتين عنه .

فهذه عدة مآخذ يحتج بها من يجوز الشراء . فمن اشتراها واتبع هؤلاء لم ينكر عليه ، ومن قامت عنده شبهة ، او اعتقد التحريم فامتنع من شرائها لم ينكر عليه . ولا يمكن القطع بتحريم مثل هذا ؛

فان كثيراً لابد للمسلمين منه ، هو من هذا الباب ، يحتجر عليه ولاة الأمور ، يبيعونه للناس . ولا يمكن الناس أخذه الا من أولئك . ومن هذا ما يكون من المباحات : كالملح ، والأطرون ، وغير ذلك . ومنه ما يكون من المملوكات . كالصوف ، والجلود ، والشعر ، كما يبيعونه من أموال من يصادرونه ، والناس يحتاجون اليه . ومن ذلك ما يقبض بحق . ومنه ما يقبض بتأويل . ومنه ما يقبض ظلما محضاً ؛ لكن جميع ذلك لا يرد الى أصحابه ؛ بل قد يتعذر رده الى أصحابه ؛ إما لجهلهم ، وإما لعجزه عن رده اليهم . والمجهول والمعجوز عنه سقط التكليف به ، وإما لاجبار المسلمين على الظلم . وعلى كل التقديرين فبيعه خير لصاحبه وللمسلمين من أن يترك فيفسد ، ولا ينتفع به أحد .

وحينئذ فاذا كان الأصلح على هذا التقدير بيعه : كان للمشتري أن يشتريه ، ويكون حلالا له ، والمشترى لم يظلم احدا ؛ فانه أدى الثمن . والمظلوم فى نفس الأمر يستحق الثمن اذا كانت المصلحة له بيعه ، كما يباع مال الغائب ، حتى لو أن رجلا مات بمكان ليس فيه ولي أمر : فقال جمهور العلماء : لرفقته ولاية قبض ذلك ، وبيعه . وكذلك من عنده أموال مغصوبة ، وعوار ، وودائع لا يعرف أصحابها : فمذهب الجمهور . مالك ، وأبي حنيفة ، وأحمد ، أنها يجوز بيعها إذا كانت المصلحة تقتضي ذلك ، ويجوز شراؤها .

وأصل هذا أن الله جل وعز بعث الرسل لتحصيل المصالح ، وتكميلها بحسب الامكان ، وتقديم خير الأمرين بتفويت أدناها . والله سبحانه حرم الظلم على عباده ، وأوجب العدل ، فاذا قدر ظلم وفساد ولم يمكن دفعه كان الواجب تخفيفه ، وتحرى العدل والمصلحة بحسب الامكان . والله حرم الظلم فيما يشترك فيه الناس من المباحات ، وفى الأموال المملوكة لما فى ذلك من الضرر على المستحقين .

فلو قيل : ان هذه الأموال لا تشترى ، وأنه لا يحل لأحد ان ينتفع بملح ولا جلود ولا رؤوس ولا شعور ولا أصواف وغير ذلك مما يباع على هذا الوجه ؛ كان المنع من ذلك من أعظم ضرر على المسلمين ، وفساد في الدين والدنيا ، من ان يقال : بل حق المظلوم عند الظالم الذي قبض ثمنها ، والمشترى اشتراها بحق ، فتحل له ، فانه إذا قيل هذا كان فيه جبر حق المظلوم باحالته على الظالم ، وجبر حق عموم الخلق بتمكينهم من الانتفاع بها بالأثمان ؛ لا سيما وقد عرف أن أصحاب تلك الرؤوس ونحوها فى نفس الأمر لا يكرهون بيعها ، إذ لا مصلحة لهم فى إفسادها ، فاذا بيعت ، فقد فعل ما يختارون فعله ، وما يرضونه ؛ لكنهم لا يرضون أن تؤخذ أثمانها منهم ؛ بل يرضون ان تدفع اليهم الأثمان . وحينئذ فهم راضون بقبض المشتري لها ، وانتفاعهم بها ؛ ولكن لا يرضون عمن باعها إلا بأن يعطيهم الثمن . فيكون هو وحده

ظلمهم ، لم يظلمهم المشتري ، فتكون له حلالا . والكلام في هذه المسألة مبسوط فى غير هذا الموضع .

ونكتة المنع أن المحرم لها يقول : بيعت بغير اذن ، ولا وكالة ، ولا ولاية . وهذا ممنوع ؛ بل يقال : هم يرضون بيعها ، وقد أذنوا فى ذلك ؛ ولكن لم يرضوا أن تؤخذ الأثمان . كما لو قدر أن شخصاً أذن لشخص فباع ، وأخذ الثمن لنفسه ، فالمالك راض بالبيع ؛ دون قبضه الثمن له . ولو قدر ان المالك لم يأذن في البيع فمصلحته فى الشرع تقتضي ان يباع ، فهذا خير له من ان يفسد ، ولأ يمكن ان يباع الا على هذا الوجه ، وأن يباع ويقبض الثمن ـــ كانتا من كان ـــ خير من ان يفسد ؛ فانه حينئذ يمكن مطالبة البائع بالثمن مع انتفاع الناس بها ، وهو خير من مطالبة الغاصب بالقيمة مع فسادها . والكلام في مثل هذا يطول . والله أعلم بالصواب .

وسئل رحمه الله

عن الذين غالب أموالهم حرام ، مثل المكاسين ، وأكلة الربا ، وأشباههم . ومثل أصحاب الحرف المحرمة كمصوري الصور ، والمنجمين ، ومثل أعوان الولاة . فهل يحل أخذ طعامهم بالمعاملة ؟ أم لا ؟ .

فأجاب : الحمد لله . إذا كان في أموالهم حلال وحرام ، ففي معاملتهم شبهة ؛ لا يحكم بالتحريم إلا إذا عرف أنه يعطيه ما يحرم اعطاؤه . ولا يحكم بالتحليل إلا إذا عرف أنه أعطاه من الحلال . فان كان الحلال هو الأغلب لم يحكم بتحريم المعاملة ، وإن كان الحرام هو الأغلب . قيل بحل المعاملة . وقيل : بل هي محرمة . فأما المعامل بالربا فالغالب على ماله الحلال ؛ إلا ان يعرف الكره من وجه آخر . وذلك أنه إذا باع ألفاً بألف ومائتين فالزيادة هي المحرمة فقط ، وإذا كان فى ماله حلال وحرام واختلط لم يحرم الحلال ؛ بل له أن يأخذ قدر الحلال ، كما لو كان المال لشريكين فاختلط مال أحدهما بمال الآخر ، فانه يقسم بين الشريكين .

وكذلك من اختلط بماله : الحلال والحرام أخرج قدر الحرام ، والباقي حلال له ، والله أعلم .

وسئل

عما يأكله رؤساء القرى ، وشيوخ الحارات . هل هو حلال ؟ أم لا ؟

فأجاب : إذا كان الرئيس يظلم الناس ، فما يأخذه ظلما من الناس فهو حرام . وما كان ملكا له او مكتسبا بطريق شرعي ، فهو مباح . وشيخ الحارة إذا أخذ اجرته على الحراسة بالمعروف ، ولم يتعد على الناس . فأجرته حلال .

ظلمهم ، لم يظلمهم المشتري ، فتكون له حلالا . والكلام في هذه المسألة مبسوط فى غير هذا الموضع .

ونكتة المنع أن المحرم لها يقول : بيعت بغير اذن ، ولا وكالة ، ولا ولاية . وهذا ممنوع ؛ بل يقال : هم يرضون بيعها ، وقد أذنوا فى ذلك ؛ ولكن لم يرضوا أن تؤخذ الأثمان . كما لو قدر أن شخصاً أذن لشخص فباع ، وأخذ الثمن لنفسه ، فالمالك راض بالبيع ؛ دون قبضه الثمن له . ولو قدر ان المالك لم يأذن في البيع فمصلحته فى الشرع تقتضي ان يباع ، فهذا خير له من ان يفسد ، ولا يمكن ان يباع الا على هذا الوجه ، وأن يباع ويقبض الثمن — كائنا من كان — خير من ان يفسد ؛ فانه حينئذ يمكن مطالبة البائع بالثمن مع انتفاع الناس بها ، وهو خير من مطالبة الغاصب بالقيمة مع فسادها . والكلام في مثل هذا يطول . والله أعلم بالصواب .

وسئل رحمه الله

عن الذين غالب أموالهم حرام ، مثل المكاسين ، وأكلة الربا ، وأشباههم . ومثل أصحاب الحرف المحرمة كمصوري الصور ، والمنجمين ، ومثل أعوان الولاة . فهل يحل أخذ طعامهم بالمعاملة ؟ أم لا ؟.

فأجاب : الحمد لله . إذا كان في أموالهم حلال وحرام ، ففي معاملتهم شبهة ؛ لا يحكم بالتحريم إلا إذا عرف أنه يعطيه ما يحرم اعطاؤه . ولا يحكم بالتحليل إلا إذا عرف أنه أعطاه من الحلال . فان كان الحلال هو الأغلب لم يحكم بتحريم المعاملة ، وإن كان الحرام هو الأغلب . قيل بحل المعاملة . وقيل : بل هي محرمة . فأما المعامل بالربا فالغالب على ماله الحلال ؛ إلا ان يعرف الكره من وجه آخر . وذلك أنه إذا باع ألفاً بألف ومائتين فالزيادة هي المحرمة فقط ، وإذا كان فى ماله حلال وحرام واختلط لم يحرم الحلال ؛ بل له أن يأخذ قدر الحلال ، كما لو كان المال لشريكين فاختلط مال أحدهما بمال الآخر ، فانه يقسم بين الشريكين .

وكذلك من اختلط بماله : الحلال والحرام أخرج قدر الحرام ، والباقي حلال له ، والله أعلم .

وسئل

عما يأكله رؤساء القرى ، وشيوخ الحارات . هل هو حلال ؟ أم لا ؟

فأجاب : إذا كان الرئيس يظلم الناس ، فما يأخذه ظلما من الناس فهو حرام . وما كان ملكا له او مكتسبا بطريق شرعي ، فهو مباح . وشيخ الحارة إذا أخذ اجرته على الحراسة بالمعروف ، ولم يتعد على الناس . فأجرته حلال .

وسئل

عن رجل فامي يأخذ منه رؤساء القرى شيئاً يضيفون به المنقطعين ، وغيرهم ، ويجبون من المساكين والأرامل فيعطوه ، هل يكون حلالا ؟ أم حراماً ؟ .

فأجاب : إذا اشتروا منهم شيئاً ، وأعطوهم ثمنه من مال يعلمون انه مغصوب — أخذ من أصحابه ظلما — لم يكن لهم أن ينتفعوا به ؛ لكن هذا المال إذا اشترى لهم به ما يطلبونه منهم ، لم يكن عليهم شيء ، إذا كانوا المكرهين على ذلك . فينبغي لمن يتقى أن يظلم وأن يظلم : ان يشترى للظلمة بأموالهم ما يطلبونه منه ، لا ليظلم غيره ، ولا يكون هو مظلوماً ، وهو مكره على هذا العمل .

ومع هذا فالمال الذي جمعوه من الناس ، وقد تعذر رده على صاحبه ، إذا أعطوه الفامي عمنا عما أخذوه منه بغير اختياره ، فهو أحق به ، ممن يعطاه بغير معاوضة ، والظالم فى الحقيقة هو الذي أخذ الأموال بغير حق ، لا من أخذ عوض ماله من مال لا يعلم له مستحقا معيناً ، والله تعالى أعلم .

وسئل

عن معاملة التتار : هل هي مباحة لمن يعاملونه ؟

فأجاب : أما معاملة التتار ، فيجوز فيها ما يجوز فى أمثالهم ، ويحرم فيها ما يحرم من معاملة أمثالهم ، فيجوز أن يبتاع الرجل من مواشيهم ، وخيلهم ، ونحو ذلك ، كما يبتاع من مواشي التركمان ، والأعراب ، والأكراد ، وخيلهم . ويجوز أن يبيعهم من الطعام والثياب ونحو ذلك ، ما يبيعه لأمثالهم .

فاما ان باعهم ، وباع غيرهم ، ما يعينهم به على المحرمات . كالخيل ، والسلاح ، لمن يقاتل به قتالا محرما ، فهذا لا يجوز . قال الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) . وفى السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه لعن فى الخمر عشرة : لعن الخمر ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وبائعها ، ومبتاعها ، وساقيها ، وشاربها ، وآكل ثمنها » فقد لعن العاصر ، وهو انما يعصر عنباً يصير عصيراً ، والعصير حلال ، يمكن ان يتخذ خلا ، ودبساً ، وغير ذلك .

المنتظم

في تاريخ الملوك والأمم

تأليف

أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧هـ

حمدان ونحرج بجكم فكان ينزل بين يديه بقليل فاستولى ابن رائق على بغداد فدخلها فى الف من القرامطة . اخبرنا ابو منصور عبدالرحمن بن محمد اخبرنا احمد ابن على بن ثابت اخبرنا التنوخى اخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر قال لما كان فى المحرم سنة سبع وعشرين وثلثمائة خرج الراضى الى الموصل واخرج معه قاضى القضاة ابا الحسين عمر بن محمد بن يوسف وامره ان يستخلف على مدينة السلام باسرها ابا نصر يوسف بن عمر لما علم انه لا احد بعد ابيه يجاريه ولا انسان يساويه فجلس يوم الثلاثاء لخمس بقين من المحرم سنة سبع وعشرين فى جامع الرصافة وقرأ عهده بذلك وحكم فتبين للناس من امره ما بهر عقولهم ومضى فى الحكم على سبيل معروفة له ولسلفه وما زال ابو نصر يخلف اباه على القضاء بالحضرة من الوقت الذى ذكرنا الى ان توفى قاضى القضاة . قال ابو بكر الصولى ومضى الراضى عاجلا الى الموصل وقد تقدم بجكم فواقع الحسن بن عبدالله فهزمه ثم خرج ابن رائق من بغداد وعاد الراضى اليها .

وجاء فى جمادى الاولى وهو أول يوم من اذار بعد المغرب مطر عظيم وبرد كبار فى كل بردة نحو الأوقيتين ودام وسقط بذلك حيطان كثيرة من دور بغداد وظهر جراد كثير . وكان الحج قد بطل من سنة سبع عشرة وثلثمائة فلم يحج احد من العراق فلما جاءت سنة سبع وعشرين كاتب ابو على عمر بن يحيى العلوى القرامطة وكانوا يحبونه لشجاعته وكرمه وسألهم ان يأذنوا للحجيج ليسيربهم ويعطيهم من كل جمل خمس دنانير ومن المحمل سبعة دنانير فأذنوا لهم فحج الناس وهى اول سنة مكس فيها الحاج، وخرج فى تلك السنة القاضى ابو على ابن ابى هريرة الشافعى فلما طولب بالخفارة لوى راحلته ورجع وقال لم ارجع شحا على الدراهم ولكن قد سقط الحج لهذا المكس .

ذكر من توفى فى هذه السنة من الاكابر

٤٨٤ - الحسن بن القاسم بن دحيم

ابو على الدمشقى ، حدث عن العباس بن الوليد البيروتى وكان اخباريا وله فيها مصنفات

مصنفات توفى بمصر فى محرم هذه السنة وقد اناف (١) على الثمانين سنة .

٤٨٥ - الحسين بن القاسم بن جعفر

ابن محمد بن خالد بن بشر ابو على الكوكبى الكاتب ، صاحب آداب واخبار . حدث عن احمد بن ابى خيثمة وابى العيناء وابن ابى الدنيا وغيرهم ، روى عنه الدارقطنى والمعافى وابن سويد وتوفى فى ربيع الاول من هذه السنة .

٤٨٦ - عثمان بن الخطاب

ابن عبدالله ابو عمرو البلوى الاشج (المغربى-٢) المعروف بأبى الدنيا، يروى عن على بن أبى طالب قدم بغداد بعد سنة ثلثمائة بسنتين وعلماء النقل لا يثبتون قوله ولا يصدقون خبره. اخبرنا عبدالرحمن بن محمد اخبرنا احمد بن على بن ثابت اخبرنا ابوبكر احمد بن موسى بن عبدالله الروشنائى حدثنا محمد بن احمد بن محمد بن يعقوب المفيد قال سمعت ابا عمرو عثمان بن الخطاب بن عبدالله البلوى من مدينة بالمغرب يقال لها رندة (٣) وهو المعمر ويعرف بأبى الدنيا يقول (ولدت - ٤) فى اول خلافة ابى بكر الصديق فلما كان فى زمن (٥) على بن ابى طالب خرجت انا وابى نريد لقاءه فلما صرنا قريبا من الكوفة او من الأرض التى هو فيها لحقنا عطش شديد فى طريقنا اشفينا منه على الهلكة وكان أبى شيخا كبيرا فقلت له اجلس حتى ادور أنا فى الصحراء او البرية فلعلى اقدر على ماء او من يدلنى على ماء او ماء المطر ، فجلس ومضيت اطلب الماء فلما كنت عنه غير بعيد لاح لى ماء فصرت اليه فاذا انا بعين ماء وبين يديها شبيه بالركية (٦) او الوادى من مائها فنزعت ثيابى واغتسلت من ذلك الماء وشربت حتى رويت ثم قلت أمضى فاجىء بأبى فهو

---

(١) كو- نيف (٢) من - كو (٣) هكذا فى تاريخ بغداد والكلمة مشتبهة فى النسخ ووقع فى لسان الميزان - طنجة (٤) سقطت من ص وهى ثابتة فى التاريخ واللسان وزاد فى ص بعد الصديق «كنت طفلا» (٥) كو- خلافة (٦) كو- بالبركة .

ولد فى صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة (١) وسمع من المخلص وابى بكر بن زنبور وابى الحسن الحمامى وغيرهم وتزهد فى شبابه فانقطع فى رباط ابى سعد الصوفى ثم انتقل الى الحريم الطاهرى وكان ثقـة وعاش ثلاثا وتسعين سنة فلم يبق فى الدنيا من سمع اصحاب البغوى غيره وكان آخر من حدث عن المخلص ، وحدثنا عنه اشياخنا وآخر من حدثنا عنـه سعيد بن احمد بن البناء وتوفى ليلة السبت الحادى والعشرين من جمادى الآخرة وصلى عليه اخوه الكامل ودفن فى مقابر الشهداء قريبا من باب حرب .

٤٨ - محمد بن عبد القادر

ابن محمد بن يوسف ابو بكر سمع الكثير من ابى الحسين بن بشران وابى الحسن الحمامى وابن ابى الفوارس وغيرهم روى عنه اشياخنا وكان رجلا صالحا قليل المخالطة لايخرج الا فى اوقات الصلوات يتشدد فى السنة حضر اخوه مجلس ابى نصر القشيرى فهجره . وقال شيخنا ابن ناصر كان عالما متقنا ذاورع وتقى وثقة كثير السماع توفى ليلة الخميس ثالث ربيع الاول ودفن بمقبرة باب حرب .

٤٩ - مطلب الهاشمى

كان خطيبا قديما ثم اقتطعه القائم بأمر الله الى امامته فكان يصلى به وكان خيرا حسن المعتقد يذهب الى مذهب احمد بن حنبل توفى فى رمضان هذه السنة وهو فى عشر السبعين .

٥٠ - هبة الله ابن القاضى

محمد بن علـى بن المهتدى ابو الحسن الخطيب ولد فى سنة تسع عشرة واربعمائة وروى عن البرقانى وغيره وكان اليه القضاء بعد ابيه وخرج فى ايام الفتنة بين اهل الكرخ وباب البصرة فوقع فيه سهم فمـات ودفن يوم الجمعة تاسع عشر صفر عند ابيه خلف القبة الخضراء .

---

(١) فى الاصل – تسع وثلاثين وثلثمائة غلطا لانه عاش ثلاثا وتسعين سنة – ح . يحيى

٥١ - يحيى بن الحسين

ابن اسمعيل بن زيد ابو الحسين الحسنى وكان مفتى طائفته على مذهب زيد بن على وكان له معرفة بالاصول والحديث .

سنة ٤٨٠

ثم دخلت سنة ثمانين واربعمائة

فمن الحوادث فيها انه نودى فى يوم الخميس غرة المحرم برفع الضرائب والمكوس بتوقيع شريف صدر عن المقتدى بأمر الله وكتبت الواح الصقت على الجوامع بتحريم ذلك .

وخرج السلطان ملك شاه فى رابع المحرم الى ناحية الكوفة للصيد فاصطاد هو وعسكره الوفا حتى بنى من حوافرها منارة كبيرة عند الرباط الذى امر ببنائه بالسبيعى بقرب الرحبة فى طريق مكة وهى باقية الى الآن وتسمى منارة القرون وقيل انه كان فيها اربعة آلاف رأس .

وخرج نظام الملك الى المشهد بالكوفة والحائر فزارهما .

وفى يوم السبت سابع عشر المحرم بعث المقتدى ظفر الخادم فاستدعى السلطان فانفذ اليه الطيار فلما وصل السلطان الى باب الغربة قدم اليه مركوب الخليفة بمركب جديد صينى وسرج من لبد اسود فركبه ووصل الى الخليفة فأمره بالجلوس فامتنع فأمره ثانيا واقسم عليه حتى جلس وتقدم بافاضة الخلع عليه ولم يزل نظام الملك يأتى بامير امير الى تجاه السدة فيقول للامير بالفارسية هذا امير المؤمنين ثم يقول للخليفة هذا العبد الخادم فلان بن فلان ولايته كذا وعسكره كذا وذلك الامير يقبل الارض وكانوا اكثر من اربعين اميرا وكان فى جملة الامراء آيتكين خال السلطان فلما حضر استقبل القبلة وصلى بازاء الخليفة ركعتين واستسلم الحيطان ومسح بيده وجسمه وعاد السلطان وعليه الخلع والتاج والطوق، وكشتكين الجامدار يرفع ذيله عن

من العلماء والزهاد واعيان الناس واما النظام فان سيرته بهرت العقول جودا
وكرما وحشمة واحياء لمعالم الدين فبنى المدارس ووقف عليها الوقوف ونعش
العلم واهله وعمر الحرمين وعمر دور الكتب وابتاع الكتب فكانت سوق
العلم فى ايامه قائمة والعلماء مستطيلين على الصدور من ابناء الدنيا وما ظنك برجل
كان الدهر فى خفارته لأنه كان قد افاض من الانعام ما ارضى الناس وانما
كانوا يذمون الدهر لضيق ارزاق واختلال احوال فلما عمهم احسانه امسكوا
عن ذم زمانهم، قال ابن عقيل بلغت كلمتى هذه وهى قوله كان الدهر فى
خفارته جماعة من الوزراء والعمداء فشطروها (١) واستحسنها العقلاء الذين
سمعوها. قال ابن عقيل وقلت مرة فى وصفه ترك الناس بعده موتى اما اهل
العلم والفقراء ففقدوا العيش بعده بانقطاع الارزاق واما الصدور والاغنياء
فقد كانوا مستورين بالغنا عنهم فلما عرضت الحاجات عجزوا عن تحمل بعض
ما عود من الاحسان فانكشفت معايبهم من ضيق الاخلاق فهؤلاء موتى بالمنع
وهؤلاء موتى بالذم وهو حى بعد موته بمدح الناس لأيامه ثم ختم له بالشهادة
فكفاه الله امر آخرته كما كفى اهل العلم امر دنياهم ولقد كان نعمة من الله على
اهل الاسلام فما شكروها فسلبوها، قال المصنف رحمه الله وقد رثاه مقاتل
ابن عطية المسمى بشبل الدولة فذكر هذا المعنى.

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة ... يتيمة صاغها الرحمان من شرف
عزت فلم تعرف الايام قيمتها ... فردها غيرة منه الى الصدف

١٠٤- عبد الباقى بن محمد

ابن الحسين بن داود بن ناقيا ابو القاسم الشاعر من اهل الحريم الطاهرى.
ولد سنة عشر واربعمائة وسمع ابا القاسم الخرقى وغيره وكان اديبا حدث عنه
اشياخنا ورموه بانه كان يرى رأى الاوائل ويطعن على الشريعة، وقال شيخنا
عبدالوهاب الانماطى ما كان يصلى، وكان يقول فى السماء نهر من خمر ونهر من
لبن ونهر من عسل ما سقط منه شيء قط! هذا الذى يخرب البيوت ويهدم

السقوف

(١) كذا.

السقوف، توفى فى محرم هذه السنة ودفن بباب الشام، وانبأنا عمر بن ظفر
المغازلى قال سمعت ابا الحسن على بن محمد الدهان يقول دخلت على ابى القاسم
ابن ناقيا بعد موته لأغسله فوجدت يده مضمومة فاجتهدت على فتحها فاذا
فيها مكتوب.

نزلت بجار لا يخيب ضيفه ... ارجى نجاتى من عذاب جهنم
وانى على خوفى من الله واثق ... بانعامه والله اكرم منعم

١٠٥- عبد الرحمن بن محمد

ابو محمد العانى كان يتولى قضاء ربع الكرخ ببغداد ثم ولى قضاء البصرة وتوفى
فى رمضان هذه السنة.

١٠٦- مالك بن احمد

ابن على بن ابراهيم ابوعبدالله البانياسى وبانياس بلد من بلاد الثغور قريب من
فلسطين ولد سنة ثمان وتسعين وهذا الرجل له اسمان وكنيتان يقال له
ابوعبدالله مالك وابوالحسن على وكان يقول سمانى ابى مالكا وكنانى بابى
عبدالله واسمتنى أمى عليا وكنتنى بابى الحسن فانا اعرف بهما لكنه اشتهر بما سماه
ابوه، سمع ابا الحسن بن الصلت وهو آخر من حدث عنه فى الدنيا وسمع من
ابى الفضل بن ابى الفوارس وابا الحسين بن بشران وحدثنا عنه مشايخنا آخرهم
ابوالفتح ابن البطى وكان ثقة.

واحترق سوق الريحانيين يوم الثلاثاء بين الظهر والعصر تاسع عشر جمادى
الآخرة من هذه السنة وهلك فيه جماعة من الناس فاحترق فيه مالك البانياسى
وكان فى غرفته (١) ودفن يوم الاربعاء.

١٠٧- ملكشاه

ويكنى ابا الفتح بن ابى شجاع محمد الب ارسلان ابن داود بن ميكائيل بن
سلجوق الملقب جلال الدولة عمر القناطر واسقط المكوس والضرائب

(١) فى الاصل عشرته وفى انساب السمعانى - عرقبه

وحفر الانهار الخراب وبنى الجامع الذى يقال لـه جامع السلطان ببغداد وبنى
مدرسة ابى حنيفة والسوق وبنى منارة القرون من صيوده وهى التى بظاهر
الكوفة وبنى مثلها وراء النهر وتذكر ما اصطاده بنفسه فكان عشرة آلاف
فتصدق بعشرة آلاف دينار وقال انى خائف من الله سبحانه من ارهاق روح
لغير مأكله وخطب له من اقصى بلاد الترك الى اقصى بلاد اليمن وراسله الملوك
حتى قال النظام كم من يوم وقعت باطلاق اذمات لرسل ملك الروم واللان
والخزر والشام واليمن وفارس وغير ذلك، قال وان خرج هذا السلطان فى
السنة نحو من عشرين الف الف دينار، وكانت السبل فى زمانه آمنة وكانت نيته
فى الخير جميلة وكان يقف للمرأة والضعيف ولا يبرح الا بعد انصافهم، ومن
محاسن ما جرى له فى ذلك ان بعض التجار قال كنت يوما فى معسكره فركب
يوما الى الصيد فلقيه سوادى يبكى فقال له ما لك؟ فقال له ياخيلباشى كان معى
حمل بطيخ هو بضاعتى فلقينى ثلاثة غلمان فأخذوه فقال له امض الى العسكر
فهناك قبة حمراء فاقعد عندها ولا تبرح الى آخر النهار فانا ارجع واعطيك ما يغنيك
فلما عاد قال للشرابى قد اشتهيت بطيخا ففتش العسكر وخيمهم ففعل فاحضر
البطيخ فقال عند من رأيتموه؟ فقال فى خيمة فلان الحاجب فقال أحضروه
فقال له من اين لك هذا البطيخ؟ فقال جاء به الغلمان فقال اريدهم هذه الساعة
فمضى وقد احس بالشر فهرب الغلمان خوفا من ان يقتلهم وعاد وقال قد هربوا
لما علموا ان السلطان يطلبهم فقال احضروا السوادى فاحضر فقال له هذا بطيخك
الذى اخذ منك؟ قال نعم فقال هذا الحاجب مملوك ابى ومملوكى وقد سلمته اليك
ووهبته لك ولم يحضر الذين اخذوا مالك ووالله لئن تركته لاضربن رقبتك
فأخذ السوادى بيد الحاجب واخرجه فاشترى الحاجب نفسه منه بثلثمائة دينار
فعاد السوادى الى السلطان فقال يا سلطان قد بعت المملوك الذى وهبته لى
بثلثمائة دينار فقال قد رضيت بذلك؟ قال نعم فقال اقبضها وامض مصاحبا.

ومن محاسن افعاله انه لقى انسانا تاجرا على عقبة معه بغال عليها متاع فذهب
اصحابه

اصحابه ينحون البغال الى صاحب الخيل فقال لا تفعلوا نحن على خيل يمكننا ان
نصعد الى هناك وهذه البغال عليها اثقال وفى ترقيتها خطر فصعد على الجادة الى
ان مضى التاجر بأحماله ثم عاد ولقى امرأة تمشى فقال لها الى اين؟ قالت الى الحج
قال كيف تقدرين على ذاك؟ قالت امشى الى بغداد واطرح نفسى هناك على من
يحملنى لطلب الثواب، فأخرج ما كان فى خريطته من الدنانير فطرحه فى ازارها
وقال خذى هذا فاشترى منه مركوبا واصرفى بقيته فى نفقتك ولما توجه الى
حرب اخيه تكش اجتاز بمشهد على بن موسى الرضا بطوس فدخل للزيارة ومعه
النظام فلما خرجا قال له يا حسن بما دعوت فقال دعوت الله ان يظفرك باخيك
فقال انى لم اسأل ذلك وانما قلت اللهم ان كان اخى اصلح للمسلمين منى فظفره
بى وان كنت اصلح لهم فظفرنى به، وجاء اليه تركمانى قد لازم تركمانيا فقال له
انى وجدت هذا قد ابتنى بابنتى واريد أن تأذن لى فى قتله فقال لا تقتله ولكننا
نزوجها به ونعطى المهر من خزانتنا عنه فقال لا اقنع الا بقتله فقال هاتوا سيفا
فجىء به فأخذه وسله وقال للرجل تعال فتعجب الناس وظنوا انه يقتل الاب
فلما قرب منه اعطاه السيف وامسك بيده الجفن وأمره ان يعيد السيف الى
الجفن فكلما رام الرجل ذلك قلب السلطان الجفن فلم يمكنه من ادخال السيف
فيه فقال ما لك لا تدخل السيف فقال ياسلطان ما تدعنى فقال كذلك ابنتك لو
لم ترد ما فعل بها هذا الرجل ولما امكنه غصبها وقهرها فان كنت تريد قتله لأجل
فعله فاقتلها جميعا فبقى الرجل لا يرد جوابا وقال الامر للسلطان فاحضر من زوجه
بها واعطى المهر من الخزانة ودخل على هذا السلطان واعظ فحكى له ان بعض
الاكاسرة انفرد عن عسكره فجاز على بستان فطلب منه ماء ليشرب فأخرجت
له صبية اناء فيه ماء قصب السكر والثلج فشربه فاستطابه فقال هذا كيف يعمل؟
فقالت من قصب السكر يزكو عندنا حتى نعصره بأيدينا فيخرج منه هذا الماء
فقال احضرينى شيئا آخر منه فمضت وهى لا تعرفه فنوى فى نفسه اصطفاء المكان
لنفسه وتعويضهم عنه فما كان بأسرع من ان خرجت باكية فقال لها ما لك؟ فقالت

احمالا من الكتب فحملها الى بغداد وكان قاضى القضاة ابو عبد الله الدامغانى
يكرمه ويقوم له وروى الحديث ببغداد عن ابى عمر بن مهدى وفسر القرآن
فى سبعمائة مجلد وجمع فيه العجب حتى انه ذكر قوله تعالى (واتبعوا ما تتلو
الشياطين) فى مجلد قال ابن عقيل كان رجلا طويل اللسان يعلم تارة ويسفه اخرى
ولم يكن محققا فى علم وكان يفتخر ويقول انا معتزلى وكان ذلك جهلا منه لانه
يخاطر بدمه فى مذهب لا يساوى قال وبلغنى عنه لما وكل به الاتراك مطالبة
بما اتهموه به من ايداع بنى جهير الوزراء عنده اموالا قيل له ادع الله فقال
ما لله فى هذا شىء هذا فعل الظلمة، قال ابن عقيل هذا قول نحرف لانه ان قصد
بذلك التعديل ونفى الجور فقد اخرج الله سبحانه وتعالى عن التقدير ثم هب انه
ليس هو المقدر لذلك أليس بقادر على المنع والدفع، قال شيخنا ابو بكر بن عبد الباقى
دخل ابو يوسف على نظام الملك وعنده ابو محمد التميمى ورجل آخر اشعرى
فقال له ايها الصدر قد اجتمع عندك رؤوس اهل النار، فقال كيف؟ فقال انا معتزلى
وهذا مشبه وذاك اشعرى وبعضنا يكفر بعضا، توفى ابو يوسف فى ذى القعدة
من هذه السنة وقد بلغ ستا وتسعين سنة وما تزوج الا فى آخر عمره ودفن بمقبرة
الخيزران قريبا من ابى حنيفة .

١٣١ – محمد بن حسين بن عبد الله

ابن ابراهيم ابو شجاع الوزير الروذراورى الاصل بلدة من ناحية همذان
اهوازى المولد الوزير ابن الوزير لان ابا يعلى الحسين كاتبه القائم وهو
بالاهواز بوزارته وخاطبه بها فوصله الكتاب يستدعى له وهو ميت وكان
ابو شجاع قد قرأ الفقه والعربية وسمع الحديث من جماعة منهم ابو اسحاق الشيرازى
وصنف كتبا منها كتابه الذى ذيله على تجارب الامم ووزر للمقتدى سليما من طمع
وكان يملك حينئذ عينا ستمائة الف دينار فأنفقها فى الخيرات والصدقات، وقال
ابو جعفر بن الخرقى كنت انا من احد عشر يتولون اخراج صدقاته فحسبت
ما اخرج على يدى فكان مائة الف دينار، ووقف الوقوف وبنى المساجد واكثر
الانعام

الانعام على الارامل واليتامى وكان يبيع الخطوط الحسنة ويتصدق بثمنها ويقول
احب الاشياء الى الدينار والخط الحسن فانا اخرج لله محبوبى، ووقع مرض فى
زمانه فبعث الى جميع اصقاع البلد انواع الاشربة والادوية، وكان يخرج العشر
من جميع امواله النباتية على اختلاف انواعه. وعرضت عليه رقعة من بعض
الصالحين يذكر فيها ان امرأة معها اربعة اطفال ايتام وهم عراة جياع فقال
لرجل امض الآن اليهم واحمل معك ما يصلحهم ثم خلع اثوابه وقال والله
لا لبستها ولا دفئت حتى تعود وتخبرنى انك كسوتهم واشبعتهم، فمضى وعاد
فاخبره وهو يرعد من البرد، حكى حاجبه الخاص به قال استدعانى ليلة وقال
انى امرت بعمل قطائف فلما حضر بين يدى ذكرت نفوسا تشتهيه فلا تقدر عليه
فنغص ذلك على أكله ولم اذق منه شيئا فأحمل هذه الصحون الى اقوام فقراء،
فحملها الفراشون معه وجعل يطرق ابواب المساجد بباب المراتب ويدفع ذلك
الى الاضراء المجاورين بها، وكان يبالغ فى التواضع حتى ترك الاحتجاب فكلم
المرأة والطفل واوطأ العوام والصالحين مجلسه، وكان يحضر الفقهاء الديوان فى
كل مشكل وكانوا اذا أفتوا فى حق شخص بوجوب حق القصاص عليه سأل
اولياء الدم اخذ شىء من ماله وان يعفوا فان فعلوا والا امر بالقصاص واعطى
ذلك المال ورثة المقتول الثانى، ولقد جرت منه عصبية مرة فى ليلة الغيم فأمر
ابن الخرقى المحتسب ان يجلس بباب النوبى ويكرم الناس بالافطار واحضر
اطباقا فيها لوز وسكر وبعث الى ابى اسحاق الخرازى بباب المراتب ليمنعه من صلاة
التراويح تلك الليلة فلم يمتنع ذلك وقرأ (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى)
فعدد فى هذا الشهر أن صام الناس ثمانية وعشرين يوما فاسقط فى يده وذبح
البقر وصدق بصدقات وافرة وعاهد الله سبحانه أن لا يتعصب فى الفروع ابدا
وفى زمانه اسقطت المكوس والبس اهل الذمة الغيار وتقدم الى ابن الخرقى
المحتسب ان يؤدب كل من فتح دكانه يوم الجمعة و يغلقه يوم السبت من
البزازين وغيرهم وقال هذه مشاركة لليهود فى حفظ سبتهم . وكان قد سمع

وافترشت النساء . وكان سيف الدولة يعجبه اختلاف السلاطين ويعتقد أنه
ما دام الخلاف قائما بينهم فأمره منتظم كما استقام امر والده صدقة عند اختلاف
السلاطين، فلما بلغه كسر مسعود وخاف مجىء محمود امر باحراق الأتبان والغلات
وانفذ الخليفة اليه نقيب الطالبيين ابا الحسن على بن المعمر لحذره وانذره فلم ينفع
ذلك فيه وبعث اليه السلطان بالتسكين وانه قد اعفاه من وطء بساطه فلم يهتز
لذلك وتوجه نحو بغداد فى جمادى الآخرة فضرب سرادقه بازاء دار الخلافة
من الجانب الغربى وبات اهل بغداد على وجل شديد ونعيت والدة نقيب
الطالبيين فقعد فى الكرخ للعزاء بها فمضى اليه سيف الدولة فنثر عليه اهل الكرخ،
وتهدد دار الخلافة وقال انكم استدعيتم السلطان فان انتم صرفتموه والا فعلت
وفعلت فنفذ اليه انه لا يمكن رد السلطان بل نسعى فى الصلح فانصرف دبيس،
فسمع اصوات اهل باب الازج يسبونه فعاد وتقدم بالقبض عليهم فأخذ جماعة
منهم وضربوا بباب النوبى ثم انحدر ثم دخل السلطان محمود فى رجب وتلقاه
الوزير ابو على بن صدقة وخرج اليه اهل باب الازج فنثروا عليه الدنانير
ونصت شحنكية بغداد الى برنقش الزكوى .

وفى شعبان هذه السنة بعث دبيس زوجته المسماة شرف خاتون بنت عميد
الدولة ابن جهير الى السلطان وفى صحبتها عشرون الف دينار وثلاثة عشر رأسا
من الخيل فما وقع الرضا عنه وطولب باكثر من هذا فأصر على اللجاج ولم
يبذل شيئا آخر فمضى السلطان الى ناحيته فبعث يطلب الأمان مغالطة لينهزم فلما
بعث اليه خاتم الامان دخل البرية فدخل السلطان الحلة فبات بها ليلة .

وفى هذه السنة تقدم المسترشد باراقة الخمور التى بسوق السلطان ونقض بيوتهم،
وفيها رد وزير السلطان السميرمى المكوس والضرائب وكان السلطان محمد
قد اسقطها فى سنة احدى وخمسمائة .

ودخل السلطان محمود فتلقاه الوزير والموكب وطالب بالافراج عن الامير
ابى الحسن فبذل له ثلثمائة الف دينار ليسكت عن هذا .

ذكر

ذكر من توفى فى هذه السنة من الاكابر

٣٦٥ - احمد بن عبد الوهاب

ابن هبة الله بن عبدالله ابن السيبى ابو البركات سمع ابا الحسين بن النقور وابا محمد
الصريفينى وابا القاسم ابن البسرى وغيرهم وحدث عنهم وروى عنه الخليفة
المقتفى وكان يعلم اولاد المستظهر فانس بالمسترشد فلما صارت الخلافة اليه وقبض
على ابن الخرزى رد الى هذا الرجل النظر فى المخزن فولى ذلك سنة وثمانية
اشهر، وكان كثير الصدقة متعهدا لأهل العلم، وخلف مالا حزر بمائة الف دينار
واوصى بثلثى ماله ووقف وقوفا على مكة والمدينة ومات عن ست وخمسين
سنة وثلاثة اشهر وصلى عليه بالمقصورة فى جامع القصر الوزير ابو على بن صدقة
وارباب الدولة ودفن عند جده ابى الحسن القاضى بباب حرب .

٣٦٦ - احمد بن على

ابن محمد بن الحسن بن عبدون ابو سعد المقرى سمع ابا محمد التميمى وابا الفضل بن
خيرون واباالحسين ابن الطيورى وكان ستيرا صالحا يصلى فى المسجد المعروف
بالوراقين وتوفى فى ربيع الآخر ودفن بباب حرب .

٣٦٧ - احمد بن محمد

ابن البخارى ابو المعالى ولد سنة ثلاثين وسمع ابا طالب بن غيلان والجوهرى
وغيرهما وسماعه صحيح وكان مستورا وتوفى فى هذه السنة ودفن بمقبرة
باب حرب .

٣٦٨ - احمد بن الخطاب

ويعرف بابن صوفان ابوبكر الحنبلى سمع ابابكر الخياط واباعلى ابن البناء وقرأ عليه
القراآت وكان صالحا مستورا يقرئ القرآن ويؤم الناس وتوفى فى ذى القعدة
ودفن بمقبرة باب حرب .

بمشاهدة العسكر فصلى المسترشد يوم الجمعة رابع عشرين ذى الحجة ونزل راكبا
من باب الغربة مما يلى المثمنة وعبر فى الزبزب وعليه القباء والعمامة وبردة
النبى صلى الله عليه وسلم على كتفيه والطرحة على رأسه وبيده القضيب ومعه
وزيره احمد بن نظام الملك والنقيبان وقاضى القضاة الزينبى وجماعة الهاشميين
والشهود والقضاة والناس فنزل بالمخيم واقام به الى ان انقضى الشهر اعنى ذا الحجة .
وفى هذه السنة وصل ابو الحسن على بن الحسين الغزنوى ووعظ ببغداد وصار له
قبول وورد بعده ابو الفتوح الاسفرائينى ونزل برباط ابى سعد الصوفى وتكلم
بمذهب الاشعرى ثم سلم اليه رباط الارجوانية والدة المقتدى وورد الشريف
ابو القاسم على بن يعلى العلوى ونزل برباط ابى سعد ايضا وتكلم على الناس واظهر
السنة فحصل له نفاق عند اهل السنة وكان يورد الاحاديث بالأسانيد .

ذكر من توفى فى هذه السنة من الأكابر

٣٨٧ - الحسن بن محمد

ابن اسحاق بن ابراهيم بن مخلد ابو على الباقرحى ولد سنة سبع وثلاثين واربعمائة
وسمع ابا القاسم التنوخى وابا بكر بن بشران والقزوينى وابن شيطا والبرمكى
والجوهرى وغيرهم وكان رجلا مستورا من اولاد المحدثين فهو محدث وابوه
وجده وابو جده وجد جده . وتوفى فى هذه السنة ودفن بمقبرة باب حرب .

٣٨٨ - عبد الله بن احمد

ابن عمر بن أبى الاشعث ابو محمد السمرقندى اخو شيخنا ابى القاسم ولد بدمشق سنة
اربع واربعين واربعمائة ونشأ ببغداد فسمع الكثير من الصريفينى وابن النقور
وغيرهما وسمع ببيت المقدس وبنيسابور وببلخ وبسرخس وبمرو وباسفرائين
وبالكوفة وبالبصرة وغير ذلك من البلاد وصحب اباه والخطيب وجمع والف
وكان صحيح النقل كثير الضبط ذا فهم ومعرفة، انبأنا ابو زرعة بن محمد بن طاهر
عن ابيه قال سمعت ابا اسحاق المقدسى يقول لما دخل ابو محمد السمرقندى بيت
المقدس

المقدس قصد اباعثمان بن الورقاء فطلب منه جزءا فوعده به ونسى أن يخرجه
فتقاضاه فوعده مرارا فقال له ايها الشيخ لاتنظر الى بعين الصبوة فان الله قد
رزقنى من هذا الشان مالم يرزق ابا زرعة الرازى ، فقال الشيخ الحمد لله ،
ثم رجع اليه يطلب الجزء ، فقال الشيخ ايها الشاب انى طلبت البارحة الاجزاء
فلم أجد فيها جزءا يصلح لأبى زرعة الرازى، فخجل وقام ، توفى ابو محمد يوم
الاثنين ثانى عشر ربيع الآخر من هذه السنة .

٣٨٩ - عبد القادر بن محمد

ابن عبد القادر بن محمد بن يوسف ابو طالب بن ابى بكر بن ابى القاسم الأصفهانى
الاصل، ولد سنة ست وثلاثين واربعمائة وسمع البرمكى والجوهرى والعشارى
وابن المذهب وغيرهم وسمع الكثير وحدث بالكثير سنين وكان الغاية فى
التحرى واتباع الصدق والثقة وكان صالحا كثير التلاوة للقرآن كثير الصلاة
وهو آخر من حدث عن أبى القاسم الازجى وتوفى يوم السبت ثامن عشر ذى
الحجة ودفن بباب حرب .

٣٩٠ - على بن احمد (١)

ابو طالب السميرمى وسميرم قرية باصبهان كان وزير السلطان محمود وكان مجاهرا
بالظلم والفسق وبنى ببغداد دارا على دجلة فأخرب المحلة المعروفة بالتوثة ونقل
آلاتها الى عمارة داره فاستغاث اليه اهل التوثة فحبسهم ولم يخرجهم الا بغرم
وهو الذى اعاد المكوس بعد عشر سنين من زمان ازالتها وكان يقول لقد
سننت على اهل بغداد السنن الجائرة فكل ظالم يتبع افعالى وما اسلم فى الدنيا
وقد فرشت حصيرا فى جهنم وقد استحييت من كثرة التعدى على الناس
وظلمى من لاناصر له وقال هذا فى الليلة التى قتل فى صباحها وكان سرادقه
قد ضرب بظاهر البلد وركب فى بكرة ذلك اليوم وقال قد عزمت على الالمام
بالحمام والعود عاجلا فى الوقت الذى اختاره المنجمون فعاد ودخل الحمام ثم
خرج وبين يديه من العدد ما لايحصى من حملة السلاح والصمصامات والسيوف

---

(١) فى ص « على بن حرب » وهو سبق قلم

وانفذ الصناع لتنقية العين والمصنع وكانت العرب طموها واغترم على ذلك مالا كثيرا وتولى ذلك نقيب مشهد امير المؤمنين على عليه السلام ، واعيدت المكوس والمواصير والزم الباعة ان يرفعوا الى السلطان ثلثى ما ياخذونه من الدلالة فى كل ما يباع وفرض على كل نول من السقلاطون ثمانية قاط (١) وحبة ثم قيل للباعة زنوا خمسة آلاف شكرا للسلطان فقد تقدم بازالة المكس .

ومرض وزير السلطان محمود فعاده السلطان وهناه بالعافية فعمل له وليمة بلغت خمسين الف دينار وكان فيها الأغانى والملاهى .

وفى رجب اخذ القاضى ابوعبدالله ابن الرطبى شواء من الأعاجم فشهره فمضى وشكا الى العجم فأقبل العجم فى خمسة غلمان اتراك فأخذوه وسحبوه الى دار السلطان وجرت فتنة وغلقت ابواب الحديد ورجمهم العامة فعادوا على العامة بالدبابيس فانهزموا وحملوه فلما شرح الحال لوزير السلطان اعيد مكرما وطولب اهل الذمة بلبس الغيار فانتهى الامر الى ان يسلموا الى الخليفة اربعة آلاف والى السلطان عشرين الف دينار واحضر الجالوت فضمنها وجمعها .

ذكر من توفى فى هذه السنة من الاكابر

٣٧٦ – الحسن بن احمد

ابن الحسن بن على ابوعلى الحداد الاصفهانى ولد سنة تسع عشرة واربعمائة وسمع ابا نعيم وغيره ، انتهى اليه الاقراء والحديث باصبهان وتوفى فى ذى الحجة من هذه السنة عن ست وتسعين .

٣٧٧ – خاتون السفرية

كانت حظية ملك شاه فولدت له محمدا وسنجر وكانت تتدين وتبعث جمال السبيل الى طريق مكة ولما حصلت فى الملك بحثت عن اهلها وامها واخواتها حتى عرفت مكانهم ثم بذلت الاموال لمن يأتيها بهم فلما وصلوا اليها ودخلت امها وكانت قد فارقت امها منذ اربعين سنة فجلست البنت بين جوار يقاربنها

(١) اظنه بمعنى قيراط – ك .

ف

فى الشبه حتى تنظر هل تعرفها ام لا فلما سمعت الأم كلامها نهضت اليها فقبلتها واسلمت الأم فلما توفيت خاتون قعد لها السلطان محمود فى العزاء على ما سبق ذكره .

وهذه المرأة تذكر فى نوادر التاريخ لأنهم قالوا لايعلم امرأة فى الاسلام ولدت خليفتين أو ملكين سوى ولادة بنت العباس لأنها ولدت لعبد الملك الوليد وسليمان ووليا الخلافة، وشاهفرند ولدت للوليد بن عبد الملك يزيد وابراهيم وكلاهما ولى الخلافة، والخيزران ولدت الهادى والرشيد، وهذه ولدت محمدا وسنجر وكلاهما ولى السلطنة وكان عظيما فى ملكه .

٣٧٨ – عبد الرزاق بن عبد الله

ابن على بن اسحاق الطوسى ابن اخى نظام الملك كان قد تفقه على الجوينى وافتى وناظر ثم وزر لسنجر فترك طريقة الفقهاء واشتغل بالجند وتدبير الممالك وتوفى فى هذه السنة .

٣٧٩ – عبد الوهاب بن حمزة

ابوسعد الفقيه الحنبلى العدل سمع ابن النقور والصريفينى وغيرهما وتفقه على الشيخ ابى الخطاب وافتى وشهد عند ابى الحسن الدامغانى وكان مرضى الطريقة جميل السيرة من اهل السنة توفى فى شعبان ودفن بباب حرب .

٣٨٠ – على بن يلدرك الكاتب

ابوالثناء الزكى كان شاعرا ذكيا ظريفا مترسلا وله شعر مطبوع وتوفى فى صفر هذه السنة ودفن بباب حرب . قال المصنف نقلت من خط ابى الوفاء بن عقيل قال حدثنى الرئيس ابوالثناء بن يلدرك وهو ممن خبرته بالصدق انه كان بسوق نهر معلى وبين يديه رجل على رأسه قفص زجاج وذاك الرجل مضطرب المشى يظهر منه عدم المعرفة بالحمل قال فما زلت اترقب منه سقطة لما رأيت من اضطراب مشيه فما لبث ان زلق زلقة طاح منها القفص فتكسر جميع ما كان فيه فبهت الرجل ثم اخذ عند الافاقة من البكاء يقول هذا والله جميع

ويشفع فى ذلك فنزل الجواب عرف حضور منصور بالشفاعة المغيثية معتذرا مما جرى من الوهلات وتقدم من الاساآت وما دام مع الرايات المغيثية فهو مخصوص بالعناية مشمول بالرعاية .

وفى هذه السنة زاد الماء حتى خيف على بغداد من الغرق وتقدم الى القاضى ابى العباس ابن الرطبي بالخروج الى القورج ومشاهدة مايحتاج اليه، وهذا القورج الذى غرق الناس منه فى سنة ست وستين تولى عمارته نوشتكين خادم ابى نصر بن جهير وكتب اسمه عليه وضرب عليه خيمه ولم يفارقه حتى احكمه وغرم عليه الوف دنانير من مال نفسه وسأله محمد الوكيل ان يأخذ منه ثلاثة آلاف دينار ويشاركه فى الثواب فلم يفعل وقال اخراج المال عندى اهون وحاجتى الى الله تعالى اكثر من حاجتى الى المال .

وفى يوم الأربعاء رابع عشر صفر مضى الوزير ابوعلى بن صدقة ومعه موكب الخليفة الى القورج واجتمع بالوزير ابى طالب ووقفا على ظهور مراكبهما ساعة ثم انصرفا فما استقر الناس فى منازلهم حتى جاء مطر عظيم اجمع الأشياخ انهم لم يروا مثله فى اعمارهم ووقع برد عظيم معه ولم يبق بالبلد دار الا ودخل الماء من حيطانها وابوابها وخرج من آبار الناس، وفى هذا الوقت ورد الحاج شاكرين لطريقهم واصفين نعمة الله تعالى بكثرة الماء والعشب ورخص السعر، وكانت الكسوة نفذت على يدى القاضى ابى الفتح ابن البيضاوى واقام بالمدينة لعمارة ما تشعث من مسجدها .

وفى عشية سلخ صفر تقدم السلطان بالاستظهار على منصور بن صدقة ونفذ الى مكان فوثق عليه .

وفى يوم الأربعاء غرة ربيع الاول خرج السلطان محمود من بغداد وكان مقامه بها سنة وسبعة اشهر وخمسة عشر يوما ثم نودى فى يوم الجمعة ثالث ربيع الاول باسقاط المكوس والضرائب وما وضع على الباعة من قبل السلطان ثم استدعى البرسقى الى باب الحجرة وفوض فى امر دبيس فقابل ذلك بالسمع والطاعة فخلع

عليه وتوجه الى صرصر واقترح ان يخرج معه ابن صدقة فاعتذر الخليفة بأن مهام الخدمة منوطة به واخرج عوضه ابوعبدالله محمد بن عبدالكريم ابن الانبارى سديدالدولة ونودى فى الحريم انه متى اقام جندى ولم يخرج للقتال فقد برئت منه الذمة، وعبر دبيس ونفذ الى البرسقى يقول له قد اغنيتك عن العبور وصرت معك على ارض واحدة، وظفر الاتراك بثلاثين رجلا من السوادية يريدون ان يفجروا نهرا فقتلهم الاتراك ثم تصاف العسكران يوم الخميس سلخ ربيع الاول فاجلت الوقعة عن هزيمة البرسقى فقد كان فى خمسة آلاف فارس نصفهم لابس وكان عسكر دبيس فى اربعة آلاف بأسلحة ناقصة وعدد مقصرة الا ان رجالته كانت كثيرة وكان سبب هزيمة البرسقى انه رأى فى الميسرة خللا فأمر بحط خيمته لتنصب عندهم ليشجعهم بذلك وكان ذلك ضلة من الرأى لانهم لما راوا الخيمة قدحطت اشفقوا فانهزموا وكان الحر شديدا فهلكت البراذين والمهاليج عطشا وترتب الناس من دبيس بعد هذا ما يؤذى فلم يفعل واحسن السيرة فيما يرجع الى اعمال الوكلاء وراسل الخليفة بالتلطف (١) وتقررت قواعد الصلح واستقر انفاذ قاضى القضاة الزينبى ليحلف سيف الدولة على المستقر فعله بعد الصلاح فاستعفى فاعفى ونص على ابى العباس ابن الرطبى فخرج مع ناصح الدولة ابى عبدالله الحسين ابن جهير وتبعهما اقبال الخادم وعادوا من الحلة فقصدوا وقت دخولهم دار الوزير ابن صدقة ليوهموه خلاف ماهم عليه من تقرر الأحوال على عزله فلم يخف عليه ولا على الناس وعرف ان التقريرات استقرت بينهم عليه وانزعج وكان كل واحد من دبيس وابن صدقة معلنا بعداوة الآخر فبكر ابن صدقة الى الديوان على عادته وجلس فى الموكب وكان يوم الخميس وخرج جواب ماانهى ثم استدعى الى مكان وكل به فيه ونهبت داره التى كان يسكنها بباب العامة ودور حواشيه واتباعه وقبض على حواشيه وعلى عزالدولة ابى المكارم ابن المطلب ثم افرج عنه ورد اليه ديوان الزمام بعد ذلك .

وفى غداة يوم الجمعة الحادى والعشرين من جمادى الاولى تقدم الخليفة باستدعاء

(١) فى الاصل « بالتلفظ »

١١٢ - سليمان بن ابراهيم

ابن محمد بن سليمان ابو مسعود الاصبهانى ولد فى رمضان سنة سبع وتسعين وثلثمائة ورحل فى طلب الحديث وطلب وتعب وجمع ونسخ وسمع ابا بكر بن مردويه وابا نعيم وابا على بن شاذان وابا بكر البرقانى وخلقا كثيرا سمع منه ابو نعيم وابو بكر الخطيب وكان لـه معرفة بالحديث وصنف التصانيف وخرج على الصحيحين وتوفى فى ذى القعدة من هذه السنة باصبهان .

١١٣ - عبدالله بن عبد الصمد

ابن على بن المأمون ابو القاسم حدث عنه شيخنا ابن ناصر توفى فى ربيع الآخر ودفن فى داره بقصر بنى المأمون .

١١٤ - عبد (١) بن على

ابن زكرى ابو الفضل الدقاق سمع ابا الحسين بن بشران وسمع منه اشياخنا وتوفى يوم الثلاثاء .

١١٥ - عبد الواحد بن على

ابن محمد بن فهد ابو القاسم العلاف سمع ابا الفرج الغورى وابا الفتح بن ابى الفوارس وهو آخر من حدث عنهما سمع منه اشياخنا وتوفى يوم الجمعة سادس عشر ذى القعدة ودفن بباب حرب .

١١٦ - عبد الواحد بن احمد

ابن الحصين الدسكرى ابو سعد الفقيه صحب ابا اسحاق الشيرازى وروى الحديث ثم خرج فى المخزن وكان مألفا لاهل العلم وكان يقول ما غمر بدنى هذا فى لذة قط وتوفى يوم الثلاثاء العشرين من رجب ودفن بباب حرب .

١١٧ - على بن احمد

ابن يوسف بن جعفر توفى فى هذه السنة .

(١) كذا فى الاصل ابو الحسن

١١٨ - ابو الحسن الهكارى

والهكارية(١) جبال فوق الموصل فيها قرى ابتنى اربطة وقدم الى بغداد فنزل فى رباط الزوزنى وسمع الحديث من ابى القاسم بن بشران وابى بكر الخياط وغيرهما وكان صالحا من اهل السنة كثير التعبد وحدث فسمع منه ابو المظفر ابن التريكى الخطيب وكان يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فى المدرسة فى الروضة فقلت يا رسول الله اوصنى فقال عليك باعتقاد مذهب احمد بن حنبل ومذهب الشافعى واياك ومجالسة اهل البدع توفى فى محرم هذه السنة وورد الخبر بذلك الى بغداد .

١١٩ - على بن محمد

ابن محمد ابو الحسن الخطيب الانبارى ويعرف بابن الاخضر سمع ابا احمد الفرضى وهو آخر من حدث فى الدنيا عنه وتوفى بالانبار فى شوال روى عنه اشياخنا آخرهم ابو الفتح ابن البطى وبلغ من العمر خمسا وتسعين سنة .

١٢٠ - على بن هبة الله

ابن على بن جعفر بن على بن محمد بن دلف بن ابى دلف العجلى ابو نصر بن ماكولا ولد سنة اثنتين واربعمائة وكان حافظا للحديث وصنف كتاب المؤتلف والمختلف فذكر فيه كتاب عبد الغنى وكتاب الدارقطنى والخطيب وزاد عليهم زيادات كثيرة وسماه كتاب الاكمال وكان نحويا مبرزا غزل الشعر فصيح العبارة وسمع من ابى طالب قال ابو طالب الطبرى وحدث كثيرا وسمعت شيخنا عبد الوهاب يطعن فى دينه ويقول العلم يحتاج الى دين وقتل فى خوزستان فى هذه السنة او فى السنة بعدها .

١٢١ - نصر بن الحسن

ابن القاسم بن الفضل ابو الليث وابو الفتح التنكتى وكان له كنيتان من اهل تنكت بلدة عند الشاش ما وراء النهر ولد سنة ست واربعمائة وطاف البلاد

(١) كذا فى الشذرات وفى الاصل – الكهارى والكهارية

١١٢ - سليمان بن ابراهيم

ابن محمد بن سليمان ابو مسعود الاصبهانى ولد فى رمضان سنة سبع وتسعين وثلثمائة ورحل فى طلب الحديث وطلب وتعب وجمع ونسخ وسمع ابا بكر بن مردويه وابا نعيم وابا على بن شاذان وابا بكر البرقانى وخلقاً كثيراً سمع منه ابو نعيم وابو بكر الخطيب وكان له معرفة بالحديث وصنف التصانيف وخرج على الصحيحين وتوفى فى ذى القعدة من هذه السنة باصبهان .

١١٣ - عبدالله بن عبد الصمد

ابن على بن المأمون ابو القاسم حدث عنه شيخنا ابن ناصر توفى فى ربيع الآخر ودفن فى داره بقصر بنى المأمون .

١١٤ - عبد (١) بن على

ابن زكرى ابو الفضل الدقاق سمع ابا الحسين بن بشران وسمع منه اشياخنا وتوفى يوم الثلاثاء .

١١٥ - عبد الواحد بن على

ابن محمد بن فهد ابو القاسم العلاف سمع ابا الفرج الغورى وابا الفتح بن ابى الفوارس وهو آخر من حدث عنهما سمع منه اشياخنا وتوفى يوم الجمعة سادس عشر ذى القعدة ودفن بباب حرب .

١١٦ - عبد الواحد بن احمد

ابن الحصين الدسكرى ابو سعد الفقيه صحب ابا اسحاق الشيرازى وروى الحديث ثم خرج فى المخزن وكان مألفاً لاهل العلم وكان يقول ما غمر بدنى هذا فى لذة قط وتوفى يوم الثلاثاء العشرين من رجب ودفن بباب حرب .

١١٧ - على بن احمد

ابن يوسف بن جعفر توفى فى هذه السنة .

---

(١) كذا فى الاصل ابو الحسن

١١٨ - ابو الحسن الهكارى

والهكارية (١) جبال فوق الموصل فيها قرى ابتنى اربطة وقدم الى بغداد فنزل فى رباط الزوزنى وسمع الحديث من ابى القاسم بن بشران وابى بكر الخياط وغيرهما وكان صالحاً من اهل السنة كثير التعبد وحدث فسمع منه ابو المظفر ابن التريكى الخطيب وكان يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فى المدرسة فى الروضة فقلت يا رسول الله اوصنى فقال عليك باعتقاد مذهب احمد بن حنبل ومذهب الشافعى واياك ومجالسة اهل البدع توفى فى محرم هذه السنة وورد الخبر بذلك الى بغداد .

١١٩ - على بن محمد

ابن محمد ابو الحسن الخطيب الانبارى ويعرف بابن الاخضر سمع ابا احمد الفرضى وهو آخر من حدث فى الدنيا عنه وتوفى بالانبار فى شوال روى عنه اشياخنا آخرهم ابو الفتح ابن البطى وبلغ من العمر خمسا وتسعين سنة .

١٢٠ - على بن هبة الله

ابن على بن جعفر بن على بن محمد بن دلف بن ابى دلف العجلى ابو نصر بن ماكولا ولد سنة اثنتين واربعمائة وكان حافظاً للحديث وصنف كتاب المؤتلف والمختلف فذكر فيه كتاب عبد الغنى وكتاب الدارقطنى والخطيب وزاد عليهم زيادات كثيرة وسماه كتاب الاكمال وكان نحويا مبرزاً غزل الشعر فصيح العبارة وسمع من ابى طالب قال ابو طالب الطبرى وحدث كثيراً وسمعت شيخنا عبد الوهاب يطعن فى دينه ويقول العلم يحتاج الى دين وقتل فى خوزستان فى هذه السنة اوفى السنة بعدها .

١٢١ - نصر بن الحسن

ابن القاسم بن الفضل ابو الليث وابو الفتح التنكتى وكان له كنيتان من اهل تنكت بلدة عند الشاش ما وراء النهر ولد سنة ست واربعمائة وطاف البلاد

---

(١) كذا فى الشذرات وفى الاصل - الكهارى والكهارية

ثمن الحوادث فيها انه فى المحرم ولى ابو الفرج ابن السيبى قضاء باب الازج حين مرض حاكها ابو المعالى عزيزى ولما توفى عزيزى وقع الى ابى الفرج ابن السيبى ان ينوب عنه ابو سعد المخرمى، وتفردت وزارة الخليفة لأبى المحاسن عبد الجليل بن محمد الدهستانى وهو الذى استوزره بركياروق ولقبه نظام الدين وجددت عمارة ديوان الخليفة ونظريته وعين على حضوره فيه و افاضة الخلع عليه يوم السبت سادس صفر فوصلت من بركيارق كتب تستدعيه فسارع الى ذلك وبطل ماعزم عليه وشهد فى جمادى الآخرة عند ابى الحسن الدامغانى ابو العباس احمد بن سلامة الكرخى المعروف بابن الرطبى وابو الفتح محمد بن عبدالجليل الساوى وابو بكر محمد بن عبدالباقى شيخنا .

وفى هذه السنة قتل السلطان بركياروق خلقا من الباطنية ممن تحقق مذهبه ومن اتهم به فبلغت عدتهم ثلثمائة ونيف ووقع التتبع لأموال من قتل منهم فوجد لاحدهم سبعون بيتا من الزوالى المحفور(١) وكتب بذلك كتاب الى الخليفة فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب ولم يتجاسر احد أن يشفع فى احد لئلا يظن ميله الى ذلك المذهب وزاد تتبع العوام لكل من ارادوا وصار كل من فى نفسه شيء من انسان يرميه بهذا المذهب فيقصد وينهب حتى حسم هذا الامر فانحسم، واول ماعرف من احوال الباطنية فى ايام ملك شاه جلال الدولة فانهم اجتمعوا فصلوا صلاة العيد فى ساوة ففطن بهم الشحنة فأخذهم وحبسهم ثم اطلقهم ثم اغتالوا مؤذنا من اهل ساوة فاجتهدوا ان يدخل معهم فلم يفعل فخافوا أن ينم عليهم فاغتالوه فقتلوه فبلغ الخبر الى نظام الملك وتقدم بأخذ من يتهم فقتله فقتل المتهم وكان نجارا فكانت اول فتكة لهم قتل نظام الملك وكانوا يقولون قتلتم منا نجارا وقتلنا به نظام الملك فاستفحل امرهم باصبهان لما مات ملك شاه فآل الامر الى انهم كانوا يسرقون الانسان فيقتلونه ويلقونه فى البئر فكان الانسان اذا دنا وقت العصر ولم يعد الى منزله يئسوا منه وفتش الناس المواضع فوجدوا امرأة فى دار لاتبرح فوق حصير فأزالوها فوجدوا تحت الحصير اربعين قتيلا

(١) كذا

فقتلوا المراة واخربوا الدار والمحلة، وكان رجل ضرير على باب الزقاق اذا مر به انسان سأله ان يقوده خطوات الى الزقاق فاذا حصل هناك جذبه من فى الدار واستولوا عليه، فجد المسلمون فى طلبهم باصبهان وقتلوا منهم خلقا كثيرا واول قلعة تملكها الباطنية قلعة فى ناحية يقال لها الروذ باذ من نواحى الديلم وكانت هذه القلعة لقماج صاحب ملك شاه وكان متحفظها متهما بمذهب القوم فأخذ الفا ومائتى دينار وسلم اليهم القلعة فى سنة ثلاث وثمانين فى ايام ملك شاه فكان متقدمها الحسن بن الصباح واصله من مرو وكان كاتبا للأمير عبدالرزاق بن بهرام اذ كان صبيا ثم صار الى مصر وتلقى من دعاتهم المذهب وعاد داعية للقوم ورأسا فيهم وحصلت له هذه القلعة وكانت سيرته فى دعائه انه لا يدعو الاغبيا لايفرق بين شماله ويمينه ومن لايعرف امور الدنيا ويطعمه الجوز والعسل والشونيز حتى يتسبط دماغه ثم يذكر له حينئذ ماتم على اهل بيت المصطفى من الظلم والعدوان حتى يستقر ذلك فى نفسه ثم يقول له اذا كانت الازارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم فى القتال مع بنى امية فما سبب تخلفك بنفسك فى نصرة امامك؟ فيتركه بهذه المقالة طعمة للسباع، وكان ملك شاه قد انفذ الى هذا ابن الصباح يدعوه الى الطاعة ويتهدده ان خالف ويأمره بالكف عن بث اصحابه لقتل العلماء والامراء، فقال فى جواب الرسالة والرسول حاضر، الجواب ما ترى، ثم قال لجماعة وقوف بين يديه اريد أن انفذكم الى مولاكم فى حاجة فمن ينهض لها فاشرأب كل واحد منهم لذلك وظن رسول السلطان انها رسالة يحملها اياهم فاومى الى شاب منهم فقال له اقتل نفسك فجذب سكينه وضرب بها غلصمته فخر ميتا وقال لآخر ارم نفسك من القلعة فالقى نفسه فتمزق، ثم التفت الى رسول السلطان فقال اخبره ان عندى من هؤلاء عشرين الفا هذا حد طاعتهم لى وهذا هو الجواب فعاد الرسول الى السلطان ملك شاه فأخبره بما رأى فعجب من ذلك وترك كلامهم. وصار بأيديهم قلاع كثيرة فمنها قلعة على خمسة فراسخ من اصبهان كان حافظها تركيا فصادقه نجار باطنى واهدى له جارية وفرسا ومركبا

وصل الى الكوفة زاد مرضه فسلمهم الى قيماز ورجع الى بغداد فتوفى ليلة
الثلاثاء الحادى والعشرين من ذى القعدة ودفن بالترب فى الرصافة وفى تلك
السنة طمع العرب فى الحاج فأخذوهم بين مكة والمدينة على ما نذكره
فى الحوادث .

سنة ٥٤٥

ثم دخلت سنة خمس واربعين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها انه فى المحرم جلس يوسف الدمشقى مدرسا فى النظامية
من جانب الأعاجم والقى الدرس واجتمع له الفقهاء والخلق الكثير ولم يكن
ذلك عن اذن الخليفة وكان ميل الخليفة الى ابن النظام فلما كان يوم الجمعة منع
يوسف من الدخول الى الجامع والى دار الخلافة وضربت جماعة من اصحابه
بالخشب وصلى الجمعة فى جامع السلطان ولم يعد الى المدرسة والزم بيته، وفى يوم
السبت سابع عشرين المحرم جلس ابو النجيب للتدريس فى النظامية الصبح
و تقدم اليه بالتدريس فى النظامية فقال له اريد اذن الخليفة ، فاستخرج
له اذن الخليفة وزادت دجلة فبلغ الماء الى باب المدرسة ومنع الجواز من
طريق الرباط ودخلت السفن الازقة .

وقد ذكرنا ان الخادم نظر الحاج خرج بالحاج مريضا فعاد وسلمهم الى قيماز
فلما وصلوا الى مكة طمع امير مكة فى الحاج واستزرى بقيماز فطمعت العرب
ووقفت فى الطريق وبعثوا يطلبون رسومهم فقال قيماز للحاج المصلحة ان
تعطوهم ونستكفى شرهم ، فامتنع الحاج من ذلك فقال لهم فاذا لم تفعلوا
فلا تزوروا السنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستغاثوا عليه وقالوا نمضى
الى سنجر فنشكو منك ، وكانوا قد وصلوا الى الغرابى فخرجت عليهم العرب
بعد العصر يوم السبت رابع عشر المحرم فقاتلوهم فكثرت العرب فاخذوا من
الثياب والاموال والاجمال والا[illegible] ما لا يحصى واخذوا من الدنانير
الوفا كثيرة فتحدث جماعة من التجار انه اخذ من هذا عشرة آلاف ومن هذا
عشرون

عشرون الفا ومن هذا ثلاثون الفا واخذ من خاتون اخت مسعود ما قيمته
مائة الف دينار وتقطع الناس وهربوا على اقدامهم يمشون فى البرية فماتوا من
الجوع والعطش والعرى وقيل ان النساء ظنوا ان اجساد هذه الطير تستر العورة(١)
وماوصل قيماز الى المدينة الا فى نفر قليل .

وجاء فى هذه السنة باليمن مطر كله دم حتى صارت الارض مرشوشة بالدم
وبقى اثره بثياب الناس .

ومرض ابن البلنكرى وهو خاص السلطان مسعود فلما عوفى اسقط المكوس
وكان المكاس ببغداد يلقب مختص الحضرة وكان يبالغ فى اذى الناس واخذ
اموالهم ويقول انا قد فرشت حصيرا فى جهنم فرض ومات فى ربيع الآخر
من هذه السنة .

ذكر من توفى فى هذه السنة من الاكابر

٢١٥ - اسمعيل بن محمد

ابن عبد الوهاب بن الحسن القزاز (٢) ويعرف بابن زريق سمع من ثابت وابن
العلاف وغيرهما وتوفى يوم الاربعاء النصف من ربيع الاول ودفن
بباب حرب .

٢١٦ - الحسن بن ذى النون

ابن ابى القاسم بن ابى الحسن الشغرى ابو المفاخر بن أبى بكر من اهل نيسابور سمع
الحديث من ابى بكر الشيروى وغيره وكان فقيها اديبا دائم التشاغل بالعلم لا يكاد
يفتر وكان يقول اذا لم تعد الشيء خمسين مرة لم يستقر ، ورد بغداد واقام بها مدة
يعظ فى جامع القصر وغيره واظهر السنة وذم الاشاعرة وبالغ وقد ذكرت
فى الحوادث ما جرى له وكان هو السبب فى اخراج ابى الفتوح الاسفرائينى
من بغداد ومال اليه الحنابلة لما فعل وحدثنى ابو الحسن البراندسى انه خلا به
فصرح له بخلق القرآن وبان بأنه كان يميل الى رأى المعتزلة بعد أن كان يظهر

(١) كذا (٢) فى الاصل ابو القراز.

٣٤٥ – الحسن بن احمد

ابن الحسن بن احمد بن محمد العطار ابو العلاء الهمذانى سافر الكثير فى طلب العلم وقرأ القرآن واللغة وقدم بغداد فاكثر من السماع وحصل الكتب الكثيرة وعاد الى بلده همذان فاستوطنها وكان له بها القبول والمكانة وصنف وكان حافظا متقنا مرضى الطريقة سخيا وانتهت اليه القراآت والتحديث وتوفى ليلة الخميس عاشر جمادى الآخرة من هذه السنة وقدجاوز الثمانين بأربعة اشهر وايام. قال المصنف وبلغنى انه رئى فى المنام فى مدينة جميع جدرانها من الكتب وحوله كتب لاتحد وهو مشتغل بمطالعتها فقيل له ماهذه الكتب؟ قال سالت الله ان يشغلنى بما كنت اشتغل به فى الدنيا فأعطانى. ورأى له شخص آخر أن يدين خرجتا من محراب مسجد فقال ما هذه اليدان؟ فقيل هذه يدا آدم بسطها ليعانق ابا العلاء الحافظ قال واذا بأبى العلاء تداقبل قال فسلمت عليه فرد على السلام وقال يافلان رأيت ابنى احمد حين قام على قبرى يلقننى أماسمعت صوتى حين صحت على الملكين فما قدرا ان يقولا شيئا فرجعا.

٣٤٦ – رستم بن شرهيك(١)

ابو القاسم الواعظ سمع الحديث وتعلم الوعظ من شيخنا أبى الحسن الزاغونى وأقام بشارع رزق الله وكان يعظ بجامع بهليقا، توفى يوم الثلاثاء سادس عشرين ربيع الاول من هذه السنة عن ستين سنة تقريبا ودفن بباب حرب.

٣٤٧ – ابن الاهوازى

خازن دار الكتب بمشهد ابى حنيفة توفى فى ربيع الاول جاء من محلته الى البلد فاتكأ على دكة فمات وكذلك مات اخوه وابوهما بغاءة.

٣٤٨ – محمود بن زنكى

ابن آق سنقر الملقب نورالدين ولى الشام سنين وجاهد الثغور وانتزع من

(١) لعل الصواب « سرهنك » ك.

ايدى الكفار نيفا وخمسين مدينة وحصن منها الرها وبنى مارستانا فى الشام انفق عليه مالا وبنى بالموصل جامعا غرم عليه ستين الف دينار وكان سيرته اصلح من كثير من الولاة، والطرق فى أيامه آمنة والمحامد له كثيرة وكان يتدين بطاعة الخلافة وترك المكوس قبل موته وبعث جنودا افتتحوا مصر وكان يميل الى التواضع ومحبة العلماء واهل الدين وكاتبنى مرارا واحلف الامراء على طاعة ولده بعده وعاهد ملك الافرنج صاحب طرابلس وقد كان فى قبضته اسيرا على ان يطلقه بثلثمائة الف دينار وخمسين ومائة حصان وخمسمائة زردية ومثلها تراس افرنجية ومثلها قنطوريات وخمسمائة اسير من المسلمين وانه لايعبر على بلاد الاسلام سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وأخذ منه فى قبضته على الوفاء بذلك مائة من اولاد كبراء الافرنج وبطارقتهم فان نكث اراق دماءهم وعزم على فتح بيت المقدس فوافته المنية فى شوال هذه السنة وكانت ولايته ثمانية وعشرين سنة واشهرا.

٣٤٩ – يحيى بن نجاح المؤدب

سمع الحديث الكثير وقرأ النحو واللغة وكان غزير الفضل يقول الشعر الحسن توفى فى اواخر هذه السنة.

سنة ٥٧٠

ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها انه فى يوم الجمعة غرة المحرم ركب الخليفة من داره الى الجامع فخرج من باب الفردوس ودخل الديوان راكبا ونزل عند باب المجاز الذى ينفذ الى الطريق وركب من هناك ودخل المقصورة لصلاة الجمعة وسبب ذلك ان طريقه فى السراديب انسدت من زمان الغرق بالماء والتراب.

وجرت خصومات بين اهل باب البصرة واهل الكرخ قتل فيها جماعة واتصلت واصلح بينهم من الديوان ثم عادوا الى الخصام فتولى الأمر سليمان بن

جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ

للإمام أبي السعادات مبارك بن محمد
ابن الأثير الجزري
٥٤٤ - ٦٠٦هـ
رحمه الله وغفر لنا وله

أشرف على طبعه
العلامة الفقيه الأستاذ الأكبر
الشيخ عبد المجيد سليم
شيخ الجامع الأزهر

حققه
محمد حامد الفقي
رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

الطبعة الأولى
١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م

الطبعة الثانية
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

الطبعة الثالثة
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

الطبعة الرابعة
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

له الخراج . وكان أبو بكر يأكل من خراجه . فجاء يوماً بشيء . ووافق من أبي بكر جوعا . فأكل منه لقمة قبل أن يسأل عنه . فقال له الغلام : تدرى ما هذا ؟ كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية ، وما أعرفُ الكهانة ، إلا أنى خدَعتُه . فأعطانى بذلك . فهو الذى أكلتَ منه . فأدخل أبو بكر إصبَعَه فى فيه . فقاء كل شيء فى بطنه » أخرجه البخارى.

المتبارين

٨١٥٢ (د ـ عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) قال « نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن أكل طعام المتبارِيَين : السِّباق ، والقِمار » .

وفى رواية قال : كان ابن عباس يقول « إن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام المتباريين أن يؤكل » أخرج أبو داود الثانية ، والأولى ذكرها رزين .

صنائع منهى عنها

٨١٥٣ (د ـ أبو ماجدة ـ وقيل : ابن ماجدة السهمى) قال «قطعتُ من أذُن غلام ـ أو قَطَع من أذنى غلامٌ ـ فقدِمَ علينا أبو بكر حاجا . فاجتمعنا إليه ، فرفعَنا إلى عمر . فقال عمر : إن هذا قد بلغ القصاص ، ادعو لى حجّاماً ، ليَقْتصّ منه . فلما دُعى بالحجام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنى قد وهَبْتُ لخالتى غلامًا ، وأنا أرجو أن يُبارَكَ لها فيه . فقلت لها : لاتُسلّمِيه حجّامًا ، ولا صائغاً ، ولاقصّاباً » أخرجه أبو داود .

المكس

٨١٥٤ (د ـ عقبة بن عامر رضى الله عنه) قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « لايدخل الجنة صاحب مَكْسٍ » أخرجه أبو داود .

(١) قال المنذرى (رقم ٣٢٨٧) فى طرقه محمد بن إسحاق . وابن ماجدة لم أجد من زاد فيه على هذا.

الكتاب الثانى

فى الكذب . وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : فى ذمه وذم قائله

٨١٥٥ (ط ـ صفوان بن سليم رضى الله عنه) قال : قلنا « يارسول الله ، أيكون المؤمن جَبانًا ؟ قال : نعم . قيل له : أيكون بخيلاً ؟ قال : نعم . قيل : أيكون المؤمن كذّاباً ؟ قال : لا » أخرجه الموطأ .

٨١٥٦ (ت ـ عبد الله بن عمر رضى الله عنهما) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كَذَبَ العبدُ تباعَدَ عنه المَلَكُ مِيلاً من نَتْنِ ماجاء به » أخرجه الترمذى .

٨١٥٧ (ط ـ مالك بن أنس) بلَغَهُ أن ابن مسعود رضى الله عنه قال « إنه لايزال العبد يَكْذِبُ ، ويَتَحَرَّى الكذب ، فينُكَتُ فى قلبه نُكتة سوداء حتى يَسْوَدّ قلبه . فيُكْتَبَ عند الله من الكاذبين » أخرجه الموطأ .

٨١٥٨ (د ت ـ بهز بن حكيم رحمه الله) عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وَيْلٌ لِلّذى يُحدّثُ بالحديث لِيُضْحِكَ به القوم . فيَكْذِب . ويل له ، ويل له » أخرجه أبو داود والترمذى .

٨١٥٩ (د ـ سفيان بن أسيد الحضرمى رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كَبُرَتْ خِيانَةً أن تُحَدِّثَ أخاكَ حديثاً هُوَ لك به مُصَدِّق ، وأنت له به كاذب » أخرجه أبو داود .

٨١٦٠ (م د ـ أبو هريرة رضى الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء كَذِبًا أن يُحَدِّثَ بكلّ ماسَمِعَ » أخرجه مسلم وأبو داود .

الكامل في التاريخ

تأليف

الشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف

بابن الأثير

دار صادر
للطباعة والنشر

دار بيروت
للطباعة والنشر

بيروت
١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

وكان معهم رجل يُظهر أنّه منهم، وينقل ما يجري إلى المهديّ ، ودخلوا عليه
ـاً فلم يجسروا على قتله ، فاتّفق أنّهم اجتمعوا ليلة عند أبي زاكي ، فلمّا
ـحوا لبس أبوعبد الله ثوبه مقلوباً، ودخل على المهديّ، فرأى ثوبه، فلم يعرّفه
، ثمّ دخل عليه ثلاثة أيّام والقميص بحاله ، فقال له المهديُّ : ما هذا
ـر الذي أذهلك عن إصلاح ثوبك ؟ فهو مقلوب منذ ثلاثة أيّام فعلمتُ
ـك ما نزعتَه ؛ فقال : ما علمتُ بذلك إلاّ ساعتي هذه ؛ قال : أين كنتَ
ـحة والليالي قبلها ؟ فسكت أبوعبد الله ؛ فقال: أليس بتّ في دار أبي زاكي؟
: بلى . قال : وما الذي أخرجك من دارك ؟ قال : خفتُ . قال : وهل
ـف الإنسان إلاّ من عدوّه ؟ فعلم أنّ أمره ظهر للمهديّ ، فخرج وأخبر
ـحابه ، وخافوا ، وتخلّفوا عن الحضور .

فذُكر ذلك للمهديّ ، وعنده رجل يقال له ابن القديم ، كان من جملة
ـم ، وعنده أموال كثيرة ، من أموال زيادة الله ، فقال : يا مولاي إن
ـتَ أتيتُك بهم ، ومضى فجاء بهم ، فعلم المهديُّ صحّة ما قيل عنه ، فلاطفهم
ـرّقهم في البلاد ، وجعل أبا زاكي والياً على طرابلس ، وكتب إلى عاملها أن
ـله عند وصوله ، فلمّا وصلها قتله عاملها ، وأرسل رأسه إلى المهديّ ، فهرب
ـن القديم ، فأُخذ ، فأمر المهديُّ بقتله فقُتل .

وأمر المهديُّ عَرُوبة ورجالاً[1] معه أن يرصدوا أبا عبد الله وأخاه أبا العبّاس ،
ـيقتلوهما ، فلمّا وصلا إلى قرب القصر حمل عروبة على أبي عبد الله ، فقال :
ـتفعل يا بنيّ ! فقال[2] : الذي أمرتَنا بطاعته أمرنا بقتلك ؛ فقُتل هو وأخوه ،
كان قتلهما في اليوم الذي قُتل فيه أبو زاكي ، فقيل : إنّ المهديّ صلّى على
ـي عبد الله ، وقال : رحمك الله ، أبا عبد الله ، وجزاك خيراً بجميل سعيك .

1) Add. A. et B.

2) U. add. له إن .

وثارت فتنة بسبب قتلهما ، وجرّد[1] أصحابهما السيوف ، فركب المهديُّ
وأمّن الناس ، فسكنوا ، ثمّ تتبّعهم[2] حتّى قتلهم .

وثارت فتنة ثانية بين كُتامة وأهل القَيروان ، قُتل فيها خلق كثير ، فخرج
المهديُّ وسكّن الفتنة ، وكفّ الدعاة عن طلب التشيّع من العامّة .

ولمّا استقامت الدولة للمهديّ عهد إلى ولده أبي القاسم نِزار بالخلافة ،
ورجعت كُتامة إلى بلادهم ، فأقاموا طفلاً وقالوا : هذا هو المهديُّ ، ثمّ
زعموا أنّه نبيّ يوحى إليه ، وزعموا أنّ أبا عبد الله لم يمُتْ ، وزحفوا إلى
مدينة مِيلة، فبلغ ذلك المهديَّ فأخرج ابنه أبا القاسم ، فحصرهم، فقاتلوه فهزمهم
واتّبعهم حتّى أجلاهم إلى البحر ، وقتل منهم خلقاً عظيماً ، وقتل الطفل الذي
أقاموه .

وخالف عليه أهل صقلّية مع ابن وهب ، فأنفذ إليهم أسطولاً ، ففتحها
وأتى بابن وهب فقتله .

وخالف عليه أهل تاهَرت ، فغزاها ، ففتحها ، وقتل أهل الخلاف ، وقتل
جماعة من بني الأغلب برقّادة كانوا قد رجعوا إليها بعد وفاة زيادة الله .

ذكر عدّة حوادث

فيها سُيّر * القاسم بن سيما وجماعة[3] من القوّاد في طلب الحسين بن
حمدان ، فساروا حتّى بلغوا قَرقِيسياء والرَّحَبة ، فلم يظفروا به ، فكتب

1) U. وجروا .

2) A. C. P. تبعهم ; B. يتبعهم .

3) A. B. ابن القاسم وجماعة ; U. جماعة .

خلّصني عليه ! فسار غير بعيد ، فلقيه تركمانيٌّ وتحته فرس جواد ؛ فقال لنظام الملك : انزل عن فرسك ؛ فنزل عنه ، فأخذه التركمانيُّ وأعطاه فرسه ، فركبه وقال له : لا تنسني [١] يا حسن . قال نظام الملك : فقَوِيَت نفسي بذلك ، وعلمتُ أنّه ابتداء سعادة . فسار نظام الملك إلى مرو ، ودخل على داود ، فلمّا رآه أخذ بيده ، وسلّمه إلى ولده ألب أرسلان ، وقال له : هذا حسن الطوسيّ ، تسلّمْه ، واتّخذْه والداً لا تخالفهُ .

وكان الأمير تاجر[1] لمّا سمع بهرب نظام الملك سار في أثره إلى مرو ، فقال لداود : هذا كاتبي ونائبي قد أخذ أموالي ؛ فقال له داود : حديثك مع محمّد ؛ يعني ألب أرسلان ، « فكان اسمه محمّداً[2][٢] ، فلم يتجاسر تاجر على خطابه ، فتركه وعاد .

وأمّا أخباره ، فإنّه كان عالماً ، ديّناً ، جواداً ، عادلاً ، حليماً ، كثير الصفح عن المذنبين ، طويل الصمت ، كان مجلسه عامراً بالقرّاء ، والفقهاء ، وأئمّة المسلمين ، وأهل الخير والصلاح ، أمر ببناء المدارس في سائر الأمصار والبلاد ، وأجرى لها الجرايات العظيمة ، وأملى الحديث بالبلاد : ببغداد وخُراسان وغيرهما ، وكان يقول : إنّي لستُ من أهل هذا الشأن ، لمّا تولاّه ، ولكنّي أُحبّ أن أجعل نفسي على قِطار نَقَلَة حديث رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم .

وكان إذا سمع المؤذّن أمسك عن كلّ ما هو فيه وتجنّبه ، فإذا فرغ

1) A. ابن شاذان .   2) Om. C. P.

١ تنساني .
٢ محمد .

لا يبدأ بشيء قبل الصلاة ، وكان ، إذا غفل [١] المؤذّن ودخل الوقت يأمره بالأذان . وهذا غاية حال المنقطعين إلى العبادة في حفظ الأوقات ، ولزوم الصلوات .

وأسقط المكوس والضرائب ، وأزال لعن الأشعريّة من المنابر ؛ وكان الوزير عميد الملك الكُنْدُريُّ قد حسّن للسلطان طغرلبك التقدّم[1] بلعن الرافضة ، فأمره بذلك ، فأضاف إليهم الأشعريّة ، ولعن الجميع ، فلهذا فارق كثير من الأئمّة بلادهم ، مثل إمام الحرمَيْن ، وأبي القاسم القُشَيريّ ، وغيرهما ؛ فلمّا وليَ ألب أرسلان السلطنة أسقط نظام الملك ذلك جميعه ، وأعاد العلماء إلى أوطانهم .

وكان نظام الملك إذا دخل عليه الإمام أبو القاسم القشيريُّ ، والإمام أبو المعالي الجُوَينيُّ ، يقوم لهما ، ويجلس في مسنده ، كما هو ، وإذا دخل أبو عليّ الفارمذيُّ يقوم « إليه ، ويُجْلسه في مكانه[2] ، ويجلس هو بين يدَيْه ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنّ هذَيْن وأمثالهما[3] إذا دخلوا عليّ[4] يقولون لي : أنت كذا وكذا ، يُثنون عليّ بما « ليس فيّ[5] ، فيزيدني كلامهم عُجباً وتيهاً ، وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي ، وما أنا فيه من الظلم ، فتنكسر نفسي لذلك ، وأرجع عن كثير ممّا أنا فيه .

وقال نظام الملك : كنتُ أتمنّى أن يكون لي قرية خالصة ، ومسجد أتفرّد[6] فيه لعبادة ربّي ، ثم بعد ذلك تمنّيتُ أن يكون لي قطعة أرض أتقوّت بريعها ، « ومسجد أعبد الله فيه[7] ، وأمّا الآن فأنا أتمنّى أن يكون لي رغيف كلّ

1) A. التقرير .   2) A. عن مجلسه .   3) A. ويقول .   4) A. add. أولئك .
5) A. يسرني .   6) A. أنفرد .   7) Om. C. P.

١ أغفل .

وسببها أنّ إيلغازي كان بطريق خراسان ، فعاد إلى بغداذ . فلمّا وصل أتى جماعة من أصحابه إلى دجلة ، فنادوا ملاّحاً ليعبر بهم ، فتأخّر ، فرماه أحدهم بنشّابة ، فوقعت في مَشْعره فمات ، فأخذ العامّة القاتل ، وقصدوا باب النُّوبي ، فلقيهم ولد إيلغازي مع جماعة ، فاستنقذوه ، ورجمهم العامّة بسوق الثلاثاء ، فمضى إلى أبيه مستغيثاً ، فأخذ حاجبُ الباب من له في هذه الحادثة عملٌ فلم يُقنع إيلغازي ذلك ، فعبر بأصحابه إلى محلّة الملاّحين ، المعروفة بمربّعة القطّانين ، ويتبعهم خلق كثير ، فنهبوا ما وجدوا وقدروا عليه ، فعطف عليهم العيّارون فقتلوا أكثرهم .

ونزل من سَلِم في السفن ليعبروا دجلة ، فلمّا توسّطوها ألقى الملاّحون أنفسهم في الماء وتركوهم فغرقوا ، فكان الغريق أكثر من القتيل ، وجمع إيلغازي التّركمان ، وأراد نهب الجانب الغربيّ ، فأرسل إليه الخليفة قاضي القضاة ، والكيا الهرّاس ، المدرّس بالنظاميّة ، فمنعاه من ذلك ، فامتنع .

ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها

في هذه السنة ، في العشرين من شوّال ، قصد الأمير إسماعيل ، صاحب البصرة ، مدينة واسط للاستيلاء عليها .

ونحن نبتدىء بذكر إسماعيل ، وتنقّل الأحوال به إلى أن ملك البصرة ، وهو إسماعيل بن سلانجق ، وكان إليه في أيّام ملكشاه شحنكيّة الريّ ، ولمّا وليها كان أهل الريّ والرُّستاقيّة قد أعيَوا مَنْ وليهم ، وعجز الولاة عنهم ، فسلك معهم طريقاً أصلحهم بها ، وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذّبوا بها ، وأرسل مِن شعورهم إلى السلطان ما عمل منه مقاودَ وشُكُلاً للدوابّ ، ثمّ عُزل عنها .

ثمّ إنّ السلطان بركيارق أقطع البصرة للأمير قماج ، فأرسل إليها هذا الأمير

إسماعيل نائباً عنه ، فلمّا فارق قماج بركيارق ، وانتقل إلى خراسان ، حدّثته نفسه بالتغلّب على البصرة ، والاستبداد ، فانحدر مهذّب الدولة بن أبي الجبر[1] من البطيحة إليه ليحاربه ، ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الأسديّ ، صاحب الجزيرة الدُّبيسيّة ، فأقبلا في جمع كثير من السفن والخيل ، ووصلوا إلى مَطَارا .

فبينما معقل يقاتل قريباً من القلعة التي بناها ينّال بمَطَارَا ، وجدّدها إسماعيل وأحكمها ، أتاه سهم غَرَبٍ فقتله ، فعاد ابن أبي الجبر إلى البطيحة ، وأخذ إسماعيل سفنه ، وذلك سنة إحدى وتسعين [وأربعمائة] ، فاستمدّ ابن أبي الجبر كوهرائين ، فأمدّه بأبي الحسن الهرويّ ، وعبّاس بن أبي الجبر ، فلقياه ، فكسرهما وأسرهما ، وأطلق عبّاساً على مال أرسله أبوه ، واصطلحا .

وأمّا الهرويّ فبقي في حبسه مدّةً ، ثمّ أطلقه على خمسة آلاف دينار ، فلم يصحّ له منها شيء .

وقوي حال إسماعيل ، فبنى[1] قلعة بالأُبُلّة ، وقلعة بالشاطىء مقابل مَطّارا ، وصار مخوفَ الجانب وأمن البصريّون به ، وأسقط شيئاً من المكوس ، واتّسعتْ إمارته باشتغال السلاطين ، وملك المَشّان ، واستضافها إلى ما بيده .

فلمّا كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم إليه ، فقوي طمعه في واسط ، فأصعد في السفن إلى نَهْرَابان[2] ، وراسلهم في التسليم ، فامتنعوا من ذلك ، وقالوا : راسلناك ، وقد رأينا غير ذلك الرأي . فأصعد إلى الجانب الشرقيّ ، فخيّم تحت النخيل ، وسفنه بين يديه ، وخيّم جند واسط حِذاءه ،

1) A. الخير ; B. sine p. Ita ubique.

2) A. B. نهراجان .

١ فبنا .

ثمّ إنّ فخر الملك بن عمّار عاد إلى دمشق منتصف المحرّم سنة اثنتين وخمسمائة ، فأقام بها أيّاماً ، وتوجّه منها مع عسكرٍ من دمشق إلى جَبَلَة ، فدخلها وأطاعه أهلها[١] .

وأمّا أهل طرابلس فإنّهم راسلوا الأفضل أمير الجيوش بمصر يلتمسون منه والياً يكون عندهم ، ومعه الميرة في البحر ، فسيّر إليهم شرفَ الدولة بن أبي الطيّب والياً ، ومعه الغلّة وغيرها ممّا تحتاج إليه البلاد في الحصار ، فلمّا صار فيها قبض على جماعة من أهل ابن عمّار وأصحابه ، وأخذ ما وجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك ، وحمل الجميع إلى مصر في البحر .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في شعبان ، أطلق السلطان محمّد الضرائب والمكوس[1] ، ودار البيع ، والاجتيازات ، وغير ذلك ممّا يناسبه بالعراق ، وكُتبت به الألواح ، وجُعلت في الأسواق .

وفيها ، في شهر رمضان ، وليَ القاضي أبو العبّاس بن الرّطبي الحسبة ببغداذ .

وفيه أيضاً عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطّلب برسالة من السلطان بذلك ، ثم أُعيد إلى الوزارة بإذن السلطان[2] ، وشرط عليه شروطاً منها : العدل ، وحسن السيرة ، وأن لا يستعمل أحداً من أهل الذمّة .

1) Om. C. P.

2) B. add. محمد .

١ أهله .

وفيها عاد أصبهبذ صباوة من دمشق ، وكان هرب عند قتل إياز ، فلمّا قدم أكرمه السلطان ، وأقطعه رَحْبَة مالك بن طَوق .

وفيها ، سابع شوّال ، خرج السلطان إلى ظاهر بغداذ ، عازماً على العود[1] إلى أصبهان ، وكان مقامه هذه المرّة خمسة أشهر وسبعة عشر يوماً .

وفيها ، في ذي الحجّة، احترقت خرابة ابن جردة، فهلك فيها كثير من الناس، وأمّا الأمتعة ، والأموال ، وأثاث البيوت ، فهلك ما لا حدّ عليه ، وخلص خلق بنقب نقبوه في سور المحلّة إلى مقبرة * باب أبرز[2] ، وكان بها جماعة من اليهود ، فلم ينقلوا شيئاً لتمسّكهم بسبتهم ؛ وكان بعض أهله قد عبروا إلى الجانب الغربيّ للفرجة ، على عادتهم في السبت الذي يلي العيد ، فعادوا فوجدوا بيوتهم قد خربت ، وأهلهم قد احترقوا ، وأموالهم قد هلكت .

ثم تبع ذلك حريق في عدّة أماكن منها : درب القيّار، وقراح ابن رَزِين[١] ، فارتاع الناس لذلك ، وبطّلوا معايشهم ، وأقاموا ليلاً ونهاراً يحرسون بيوتهم في الدروب ، وعلى السطوح ، وجعلوا عندهم الماء المعدّ لإطفاء النار ، فظهر أنّ سبب هذا الحريق أنّ جارية أحبّتْ رجلاً ، فوافقته على المبيت عندها في دار مولاها سرّاً ، وأعدّت له ما يسرقه إذا خرج ، ويأخذها هي أيضاً معه ، فلمّا أخذها طرحا النار في الدار ، فخرجا ، فأظهر الله عليهما ، وعجّل الفضيحة لهما ، فأُخذا وحُبسا .

وفيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة صور وحصرها ، وأمر ببناء حصن عندها ، على تلّ المَعشوقة ، وأقام شهراً محاصراً لها ، فصانعه

1) B. الغزو .

2) B. بإزائه .

١ زرين .

فرسخاً في ليلة ، ووصل إلى الأمير كنتغدي ، وهو سكران ، فأيقظه بعد جهد ، وأعلمه الحال ، فقصد الملك طغرل ، فعرّفه ذلك ، وأخذه متخفّياً ، وقصد قلعة سَميران[1] ، فضلاّ عن الطريق إلى قلعة سَرْجَهان ، وكانا قد فارقاها ، وجمعا العساكر ، وكان ضلالهما هداية لهما إلى السلامة ، فإنّ السلطان محموداً[١] جعل طريقه على سَميران ، وقال : إنّها حصنهما الذي فيه الذخائر والأموال ، وإذا علما بوصوله إليهما سارا إليها ، فربّما صادفهما في الطريق ، فسلما منه بما ظنّاه عَطَباً لهما .

ووصل السلطان إلى العسكر ، فكبسه ، ونهبه ، وأخذ من خزانة أخيه ثلاثمائة ألف دينار ، وذلك المال الذي أنفذه له ، وأقام السلطان محمود بزَنجَان ، وتوجّه منها إلى الرّيّ ؛ ونزل طغرل من سَرجَهان ، ولحق هو وكنتغدي بكَنْجة ، وقصده أصحابه ، فقويت شوكته ، وتمكّنت الوحشة بينه وبين أخيه محمود .

ذكر الحرب بين سَنجَر والسلطان محمود

في هذه السنة ، في جُمادى الأولى ، كانت حرب شديدة بين سَنجَر وابن أخيه السلطان محمود ، ونحن نذكر سياقة ذلك :

قد ذكرنا سنة ثمان وخمسمائة مسير السلطان سنجَر إلى غَزْنَة ، وفتحها وما كان منه فيها ، ثم عاد عنها إلى خُراسان ، فلمّا بلغه وفاة أخيه السلطان محمّد ، وجلوس ولده السلطان محمود في السلطنة ، وهو زوج ابنة سنجَر ، لحقه حزن عظيم

1) Cod. C. P. شيران h. l. ; Bodl. شهيران .

١ محمود .

لموت أخيه ، وأظهر من الجزع والحزن ما لم يُسمع بمثله ، وجلس للعزاء على الرماد ، وأغلق البلد سبعة أيّام ، وتقدّم إلى الخطباء بذكر السلطان محمّد بمحاسن أعماله من قتال الباطنيّة ، وإطلاق المكوس ، وغير ذلك .

وكان سنجَر يلقّب بناصر الدين ، فلمّا توفّي أخوه محمّد تلقّب بمعزّ الدين ، وهو لقب أبيه ملكشاه ، وعزم على قصد بلد الجبال والعراق وما بيد محمود ابن أخيه ، فندم على قَتْل وزيره أبي جعفر محمّد بن فخر الملك أبي المظفّر ابن نظام الملك .

وكان سبب قتله أنّه وحّش الأمراء ، واستخفّ بهم ، فأبغضوه وكرهوه ، وشكوا منه إلى السلطان ، وهو بغَزْنَة ، فأعلمهم أنّه يؤثر قتله ، وليس يمكنه فعل ذلك بغَزنة .

وكان سنجر قد تغيّر على وزيره لأسباب منها : أنّه أشار عليه بقصد غَزْنَة ، فلمّا وصل إلى بُست أرسل أرسلانشاه صاحبها إلى الوزير ، وضمن له خمسمائة ألف دينار ليَثْني سنجَر عن قصده ، فأشار عليه بمصالحته والعود عنه ، وفعل مثل ذلك بما وراء النهر ؛ ومنها : أنّه نُقل عنه أنّه أخذ من غَزنة أموالاً جليلة عظيمة المقدار ؛ ومنها : ما ذكر من إيحاشه الأمراء وغير هذه الأسباب . فلمّا عاد إلى بَلْخ قبض عليه ، وقتله وأخذ ماله ، وكان له من الجواهر والأموال ما لا حدّ عليه ، والذي وُجد له من العَين ألفا ألف دينار ، فلمّا قتله استوزر بعده شهاب الإسلام عبد الرزّاق ابن أخي نظام الملك ، ويُعرف بابن الفقيه ، إلاّ أنّه لم تكن له منزلة ابن فخر الملك عند الناس في علوّ المنزلة . فلمّا اتّصل به وفاة أخيه ندم على قتله لأنّه كان يبلغ به من الأغراض والملك ما لا يبلغه بكثرة العساكر لميل الناس إليه ، ومحلّه عندهم .

ثم إنّ السلطان محموداً[١] أرسل إلى عمّه سنجَر شرفَ الدين أنوشروان

١ محمود .

به فقتله وأراح النّاس من شرّه ، ثمّ أخذ ، بعده بيسير ، رفيقه ابن البزّاز [1] ، وصُلب ، وقُتل معه جماعة من الحراميّة ، فسكن النّاس واطمأنّوا وهدَأت الفتنــة .

ذكر قتل الوزير الدركزينيّ ووزارة الخازن

في هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره العماد أبي البركات بن سلمة الدركزيني ، واستوزر بعده كمال الدين محمّد بن الحسين الخازن ، وكان الكمال شهماً ، شجاعاً ، عادلاً ، نافذ الحكم ، حسن السيرة ، أزال المكوس ورفع المظالم ، وكان يقيم مؤونة السلطان ووظائفه ، وجمع له خزائن كثيرة ، وكشف أشياء كثيرة كانت مستورة يُخان فيها ويُسرق ، فثقل على المتصرّفين وأرباب الأعمال ، فأوقعوا بينه وبين الأمراء ، لا سيّما قراسنقر صاحب أذربيجان فإنّه فارق السلطان وأرسل يقول : إمّا أن تنفذ رأس الوزير وإلاّ خدمنا سلطاناً آخر . فأشار مَن حضر من الأمراء بقتله ، وحذّروه فتنة لا تُتلافَى ، فقتله على كُره منه ، وأرسل رأسه إلى قراسنقر فرضي . وكانت وزارته سبعة أشهر ، وكان قتله سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة .

ووزر بعده أبو العزّ طاهر بن محمّد البروجرديّ وزير قراسنقر ، ولُقّب عزّ الملك ، وضاقت الأمور على السلطان مسعود ، واستقطع الأمراء البلاد بغير اختياره ، ولم يبقَ له شيء من البلاد البتّة إلاّ اسم السلطنة لا غير .

1) A. البزار .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ملك حسام الدين تمرتاش إيلغازي ، صاحب ماردين ، قلعة الهتّاخ من بلاد ديار بكر ، أخذها من بعض بني مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر جميعها ، وهذا آخر مَن بقي منهم له ولاية ، فسبحان الحيّ الدائم الذي لا يزول مُلكه ولا يتطرّق إليه النقص ولا التغيير .

وفيها انقطعت كسوة الكعبة ، لما ذكرناه من الاختلاف ، فقام بكسوتها رامشت التاجر الفارسيّ ، كساها من الثياب الفاخرة[1] بكلّ ما وُجد إليه سبيل ، فبلغ ثمن الكسوة ثمانية عشر ألف دينار مصريّة ؛ وهو من التجّار المسافرين إلى الهند كثير المال .

وفيها توفّيت زبيدة خاتون ابنة السلطان بركيارُق ، زوج السلطان مسعود ، وتزوّج بعدها سفري ابنة دُبيس بن صدقة في جُمادى الأولى ، وتزوّج ابنة قاورت[2] ، وهو من البيت السلجوقيّ ، إلاّ أنّه كان لا يزال يعاقر الخمر ليلاً ونهاراً ، فلهذا سقط اسمه وذكره .

وفيها قتل السلطان مسعود ابن البقش السلاحيّ شحنة بغداد ، وكان قد ظلم النّاس وعسفهم ، وفعل ما لم يفعله غيره من الظلم ، فقبض عليه ، وسيّره إلى تكريت ، فسجنه بها عند مجاهد الدين بهروز ، ثمّ أمر بقتله ، فلمّا أرادوا قتله ألقى بنفسه في دجلة فغرق ، فأُخذ رأسه وحُمل إلى السلطان ، وجعل السلطان شحنة العراق مجاهد الدين بهروز ، فعمل أعمالاً صالحةً منها : أنّه عمل مسنّاة النهروان وأشباهها ، وكان حسن السيرة كثير الإحسان .

1) A. الثياب الحبرة . 2) A. أيضاً ابنة قاورد .

بن الدين أنز ، وهي كانت أعظم الأسباب في المودّة بين نور الدين وبين
، والله أعلم .

ذكر استيلاء قراسنقر على بلاد فارس وعوده عنها

وفي هذه السنة جمع أتابك قراسُنقر صاحب أذربيجان عساكر كثيرة وحشد، سار طالباً بثأر أبيه الذي قتله بوزابة في المصافّ المقدّم ذكره ، فلمّا قارب لسلطان مسعوداً أرسل إليه يطلب منه قتل وزيره الكمال ، فقتله كما ذكرناه ، نلمّا قُتل سار قراسنقر إلى بلاد فارس ، فلمّا قاربها تحصّن بوزابة منه في القلعة البيضاء ، ووطىء قراسنقر البلاد ، وتصرّف فيها ، وليس له فيها دافعٌ ولا مانعٌ ، إلاّ أنّه لم يمكنه المقام ، وملك [المدن] التي في فارس ، فسلّم[1] البلاد إلى الملك سلجوقشاه ابن السلطان محمود وقال له : هذه البلاد لك فاملك الباقي ؛ وعاد إلى أذربيجان فنزل حينئذٍ بوزابة من القلعة سنة أربع وثلاثين [وخمسمائة] ، وهزم سلجوقشاه وملك البلاد ، وأسر سلجوقشاه وسجنه في قلعة بفارس .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في صفر ، توفّي الوزير شرف الدين أنوشروان بن خالد معزولاً ببغداد ، وحضر جنازته وزير الخليفة فمن دونه ، ودُفن في داره ، ثمّ نقل إلى الكوفة ، فدُفن في مشهد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب،

1) A. المقام بتلك الحصون فسلم . B. وملك الحصون .

عليه السلام . وكان فيه تشيّعٌ ، وهو كان السبب في عمل المقامات الحريريّة ، وكان رجلاً عاقلاً شهماً ، ديّناً خيّراً ، وزر للخليفة المسترشد وللسلطان محمود وللسلطان مسعود ، وكان يستقيل من الوزارة فيجاب إلى ذلك ثمّ يُخطب إليها فيجيب كارهاً .

وفيها قدم السلطان مسعود بغداد في ربيع الأوّل ، وكان الزمان شتاء ، وصار يُشتّي بالعراق ، ويصيّف بالجبال ، ولما قدمها أزال المكوس ، وكتب الألواح بإزالتها ، ووُضعت على أبواب الجوامع وفي الأسواق ، وتقدّم أن لا ينزل جنديّ في دار عاميّ من أهل بغداد إلاّ بإذن[1] ، فكثُر الدعاء له والثناء عليه ، وكان السبب في ذلك الكمال الخازن وزير السلطان .

وفيها ، في صفر ، كانت زلازل كثيرة هائلة بالشام والجزيرة وكثير من البلاد ، وكان أشدّها بالشام ، وكانت متوالية عدّة ليال ، كلّ ليلة عدّة دفعات ، فخرب كثير من البلاد ، لا سيّما حلب فإنّ أهلها لما كثُرت عليهم فارقوا بيوتهم ، وخرجوا [إلى] الصحراء ، وعدّوا ليلة واحدة جاءتهم ثمانين مرّة ، ولم تزل بالشام تتعاهدهم من رابع صفر إلى التاسع عشر منه ، وكان معها صوت وهزّة شديدة .

وفيها أغار الفرنج على أعمال بانياس ، فسار عسكر دمشق في أثرهم ، فلم يدركوهم فعادوا .

وفيها توفّي أبو القاسم زاهر بن طاهر الشّحاميّ النيسابوريّ بها ، ومولده سنة ستّ وأربعين وأربعمائة ، وكان إماماً في الحديث ، مكثِراً عالي الإسناد .

وتوفّي عبد الله بن أحمد بن عبد القادر بن محمّد بن يوسف أبو القاسم ابن أبي الحسين البغداديّ بها ، ومولده سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ؛ وعبد

1) A. om. إلا بإذن .

وكان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة ، ليس عنده فيه تعصّبٌ ، وسمع الحديث ، وأسمعه طلباً للأجر .

وأمّا عدله ، فإنّه لم يترك في بلاده ، على سعتها ، مكساً ولا عُشراً بل أطلقها جميعها في مصر والشام والجزيرة والموصل ؛ وكان يعظم الشريعة ، ويقف عند أحكامها ؛ وأحضره إنسان إلى مجلس الحكم ، فمضى معه إليه ، وأرسل إلى القاضي كمال الدين بن الشّهرَزُوري يقول : قد جئتُ محاكَماً، فاسلك معي ما تسلك مع الخصوم ؛ وظهر الحقّ له ، فوهبه الخصم الذي أحضره ؛ وقال : أردتُ أن أترك له ما يدّعيه ، إنّما خفتُ أن يكون الباعث لي على ذلك الكبر والأنفة من الحضور إلى مجلس الشريعة ، فحضرتُ ، ثمّ وهبته ما يدعيه .

وبنى دار العدل في بلاده ، وكان يجلس هو والقاضي فيها ينصف المظلوم ، ولو أنّه يهوديّ ، من الظالم ولو أنّه ولده أو أكبر أمير عنده .

وأمّا شجاعته ، فإليها النهاية ، وكان في الحرب يأخذ قوسَين وتركشَين ليقاتل بها ، فقال له القطب النّشاويّ الفقيه : بالله عليك لا تخاطر بنفسك وبالإسلام والمسلمين ، فإن أُصبتَ في معركة لا يبقى من المسلمين أحد[1] إلاّ أخذه السيف . فقال له نور الدين : ومَن محمودٌ حتى يقال له هذا ؟ من قبلي مَن حفظ البلاد والإسلام ؟ ذلك الله الذي لا إله إلاّ هو .

وأمّا ما فعله من المصالح ، فإنّه بنى أسوار مدن الشام جميعها وقلاعها ، فمنها دمشق وحمص وحماة وحلب وشَيْزَر وبعلبكّ وغيرها ، وبنى المدارس الكثيرة للحنفيّة والشافعيّة ، وبنى الجامع النُّوريّ بالموصل ، وبنى البيمارستانات والخانات في الطرق ، وبنى الخانكاهات للصوفية في جميع البلاد ، ووقف على الجميع الوقوف الكثيرة . سمعتُ أنّ حاصل وقفه كلّ شهر تسعة آلاف دينار

1) A. يبقى لمسلمين أحد . B. يبقى أحد .

صوريّ . وكان يُكرم العلماء وأهل الدين ويعظّمهم ويعطيهم ويقوم إليهم ويجلسهم معه ، وينبسط معهم ، ولا يردّ لهم قولاً ، ويكاتبهم بخطّ يده ؛ وكان وقوراً مهيباً مع تواضعه ، وبالجملة فحسناتُه كثيرة ومناقبه غزيرة لا يحتملها هذا الكتاب .

ذكر مُلك ولده الملك الصالح

لمّا توفّي نور الدين قام ابنه الملك الصالح إسماعيل بالملك بعده . وكان عمره إحدى عشرة سنة ، وحلف له الأمراء والمقدّمون بدمشق ، وأقام بها ، وأطاعه النّاس بالشام وصلاح الدين بمصر ، وخطب له بها ، وضرب السكّة باسمه ، وتولّى تربيته الأمير شمس [الدين] محمّد بن عبد الملك المعروف بابن المقدّم ، وصار مدبّر دولته ؛ فقال له كمال الدين بن الشّهرزوريّ ولمن معه من الأمراء : قد علمتم أنّ صلاح الدّين صاحب مصر هو من مماليك نور الدّين ونوّابه أصحاب نور الدين ، والمصلحة أن نشاوره في الذي نفعله ، ولا نخرجه من بيننا فيخرج عن طاعتنا ، ويجعل ذلك حجّة علينا ، وهو أقوى منّا ، لأنّه قد انفرد اليوم بملك مصر ؛ فلم يوافق هذا القول أغراضهم ، وخافوا أن يدخل صلاح الدين ويخرجهم ، فلم يمضِ غير قليل حتى وردت كتب صلاح الدين إلى الملك الصالح يعزّيه ويهنّئه بالملك ، وأرسل دنانير مصريّة عليها اسمه ويعرّفه أنّ الخطبة والطاعة له كما كانت لأبيه .

فلمّا سار سيف الدين غازي ، صاحب الموصل ، وملك البلاد الجزريّة ، على ما نذكره ، أرسل صلاح الدين أيضاً إلى الملك الصالح يعتبه حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده وأخذها ، ليحضر في خدمته ويكفّ سيف الدين ؛ وكتب إلى كمال الدين والأمراء يقول : لو أنّ نور الدين يعلم أن فيكم مَن

دينار من النقد المذكور ، وقرية القراديّ من أعمال شَبَخْتان [1] ، فرحل ولد العادل عن ماردين .

ذكر وفاة غياث الدين ملك الغُور وشيء من سيرته

في هذه السنة ، في جمادى الأولى ، توفّي غياث الدين أبو الفتح محمّد بن سام الغُوريّ ، صاحب غَزنة وبعض خُراسان وغيرها ، وأُخفيت وفاته ، وكان أخوه شهاب الدين بطوس ، عازماً على قصد خوارزم شاه ، فأتاه الخبر بوفاة أخيه ، فسار إلى هراة ، فلمّا وصل إليها جلس للعزاء بأخيه في رجب ، وأُظهرت وفاته حينئذ .

وخلف غياث الدين من الولد ابناً اسمه محمود ، لُقّب بعد موت أبيه غياث الدين ، وسنورد من أخباره كثيراً .

ولمّا سار شهاب الدين من طوس استخلف بمرو الأمير محمّد بن جربك ، فسار إليه جماعة من الأمراء الخوارزميّة ، فخرج إليهم محمّد ليلاً ، وبيّتهم ، فلم ينج منهم إلاّ القليل ، وأنفذ الأسرى والرؤوس إلى هراة ، فأمر شهاب الدين بالاستعداد لقصد خوارزم على طريق الرمل ، وجهّز خوارزم شاه جيشاً وسيّرهم مع برفور التركيّ [2] إلى قتال محمّد بن جربك ، فسمع بهم ، فخرج إليهم ، ولقيهم على عشرة فراسخ من مرو ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، قُتل بين الفريقين خلق كثير ، وانهزم الغوريّة ودخل محمّد بن جربك مرو في عشرة فرسان ، وجاء الخوارزميّون فحصروه خمسة عشر يوماً ، فضعُف

1) C. P : شنحان . Ups : سحار .

2) A. مع منقور التركي .

عن الحفظ ، فأرسل في طلب الأمان ، فحلفوا له إن خرج إليهم على حكمهم أنّهم لا يقتلونه ، فخرج إليهم ، فقتلوه ، وأخذوا كلّ ما معه .

وسمع شهاب الدين الخبر ، فعظم عليه ، وتردّدت الرسل بينه وبين خوارزم شاه ، فلم يستقرّ الصلح ، وأراد العود إلى غزنة ، فاستعمل على هراة ابن أخيه ألب غازي ، وفلك الملك [1] علاء الدين محمّد بن أبي عليّ الغوريّ على مدينة فيروزكوه [2] ، وجعل إليه حرب خراسان وأمر كلّ ما يتعلّق بالمملكة ،وأتاه محمود ابن أخيه غياث الدين ، فولاّه مدينة بُست واسفرار [3] ، وتلك الناحية ، وجعله بمعزل من المُلك جميعه ، ولم يحسن الخلافة عليه بعد أبيه ، ولا على غيره من أهله ، فمن جملة فعله أنّ غياث الدين كانت له زوجة كانت مغنّية ، فهويها وتزوّجها ، فلمّا مات غياث الدين قبض [4] عليها وضربها ضرباً مُبرّحاً ، وضرب ولدها [5] غياث الدين ، وزوج أختها ، وأخذ أموالهم وأملاكهم وسيّرهم إلى بلد الهند ، فكانوا في أقبح صورة ؛ وكانت قد بنَتْ مدرسة ، ودفنت فيها أباها وأمّها وأخاها [١] ، فهدمها ، ونبش قبور الموتى ، ورمى بعظامهم منها .

وأمّا سيرة غياث الدين وأخلاقه ، فإنّه كان مُظفّراً منصوراً في حروبه ، لم تنهزم له رايةٌ قطّ ، وكان قليل المباشرة للحروب ، وإنّما كان له دهاء ومكرٌ ، وكان جواداً ، حسن الاعتقاد ، كثير الصدقات والوقوف بخراسان ، بنى المساجد والمدارس بخراسان لأصحاب الشافعيّ ، وبنى الخانكاهات [6] في الطرق ، وأسقط

1) A. غازي وقلد الملك .

2) A. om. على et post فيروزكوه add. وبلد الغور .

3) C. P. ut واسفزار .

4) A. الدين أخذها شهاب الدين وقبض .

5) A. ولدها ربيب .

6) A. وبنى الخانات .

١ وأخاهم .

المكوس ، ولم يتعرّض إلى مال أحد من الناس ، ومَن مات [ولا وارث له تصدّق بما يخلفه ، ومن كان من بلد معروف ومات] ببلده يسلّم ماله إلى أهل بلده من التجار ، فإن لم يجد أحداً ، يسلّمه إلى القاضي ، ويختم عليه إلى أن يصل من يأخذه بمقتضى الشرع .

وكان إذا وصل إلى بلد عمّ إحسانه أهله والفقهاء وأهل الفضل ، يخلع عليهم ، ويفرض لهم الأعطيات كلّ سنة من خزانته ، ويفرق الأموال في الفقراء ، وكان يراعي كلّ مَن وصل إلى حضرته من العلويّين والشعراء وغيرهم ، وكان فيه فضل غزير ، وأدب مع حسن خطّ وبلاغة ؛ وكان ، رحمه الله ، ينسخ المصاحف بخطّه ويقفها في المدارس التي بناها ، ولم يظهر منه تعصّبٌ على مذهب ، ويقول : التعصّب في المذاهب من الملك قبيحٌ ؛ إلاّ أنّه كان شافعيّ المذهب ، فهو يميل إلى الشافعيّة من غير أن يطمعهم في غيرهم ، ولا أعطاهم ما ليس لهم .

ذكر أخذ الظاهر قلعة نجم من أخيه الأفضل

في هذه السنة أخذ الظاهر غازي قلعة نجم من أخيه الأفضل ، وكانت في جملة ما أخذ من العادل لمّا صالحه سنة سبع وتسعين [وخمسمائة] ، فلمّا كان هذه السنة أخذ العادل من الأفضل سَروج وحمَلين ورأس عين ، وبقي بيده سُمَيساط ، وقلعة نَجم ، فأرسل الظاهر إليه يطلب منه قلعة نجم ، وضمن له أنّه يشفع إلى عمّه العادل في إعادة ما أخذ منه ، فلم يُعْطه ، فتهدّده بأن يكون إلباً عليه[1] ؛ ولم تزل الرسل تتردّد حتّى سلّمها إليه في شعبان ، وطلب منه

1) A. عليه مع العادل .

أن يعوّضه قُرًى أو مالاً ، فلم يفعل ، وكان هذا من أقبح ما سُمع عن ملك يزاحم أخاه في مثل قلعة نجم مع خسّتها[1] وحقارتها ، وكثرة بلاده وعدمها لأخيه .

وأمّا العادل ، فإنّه لمّا أخذ سَروج ورأس عين من الأفضل أرسل والدتَه إليه لتسأل في ردّهما ، فلم يشفّعها وردّها خائبة ، ولقد عوقب البيت الصلاحيّ بما فعله أبوهم مع البيت الأتابكيّ ، فإنّه لمّا قصد حصار الموصل سنة ثمانين وخمسمائة أرسل صاحب الموصل والدته وابنة عمّه نور الدين إليه يسألانه أن يعود ، فلم يشفّعهما ، فجرى لأولاده هذا ، ورُدّت زوجتُه خائبة ، كما فعل .

ولمّا رأى الأفضل عمّه وأخاه قد أخذا ما كان بيده أرسل إلى ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان ، صاحب ملطية وقونية ، وما بينهما من البلاد ، يبذل له الطاعة ، وأن يكون في خدمته ، ويخطب له ببلده ، ويضرب السكّة باسمه ، فأجابه ركن الدين إلى ذلك ، وأرسل له خِلعة ، فلبسها الأفضل ، وخطب له بسميساط في سنة ستّمائة وصار في جملته .

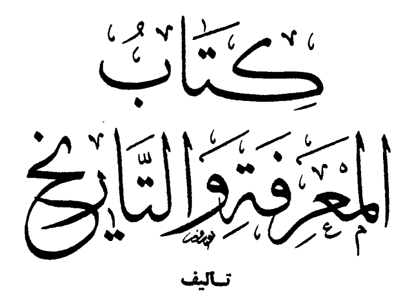
ذكر مُلك الكُرْج مدينة دُوين[2]

في هذه السنة استولى الكُرْج على مدينة دُوين ، من أذربيجان ، ونهبوها ، واستباحوها ، وأكثروا القتل في أهلها ؛ وكانت هي وجميع بلاد أذربيجان للأمير أبي بكر بن البهلوان ، وكان على عادته مشغولاً بالشرب ليلاً ونهاراً ، لا يفيق ، ولا يصحو ، ولا ينظر في أمر مملكته ورعيّته وجنده ، قد ألقى الجميع عن قلبه ، وسلك طريق مَن ليس له علاقة ؛ وكان أهل تلك البلاد قد أكثرت الاستغاثة به ، وإعلامه بقصد الكُرج بلادهم بالغارة مرّة بعد أخرى ، فكأنّهم ينادون صخرة صمّاء ؛ فلمّا حصر الكُرج ، هذه السنة ، مدينة

1) A. مع بخستها .

2) caput totum in A. abest.

الجمهورية العراقية
رئاسة ديوان الأوقاف
احياء التراث الاسلامي



تأليف

أبي يوسف يعقوب بن سفيان البسوي

(ت ـ ٢٧٧هـ)

رواية

عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي

الكتاب العاشر

تحقيق

أكرم ضياء العمري

مطبعة الأرشاد ـ بغداد
١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م

حدثني سعيد بن أسد حدثنا ضمرة عن ابن شوذب قال : كتب صالح بن عبدالرحمن وصاحبه الى عمر بن عبدالعزيز يعرّضان له بدماء المسلمين ، وكانا عامليه على شيء من العراق ، فكتبا : ان الناس لا يصلحهم الا السيف : فكتب اليهما عمر : خبيثين من الخبث ربذتين من الربذ يعرضان لي بدماء المسلمين ! ما أحد من المسلمين الا ودمكما أهون عليّ من دمه[1] .

قال : وأراد الوليد بن عبدالملك عمر بن عبدالعزيز على أن يخلع سليمان فقال : يا أمير المؤمنين انما بايعنا لكما في عقدة واحدة فكيف نخلعه ونتركك ! وقال : « عرض على عمر بن عبدالعزيز جوار ، وعنده العباس بن الوليد بن عبدالملك ، قال : فجعل كلّما مرت به جارية تعجبه قال : يا أمير المؤمنين اتخذ هذه . قال : فلما أكثر قال له عمر بن عبدالعزيز : أتأمرني بالزنا ! قال : فخرج العباس فمر بأناس من أهل بيته ، فقال : ما يجلسكم بباب رجل يزعم أن آباءكم كانوا زناة »[2] .

حدثني أبو سعيد عبدالله بن ابراهيم حدثنا الوليد حدثنا عبدالله[3] ابن يزيد بن أبي مسلم الثقفي : أن أباه خرج في بعث الصائفة على ديوانه ، قال : وخرجت معه . قال : فلما كان بمرج اللاج[4] لقيه كتاب عمر بن عبدالعزيز انصرف من حيث يلقاك كتاب أمير المؤمنين ، فأن

(١) أوردها ابن الجوزى فى سيرة عمر ص ٩١ من طريق ضمرة ولم يسم مصدره وقال : « رديئين من الرديء » بدل « ربذتين من الربذ » .

(٢) ابن الجوزى سيرة عمر ص ١١٩ بالاسناد نفسه .

(٣) في سيرة عمر لابن الجوزى ص ٨٨ « عبيدالله » .

(٤) لم أجده ، وفي ياقوت : مرج الديباج على عشرة أميال من المصيصة ولعله مصحف عنه .

الله لا ينصر جيشاً أنت فيهم . قال الوليد : فذكرته لابن المبارك فحدثني عن معمر أو غيره : أن عمر كتب الى صاحب الصائفة : انه بلغني أن ابن أبي مسلم اكتتب في بعض الصائفة ، فاردُدهُ خاسئاً فأني أكره أن أدعو للقوم[1] في أمر[2] وفيهم ابن أبي مسلم ، قال : فردّه من الدرب[3] .

حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان[4] عن عمرو بن ميمون[5] قال : كانت العلماء مع عمر بن عبدالعزيز تلامذة[6] .

حدثنا محمد بن عبدالعزيز الرملي حدثنا ضمرة عن كريز بن سليم قال : كتب عمر بن عبدالعزيز الى عبدالله بن عوف القاري : أن اركب الى البيت الذى برفح الذى يقال له بيت المكس[7] فاهدمه ، ثم احمله الى البحر ثم انسفه نسفاً[8] .

حدثنا محمد بن عبدالعزيز حدثنا النعمان بن بشير الرملي قال : حدثني زكري بن شداد قال : كتب عمر بن عبدالعزيز الى عبدالله بن

(١) في الاصل « القوم » .

(٢) في الاصل ممسوحة .

(٣) وردت في سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى ص ٨٨ .

(٤) سفيان الثورى .

(٥) عمرو بن ميمون بن مهران الجزرى (تهذيب التهذيب ١٠٨/٨) .

(٦) أوردها ابن الجوزى سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ٢٧ لكنه يرفع القول الى ميمون بن مهران .

(٧) انظر عن وضعه المكس عن المسلمين ابن سعد ٢٥٤/٥ ، وابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ٩٩ .

(٨) أوردها ابن الجوزى من حديث ضمرة (سيرة عمر ص ٩٣) لكنه قال « كدير بن سليمان » بدل « كريز بن سليمان » .

تراثنا

صبح الأعشى

في

صناعة الإنشا

تأليف

أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي

٨٢١هـ - ١٤١٨م

نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية

ومذيلة

بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية

مع دراسة وافية

وزارة الثقافة والارشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

الثانى — ما يؤخذ من العِدّاد من مواشى أهل بَرْقة من الغنم والإبل عند وصولهم إلى عمل البحيرة بسبب المرعى، وفى الغالب يُقْطَع لبعض الأمراء، ويخرج قُصّادهم لأخذه.

النوع الرابع

الجوالى

وهى ما يؤخذ من أهل الذّمّة عن الجزية المقرّرة على رقابهم فى كل سنة، وهى على قسمين: ما فى حاضرة الديار المصرية من الفُسْطاط والقاهرة، وما هو خارج عن ذلك. فأما ما بحاضرة الديار المصرية، فإن لهذه الجهة بها ناظرا يُولّى من جهة السلطان بتوقيع شريف، ويتبعه مباشرون من شادّ وعامل وشُهود، وتحت يده حاشرٌ لليهود وحاشر للنصارى يعرف أربابَ الأسماء الواردة فى الديوان ومن ينضم إليهم ممن يبلغ فى كل عام من الصّبيان، ويعبَّر عنهم بالنَّشْو، ومن يَقْدَم إلى الحاضرة من البلاد الخارجة عنها، ويعبَّر عنهم بالطارئ، ومن يهتدى أو يموت ممن اسمه وارد الديوان. ويُمْلى على كُتّاب الديوان ما يتجدّد من ذلك.

قال فى "قوانين الدواوين": إن الجزية كانت فى زمانه على ثلاث طبقات: عُلْيا، وهى أربعة دنانير وسدسٌ عن كل رأس فى كل سنة، ووُسْطى وهى ديناران وقيراطان، وسُفْلى وهى دينار واحد وثلث وربع دينار وحبتان من دينار، وإنه أضيف إلى جزية كل شخص درهمان وربع عن رسم الشاد والمباشرين. ثم قال: وقد كانت العادة جارية باستخراجها فى أول المحرّم من كل سنة، ثم صارت تُستخرَج فى أيام من ذى الحجة. قلت: أما الآن، فقد نقصت حتّى صار أعلاها خمسةً وعشرين درهما، وأدناها عشرة دراهم، ولكنها صارت تُستأدى معجّلة فى شهر رمضان، ثم ما يتحصّل منها يحمل منه قدر معين فى كل سنة لبيت المال، وباقى ذلك عليه مرتبون من القُضاة وأهل العلم والديانة يوزّع عليهم على قدر المتحصّل.

وأما ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية من سائر بُلْدانها فإن جزية أهل الذمة فى كل بلد تكون لمُقْطَع تلك البلد من أمير أو غيره تجرى مجرى مال ذلك الإقطاع، وإن كانت تلك البلد جارية فى بعض الدواوين السلطانية، كان ما يتحصّل من الجزية من أهل الذمة بها جاريا فى ذلك الديوان.

النوع الخامس

ما يؤخذ من تُجّار الكفّار الواصلين فى البحر إلى الديار المصرية

واعلم أن المقرّر فى الشرع أخذ العشر من بضائعهم التى يَقْدَمون بها من دار الحرب إلى بلاد الإسلام إذا شُرِط ذلك عليهم. والمُفْتَى به فى مذهب الشافعىّ رضى الله عنه أن للإمام أن يزيد فى المأخوذ عن العشر وأن ينقُص عنه إلى نصف العشر لحاجة إلى الازدياد من جلب البضاعة إلى بلاد المسلمين، وأن يرفع ذلك عنهم رأسا إذا رأى فيه المصلحة. وكيفما كان الأخذ فلا يزيد فيه على مرّة من كل قادم بالتجارة فى كل سنة، حتّى لو رجع إلى بلاد الكفر ثم عاد بالتجارة فى سنته لا يؤخذ منه شىء إلا أن يقع التراضى على ذلك؛ ثم الذى ترد إليه تُجّار الكفار من بلاد الديار المصرية ثغرُ الإسكندرية، وثغر دِمْياط المحروستين، تأتى إليهما مراكب الفرنج والرُّوم بالبضائع فتبيع فيهما أو تمتار منهما ما تحتاج إليه من البضائع، وقد تقرّر الحال على أن يُؤخَذ منهم الخمس وهو ضِعْف العُشْر عن كل ما يصل لهم فى كل مرة، وربما زاد ما يُؤخَذ منهم على الخمس أيضا.

قال ابن مماتى فى "قوانين الدواوين": وربما بلغ قيمة ما يُستخرَج مما قيمته مائة دينار ما يناهز خمسة وثلاثين دينارا، وربما انحط عن العشرين دينارا. قال: ويطلق على كليهما خُمْس، قال: ومن الروم مَنْ يُستأدى منه العشر، إلا أنه لما

كان الخمس أكثر، كانت النسبة إليه أشهر . ولذلك ضرائب مستقرة فى الدواوين وأوضاع معروفة .

النـــوع الســادس

المواريث الحشرية

وهى مال من يموت وليس له وارث خاص: بقرابة أو نكاح أو وَلاء، أو الباقى بعد الفرض من مال مَنْ يموتُ وله وارثٌ ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصبٌ له .

وهذه الجهة أيضا على قسمين : ما فى حاضرة الديار المصرية، وما هو خارج عنها.

فأمّا ما بحاضرة الديار المصرية، فإن لهذه الجهة ناظرا يولّى من قِبَل السلطان بتوقيع شريف ومعه مباشرون من شادّ وكاتب ومُشَارِف وشُهُود، وهى مضافة إلى ما تحت نظر الوزارة من سائر المباشرات، ومُتَحَصَّلُها يحمل إلى بيت المال، وربما كان عليها مرتَّبون من أرباب جوامك وغيرهم . وقد جرت عادة هذا الديوان أنّ كاتبه فى كل يوم يكتب تعريفا بمَنْ يموت بمصر والقاهرة من حَشْرِىّ أو أهلى وتفصيله من رجال ونساء وصغار ويهود ونصارى، وتكتب منه نسخ لديوان الوزارة، ولنظر الدواوين ومستوفى الدولة، ويُسَدّ من وقت العصر . فمن أطلق بعد العصر، أضيف إلى النهار القابل .

وأمّا ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية، فلها مباشرون يُحصّلونها ويحملون ما يتحصّل منها إلى الديوان السلطانى .

النـــوع السابـــع

ما يتحصّل من باب الضرب بالقاهرة

والذى يضرب فيها ثلاثة أصناف :

الصـــنف الأوّل

الذهب

وأصله مما يُجلب إلى الديار المصرية من التِّبر من بلاد التَّكْرور وغيرها مع ما يجتمع إليه من الذهب . قال فى "قوانين الدواوين": وطريق العمل فيها أن يُسْبَك ما يجتمع من أصناف الذهب المختلفة حتّى يصير ماء واحدا، ثم يقلب قُضْبانا ويقطع من أطرافها قطع بمباشرة النائب فى الحكم، ويحرّر بالوزن ويسبك سبيكة واحدة، ثم يؤخذ من بعضها أربعة مثاقيل ويضاف إليها من الذهب الخائف المسبوك بدار الضرب أربعة مثاقيل، ويعمل كل منها أربع ورقات وتجمع الثمان ورقات فى قدح فخار بعد تحرير وزنها، ويوقد عليها فى الأتّون ليلة، ثم تخرج الورقات وتمسح ويعبَّر الفرع[1] على الأصل، فإن تساوى الوزن وأجازه النائب فى الحكم، ضُرِب دنانير . وإن نقص أعيد الى أن يتساوى ويصح التعليق فيضرب حينئذ دنانير .

قال ابن الطُّوَيْر فى الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية بالديار المصرية فى سياقة الكلام على وظيفة قضاء القضاة : وسبب خلوص الذهب بالديار المصرية ما حكى أن أحمد بن طولون صاحب مصر كان له المسام بمدينة عين شمس الخراب على القرب من المَطَرِيّة من ضواحى القاهرة، حيث ينبت البَلَسانُ، وأن يد فرسه ساخت بها يوما فى أرض صَلْدة، فأمر بحفر ذلك المكان فوجد فيه خمسة نَواويس فكشفها فوجد فى الأوسط منها ميتا مُصَبَّرًا فى عسل، وعلى صدره لوحٌ لطيف من ذهب فيه كتابة لا تعرف، والنواويس الأربعة مملوءة بسبائك الذهب، فنقل ذلك الذهب

(١) كذا فى قوانين الدواوين . وفى الأصل : «القدح» وهو تحريف .

تفسد وهى على ذلك. وطريق عملها: أن يُسبك النُّحاسُ الأحمر حتّى يصير كالماء، ثم يخرج فيضرب قضبانا، ثم يُقطَّع قطعا صغارا، ثم تُرْصَع وتسك بالسكة السلطانية ومكتها أن يكتب على أحد الوجهين آسم السلطان ولقبه ونسبه ، وعلى الآخر آسم بلد ضربه وتاريخ السنة التى ضرب فيها .

الضـرب الثـانى

من الأموال الديوانية بالديار المصرية غير الشرعى، وهو المكوس، وهى على نوعين

النـــوع الأوّل

ما يختص بالديوان السلطانى وهو صنفان

الصـــنف الأوّل

ما يؤخذ على الواصل المجلوب ، وأكثره مُتَحَصَّلا جهتان

الجهـــة الأولى

ما يؤخذ على واصل التجار الكارمية من البضائع فى بحر القُلْزُم من جهة الحجاز واليَمَن وما والاهما، وذلك بأربعة سواحل بالبحر المذكور

الساحل الأول — "عَيْذَابُ" وقد كان أكثرَ السواحل واصلا لرغبة رؤساء المراكب فى التعدية من جُدّة إليــه ، وإن كانت باحتُه متسعةً لغزارة الماء وأَمْن اللَّحَاق بالشعب الذى ينبت فى قعر هذا البحر، ومن هذا الساحل يتوصل إلى قُوص بالبضائع ومن قُوص إلى فُنْدُق الكارم بالفُسْطَاط فى بحر النيل .

الساحل الثانى — "القُصَيْرُ" وهو فى جهة الشمال عن عَيْذابَ، وكان يصل إليه بعضُ المراكب لقربه من قُوص وبُعْدِ عَيْذابَ منها، وتُحمل البضائع منه إلى قُوص، ثم من قُوص إلى فُنْدُق الكارم بالفُسْطَاط على ما تقدّم، وإن لم يبلغ فى كثرة الواصل حدّ عَيْذابَ.

الساحل الثالث — "الطُّورُ" وهو ساحل فى جانب الرأس الداخل فى بحر القُلْزُم بين عَقَبة أَيْلَةَ وبين بر الديار المصرية؛ وقد كان هذا الساحل كثير الواصل فى الزمن المتقدّم؛ لرغبة بعض رؤساء المراكب فى السير إليه، لقرب المراكب فيه من بر الحجاز حتّى لا يغيب البر عن المسافر فيــه وكثرة المراسى فى بره، متى تغير البحر على صاحب المركب وجد مَرْساة يدخل إليها، ثم تُرِكَ قَصْدُ هذا الساحل والسفرُ منه بعد آنقراض بنى بدير العباسية التجار، ورغب المسافرون عن السفر فيه لما فيه من الشعب الذى يُخْشى على المراكب بسببه، ولذلك لا يُسافَر فيه إلا نهارا، وبقى على ذلك إلى حدود سنة ثمانين وسبعمائة، فعَمَر فيه الأمير صلاح الدّين بن عرّام[1] رحمه الله، وهو يومئذ حاجب الحُجّاب بالديار المصرية مَرْكبا وسَفَّرها، ثم أتبعها بمركب آخر فجسر النـاس على السفر فيــه وعَمَروا المراكب فيه، ووصلت إليــه مراكبُ اليَمَن بالبضائع، ورُفِضت عَيْـذابُ والقُصَيْرُ، وحصل بواسطة ذلك حمـل الغلال إلى الحجاز، وغَزُرت فوائد التجار فى حمل الحنطة إليه .

الساحل الرابع — "السُّوَيْسُ" على القرب من مدينة القُلْزُم الخراب بساحل الديار المصرية . وهو أقرب السواحل إلى القاهرة والفُسْطَاط إلا أن الدخول إليه نادر، والعمدة على ساحل الطُّور كما تقدّم .

---

(١) هو الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، كان واسع الاطلاع فى التاريخ والأدب، وله مصنفات مفيدة وتاريخ كبير ومعرفة تامة بالأمور السياسية . تولى نيابة الاسكندرية غير مرة وتنقل فى عدّة وظائف . قتل وهو مسمر بسوق الخيل بالرملة بالقاهرة سنة ٧٨٢ ﻫ ورثاه الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار بقوله :

أيا آبن عزام قد سمرت مشتهرا * وصار ذلك مكتوبا ومحسوبا
ما زلت تجهد فى التاريخ تكتبه * حتى رأيناك فى التاريخ مكتوبا

(راجع النجوم الزاهرة فى حوادث سنة ٧٨٢ ﻫ)

قلت : وهذه السواحل على حدّ واحد فى أخذ المرتَّب السلطانى ، وقد ذكر فى " قوانين الدواوين " : أن واصل عَيْذابَ كان آستقر فيه الزكاة . أما الذى عليه الحال فى زماننا، فإنه يؤخذ من بضائع التجار العُشْر مع لواحقَ أخرى تكاد أن تكون نحو المرتب السلطانى أيضا .

وآعلم أنه قد تَصِلُ البضائع للتجار المسلمين إلى ساحل الإسكندرية ودمياط المتقدّم ذكرهما، فيؤخذ منها المرتَّب السلطانى على ما توجبه الضرائب .

الجهة الثانية

ما يؤخذ على واصل التجار بقَطْيا فى طريق الشأم إلى الديار المصرية

وعليها يرِدُ سائرُ التجار الواصلين فى البر من الشأم والعراق وما والاهما، وهى أكثر الجهات متحصِّلا وأشدّها على التجار تضييقا وعندهم ضرائب مقررة لكل نوع يؤخذ عن نظيرها .

الصنف الثانى

ما يؤخذ بحاضرة الديار المصرية : بالفُسْطاط والقاهرة

وهو جهات كثيرة ، يقال إنها تبلغ آثنتين وسبعين جهة؛ منها ما يكثُر متحصَّله ومنها ما يقلّ، ثم بعضها بحسب ما يتحصَّل من قليل وكثير، وبعضها له ضَمّان[1] بمقدار معين لكل جهة، يطلب بذلك المقدار إن زادت الجهة فله وإن نقصت فعليه .

قلت : وقد عمت البلوى بهذه المُكُوس، وخرجت فى التزيُّد عن الحدّ، ودخلت الشبهة فى أموال الكثير من الناس بسببها . وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله فى سلطنته قد رفع هذه المكوسَ ومحا آثارها ،

(١) لعله ضامن .

وعوّضه الله عنها بما حازه من الغنائم وفتحه من البلاد والأقاليم، وربما وقع الإلهام من الله تعالى لبعض ملوك المملكة برفع المظلمة الحاصلة منها . ومن أعظم ذلك خَطَرا وأرفعه أجْرًا ما فعله السلطان الملك الأشرف " شعبان بن حسين " بن الملك الناصر محمد بن قلاوون تغمده الله تعالى برحمته من بُطْلان مكوس المَلاهى والقراريط على الأملاك المبيعة .

النوع الثانى

ما لا آختصاص له بالديوان السلطانى

وهى المُكُوس المتفرقة ببلاد الديار المصرية فتكون تابعة للإقطاع إن كانت تلك البلد جارية فى ديوان من الدواوين السلطانية فتحصَّلها لذلك الديوان ، أو جارية فى إقطاع بعض الأمراء ونحوهم فتحصَّلها لصاحب الإقطاع ، ويعبَّر عنها فى الدواوين بالهلالى كما يعبَّر عما يؤخذ من أجرة الأرضين بالخراجى .

المقصد الثالث[1]

فى ترتيب المملكة، ولها ثلاث حالات :

الحالة الأولى — ما كانت عليه فى زمن عُمّال الخلفاء من حين الفتح إلى آخر الدولة الإخشيدية ، ولم يتحرر لى ترتيبها، والظاهر أنه لم يزل نوابها وأمراؤها حينئذ على هيئة العرب إلى أن وليها أحمد بن طولون وبَنُوه وأحدثوا فيها ترتيب الملك . على أنه كان أكثر عسكره من السودان ، حتّى يقال إنه كان فى عسكره آثنا عشر ألف أسود، وتبعتهم الدولة الإخشيدية على ذلك إلى آخر دولتهم .

(١) لم يسبق له التعبير بالمقصد الأول والثانى ولم يجئ كعادته فلعل هذا من بعض النساخ . وقد وقع فى هذا الجزء شىء من هذا القبيل فاقتضى التنبيه .

قلت : وهذه السواحل على حدّ واحد فى أخذ المرتَّب السلطانىّ ، وقد ذكر فى " قوانين الدواوين " : أن واصل عَيْذابَ كان ٱستقر فيه الزكاة . أما الذى عليه الحال فى زماننا، فإنه يؤخذ من بضائع التجار العُشْر مع لواحقَ أخرى تكاد أن تكون نحو المرتب السلطانىّ أيضا .

واعلم أنه قد تَصِلُ البضائع للتجار المسلمين إلى ساحل الإسكندرية ودمياط المتقدّم ذكرهما، فيؤخذ منها المرتَّب السلطانى على ما توجبه الضرائب .

الجهـة الثـانيـة

ما يؤخذ على واصل التجار بقَطْيا فى طريق الشأم إلى الديار المصرية

وعليها يرِدُ سائرُ التجار الواصلين فى البر من الشأم والعراق وما والاهما، وهى أكثر الجهات متحصَّلا وأشدّها على التجار تضييقا وعندهم ضرائب مقرّرة لكل نوع يؤخذ عن نظيرها .

الصنف الثانى

ما يؤخذ بحاضرة الديار المصرية : بالفُسْطاط والقاهرة

وهو جهات كثيرة ، يقال إنها تبلغ ٱثنتين وسبعين جهة، منها ما يكثُر متحصَّله ومنها ما يقلّ، ثم بعضها بحسب ما يتحصَّل من قليل وكثير، وبعضها له ضَمَان[1] بمقدار معين لكل جهة، يطلب بذلك المقدار إن زادت الجهة فله و إن نقصت فعليه .

قلت : وقد عمت البلوى بهذه المُكُوس، وخرجت فى التزيُّد عن الحدّ، ودخلت الشبهة فى أموال الكثير من الناس بسببها . وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله فى سلطنته قد رفع هذه المكوسَ ومحا آثارها ،

(1) لعله ضامن .

وعوّضه الله عنها بما حازه من الغنائم وفتحه من البلاد والأقاليم، وربما وقع الإلهام من الله تعالى لبعض ملوك المملكة برفع المظلمة الحاصلة منها . ومن أعظم ذلك خَطَرا وأرفعه أجْرًا ما فعله السلطان الملك الأشرف " شعبان بن حسين " بن الملك الناصر محمد بن قلاوون تغمده الله تعالى برحمته من بُطْلان مكوس المَلَاهى والقراريط على الأملاك المبيعة .

النـوع الثـانى

ما لا ٱختصاص له بالديوان السلطانىّ

وهى المُكُوس المتفرقة ببلاد الديار المصرية فتكون تابعة للإقطاع إن كانت تلك البلد جارية فى ديوان من الدواوين السلطانية فتحصَّلها لذلك الديوان ، أو جارية فى إقطاع بعض الأمراء ونحوهم فتحصَّلها لصاحب الإقطاع ، ويعبَّر عنها فى الدواوين بالهلالى كما يعبَّر عما يؤخذ من أجرة الأرضين بالخراجىّ .

المقصد الثالث[1]

فى ترتيب المملكة، ولها ثلاث حالات :

الحالة الأولى — ما كانت عليه فى زمن عُمَّال الخلفاء من حين الفتح إلى آخر الدولة الإخشيدية ؛ ولم يتحرر لى ترتيبها، والظاهر أنه لم يزل نوابها وأمراؤها حينئذ على هيئة العرب إلى أن وليها أحمد بن طولون وبنوه وأحدثوا فيها ترتيب الملك . على أنه كان أكثر عسكره من السودان ، حتّى يقال إنه كان فى عسكره ٱثنا عشر ألف أسود، وتبعتهم الدولة الإخشيدية على ذلك إلى آخر دولتهم .

(1) لم يسبق له التعبير بالمقصد الأول والثانى ولم يجر كعادته فلعل هذا من بعض النساخ . وقد وقع فى هذا الجزء شىء من هذا القبيل فاقتضى التنبيه .

قلت : وهذه السواحل على حدّ واحد فى أخذ المرتَّب السلطانىّ ، وقد ذكر فى " قوانين الدواوين " : أن واصل عَيْذابَ كان آستقر فيه الزكاة . أما الذى عليه الحال فى زماننا، فإنه يؤخذ من بضائع التجار العُشْر مع لواحِقَ أخرى تكاد أن تكون نحو المرتب السلطانىّ أيضا .

وآعلم أنه قد تَصِلُ البضائع للتجار المسلمين إلى ساحل الإسكندرية ودمياط المتقدّم ذكرهما، فيؤخذ منها المرتَّب السلطانى على ما توجبه الضرائب .

الجهـة الثانيـة

ما يؤخذ على واصل التجار بقَطْيا فى طريق الشأم إلى الديار المصرية

وعليها يرِدُ سائرُ التجار الواصلين فى البر من الشأم والعراق وما والاهما، وهى أكثر الجهات متحصَّلا وأشدّها على التجار تضييقا وعندهم ضرائب مقرّرة لكل نوع يؤخذ عن نظيرها .

الصـنف الثانى

ما يؤخذ بحاضرة الديار المصرية : بالفُسْطَاط والقاهرة

وهو جهات كثيرة ، يقال إنها تبلغ آثنتين وسبعين جهة، منها ما يكثُر متحصَّله ومنها ما يقلّ، ثم بعضها بحسب ما يتحصّل من قليل وكثير، وبعضها له ضَمَّان[1] بمقدار معين لكل جهة، يطلب بذلك المقدار إن زادت الجهة فله وإن نقصت فعليه .

قلت : وقد عمت البلوى بهذه المُكُوس، وخرجت فى التزيُّد عن الحدّ، ودخلت الشبهة فى أموال الكثير من الناس بسببها . وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله فى سلطنته قد رفع هذه المكوسَ ومحا آثارها ،

(١) لعله ضامن .

وعوّضه الله عنها بما حازه من الغنائم وفتحه من البلاد والأقاليم، وربما وقع الإلهام من الله تعالى لبعض ملوك المملكة برفع المظلمة الحاصلة منها . ومن أعظم ذلك خَطَرا وأرفعِه أجْرًا ما فعله السلطان الملك الأشرف " شعبان بن حسين " بن الملك الناصر محمد بن قلاوون تغمده الله تعالى برحمته من بُطْلان مكوس المَلَاهى والقراريط على الأملاك المبيعة .

النـوع الثانى

ما لا آختصاص له بالديوان السلطانىّ

وهى المُكُوس المتفرقة ببلاد الديار المصرية فتكون تابعة للإقطاع إن كانت تلك البلد جارية فى ديوان من الدواوين السلطانية فتحصَّلها لذلك الديوان ، أو جارية فى إقطاع بعض الأمراء ونحوهم فتحصَّلها لصاحب الإقطاع ، ويعبَّر عنها فى الدواوين بالهلالى كما يعبَّر عما يؤخذ من أجرة الأرضين بالخراجىّ .

المقصـد الثالث[1]

فى ترتيب المملكة، ولها ثلاث حالات :

الحالة الأولى — ما كانت عليه فى زمن عُمَّال الخلفاء من حين الفتح إلى آخر الدولة الإخشيدية ؛ ولم يتحرر لى ترتيبها، والظاهر أنه لم يزل نوّابها وأمراؤها حينئذ على هيئة العرب إلى أن وليها أحمد بن طولون وبَنُوه وأحدثوا فيها ترتيب الملك . على أنه كان أكثر عسكره من السودان ، حتّى يقال إنه كان فى عسكره آثنا عشر ألف أسود، وتبعتهم الدولة الإخشيدية على ذلك إلى آخر دولتهم .

(١) لم يسبق له التعبير بالمقصد الأول والثانى ولم يجمل كعادته فلعل هذا من بعض النساخ . وقد وقع فى هذا الجزء شىء من هذا القبيل فاقتضى التنبيه .

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

حلية الأولياء

وطبقات الأصفياء

للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠

ذكر الحافظ الذهبي فى تذكرة الحفاظ : ان كتاب الحلية حمل فى حياة المصنف إلى نيسابور فاشتروه بأربعمائة دينار

طبع للمرة الأولى على نفقة

مكتبة الخانجى و مطبعة السعادة

بشارع عبد العزيز بمصر — بجوار محافظة مصر

١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

* حدثنا عبد الله بن محمد قال ثنا أحمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن إبراهيم قال ثنا الحسين بن زياد . قال سمعت منيعاً يقول : مر تاجر بعشارين فحبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر ذلك له فقام مالك فمشى معه إلى العشارين فلما رأوه . قالوا : يا أبا يحيي ألا بعثت إلينا ما حاجتك ؟ قال : حاجتى أن تخلوا سفينة هذا الرجل . قالوا : قد فعلنا ! قال : وكان عندهم كوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم . فقالوا : ادع الله لنا يا أبا يحيي ، قال : قولوا للكوز يدعو لكم كيف أدعو لكم وألف يدعو عليكم أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف .

* حدثنا عبد الله بن محمد قال ثنا أحمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن إبراهيم قال ثنا محمد بن عبيدة قال ثنا أبو الربيع عن مسلم أبى عبد الله ، قال : دخل مالك دار الخراج يوما ينظر فإذا هو برجل من هؤلاء الكبار قد وضع الكبل فى رجليه ، فبينا هو ينظر إذ أتى بطعامه فوضع بين يديه فجعل مالك ينظره ويتعجب من أكله ومما هو فيه ، فقال له الرجل : تعال كل يا أبا يحيى ، قال : أخاف إن أكلت مثل هذا أن يوضع فى رجلى مثل هذا ، قال : فتقدم إليه ابن عم الرجل ، فقال : يا أبا يحيى أن هذا ابن عم لى وهو ينفق على وعلى عيالى فادع الله أن ينجيه ، قال فقال مالك : أتدرى ما مثل ابن عمك مثل شاة أكلت عجين قوم فانتفخ بطنها فماتت وصاحب العجين يدعو الله على من أكل عجينه وصاحب الشاة يدعو الله على من قتل شاته ، فلأيهم ترى الله أسرع إجابة .

* حدثنا عبد الله بن محمد قال ثنا أحمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن إبراهيم قال ثنا موسى بن إسماعيل قال جعفر ، قال سمعت مالكا يقول ، حلوا أنفسكم من الدنيا واثقاً واثقاً * حدثنا عبد الله قال ثنا أحمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن إبراهيم قال ثنا محمد أبو عبدالله بن قدامة عن الحارث بن عبيد ، قال سمعت مالكا يقول لو أن القوم كلفوا الصمت لأقلوا المنطق.

* حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى قال ثنا عبد الله بن محمد العطشى قال ثنا إبراهيم بن الجنيد قال ثنا عيسى بن عبد العزيز العمى ثنا أبى قال

ثنا مالك بن دينار . قال : قرأت فى بعض الحكمة لا خير لك — أولا عليك — أن تعلمن ما تعلم ولا تعمل بما قد علمت ؛ فان مثل ذلك مثل رجل قد احتطب حطبا لحزمه حزمة فذهب ليحملها فعجز عنها فضم اليها أخرى .

* حدثنا أبو بكر الآجرى قال ثنا عبد الله بن محمد قال ثنا ابراهيم بن الجنيد قال ثنا الحسن بن عرفله قال ثنا المبارك بن سعيد عن عباد بن كثير عن مالك بن دينار . قال : كنت مولعاً بالكتب أنظر فيها فدخلت ديراً من الديارات ليالى الحجاج فأخرجوا كتابا من كتبهم فنظرت فيه ، فاذا فيه : يا ابن آدم لم تطلب علم ما لم تعلم وأنت لا تعمل بما تعلم .

* حدثنا أبو بكر الآجرى قال ثنا عبد الله بن محمد قال ثنا ابراهيم بن الجنيد قال حدثنى أبو يعقوب الصوفى قال ثنا اسحاق بن عمر بن سليط قال ثنا يحيى بن النعمان . قال قال مالك بن دينار : لولا سفهاؤكم للبست لباسا لا يرانى محزون إلا بكى * حدثنا أبو محمد بن حيان قال ثنا محمد بن ابراهيم ابن شبيب قال ثنا سليمان بن أيوب قال ثنا جعفر بن سليمان . قال سمعت مالك ابن دينار يقول : قرأت فى بعض الكتب يجاء براعى السوء يوم القيامة . فيقال : ياراعى شربت اللبن وأكلت اللحم ولم تؤ الضالة ولم تجبر الكسير ولم ترعها حق رعايتها ؛ اليوم أنتقم لهم منك .

* حدثنا أبو محمد بن حيان قال ثنا أبو يعلى قد حدثنى محمد بن الحسين البرجلانى قال حدثنى موسى بن اسماعيل قال ثنا حزم . قال سمعت مالك بن دينار يقول : ما يسرنى أن لى من الجيل [1] إلى الأبلة بنواة . ثم قال : ولا بيعرة ثم قال : ولا يسرنى أن لى من الجسر إلى خراسان بنواة ثم قال : ولا بيعرة ثم قال : إن كنت إنما أريدكم لهذا إنى إذاً لشقى .

* حدثنا أبو محمد بن حيان قال ثنا اسحاق بن أحمد قال ثنا محمد بن احمد بن الجراح الجرجانى قال ثنا عبد السلام بن مطهر قال ثنا جعفر بن سليمان . قال سمعت مالك بن دينار يقول : إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز .

* حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الجوهرى قال حدثنى على بن أحمد

عن أبيه قال : بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنا له اشترى فصا بألف درهم فتختم به ، فكتب إليه عمر : عزيمة منى إليك لما بعت الفص الذى اشتريت بألف درهم وتصدقت بثمنه ، واشتريت فصا بدرهم واحد ونقشت عليه رحم الله امرأ عرف قدره والسلام .

* حدثنا محمد بن إبراهيم ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة ثنا أحمد بن زيد الخزاز ثنا ضمرة ثنا كريز بن سليمان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله عبد الله بن عون على فلسطين : أن اركب إلى البيت الذى يقال له المكس فاهدمه ، ثم احمله إلى البحر فانسفه فى اليم نسفا .

* حدثنا أحمد بن جعفر بن سلم ثنا إدريس بن عبد الكريم ثنا محرز بن عون ثنا عبد العزيز بن محمد عن عبدالله بن موسى قال : كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدى : ما طاقة المسلم بجور السلطان مع نزغ الشيطان ، إن من عون المسلم على دينه أن يتقى بحقه .

* حدثنا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد قال : حدثنى أبو عبد الله السلمى حدثنى مبشر عن نوفل بن أبى الفرات [قال : كتبت الحجبة إلى عمر بن عبد العزيز ، يأمر للبيت بكسوة كما كان يفعل من كان قبله ، فكتب إليهم : إنى رأيت أن أجعل ذلك فى أكباد جائعة فإنهم أولى بذلك من البيت .

* حدثنا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبو عبد الله السلمى قال حدثنى مبشر عن نوفل بن أبى الفرات][1] قال : كنت عاملا لعمر ابن عبد العزيز ، فكنت أختم على يبادر أهل الذمة ، فجاءنى كتاب عمر أن لا تفعل فإنه بلغنى أنها كانت من صنائع الحجاج ، وأنا أكره أن أتأسى به .

* حدثنا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد حدثنى الحسن بن عبدالعزيز قال : كتب إلينا ضمرة عن رجاء بن أبى سلمة . قال : لما مات عبد الملك بن عمر ابن عبد العزيز كتب إلى الأمصار ينهى أن يناح عليه ، وكتب إن الله أحب قبضه وأعوذ بالله أن أخالف محبته .

(١) لم ترد فى المغربية .

* حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا أحمد بن الحسين ثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى حدثنى عبيد الله بن الوليد الدمشقى ثنا عبد الملك بن يزيغ قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة : أما بعد ؛ فإنك لن تزال تعنى إلى رجلا من المسلمين فى الحر والبرد تسألنى عن السنة ، كأنك إنما تعظمنى بذلك ، وأيم الله لحسبك بالحسن ، فإذا أتاك كتابى هذا فسل الحسن لى ولك وللمسلمين فرحم الله الحسن فإنه من الإسلام بمنزل ومكان ، ولا تقرينه كتابى هذا .

* حدثنا عبد الله بن محمد ثنا أحمد ثنا عبد الله بن صالح أنبأنا يحيى بن يمان قال : بلغنى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامل له : أما بعد ؛ فالزم الحق ينزلك الحق منازل أهل الحق ، يوم لا يقضى بين الناس إلا بالحق وهم لا يظلمون .

* حدثنا عبد الله بن محمد ثنا أحمد ثنا عبد الله بن صالح عن يحيى بن يمان قال : كتب عمر إلى عامل له : أما بعد ؛ فلتجف يداك من دماء المسلمين وبطنك من أموالهم ، ولسانك عن أعراضهم ، فإذا فعلت ذلك فليس عليك سبيل : (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) الآية .

* حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا هارون ابن معروف ثنا ضمرة عن ابن شوذب قال : كتب صالح بن عبد الرحمن وصاحب له — وكانا قد ولاهما عمر شيئاً من أمر العراق — فكتبا إلى عمر يعرضان له أن الناس لا يصلحهم إلا السيف . فكتب إليهما : خبيثين من الخبث رديئين من الردى ، تعرضان لى بدماء المسلمين ، ما أحد من الناس إلا ودماؤكما أهون على من دمه . * حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل قال حدثنى أبى ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبى غنية ثنا حفص بن عمر قال : كتب عمر [بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن عمرو بن حزم : أما بعد فقد قرأت كتابك الذى كتبت به إلى سليمان وكنت المبتلى بالنظر فيه دونه ، كتبت تسأله أن يقطع لك من الشمع مثل الذى كان يقطع لمن قبلك ، وتذكر أن الشمع الذى كان قبلك لقد نفذ ، ولعمرى لطالما رأيتك تخرج من منزلك إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الليلة المظلمة الوحلة بغير ضياء

* حدثنا محمد ثنا الحسين ثنا أيوب الوزان ثنا الوليد بن الوليد الدمشق حدثنى محمد بن المهاجر . أن رجلا من أهل البصرة رأى فى منامه كأن قائلا يقول له حج من عامك هذا ، فقال والله ما لى من مال من أين أحج ؟ قال احتفر فى موضع كذا وكذا من دارك فإن فيه درعا فبعه ثم حج ، فلما أصبحت احتفرت فاستخرجت درعا ، فبعتها فحججت فقضيت مناسكى ، وجئت إلى البيت لأودعه فبينا أنا كذلك إذ غشيتنى نعسة وإذا النبى صلى الله عليه وسلم بين أبى بكر وعمر يمشى بينهما ، فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم إيت عمر بن عبد العزيز فأقره منى السلام وقل له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك : إن اسمك عندنا عمر المهدى ، وأبو اليتامى ، فاشدد يدك على العريف والماكس ، وإياك أن تحيد عن طريقة هذا وطريقة هذا ، فيحاد بك عى ، فانتبه وهو يبكى ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنى ، فلو كانت رسالته فى الظلمات لم أدعها أو أبلغها أو أموت ، فأقبل إلى الشام إلى عمر وكان بدير سمعان ، فأتى حاجبه وقال استأذن لى على عمر وقل له إنى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستضعف الحاجب عقله ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال له : من أنت يا عبد الله ؟ قال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الحاجب : هذا موله ليس له عقل ، ثم استأذنه اليوم الثالث فقال يا عبدالله من أنت وما تريد؟ ثم دخل على عمر فقال يا أمير المؤمنين هذا إنسان قد ولع بالاستئذان إليك ، فإذا قلت من أنت قال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن له فدخل على عمر فقال : من أنت ؟ قال : أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بقصة رؤياه وما رأى فى منامه ، وقال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبى بكر وعمر ، وأخبره بالذى أمره به وقال إياك أن تحيد عن طريقة هذا وهذا فيحاد بك غدا عنا ، فقال عمر : مرو له بكذا وكذا ، قال ما أقبل لرسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ولو أعطيتنى جميع ما تملك ، ثم خرج عنه ، فقال عمرو ابن مهاجر — وأنا إذ ذاك أنام على باب أمير المؤمنين مخافة أن يحدث من أمر الناس أمر فأصلحه ، وإلا أنبهته — فانتبهت ليلة لبكائه ونشيج قد غلب عليه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ما هذا الذى قد دهاك ؟ ما هذا الذى بلغ بك ؟ قال :

إن الله تعالى قد صدق رؤيا البصرى ، جاءنى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامى بين أبى بكر وعمر فقال ياعمر بن عبد العزيز إن اسمك عندنا عمر المهدى ، وأبو اليتامى ، فاشدد يدك على العريف والماكس ، وإياك أن تحيد عن طريقة هذا وطريقة هذا فيحاد بك ، فجعل يبكى بنشيج وهو يقول : أنى لى بطريقة هذا وطريقة هذا .

* حدثنا محمد بن إبراهيم ثنا عروبة الحرانى ثنا سليمان بن سيف ثنا أبو عاصم عن عثمان بن خالد بن دينار عن أبيه . قال قال عمر لميمون بن مهران : ياميمون لاتدخل على هؤلاء الأمراء وإن قلت آمرهم بالمعروف ، ولا تخلون بامرأة وإن قلت أقرئها القرآن ، ولا تصلن عاقا فإنه لن يصلك وقد قطع أباه .

* حدثنا محمد بن إبراهيم بن على ثنا أبو عروبة ثنا عمر بن عثمان قال ثنا أبى . قال سمعت جدى قال : كتب عمر إلى عدى بن أرطاة : بلغنى أنك تستن بسنة الحجاج ، فلا تستن بسنته فإنه كان يصلى الصلاة لغير وقتها ، ويأخذ الزكاة من غير حقها ، وكان لما سوى ذلك أضيع .

* حدثنا محمد بن على ثنا أبو العباس بن قتيبة ثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى حدثنى أبى عن جدى . قال قال عمر : ماحسدت الحجاج عدو الله على شىء حسدى إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله ، وقوله حين حضرته الوفاة : اللهم اغفر لى فإن الناس يزعمون أنك لاتفعل .

* حدثنا محمد بن على ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة ثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى حدثنى أبى عن جدى . قال : كنت عند هشام بن عبد الملك جالسا ، فأتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين إن عبد الملك أقطع جدى قطيعة فأقرها الوليد وسليمان حتى إذا استخلف عمر رحمه الله نزعها ، فقال له هشام أعد مقالتك فقال : يا أمير المؤمنين إن عبد الملك أقطع جدى قطيعة فأقرها الوليد وسليمان ، حتى إذا استخلف عمر رحمه الله نزعها ، فقال والله إن فيك لعجبا ، إنك تذكر من أقطع جدك قطيعة ومن أقرها فلا تترحم عليهم وتذكر من نزعها فتترحم عليه ، وإنا قد أمضينا ما صنع عمر رحمه الله .

سلسلة مطبوعات كتب السنة النبوية
٧

هذا الكتاب يحتوي على كتابين جليلين

١- سنن الدارمي

تأليف الحافظ الحجة الإمام الكبير شيخ الإسلام
أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي
المولود سنة ١٨١ هـ والمتوفى ٢٥٥ هـ

٢- تخريج الدارمي وتصحيحه وتحقيقه

لمحب السنة النبوية وخادمها
السيد عبد الله هاشم يماني المدني

بالمدينة المنورة (الحجاز)
١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

(اخبرنا) احمد بن عبد الله ثنا ابو شهاب عن الاعمش

عن ابراهيم قال من ادلى برحم اعطي برحمه التي يدلي بها

(حدثنا) احمد بن عبدالله ثنا ابو شهاب قال حدثني ابو اسحاق الشيباني

عن الشعبي عن رجل ترك عمته وابنة اخيه قال المال لابنة اخيه

(حدثنا) ابو نعيم ثنا شريك عن ليث عن محمد بن المنكدر

عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال الخال وارث من لا وارث له

(حدثنا) ابو نعيم ثنا حسن عن عبيدة

عن ابراهيم ان عمر وعبدالله رأيا ان يورثا خالا

(حدثنا) ابو نعيم ثنا حسن عن سليمان بن ابي اسحاق

عن الشعبي في عمة وبنت اخ قال المال لابنة الاخ

(حدثنا) ابو نعيم انا حسن عن سليمان عن بعضهم

عن ابراهيم قال للعمة

(اخبرنا) ابو نعيم ثنا حسن عن سليمان عن ابي اسحاق

عن الشعبي في عمة وابنة اخ قال المال لابنة الاخ

(حدثنا) ابو نعيم ثنا سفيان عن الشيباني

عن الشعبي في بنت اخ وعمة قال اعطى المال لابنة الاخ

(حدثنا) يعلى ثنا زكريا عن عامر

عن مسروق في رجل توفي وليس له وارث الا ابنة اخيه وخاله قال للخال نصيب اخته ولابنة الاخ نصيب ابيها

(حدثنا) ابو نعيم ثنا يونس

عن عامر قال كان مسروق ينزل العمة بمنزلة الاب اذا لم يكن اب والخالة بمنزلة الام اذا لم تكن ام

(حدثنا) يعلى عن محمد بن اسحاق عن محمد بن حبان نسبه الى جده عن عمه واسع بن حبان

قال توفي ابن الدحداحة وكان آتياً وهو الذي لا يعرف له اصل فكان في بني العجلان ولم يترك عقباً فقال رسول الله ﷺ لعاصم بن عدي هل تعلمون له فيكم نسباً قال ما نعرفه يا رسول الله فدعا ابن اخته فاعطاه ميراثه

(حدثنا) عمر بن حفص بن غياث ثنا ابي عن الاعمش عن ابراهيم

عن عمر انه اعطى خالا المال

(حدثنا) ابو نعيم ثنا ابو هانيء قال

سئل عامر عن امرأة او رجل توفي وترك خالة وعمة ليس له وارث ولا رحم غيرهما فقال كان عبد الله بن مسعود ينزل الخالة بمنزلة امه وينزل العمة بمنزلة اخيها

(باب الادعاء والانكار)

(حدثنا) احمد بن عبدالله ثنا ابو شهاب عن عمرو

عن الحسن في رجل اعترف عند موته بالف درهم لرجل واقام آخر بينة بالف درهم وترك الميت الف درهم فقال المال بينهما نصفين الا ان يكون مفلساً فلا يجوز اقراره

(اخبرنا) ابو نعيم قال قلت لشريك كيف ذكرت في الاخوين يدعي احدهما اخاً قال يدخل عليه في نصيبه قلت من ذكره قال جابر عن عامر عن علي

(حدثنا) ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عبدالرحمن بن محمد المحاربي عن الاعمش

عن ابراهيم في الاخوة يدعي بعضهم الاخ وينكر الآخرون قال يدخل معهم بمنزلة عبد يكون بين الاخوة فيعتق احدهم نصيبه قال وكان عامر والحكم واصحابهما يقولون لا يدخل الا في نصيب الذي اعترف به

(حدثنا) ابو بكر

عن وكيع قال اذا كانا اخوين فادعى احدهما اخا وانكره الآخر قال كان ابن ابي ليلى يقول هي من ستة للذي لم يدع ثلاثة وللمدعي سهمان وللمدعى سهم

(حدثنا) يونس بن محمد ثنا ابو عوانة عن مغيرة

عن حماد في الرجل يكون له ثلاثة بنين فقال ثلثي مالي لاصغر بني فقال الاوسط انا اجيز وقال الاكبر انا لا اجيز قال هي من تسعة يخرج ثلاثة فله سهمه وسهم الذي اجاز وقال حماد يرد السهم عليهم جميعاً وقال عامر الذي رد انما رد على نفسه

(حدثنا) ابو بكر بن ابي شيبة ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن خالد عن ابن سيرين

عن شريح في رجل اقر باخ قال بينته انه اخوه

(اخبرنا) ابو النعمان حدثنا ابو عوانة عن مغيرة

عن الحارث العكلي في رجل اقر عند موته بالف درهم مضاربة والف ديناً ولم يدع الا الف درهم قال يبدأ بالدين فان فضل فضل كان لاصحاب المضاربة

(حدثنا) ابو نعيم ثنا حسن عن مطرف

عن الشعبي في رجل مات وترك ثلاثمائة درهم وثلاثة بنين فجاء رجل يدعي مائة درهم على الميت فاقر له احدهم قال يدخل عليه بالحصة ثم قال الشعبي ما ارى ان يكون ميراثاً حتى يقضي الدين

(حدثنا) ابو خيثمة مصعب بن سعيد الحراني ثنا محمد بن عبد الله عن الاشعث

عن الحسن في رجل هلك وترك ابنين وترك الفي درهم فاقتسما الالفي درهم وغاب احد الابنين فجاء رجل فاستحق على الميت الف درهم قال يأخذ جميع ما في يد الشاهد ويقال له اتبع اخاك الغائب فخذ نصف ما في يده

(حدثنا) سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة عن زياد الاعلم

عن الحسن قال اذا أقر بعض الورثة بدين فهو عليه بحصته

(حدثنا) سليمان بن حرب عن حماد بن سلمه عن ابي هشام

عن ابراهيم قال اذا شهد اثنان من الورثة بدين فهو من جميع المال اذا كانوا عدولا وقال الشعبي عليهما في نصيبهما

(باب في ميراث المرتد)

(حدثنا) محمد بن عيسى ثنا ثابت بن الوليد بن جميع قال اخبرني ابي

عن القاسم بن عبد الرحمن قال كان ابن مسعود يورث اهل المرتد اذا قُتل

(حدثنا) الحجاج بن منهال ثنا ابو عوانة عن الاعمش

عن ابي عمرو الشيباني ان علي بن ابي طالب جعل ميراث المرتد لورثته من المسلمين

(اخبرنا) يزيد بن هارون ثنا الحجاج

عن الحكم ان علياً قضى في ميراث المرتد لأهله من المسلمين

(باب ميراث القاتل)

(حدثنا) زكريا بن عدي ثنا عبيد الله هو ابن عمرو عن عبد الكريم

عن الحكم قال اذا قَتل الرجل اخاه عمداً لم يورّث من ميراثه ولا من ديته فاذا قتله خطأً وُرث من ميراثه ولم يورّث من ديته قال وكان عطاء يقول ذلك

(حدثنا) محمد بن عيينة عن علي بن مسهر عن سعيد عن قتادة عن خلاس

عن علي قال رمى رجل أمه بحجر فقتلها فطلب الميراث من اخوته فقال له أخوته لا ميراث لك فارتفعوا الى علي فجعل عليه الدية واخرجه من الميراث

(حدثنا) ابو نعيم ثنا زهير عن الحسن بن الحر

عن الحكم ان الرجل اذا قَتل امرأته خطأ انه يمنع ميراثه من العقل وغيره

(اخبرنا) ابو نعيم ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد

عن ابن عباس قال لا يَرث القاتل من المقتول شيئاً

(حدثنا) سعيد بن المغيرة عن ابن المبارك عن معمر

عن قتادة في رجل قذف امرأته وجاء بشهود فرجمت قال يرثها

(حدثنا) ابو النعمان ثنا ابو عوانة

عن حماد في رجل جُلد الحد اراه مات شك ابو النعمان قال يتوارثان

(حدثنا) ابو النعمان ثنا ابو عوانة عن محمد بن سالم عن عامر

عن علي قال القاتل لا يَرث ولا يحجب

(حدثنا) ابو نعيم ثنا حسن عن ليث عن ابي عمرو العبدي

عن علي قال لا يورث القاتل

(حدثنا) زكريا بن عدي ثنا ابو بكر عن مطرف

عن الشعبي قال قال لا يرث قاتل خطأٍ ولا عمدٍ

(اخبرنا) محمد بن يوسف عن سفيان عن ليث عن طاوس

(حدثنا) سليمان بن حرب عن حماد بن سلمه عن ابي هشام

عن ابراهيم قال اذا شهد اثنان من الورثة بدين فهو من جميع المال اذا كانوا عدولا وقال الشعبي عليهما في نصيبهما

(باب في ميراث المرتد)

(حدثنا) محمد بن عيسى تنا ثابت بن الوليد بن جميع قال اخبرني ابي

عن القاسم بن عبد الرحمن قال كان ابن مسعود يورث اهل المرتد اذا قُتل

(حدثنا) الحجاج بن منهال تنا ابو عوانة عن الاعمش

عن ابي عمرو الشيباني ان علي بن ابي طالب جعل ميراث المرتد لورثته من المسلمين

(اخبرنا) يزيد بن هارون تنا الحجاج

عن الحكم ان علياً قضى في ميراث المرتد لأهله من المسلمين

(باب ميراث القاتل)

(حدثنا) زكريا بن عدي تنا عبيد الله هو ابن عمرو عن عبد الكريم

عن الحكم قال اذا قَتل الرجل اخاه عمداً لم يُورَّث من ميراثه ولا من ديته فاذا قتله خطأً وُرث من ميراثه ولم يُورَّث من ديته قال وكان عطاء يقول ذلك

(حدثنا) محمد بن عيينة عن علي بن مسهر عن سعيد عن قتادة عن خلاس

عن علي قال رمى رجل أمه بحجر فقتلها فطلب الميراث من اخوته فقال له أخوته لا ميراث لك فارتفعوا الى علي فجعل عليه الدية واخرجه من الميراث

(حدثنا) ابو نعيم تنا زهير عن الحسن بن الحر

عن الحكم ان الرجل اذا قَتل امرأته خطأ انه يمنع ميراثه من العقل وغيره

(اخبرنا) ابو نعيم تنا سفيان عن ليث عن مجاهد

عن ابن عباس قال لا يَرث القاتل من المقتول شيئاً

(حدثنا) سعيد بن المغيرة عن ابن المبارك عن معمر

عن قتادة في رجل قذف امرأته وجاء بشهود فرجمت قال يرثها

(حدثنا) ابو النعمان تنا ابو عوانة

عن حماد في رجل جُلد الحد اراه مات شك ابو النعمان قال يتوارثان

(حدثنا) ابو النعمان تنا ابو عوانة عن محمد بن سالم عن عامر

عن علي قال القاتل لا يرث ولا يحجب

(حدثنا) ابو نعيم تنا حسن عن ليث عن ابي عمرو العبدي

عن علي قال لا يورث القاتل

(حدثنا) زكريا بن عدي تنا ابو بكر عن مطرف

عن الشعبي قال قال لا يرث قاتل خطأٍ ولا عمدٍ

(اخبرنا) محمد بن يوسف عن سفيان عن ليث عن طاوس

(حدثنا) سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة عن ابي هشام
عن ابراهيم قال اذا شهد اثنان من الورثة بدين فهو من جميع
المال اذا كانوا عدولا وقال الشعبي عليهما في نصيبهما

(باب في ميراث المرتد)

(حدثنا) محمد بن عيسى تنا ثابت بن الوليد بن جميع قال اخبرني ابي
عن القاسم بن عبد الرحمن قال كان ابن مسعود يورث اهل المرتد
اذا قُتل

(حدثنا) الحجاج بن منهال تنا ابو عوانة عن الاعمش
عن ابي عمرو الشيباني ان علي بن ابي طالب جعل ميراث المرتد
لورثته من المسلمين

(اخبرنا) يزيد بن هارون تنا الحجاج
عن الحكم ان علياً قضى في ميراث المرتد لأهله من المسلمين

(باب ميراث القاتل)

(حدثنا) زكريا بن عدي تنا عبيد الله هو ابن عمرو عن عبد الكريم
عن الحكم قال اذا قَتل الرجل اخاه عمداً لم يُورَّث من ميراثه
ولا من ديته فاذا قتله خطأً وُرث من ميراثه ولم يُورَّث من ديته
قال وكان عطاء يقول ذلك

(حدثنا) محمد بن عيينة عن علي بن مسهر عن سعيد عن قتادة عن
خلاس

عن علي قال رمى رجل أُمه بحجر فقتلها فطلب الميراث من
اخوته فقال له أخوته لا ميراث لك فارتفعوا الى علي فجعل عليه
الدية واخرجه من الميراث

(حدثنا) ابو نعيم تنا زهير عن الحسن بن الحر
عن الحكم ان الرجل اذا قَتل امرأته خطأ انه يمنع ميراثه من
العقل وغيره

(اخبرنا) ابو نعيم تنا سفيان عن ليث عن مجاهد
عن ابن عباس قال لا يَرث القاتل من المقتول شيئاً

(حدثنا) سعيد بن المغيرة عن ابن المبارك عن معمر
عن قتادة في رجل قذف امرأته وجاء بشهود فرجمت قال يرثها

(حدثنا) ابو النعمان تنا ابو عوانة
عن حماد في رجل جُلد الحد اراه مات شك ابو النعمان قال
يتوارثان

(حدثنا) ابو النعمان تنا ابو عوانة عن محمد بن سالم عن عامر
عن علي قال القاتل لا يرث ولا يحجب

(حدثنا) ابو نعيم تنا حسن عن ليث عن ابي عمرو العبدي
عن علي قال لا يورث القاتل

(حدثنا) زكريا بن عدي تنا ابو بكر عن مطرف
عن الشعبي قال قال لا يرث قاتل خطأٍ ولا عمدٍ

(اخبرنا) محمد بن يوسف عن سفيان عن ليث عن طاوس

(حدثنا) سليمان بن حرب عن حماد بن سله عن ابي هشام

عن ابراهيم قال اذا شهد اثنان من الورثة بدين فهو من جميع المال اذا كانوا عدولا وقال الشعبي عليهما في نصيبهما

(باب في ميراث المرتد)

(حدثنا) محمد بن عيسى تنا ثابت بن الوليد بن جميع قال اخبرني ابي

عن القاسم بن عبد الرحمن قال كان ابن مسعود يورث اهل المرتد اذا قُتل

(حدثنا) الحجاج بن منهال تنا ابو عوانة عن الاعمش

عن ابي عمرو الشيباني ان علي بن ابي طالب جعل ميراث المرتد لورثته من المسلمين

(اخبرنا) يزيد بن هارون تنا الحجاج

عن الحكم ان علياً قضى في ميراث المرتد لأهله من المسلمين

(باب ميراث القاتل)

(حدثنا) زكريا بن عدي تنا عبيد الله هو ابن عمرو عن عبد الكريم

عن الحكم قال اذا قَتل الرجل اخاه عمداً لم يُورَّث من ميراثه ولا من ديته فاذا قتله خطأً وُرث من ميراثه ولم يُورَّث من ديته قال وكان عطاء يقول ذلك

(حدثنا) محمد بن عيينة عن علي بن مسهر عن سعيد عن قتادة عن خلاس

عن علي قال رمى رجل أمه بحجر فقتلها فطلب الميراث من اخوته فقال له أخوته لا ميراث لك فارتفعوا الى علي فجعل عليه الدية واخرجه من الميراث

(حدثنا) ابو نعيم تنا زهير عن الحسن بن الحر

عن الحكم ان الرجل اذا قَتل امرأته خطأ انه يمنع ميراثه من العقل وغيره

(اخبرنا) ابو نعيم تنا سفيان عن ليث عن مجاهد

عن ابن عباس قال لا يَرث القاتل من المقتول شيئاً

(حدثنا) سعيد بن المغيرة عن ابن المبارك عن معمر

عن قتادة في رجل قذف امرأته وجاء بشهود فرجمت قال يرثها

(حدثنا) ابو النعمان تنا ابو عوانة

عن حماد في رجل جُلد الحد اراه مات شك ابو النعمان قال يتوارثان

(حدثنا) ابو النعمان تنا ابو عوانة عن محمد بن سالم عن عامر

عن علي قال القاتل لا يرث ولا يحجب

(حدثنا) ابو نعيم تنا حسن عن ليث عن ابي عمرو العبدي

عن علي قال لا يورث القاتل

(حدثنا) زكريا بن عدي تنا ابو بكر عن مطرف

عن الشعبي قال قال لا يرث قاتل خطأٍ ولا عمدٍ

(اخبرنا) محمد بن يوسف عن سفيان عن ليث عن طاوس

عن ابن عباس قال لا يرث القاتل

(باب الفرائض المجوس)

(اخبرنا) محمد بن عيسى تنا عبد الاعلى عن معمر

عن الزهري قال اذا اجتمع نسبان ورّث بأكبرهما يعني المجوس

(حدثنا) حجاج بن منهال تنا حماد بن سلمة

عن حماد بن ابي سليمان قال يرث من الجانب الذي يصلح ولا يرث من الجانب الذي لا يصلح

(حدثنا) حجاج تنا حماد عن سفيان الثوري عن رجل

عن الشعبي ان علياً وابن مسعود قالا في المجوس اذ اسلموا يرثون من القرابتين جميعاً

(باب ميراث الأسير)

(اخبرنا) يحيى بن حسان تنا ابن ابي الزناد عن ابيه

عن عمر بن عبد العزيز في امرأة الأسير انها ترثه ويرثها

(حدثنا) محمد بن الفضل تنا عبد الله بن المبارك حدثني معمر عن اسحاق بن راشد

عن عمر بن عبد العزيز في الأسير يوصي قال أجيز له وصيته ما دام على دينه لم يتغير عن دينه

(اخبرنا) محمد بن يوسف تنا سفيان عن داود عن الشعبي

عن شريح قال يورّث الاسير اذا كان في أيدي العدو

(حدثنا) محمد قال تنا سفيان

حدثني من سمع ابراهيم يقول يورّث الاسير

(حدثنا) المعلى بن اسد تنا وهيب عن داود

عن سعيد بن المسيب انه كان لا يورّث الاسير

(باب في ميراث الحميل)

(اخبرنا) يزيد بن هارون تنا الاشعث

عن الشعبي قال كتب عمر بن الخطاب الى شريح ان لا يورّث الحميل الا ببينة وان جاءت به في خرقها

(اخبرنا) عبيد الله عن اسرائيل عن منصور

عن ابراهيم قال يورث الحميل

(حدثنا) ابو سعيد عن ابي أمية عن ابي بكر بن عبد الله بن ابي مريم

عن ضمرة والفضيل بن فضاله وابن ابي عوف وراشد وعطية قالوا لا يورّث الحملاء

(حدثنا) سعيد بن المغيرة قال قال ابن المبارك

حدثنا ابن عون عن محمد قال ذكر عنده قول من يقول في الحميل فأنكر ذلك وقال قد توارث المهاجرون والأنصار بنسبهم الذي كان في الجاهلية

(حدثنا) ابو بكر بن ابي شيبة عن ابن ادريس عن هشام

عن الحسن وابن سيرين قالا لا يورّث الحميل الا ببينة

(حدثنا) سليمان بن حرب عن حماد بن سلمه عن ابي هشام

عن ابراهيم قال اذا شهد اثنان من الورثة بدين فهو من جميع المال اذا كانوا عدولا وقال الشعبي عليهما في نصيبهما

(باب في ميراث المرتد)

(حدثنا) محمد بن عيسى تنا ثابت بن الوليد بن جميع قال اخبرني ابي

عن القاسم بن عبد الرحمن قال كان ابن مسعود يورث اهل المرتد اذا قُتل

(حدثنا) الحجاج بن منهال تنا ابو عوانة عن الاعمش

عن ابي عمرو الشيباني ان علي بن ابي طالب جعل ميراث المرتد لورثته من المسلمين

(اخبرنا) يزيد بن هارون تنا الحجاج

عن الحكم ان علياً قضى في ميراث المرتد لأهله من المسلمين

(باب ميراث القاتل)

(حدثنا) زكريا بن عدي تنا عبيد الله هو ابن عمرو عن عبد الكريم

عن الحكم قال اذا قَتل الرجل اخاه عمداً لم يُورَّث من ميراثه ولا من ديته فاذا قتله خطأً وُرث من ميراثه ولم يُورَّث من ديته قال وكان عطاء يقول ذلك

(حدثنا) محمد بن عيينة عن علي بن مسهر عن سعيد عن قتادة عن خلاس

عن علي قال رمى رجل أُمه بحجر فقتلها فطلب الميراث من اخوته فقال له أخوته لاميراث لك فارتفعوا الى علي فجعل عليه الدية واخرجه من الميراث

(حدثنا) ابو نعيم تنا زهير عن الحسن بن الحر

عن الحكم ان الرجل اذا قَتل امرأته خطأ انه يمنع ميراثه من العقل وغيره

(اخبرنا) ابو نعيم تنا سفيان عن ليث عن مجاهد

عن ابن عباس قال لا يَرث القاتل من المقتول شيئاً

(حدثنا) سعيد بن المغيرة عن ابن المبارك عن معمر

عن قتادة في رجل قذف امرأته وجاء بشهود فرجمت قال يرثها

(حدثنا) ابو النعمان تنا ابو عوانة

عن حماد في رجل جُلد الحد اراه مات شك ابو النعمان قال يتوارثان

(حدثنا) ابو النعمان تنا ابو عوانة عن محمد بن سالم عن عامر

عن علي قال القاتل لا يرث ولا يحجب

(حدثنا) ابو نعيم تنا حسن عن ليث عن ابي عمرو العبدي

عن علي قال لا يورث القاتل

(حدثنا) زكريا بن عدي ثُنا ابو بكر عن مطرف

عن الشعبي قال قال لا يرث قاتل خطأٍ ولا عمدٍ

(اخبرنا) محمد بن يوسف عن سفيان عن ليث عن طاوس

(حدثنا) سليمان بن حرب عن حماد بن سلمه عن ابي هشام

عن ابراهيم قال اذا شهد اثنان من الورثة بدين فهو من جميع المال اذا كانوا عدولا وقال الشعبي عليهما في نصيبهما

(باب في ميراث المرتد)

(حدثنا) محمد بن عيسى ثنا ثابت بن الوليد بن جميع قال اخبرني ابي

عن القاسم بن عبد الرحمن قال كان ابن مسعود يورث اهل المرتد اذا قُتل

(حدثنا) الحجاج بن منهال ثنا ابو عوانة عن الاعمش

عن ابي عمرو الشيباني ان علي بن ابي طالب جعل ميراث المرتد لورثته من المسلمين

(اخبرنا) يزيد بن هارون ثنا الحجاج

عن الحكم ان علياً قضى في ميراث المرتد لأهله من المسلمين

(باب ميراث القاتل)

(حدثنا) زكريا بن عدي ثنا عبيد الله هو ابن عمرو عن عبد الكريم

عن الحكم قال اذا قَتل الرجل اخاه عمداً لم يُورَّث من ميراثه ولا من ديته فاذا قتله خطأً وُرث من ميراثه ولم يُورَّث من ديته قال وكان عطاء يقول ذلك

(حدثنا) محمد بن عيينة عن علي بن مسهر عن سعيد عن قتادة عن خلاس

عن علي قال رمى رجل أمه بحجر فقتلها فطلب الميراث من اخوته فقال له أخوته لاميراث لك فارتفعوا الى علي فجعل عليه الدية واخرجه من الميراث

(حدثنا) ابو نعيم ثنا زهير عن الحسن بن الحر

عن الحكم ان الرجل اذا قَتل امرأته خطأً انه يمنع ميراثه من العقل وغيره

(اخبرنا) ابو نعيم ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد

عن ابن عباس قال لا يَرث القاتل من المقتول شيئاً

(حدثنا) سعيد بن المغيرة عن ابن المبارك عن معمر

عن قتادة في رجل قذف امرأته وجاء بشهود فرجمت قال يرثها

(حدثنا) ابو النعمان ثنا ابو عوانة

عن حماد في رجل جُلد الحد اراه مات شك ابو النعمان قال يتوارثان

(حدثنا) ابو النعمان ثنا ابو عوانة عن محمد بن سالم عن عامر

عن علي قال القاتل لا يرث ولا يحجب

(حدثنا) ابو نعيم ثنا حسن عن ليث عن ابي عمرو العبدي

عن علي قال لا يورث القاتل

(حدثنا) زكريا بن عدي ثنا ابو بكر عن مطرف

عن الشعبي قال قال لا يرث قاتل خطأً ولا عمدٍ

(اخبرنا) محمد بن يوسف عن سفيان عن ليث عن طاوس

(حدثنا) سليمان بن حرب عن حماد بن سلمه عن ابي هشام

عن ابراهيم قال اذا شهد اثنان من الورثة بدين فهو من جميع المال اذا كانوا عدولا وقال الشعبي عليهما في نصيبهما

(باب في ميراث المرتد)

(حدثنا) محمد بن عيسى تنا ثابت بن الوليد بن جميع قال اخبرني ابي

عن القاسم بن عبد الرحمن قال كان ابن مسعود يورث اهل المرتد اذا قُتل

(حدثنا) الحجاج بن منهال تنا ابو عوانة عن الاعمش

عن ابي عمرو الشيباني ان علي بن ابي طالب جعل ميراث المرتد لورثته من المسلمين

(اخبرنا) يزيد بن هارون تنا الحجاج

عن الحكم ان علياً قضى في ميراث المرتد لأهله من المسلمين

(باب ميراث القاتل)

(حدثنا) زكريا بن عدي تنا عبيد الله هو ابن عمرو عن عبد الكريم

عن الحكم قال اذا قَتل الرجل اخاه عمداً لم يُورَّث من ميراثه ولا من ديته فاذا قتله خطأً وُرث من ميراثه ولم يُورَّث من ديته قال وكان عطاء يقول ذلك

(حدثنا) محمد بن عينة عن علي بن مسهر عن سعيد عن قتادة عن خلاس

عن علي قال رمى رجل أمه بحجر فقتلها فطلب الميراث من اخوته فقال له أخوته لاميراث لك فارتفعوا الى علي فجعل عليه الدية واخرجه من الميراث

(حدثنا) ابو نعيم تنا زهير عن الحسن بن الحر

عن الحكم ان الرجل اذا قَتل امرأته خطأ انه يمنع ميراثه من العقل وغيره

(اخبرنا) ابو نعيم تنا سفيان عن ليث عن مجاهد

عن ابن عباس قال لا يَرث القاتل من المقتول شيئاً

(حدثنا) سعيد بن المغيرة عن ابن المبارك عن معمر

عن قتادة في رجل قذف امرأته وجاء بشهود فرجمت قال يرثها

(حدثنا) ابو النعمان تنا ابو عوانة

عن حماد في رجل جُلد الحد اراه مات شك ابو النعمان قال يتوارثان

(حدثنا) ابو النعمان تنا ابو عوانة عن محمد بن سالم عن عامر

عن علي قال القاتل لا يرث ولا يحجب

(حدثنا) ابو نعيم تنا حسن عن ليث عن ابي عمرو العبدي

عن علي قال لا يورث القاتل

(حدثنا) زكريا بن عدي تنا ابو بكر عن مطرف

عن الشعبي قال قال لا يرث قاتل خطأٍ ولا عمدٍ

(اخبرنا) محمد بن يوسف عن سفيان عن ليث عن طاوس

عن ابن عباس قال لا يرث القاتل

(باب الفرائض للمجوس)

(اخبرنا) محمد بن عيسى تنا عبد الاعلى عن معمر

عن الزهري قال اذا اجتمع نسبان ورّث بأكبرهما يعني المجوس

(حدثنا) حجاج بن منهال تنا حماد بن سلمة

عن حماد بن ابي سليمان قال يرث من الجانب الذي يصلح ولا يرث من الجانب الذي لا يصلح

(حدثنا) حجاج تنا حماد عن سفيان الثوري عن رجل

عن الشعبي ان علياً وابن مسعود قالا في المجوس اذ اسلموا يرثون من القرابتين جميعاً

(باب ميراث الأسير)

(اخبرنا) يحيى بن حسان تنا ابن ابي الزناد عن ابيه

عن عمر بن عبد العزيز في امرأة الأسير انها ترثه ويرثها

(حدثنا) محمد بن الفضل تنا عبد الله بن المبارك حدثني معمر عن اسحاق بن راشد

عن عمر بن عبد العزيز في الأسير يوصي قال أجيز له وصيته ما دام على دينه لم يتغير عن دينه

(اخبرنا) محمد بن يوسف تنا سفيان عن داود عن الشعبي

عن شريح قال يورّث الاسير اذا كان في أيدي العدو

(حدثنا) محمد قال تنا سفيان

حدثني من سمع ابراهيم يقول يورّث الاسير

(حدثنا) المعلى بن اسد تنا وهيب عن داود

عن سعيد بن المسيب انه كان لا يورّث الاسير

(باب في ميراث الحميل)

(اخبرنا) يزيد بن هارون تنا الاشعث

عن الشعبي قال كتب عمر بن الخطاب الى شريح ان لا يورّث الحميل الا ببينة وان جاءت به في خرقها

(اخبرنا) عبيد الله عن اسرائيل عن منصور

عن ابراهيم قال يورث الحميل

(حدثنا) ابو سعيد عن ابي أمية عن ابي بكر بن عبد الله بن ابي مريم

عن ضمرة والفضيل بن فضاله وابن ابي عوف وراشد وعطية قالوا لا يورّث الحملاء

(حدثنا) سعيد بن المغيرة قال قال ابن المبارك

حدثنا ابن عون عن محمد قال ذكر عنده قول من يقول في الحميل فأنكر ذلك وقال قد توارث المهاجرون والأنصار بنسبهم الذي كان في الجاهلية

(حدثنا) ابو بكر بن ابي شيبة عن ابن ادريس عن هشام

عن الحسن وابن سيرين قالا لا يورّث الحميل الا ببينة

(حدثنا) ابو بكر ثنا جرير عن ليث عن حماد

عن ابراهيم قال لم يكن ابو بكر وعمر وعثمان يورّثون الحميل

(حدثنا) ابو بكر ثنا عبد الرحيم المحاربي عن زائدة

عن اشعث بن ابي الشعثاء قال أقرت امرأة من بني محارب بنسب لها حليب فورّثه عبد الله بن عقبة من اخته

(حدثنا) عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني يونس

عن ابن شهاب عن رجل قال عند فراق الدنيا انا مولى فلان قال يرد ميراثه لمن سمى انه مولاه عند فراق الدنيا الا أن يأتوا عليه ببينة بغير ذلك يردون به قوله فيرد ميراثه الى ما قامت به البينة

(باب في ميراث ولد الزنا)

(اخبرنا) ابو نعيم ثنا شريك عن محمد بن سالم عن الشعبي

عن علي وعبد الله قالا ولد الزناء بمنزلة ابن الملاعنة

(اخبرنا) ابو نعيم ثنا زهير عن الحسن بن الحر

حدثني الحكم ان ولد الزناء لا يرثه الذي يدّعيه ولا يرثه المولود

(حدثنا) ابو بكر بن ابي شيبة ثنا روح عن محمد بن ابي حفصة عن الزهري

عن علي بن حسين انه كان لا يورّث ولد الزناء وان ادّعاه الرجل

(حدثنا) عبد الله بن صالح حدثني بكر بن مضر عن عمرو يعني ابن الحارث عن بكير

عن سليمان بن يسار قال ايما رجل اتى الى غلام نزعم انه ابن له وانه زنى بأمه ولم يدّع ذلك الغلام احد فهو يرثه قال بكير وسألت عروة عن ذلك فقال مثل قول سليمان بن يسار وقال عروة بلغنا ان رسول الله ﷺ قال الولد للفراش وللعاهر الحجر

(حدثنا) ابراهيم بن موسى عن حفص بن غياث عن عمرو

عن الحسن قال ابن الملاعنة مثل ولد الزناء ترثه امه وورثته ورثة امه

(حدثنا) ابو النعمان ثنا ابو عوانة عن مغيرة

عن ابراهيم قال لا يورّث ولد الزناء

(حدثنا) سعيد بن المغيرة عن ابن المبارك عن معمر او يونس

عن الزهري في اولاد الزناء قال يتوارثون من قبل الامهات وان ولدت يوماً فمات ورث السدس

(حدثنا) ابو بكر بن ابي شيبة قال حدثنا هيثم عن مغيرة عن سماك

عن ابراهيم قال لا يرث ولد الزناء انما يرث من لم يُقم على ابيه الحد او تملك امه بنكاح او شراء

(حدثنا) اسماعيل بن ابان عن موسى بن محمد الانصاري عن اسماعيل

عن الحسن في الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها قال لا بأس الا ان تكون حبلى فان الولد لا يلحقه.

(حدثنا) زيد بن يحيى عن محمد بن راشد عن سليمان بن موسى

عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده أن رسول الله ﷺ قضى أن كل مستلحق استلحق بعد ابيه الذي ادّعاه ورثته بعده فقضى ان كان من امة يملكها يوم يطؤها فقد لحق بمن استلحقه وليس له مما قُسم قبله من الميراث شيء وما ادرك من ميراث لم يُقسم فله نصيبه ولا يلحق اذا كان الذي يُدّعى له انكره وان كان من امة لا يملكها او حرة عاهرَ بها فانه لا يلحق ولا يرث وان كان الذي يُدعى له هو ادّعاه وهو ولد الزناء لأهل امه من كانوا حرة او امة

(حدثنا) ابو نعيم عن الحسن

عن عمير بن زيد قال سألت الشعبي عن مملوك لي وُلدَ زناً قال لاَ تبعه ولا تأكل ثمنه واستخدمه

(حدثنا) مروان بن محمد عن سعيد

عن الزهري سئل عن ولد زناء يموت قال ان كان ابن عربية ورثت امه الثلث وجعل بقية ماله في بيت المال وان كان ابن مولاة ورثت امه الثلث وورث مواليها الذين اعتقوها ما بقي قال مروان سمعت مالكا يقول ذلك

(حدثنا) مروان بن محمد ثنا الهيثم بن حميد عن العلاء بن الحارث

حدثني عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي ﷺ قضى بميراث ابن الملاعنة لامه كله لما لقيت فيه من العناء

(حدثنا) اسماعيل بن ابان عن موسى بن محمد الانصاري قال حدثني الحارث بن حضيرة عن زيد بن وهب

عن علي انه قال في ولد الزناء لأولياء امه خذوه انكم ترثونه وتعقلونه ولا يرثكم

(باب ميراث السائبة)

(اخبرنا) ابو نعيم وعبد الله بن يزيد قالا حدثنا شعبة عن سلمة بن كهيل

عن ابي عمرو الشيباني قال قال عبد الله السائبة يضع ماله حيث شاء قال عبد الله بن يزيد قال شعبة لم يسمع هذا من سلمة احد غيري

(اخبرنا) الحكم بن المبارك ثنا حاتم بن وردان عن يونس

عن الحسن سئل عن ميراث السائبة فقال كل عتيق سائبة

(اخبرنا) يزيد بن هارون انا سليمان

عن ابي عثمان قال قال عمر الصدقة والسائبة ليومهما

(حدثنا) ابو نعيم ثنا زكريا

عن عامر قال سئل عامر عن المملوك يعتق سائبة لمن ولاؤه قال للذي اعتقه

(حدثنا) ابو حاتم البصري هو روح بن اسلم ثنا بشر بن المفضل ثنا عبد الرحمن بن اسحاق عن ابيه

عن عبدالرحمن بن عمرو قال مات مولىً على عهد عثمان ليس له والٍ فأمرَ بماله فأدخل بيت المال

(حدثنا) يعلى ثنا اسماعيل عن عامر

عن مسروق في رجل مات ولم يكن له مولى عتاقة قال ماله حيث اوصى به فإن لم يكن اوصى فهو في بيت المال

(حدثنا) ابو سعيد بن عمرو عن ابي بكر بن ابي مريم

عن ضمرة وراشد بن سعد وغيرهما قالوا فيمن اعتق سائبة ان ولاءه لمن اعتقه انما سيبه من الرق ولم يسيبه من الولاء

(حدثنا) ابو بكر بن ابي شيبة ثنا ابو داود عن شعبة قال اخبرني منصور

عن ابراهيم والشعبي قالا لا بأس ببيع ولاء السائبة وهبته

(حدثنا) ابو نعيم ثنا المسعودي

عن القاسم قال اعتق رجل غلاماً سائبة فأتى عبد الله وقال اني قد اعتقت غلاماً لي سائبة وهذه تركته قال هي لك قال لا حاجة لي فيها قال فضعها فان ههنا وارثاً كثيراً

(باب ميراث الصبي)

(أخبرنا) يزيد بن هارون انا الاشعث عن ابي الزبير

عن جابر بن عبد الله قال اذا استهل الصبي ورّث وصلي عليه

(حدثنا) ابو نعيم ثنا شريك عن ابي اسحاق عن عطاء

عن ابن عباس قال اذا استهل الصبي ورث وصلي عليه

(حدثنا) مالك بن اسماعيل ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة

عن ابن عباس قال ليس من مولود الا يستهل واستهلاله بعصر الشيطان بطنه فيصيح الا عيسى بن مريم عليه السلام

(حدثنا) يحيى بن حسان ثنا يحيى هو ابن حمزة

عن زيد بن واقد عن مكحول قال قال رسول الله ﷺ لا يرث المولود حتى يستهل صارخاً وان وقع حياً

(حدثنا) يعلى ثنا محمد بن اسحاق عن عطاء

عن جابر قال اذا استهل المولود صلي عليه وورّث

(حدثنا) عبد الله بن محمد ثنا معن عن ابن ابي ذئب

عن الزهري قال قال ارى العطاس استهلالا

(حدثنا) ابو النعمان ثنا ابو عوانة عن مغيرة

عن ابراهيم قال لا يورّث المولود حتى يستهل ولا يصلى عليه حتى يستهل فاذا استهل صلي عليه وورّث وكملت الدية

(حدثنا) عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني يونس

عن ابن شهاب وسألناه عن السقط فقال لا يصلى عليه ولا يصلى على مولود حتى يستهل صارخاً

(باب في ولاء المكاتب)

(حدثنا) مروان بن معاوية عن ابي حيان عن معمر

عن ابي قتادة قال اذا ابتاع المكاتبان احدهما الآخر هذا من سيده وهذا من سيده فالبيع للاول ويقول اهل المدينة الولاء

(حدثنا) ابو نعيم ثنا زكريا

عن عامر في مملوك توفي وله اب حر وله بنون من امرأة حرة لمن ولاء ولده قال لموالي الجد

(حدثنا) ابو نعيم ثنا اسرائيل عن مغيرة

عن ابراهيم في مكاتب مات وقد ادى نصف مكاتبته وله ولد من امرأة حرة قال ما اراه الا قد جر ولاء ولده

(حدثنا) سليمان بن حرب ثنا شعبة عن الحكم

عن ابراهيم قال كان شريح لا يرجع عن قضاء يقضي به فحدثه الاسود ان عمر قال اذا تزوج المملوك الحرة فولدت اولاداً احراراً ثم عتق بعد ذلك رجع الولاء لموالي ابيهم فاخذ به شريح

(حدثنا) يعلى عن الاعمش

عن ابراهيم قال قال عمر المملوك يكون تحته الحرة يعتق الولد بعتق امه فاذا عتق الاب جر الولاء

(حدثنا) مسلم ثنا عبد الوارث عن كثير بن شنظير

عن عطاء في الحرة تحت العبد قال اما ما ولدت منه وهو عبد فولاؤهم لاهل نعمتها وما ولدت منه وهو حر فولاؤهم لاهل نعمته

(حدثنا) جعفر بن عون عن الاعمش

عن ابراهيم قال قال عمر اذا كانت الحرة تحت المملوك فولدت له غلاما فانه يعتق بعتق امه وولاؤه لموالي امه فاذا اعتق العبد جر الولاء الى موالي ابيه

(حدثنا) الحكم بن المبارك حدثنا محمد بن سلمة عن ابن اسحاق

عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه قال كانت امي مولاة للحرقة وكان ابي يعقوب مكاتباً لمالك بن اوس بن الحدثان النصري ثم ان ابي ادى كتابته فدخل الحرقي على عثمان فسأل لي الحق يعني العطاء وعنده مالك بن اوس فقال ذلك مولاي واختصما الى عثمان فقضى به للحرقي .

(باب الرجل يموت ولا يدع عصبة)

(حدثنا) عبدالله بن يزيد ثنا حيوة

اخبرني سهم بن يزيد الحمراوي ان رجلا توفي وليس له وارث فكتب فيه الى عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فكتب ان اقتسموا ميراثه على من كان يأخذ معهم العطاء فقسم ميراثه على من كان يأخذ معهم العطاء في عرافته